وقل رب زدني علما

جامعة دمشق

مجلة جامعة دمشق

للآداب والعلوم الإنسانية والتربوية

مجلة علمية محكمة



مجلة

جامعة دمشق

للآداب والعلوم الإنسانية والتربوية



مجلة علمية محكمة دورية

المجلد ١٣ - العدد الثاني - ١٩٩٧

شروط النشر في مجلة جامعة دمشق

للآداب والعلوم الإنسانية والتربوية

تقبل المجلة البحوث العلمية المبتكرة في العلوم الإنسانية والتربوية باللغة العربية أو بإحدى اللغات الحية، على أن تحقق الشروط التالية:

١- أن يكون البحث جديداً ولم ينشر مضمونه من قبل.

٢- يوضع اسم الباحث وصفته العلمية وعنوانه باللغتين العربية والانكليزية تحت عنوان البحث مباشرة.

٣- يكتب على ورقة مستقلة عنوان البحث واسم صاحبه وصفته العلمية مع ملخصين عن البحث أحدهما باللغة العربية والآخر بإحدى اللغتين الانكليزية أو الفرنسية على ألاّ يتجاوز كل منهما /١٥٠/ كلمة.

٤- ترسل ثلاث نسخ من البحوث مطبوعة على وجه واحد من الورق 210 × 297 مم (A4) ومنضدة على الحاسوب (وفق القياس والنموذج المنشور في هذا العدد)، ويرفق مع هذه النسخ «الديسك» .

٥- يجب ألا يتجاوز عدد صفحات البحث /٣٠/ صفحة بما في ذلك الأشكال والرسوم والجداول والصور والمراجع.

٦- توضع قائمة بالمراجع في آخر البحث على ورقة أو أوراق مستقلة وفق الترتيب الألفبائي لأسماء أسر المؤلفين ودون أرقام.

٧- يُتجنب الاختزال مالم يُشر إلى ذلك.

٨- يقدم كل من أشكال البحث مرسوماً بالحبر الأسود على ورقة مستقلة لاتتجاوز أبعادها أبعاد الصفحة النموذجية.

٩- تقدم الصور واضحة على ورق صقيل بأبعاد بطاقة البريد.

١٠- يُضمَّن البحث المقابلات الأجنبية للمصطلحات العربية المستخدمة مرة واحدة عند ورودها لأول مرة.

١١- تخضع البحوث المقدمة للتقويم لبيان مدى صلاحيتها للنشر.

١٢- لاتعاد البحوث إلى أصحابها إذا لم تُقبل للنشر.

١٣- يحصل الباحث (الباحثون) على ثلاث نسخ من العدد الذي ينشر فيه البحث.

١٤- تتم جميع المراسلات باسم:

مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية والتربوية – دمشق – الجمهورية العربية السورية

ص.ب: 5735 – هاتف: 2215743 – فاكس: 2129807

المحتوى

الملامح العامة للتنمية البشرية والاقتصادية في سورية

الدكتور محمد حربة
قسم الجغرافيا ــ كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة دمشق

الملخص

يتزايد عدد سكان سورية بمعدلات نمو سكاني عالية تتراوح بين ٣٣,١ و٣٣,٥ بالألف سنوياً. وقد ارتفع العدد من ٦,٣ مليون نسمة إلى ١٣,٨ مليون بين ١٩٧٠ و ١٩٩٤. ويقدر له أن يصل إلى ٣٠ مليون نسمة عام ٢٠٢٥. وبالمقابل يعيش الاقتصاد السوري نمواً وتنمية ملموستين. تظهرهما شتى قطاعاته ولاسيما الزراعة والصناعة من حيث الكم والكيف في أثناء المدة بين ١٩٧٠ – ١٩٩٤. وذلك سعياً وراء تحقيق التوازن بين النمو السكاني السريع والنمو الاقتصادي المعتدل، لتأمين مستوى كريم من العيش للسكان ولضمان مستقبل أمين.

يدرس هذا البحث ملامح التنمية والنمو البشري والإقتصادي ويحلل أوضاعهما في المدة الزمنية المذكورة بهدف تقديم واقع النمو والتطور وما تحقق في ميداني الزراعة والصناعة منذ ١٩٧٠، وما رافق ذلك من تغييرات جغرافية إقليمية من حيث نشوء بؤر إنتاج جديدة، مع إبداء بعض الآراء وتقديم نتائج وتوصيات نرى في تحقيقها سلاحاً في مواجهة المستقبل.

مقدمة :

أجريت هذه الدراسة ذات الطابع الشمولي الجغرافي انطلاقاً من توظيف البحث العلمي لخدمة الإنسان والمجتمع من جهة، مع تقديم الجديد وتحليله لتوضيح حركة التغيرات السكانية والاقتصادية والاجتماعية في شتى مجالات التنمية في القطر العربي السوري من جهة أخرى.

وتكتسب دراستنا هذه أهميتها وجدتها من معالجتها طرفي معادلة التنمية، أي النمو السكاني والتنمية الاقتصادية الشاملة، في بعديهما المكاني والزماني، لأن البحث يقتصر على المرحلة الزمنية التي تبدأ من عام ١٩٧٠ وحتى اليوم. ومن ثم تعد هذه الدراسة إضافة لدراسات وبحوث مشابهة شملت مراحل زمنية سابقة، كما وتؤكد الاتجاهات والسياسات التنموية السابقة، والقائمة، والتصورات المستقبلية.

تحتل عملية التنمية في بلدان العالم الثالث مكانة مهمة جداً في عالم تهزه صراعات وأزمات وضغوط متزايدة ودائمة، أوصلت الملايين إلى مستوى الفقر، وتهدد بانتشار أزمة فقر عالمي، وأزمة تدهور وتخريب بيئي لن تنفع عمليات الإغاثة والإنقاذ في الحد منها. إلا إذا عولجت هذه الأزمات بأسلوب علمي عقلاني، وبصبر وأناة، وتخطيط هادئ طويل ودائم في مجال التنمية السكانية البشرية التي تتم في إطار التنمية الشاملة للبلد.

إن هذا الأسلوب من التنمية البشرية المستديمة لا يقود إلى تنمية ونمو اقتصادي واجتماعي فحسب، بل يؤدي بالضرورة إلى توزيع النمو الاقتصادي توزيعاً عادلاً متوازناً يعكس صورة من صور التكامل الشامل للبلد.

والتنمية بهذا المفهوم تعيد للبيئة المتدهورة الحياة وتوقف تخريبها. وتعطي كل مواطن في المجتمع دوره وحقه في البناء، كلاً وفق قدراته وإمكاناته ومهاراته.

وتضرب جذور التنمية البشرية بعيداً في التاريخ الإنساني وفي أغلب الحضارات والثقافات بدرجات متفاوتة، فقد كتب أرسطو: "إن الثروة ليست الخير الذي يسعى إليه المرء لما فيها من فائدة فقط، بل ومن أجل أشياء أخرى نسعى لتحقيقها أو الحصول عليها". كذلك نجد في كتابات وآراء واضعي أسس علم الاقتصاد ورواد الاقتصاد السياسي أمثال آدم سميث، وروبرت مالتوس، وكارل ماركس، وغيرهم أفكاراً اهتمت بوجوب التنمية البشرية والاجتماعية، لما لها من انعكاسات إيجابية على المجتمع ورفاهية الإنسان.

إن دراسة التنمية البشرية والاقتصادية تعني البحث في معادلة ذات طرفين متغيرين على أرضية المكان الجغرافي، مما يفرض على الجغرافيا الإسهام في ((اختيار الهدف ووسائل التطبيق وإنجاز مراحل المتابعة، وتقييم النتائج وتدارك الأخطاء ... ولما كانت عملية التنمية ليست عملية مجردة، وتخضع إلى الهياكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، أصبح من الضروري ربط التنمية بشتى جوانبها بالنظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي يتم في إقليم أو أقاليم جغرافية))، (ستهم ١٩٨٧).

إن التعامل مع طرفي المعادلة في المكان والزمان بوعي وعلم يساعد على مواجهة ما يتربص بسورية من أزمات وأخطار، ويبعدها عن الانضمام إلى مجموعة الدول الفقيرة والمتفجرة سكانياً، ويجعلها تدخل القرن الحادي والعشرين باطمئنان، كما يؤهلها لاستيعاب الأعداد السكانية المتزايدة ((شريطة توظيف أكبر رأس مال فيها وأهمه هو الإنسان، التوظيف الأمثل))، (عبد السلام، ٢ – ١٩٩٠).

آ – ثقل النمو السكاني الكبير وسياسات التنمية البشرية :

١ ــ النمو السكاني في سورية :

قدر عدد سكان سورية في عام الاستقلال ١٩٤٦ بنحو ٣,٠٠٦,٠٢٨ نسمة، وكان رقم عام التعداد السكاني (١٩٤٧) قريباً منه ٣,٠٤٣,٣١٠ نسمة، وقفز الرقم في عام التعداد السكاني (١٩٦٠) إلى ٤,٨٤٠,٥٣٩ نسمة. وفي التعداد الذي جرى عام ١٩٧٠

إلى ٦,٣٠٣,٠٠٠ نسمة، وفي تعداد عام ١٩٨١ أصبح ٨,٩٩٦,٠٠٠ نسمة، ثم قفز إلى ١٣,٨١٢,٢٨٤ نسمة في تعداد عام ١٩٩٤ (ونشير هنا إلى أن سجلات الأحوال المدنية التي أعدت بتاريخ ١٩٩٤/١/١ لانتخابات مجلس الشعب لعام ١٩٩٤ أظهرت أن عدد سكان سورية بلغ ١٥,٢٧٦,٨٠٦ نسمة، والفرق بين الرقمين يمثل السكان السوريين الموجودين خارج البلاد) أي أن عدد السكان قد تضاعف ٢,١٩ مرة في مدة ٢٤ سنة (١٩٧٠ – ١٩٩٤). وأنه تضاعف ٤,٦ مرات بين عامي ١٩٤٦ و ١٩٩٤. أي في مدة ٤٨ سنة. ووفقاً لهذه الأرقام والأرقام السكانية الإحصائية التفصيلية لكل عام ووتائر التزايد السكاني السريعة يقدر لعدد سكان سورية الراهن أن يتضاعف بحدود سنة ٢٠١٠، أي في مدة زمنية أقصر (١٥ – ١٦ سنة). وذلك على الرغم من التراجع الطفيف في معدل النمو السكاني الذي برز نتيجة التعداد السكاني لعام ١٩٩٤. إن التوزيع الجغرافي للتزايد السكاني في سورية يؤكد أن المسألة عامة وشاملة، لكن الزيادات متباينة من محافظة إلى أخرى، ومن إقليم إلى آخر كما يبين الجدول (١).

جدول رقم (١)

أعداد سكان المحافظات السورية بين عامي ١٩٧٠ – ١٩٩٤ بالآلاف.

المحافظة	١٩٧٠	١٩٩٤	الزيادة	تضاعف الزيادة
مدينة دمشق	٨٣٧	١٤٤٤	٦٠٧	١,٧ مرة
ريف دمشق	٦٢١	١٦٨٣	١٠٦٢	٢,٧ مرة
حلب	١٣١٧	٢٩٥٣	١٦٣٦	٢.٢ مرة
حمص	٥٤٦	١٢١٤	٦٦٨	٢.٢ مرة
حماه	٥١٥	١٠٩٧	٥٨٢	٢,١ مرة
اللاذقية	٣٩٠	٧٤١	٣٥١	١,٨ مرة
دير الزور	٢٩٣	٧٠٧	٤١٤	٢,٤ مرة
إدلب	٣٨٤	٩٠٣	٥١٩	٢,٣ مرة
الحسكة	٤٧٠	١٠١٨	٥٤٨	٢,١ مرة
الرقة	٢٤٤	٥٥٠	٣٠٦	٢.٢ مرة
طرطوس	٣٠٢	٥٨٣	٢٨١	٠,٩ مرة
درعا	٢٣٣	٦٠١	٣٦٨	٢,٥ مرة
السويداء	١٤٠	٢٦٨	١٢٨	١,٩ مرة
القنيطرة	١٧	٤٩	٣٢	٢,٨ مرة
سورية	٦٣٠٠	١٣٨٠٠	٧٥٠٠	٢,١٩ مرة

إن التزايد السكاني السريع في سورية ناجم عن الزيادة الطبيعية، وفـــروق معــدلات المواليد الخام، ومعدلات الوفيات الخام، وعن معدل الخصوبة الكلية للمرأة الواحدة في السبعينيات والتسعينيات. إذ بلغ معدل المواليد الخام في أثناء الستينيات وحتى نهايـــة

السبعينيات نحو ٤٧,٨٦ بالألف مقابل معدل وفيات قدره ١٥,٧ بالألف. أما في النصف الأول من التسعينيات فقد انخفض معدل المواليد انخفاضاً قليلاً لكنه ظل مرتفعاً وبحدود ٤١,٦ بالألف. مقابل تراجع كبير بمعدل الوفيات الخام إلى حدود ٨ بالألف. وهذا يعني انخفاضاً يزيد على ٧,٧٪ في عقدين من الزمن يعكس إيجابيات التقدم الاجتماعي (الصحي والغذائي والثقافي)، والمدى الاقتصادي ونموه الذي تعيشه سورية. ولكنه ومع ذلك تبقى سورية واحدة من دول العالم ذات النمو السكاني المرتفع تعكسه الأرقام التالية :

جدول (٢)

معدلات النمو السكاني في سورية بالألف.

المدة الزمنية	معدل النمو السكاني بالألف
١٩٦٠ – ١٩٧٠	٣٣,٥
١٩٧٠ – ١٩٨١	٣٣,٥
١٩٨١ – ١٩٩٤	٣٣,١

وتشير شتى الدراسات والبحوث الديموغرافية للمكتب المركزي للإحصاء بدمشق أن معدلات النمو المذكورة ستبقى في حدود المعدلات المبينة في الجدول (٢). بل وترى بعض الجهات العالمية أنها ستصل إلى ٣٥ بالألف حتى نهاية هذا القرن في المدة (١٩٩٢ – ٢٠٠٠). وهذا يعني استمرار التزايد السكاني في سورية بوتيرة عالية توصل عدد سكانها إلى ٢٨ – ٢٩ مليون نسمة عام ٢٠١٠. لكن هذه المعدلات وأعداد السكان تبقى أرقاماً مجردة إن لم تفسر وتفهم من خلال عناصر جغرافية متعددة أبسطها في هذا المقام عنصر الكثافة السكانية العددية والريفية – الزراعية أو (الكثافة الفيزيولوجية)، من جملة عناصر أخرى بشرية سكانية واقتصادية – اجتماعية نعرض لها في حينه.

تبدلت الكثافة السكانية العددية بين سنة وأخرى، ومنطقة إلى أخرى، فقد كانت ٣٤ ن / كم٢ عام ١٩٧٠، ارتفعت إلى أكثر من الضعف أي ٧٠ ن / كم٢ عام ١٩٩٢، وهي في عام ١٩٩٤ بحدود ٧٤,٥ ن / كم٢. لكن هذه الأرقام لا تخدم أهداف هذا البحث إلا بقدر وفي الإطار العام الشامل. لذا لابد من معرفة الكثافة المؤثرة في عملية التنمية الشاملة، ومعرفة حمولة الأراضي الزراعية من السكان للوصول منها إلى تقدير إمكانيات التحمل والتوازن بين البشر والموارد والأرض.
فالكثافة الزراعية – الريفية الفيزيولوجية في سورية كانت ١٩٠,٩ ن / كم٢ (بالنسبة للأراضي الزراعية المستثمرة فعلياً، ومن دون حساب مساحة الأرض السبات) لعام ١٩٧٠، فأصبحت سنة ١٩٩٣ أكثر من ٢٧١ ن / كم٢ أي بزيادة نحو ٨٠ ن / كم٢ في ٢٣ سنة.
إن للأرقام السكانية (من حيث أعدادها وأحجامها فقط) أبعاداً كثيرة تدفع لطرح تساؤلات كثيرة تدور في فلك معادلة : النمو السكاني وتزايده من طرف، والتنمية الاقتصادية الشاملة من طرف آخر. وهي تساؤلات تدعو إلى القلق من اتساع الفجوة بين أعداد السكان، وكل احتياجاتهم للبقاء والعيش بكرامة أو توازن مع الموارد والثروات والمنتجات. فما هي الطاقات السورية على الاستيعاب وتقديم الحياة الكريمة، وما هو عدد السكان الذي يمكن أن تستوعبه سورية ؟. سؤال لا يمكن الإجابة عنه إلا بصعوبة بالغة، وبعد إيفاء شتى العناصر حقها من دراسة تتناسب وإطار هذا البحث من دون الدخول في التفاصيل.

١ –التركيب العمري للسكان وتغيراته :

إن دراسة فئات العمر أساس لمعرفة الواقع السكاني في سورية ودور كل فئة في عملية التنمية الشاملة. وتترجم أشكال أهرامات السكان معطيات الفئات العمرية في سورية بقاعدة عريضة ونهاية مدببة. دليل فتوة الشعب السوري. وتشير الأهرامات

السكانية ونسب الفئات العمرية إلى عدم وجود تغيرات مهمة في التركيب العمري للسكان بين عامي ١٩٧٠ – ١٩٩٣. كما يظهر الجدول التالي (٣) :

جدول (٣)

فئة العمر	١٩٧٠	١٩٩٣	الاتجاه
دون ١٥ سنة	٤٩,٣٪	٤٨,٥٪	تناقص –
أكثر من ٦٥ سنة	٤,١٪	٤,٣٪	تزايد +
بين ١٥ – ٦٥	٤٦,٦٪	٤٧,٢٪	تزايد +
الفئات المعالة	٥٣,٤٪	٥٢,٨٪	تناقص –

إن تحليل هذه الأرقام يشير إلى ظواهر إيجابية في الاتجاه العام لنسب فئات العمر التي تدخل في زمرة القوة البشرية القادرة على العمل بين سن (١٥ – ٦٥)، والتي سجلت زيادة ٠,٦٪، وفئة العمر الواقعة دون (١٥ سنة) التي سجلت تراجعاً قدره ١,٢٪ خلال المدة الزمنية بين ١٩٧٠ – ١٩٩٣. ففي الزمرة الأولى زادت نسبة المعيلين وفي الزمرة الثانية قلت نسبة المعالين. أي ازداد حجم القوة البشرية في سورية، والتي تغذي القوة العاملة وتزيد حجمها. لكن معرفة القوة العاملة ودورها في التنمية الشاملة يتطلب معرفة عنصر سكاني مهم هو التركيب الجنسي (النوعي) للسكان وتغيراته.

٢-التركيب الجنسي (النوعي) وتغيراته :

كان عدد الإناث عام ١٩٧٠ نحو ٣,٠٥٤,٠٠٠ نسمة وكانت نسبة الجنس في القطر (وهي نسبة الذكور إلى الإناث) في العام ذاته ١٠٥,٣ وهي نسبة عالية إلى حد ما بالقياس إلى النسبة العالمية الطبيعية للجنس وهي ١٠٤,٥. وبلغ عدد الإناث عام ١٩٩٤ نحو ٦,٨٠٦,٠٠٠ نسمة مقابل ٧,٠٠٥,٠٠٠ نسمة من الذكور، أي أن نسبة

الجنس تراجعت إلى قرابة ١٠٣. وقد كانت أعداد الإناث عام ١٩٩١ نحو ٦,٠٣٥,٠٠٠ أنثى منهن ٤.٢٠٦,٠٠٠ داخلة في القوة البشرية. لكن الداخلات في قوة العمل، بما فيهن العاطلات عن العمل، كان ٦٢٨,٠٠٠ أنثى فقط، مقابل ٢,٨٥٨,٠٠٠ ذكر في قوة العمل. أي أن نسبة إسهام الإناث في قوة العمل في سورية مازالت منخفضة ولا تزيد على ١٨٪ من حجم القوة العاملة المقدرة بـ ٣,٤٨٦,٠٠٠ نسمة، بينهم ٢٣٦,٠٠٠ عاطل عن العمل لعام ١٩٩١، الإناث منهم نحو ٨٨,٠٠٠ أنثى. أي أن عدد العاملات الفعليات هو ٥٤٠,٠٠٠ عاملة، مما يخفض عدد الإناث المنتجات. لكنه وبالموازنة مع عددهن لعام ١٩٧٠ الذي كان ١٦٨,٠٠٠ عاملة نجد ازدياداً واضحاً في إسهام الأنثى في عملية التنمية الشاملة. لكنها زيادة تبقى دون الحدود الدنيا المعروفة في البلدان المتقدمة والصناعية بكثير، مما يحرم سورية من نسبة عالية من عمل وإنتاج فئة كبيرة من المجتمع. علماً أن مفهوم المرأة العاملة، ولاسيما المتزوجة والمتفرغة لمنزلها وغيره في سورية غير دقيق أو متفق عليه بعد في المعطيات الإحصائية والحيوية.

٣-النمو السكاني والهجرة :

طرأت على مفهوم الهجرة تغيرات ملموسة منذ عام ١٩٧٠ وحتى اليوم، كان لها أثرها في النمو السكاني في سورية من جوانب عديدة انعكست على التنمية الشاملة بأشكال مختلفة.

لن نبحث تعريف الهجرة وأسبابها وأشكالها وأنواعها وغيرها من أمور أصبحت معروفة ومعادة، بل نتحرى في بحثنا هذا دور التزايد السكاني في القطر على دفع البشر للتحرك من مواطنهم الأصلية والهجرة إلى أماكن أخرى خارج القطر أو داخله، وأثر ذلك في عملية التنمية الشاملة ومستقبلها.

فبالنسبة للهجرة الخارجية فإن معارفنا عن حجمها مازالت تقديرية على الرغم من الطرائق المختلفة التي حاولت الجهات المعنية تطبيقها لقياس هذه الظاهرة، مثل طريقة القياس المباشر وطريقة رخصة الإقامة وبطاقة المغادرين والقادمين. كما اعتمدت الفوارق بين أعداد السكان المقيمين والسكان حاملين الجنسية العربية السورية غير المقيمين، وذلك على الرغم من المآخذ على هذه الطريقة. ويقدر حجم الهجرة إلى الخارج بنحو ٢٣٨,٠٠٠ نسمة عام ١٩٧٠، ويقدر عدد المهاجرين خارج القطر بنحو ١,٦ – ٢,٥ مليون نسمة لعام ١٩٩٤. وتقدر بعض الإحصائيات أن قرابة ١٥٪ من حاملي الجنسية السورية غير المقيمين في سورية.

أما الهجرة الداخلية فهي دائمة ومستمرة وشاملة لجميع مدن القطر وأريافه تقريباً، إذ يندر وجود قرية لم يغادرها أحد أبنائها إلى مدينة أو بلدة سورية. وتعرف هذه الهجرة بـ (الهجرة الريفية)، وكانت لها ومازالت، تأثيرات عميقة في الهيكل السكاني والاقتصادي والاجتماعي، وفي بنية التنمية الشاملة كماً وكيفاً. تنعكس في مؤشر عام صارخ هو تغير نسبة الحضر إلى الريف، وما يعنيه هذا التغير الذي يعرف بـ (نسبة التحضر).

لقد كانت نسبة الحضريين لعام ١٩٦٠ (٣٧٪) ارتفعت في عام ١٩٧٠ إلى (٤٢٪) أي ان نسبة التحضر زادت ٦٪ في عشر سنوات. ثم قفزت إلى أكثر من (٥١٪) عام ١٩٩٤. أي نسبة تحضر تزيد على ٩٪ في نحو ربع قرن من الزمن. ويقدر أن ترتفع نسبة الحضريين إلى ٥٦٪ عام ٢٠٠٠.

إن ازدياد أعداد سكان المدن ونموها بمعدلات تراوح بين ٤٠ – ٥٠ بالألف لا يمكن تفسيره بمجرد فروق الولادات والوفيات، بل وبتدفق المهاجرين من الريف إليها. وقد بينت التعدادات السكانية انتقال نحو ٢٩٦,٠٠٠ ريفي إلى المدن بين ١٩٦٠ – ١٩٧٠، وأكثر من ٣٧٠,٠٠٠ ريفي بين عام ١٩٧٠ – ١٩٨١. والرقم بتزايد مطرد،

والأسباب المؤدية إلى الهجرة مازالت قائمة ولاسيما البطالة وضعف الدخل الذي قدر أن الذين يعيشون في مستواه الضعيف لا يقلون عن ٣,٥ مليون نسمة عام ١٩٩٢.

إن الهجرة الريفية وإن كان نتيجة أوضاع سلبية وتغيرات اقتصادية واجتماعية، فإنها في الوقت نفسه سبب في سلسلة من المشكلات والأزمات المؤثرة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، أبرزها معاناة المدن ولاسيما الكبرى منها من اختناقات التموين والسكن والخدمات والتلوث والانحراف والإجرام وما شابه ذلك من مشكلات النمو السكاني على السلوك البشري بين مجموعات فقيرة وجاهلة.

ولقد ورد في التقرير الأول لنتائج التعداد السكاني لعام ١٩٩٤ تفسير لانخفاض معدل النمو السنوي لسكان مدينة دمشق وازدياده في ريفها، على أنه مؤشر لهجرة معاكسة إلى الريف وهو مؤشر إيجابي يمكن لاستمراره أن يخفف من حدة المسألة. لو أنها هجرة إلى الريف والعودة إلى العمل في القطاع الاقتصادي الأول (الزراعة وتوابع القطاع) فعلاً. لكنها هجرة للسكنى في مكان أقل كلفة من المدينة، مع بقاء المهاجر الريفي ممتهناً لعمل بعيد عن أعمال القطاع الأول، ويدخل في أنشطة اقتصادية غير إنتاجية. ومما يزيد في صعوبة التنمية البشرية والاقتصادية والاجتماعية، إضافة إلى كل ما تقدم، ارتفاع نسبة غير المتعلمين بين المهاجرين إلى مستوى عالٍ، وأن نحو ٧٩٪ منهم من الذين أعمارهم عشر سنوات فأكثر.

إن العناية بالريف والتخطيط الجاد العقلاني للنهوض به في إطار تخطيط متوازن للقطر من خلال تنمية بشرية واقتصادية واجتماعية شاملة وسياسة سكانية سليمة هي الحل الحاسم في مواجهة سيل الهجرة.

٤-ملامح السياسات السكانية :

يتوقع للعالم أن يزيد عدد سكانه من ٥,٣ مليار نسمة إلى أكثر من عشرة مليارات نسمة سنة ٢٠٥٠. وفي ضوء هذا التزايد المخيف عقدت مؤتمرات وندوات سكانية

واقتصادية كثيرة كان آخرها مؤتمر القاهرة العالمي سنة ١٩٩٥. والهدف هو رسم سياسات سكانية لإنقاذ الكرة الأرضية والجنس البشري عليها. وفي سورية، وعلى الرغم من الوتيرة السريعة للتزايد السكاني ومن المسائل السكانية والاقتصادية والاجتماعية التي تتفاقم يوماً بعد يوم فإن الآمال والجهود المبذولة للوصول إلى تنمية شاملة متقدمة، إن لم نقل متوازنة لا ترتكز على سياسات سكانية مرسومة أو واضحة. ومع ذلك يمكن تقسيم تطبيق بعض أفكار سياسة سكانية إلى مراحل هي :

آ – المرحلة السابقة لعام ١٩٧٠ : وسادت فيها فكرة زيادة الإنتاج، والدخل الفردي، وتحسين المستوى المعيشي المادي للسكان للوصول إلى مستوى تنمية عال. لكن الفكرة أخفقت وزادت مستويات المعيشة تفاوتاً.

ب – المرحلة التالية لعام ١٩٧٠ : وحتى الوقت الحاضر : وهي مرحلة مازالت تفتقر في سورية إلى سياسة سكانية معتمدة على الرغم من المناداة برسمها وتوصية جميع الندوات والمؤتمرات بها.

لكن الجديد في هذه المرحلة إدراك خطأ الاعتماد في التنمية على الجانب المادي، ومن ثم ضرورة التعامل مع التنمية على أنها تكامل بين التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتنمية الموارد البشرية والثقافية والفكرية. ويشهد على انتهاج هذه السياسة عدد من الإجراءات مثل (تخطيط القوى العاملة) و (تنظيم الأسرة السورية) و(رعاية الطفولة والأمومة)، وتشكيل (لجنة دائمة لمتابعة النشاطات السكانية) وبعض المشروعات التي تتبناها مؤسسات ووزارات الدولة. لكن ذلك كله يتم دون وجود سياسة سكانية معتمدة ... لابد من وضعها قبل فوات الأوان.

ب- نمو سكاني كبير وتنمية اقتصادية متوازنة :

مر الاقتصاد السوري بمراحل تأثرت بعوامل سياسية واجتماعية داخلية، وبظروف خارجية منذ وقوعها تحت النفوذ الفرنسي، وهذه المراحل هي :

- مرحلة الانتداب الفرنسي وزمن الحرب العالمية الثانية.

- مرحلة استقلال سورية حتى سنة قيام الوحدة بينها وبين مصر.
- مرحلة الانفصال وقيام ثورة آذار الاشتراكية حتى عام ١٩٧٠.
- المرحلة الراهنة من عام ١٩٧٠ وحتى اليوم.

تميزت المرحلة الأخيرة موضوع البحث من المراحل السابقة بزيادات ملحوظة في عملية النمو والتنمية الاقتصادية تمثلتا بمؤشرات وأرقام القطاعات المختلفة، كما انعكست في المنشآت والمؤسسات والحركة البنائية الاقتصادية التي تشاهد على التراب السوري في مختلف أرجائه، وشتى ميادين التنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة. وخلافا لما مر معنا من افتقار سورية إلى سياسات سكانية معتمدة، فإنها تسير في تنميتها الاقتصادية على خطط وبرامج وسياسات واضحة تتفق ومتطلبات الأوضاع المستجدة المحلية والدولية بالقدر الذي تسمح به قدرات البلاد وإمكاناتها، كي تواجه النمو السكاني الكبير والمشكلات المرافقة له والناجمة عنه، ويلاحظ الدور المهم الذي تحتله العمليات الاستثمارية في السياسات الاقتصادية كما يتبين من دراسة أبرز مؤشرات القطاعات الاقتصادية الأساسية وتحليلها في إطار الموازنة (المقارنة) بين مؤشرات بداية المرحلة (سنة ١٩٧٠) والسنوات الأخيرة منها.

١ ــ الزراعة والمشروعات الزراعية في سورية :

كانت الزراعة بمفهومها الشامل ومازالت ركيزة الاقتصاد السوري ومصدر عيش نسبة عالية من السكان. خضعت لتطور وتنمية واسعة شملت مقوماتها الأساسية من تحسين الأرض، واستصلاح التربة إلى التوسع في مجال الري وإقامة المشروعات، إلى إدخال الأساليب العلمية والتقانات الحديثة في العمل والاستثمار الزراعيين إلى تحسين البذار وزيادة الغلة (المردود). وغير ذلك من مجالات زراعية - حيوانية رفعت نسبة إسهام القطاع الزراعي في الناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الجارية لعام ١٩٩٣ إلى ٣١٪ وقيمة ١٢٢,٧٤٢ مليون ل.س، على حين لم تتجاوز هذه القيمة

١٣٨٢ مليون ل.س ونسبة إسهام ٢٠٪ عام ١٩٧٠. علماً أن عام ١٩٩٤ سجل نسبة ٣١,٢٪ وقيمة قدرها ١٤٣,٧٣١ مليون ل.س، كذلك قفز عدد الحائزين الزراعيين في عام ١٩٩٤ إلى ٦٠٧,٨٤٤ حائزاً (في عام ١٩٨١، ٤٨٥,٦٩١ حائزاً). كما تزايدت مساحة الأراضي المزروعة بنسبة ٣٨٪ بين عامي ١٩٧٠ و ١٩٩٣، والأهم من ذلك تزايد مساحة الأراضي المروية إلى ٢١٪ بالنسبة إلى ٧٩٪ من الأراضي البعلية لعلم ١٩٩٣، مقابل ١٤٪ مروية و ٨٦٪ بعلية لعام ١٩٧٠. أما الأراضي المستثمرة فقد بلغت مساحتها ٥,٤٢٦,٠٠٠ هكتار عام ١٩٩٣، لكن الواقع الميداني هو أن المساحات المزروعة فعلا وسنويا قد زادت من ٢,٨١٦,٠٠٠ هكتار إلى ٤,٩٣٩,٠٠٠ هكتار أي بزيادة ٢,١٢٣,٠٠٠ هكتار بين عامي ١٩٧٠ – ١٩٩٣. كذلك تشير معطيات إنتاج المحصولات إلى زيادات في كمياتها وارتفاع في غلتها (مردود وحدة المساحة). فبالنسبة للحبوب وهي أهم محاصيل سورية زاد الإنتاج من ٨٨٥,٠٠٠ طن والغلة من ٠,٤ طن/هكتار في عام ١٩٧٠ إلى ٥,٣٨٦,٠٠٠ طن والغلة ١,٥ طن/هكتار عام ١٩٩٣.

كذلك زادت المؤشرات في إنتاج المحاصيل الصناعية وغلتها وفي مقدمتها القطن. إذ ارتفعت كميات الإنتاج من ٦٤٢,٠٠٠ طن، والغلة من ٢,٢ طن/هكتار عام ١٩٧٠، إلى ١,٩٨٩,٠٠٠ طن والغلة ٥,٨ طن/هكتار عام ١٩٩٣. أما في مجال الخضر فالأرقام هي ٧٩١,٠٠٠ طن و٦,٩ طن/هكتار عام ١٩٧٠ و ٢,٠٩٠,٠٠٠ طن و١٣,٨ طن/هكتار عام ١٩٩٣. وتشمل عملية الزيادة وتحسن الغلة جميع عناصر ومقومات القطاع الزراعي للمدة المدروسة، بما فيها الآلات الزراعية (جرارات من ٩,٠٣١ إلى ٧٢,٧٨٢ جرارا) و (مضخات رفع المياه من ٢٩,٠٤٢ إلى ١٣٥,٩٧٤ مضخة... الخ) واستخدام الأسمدة والأدوية (الأسمدة بأنواعها من ٩٧,٤٨٠ طنا إلى ٨٠٢,١٠٠ طنا).

ما كان لهذه الزيادات والقفزات إلى أضعاف مضاعفة في المجال الزراعي أن تتم لولا شمولية عمليات التنمية للجوانب البشرية أيضاً، كالترشيد والتثقيف والتوعية وتقديم القروض والتسهيلات للمزارعين والجمعيات. أما في القطاع العام فكان الاهتمام بالمشروعات الزراعية أبرز عمليات التطور والتنمية وضوحاً وتأثيراً في ميادين استصلاح الأراضي وتوسيع رقعتها الزراعية، والتوسع في مجال الري وتطبيق الأساليب العلمية (الشكل ١).

تركزت اهتمامات القطاع العام في مجال المشروعات الزراعية في المدة المدروسة على العمل في محورين :

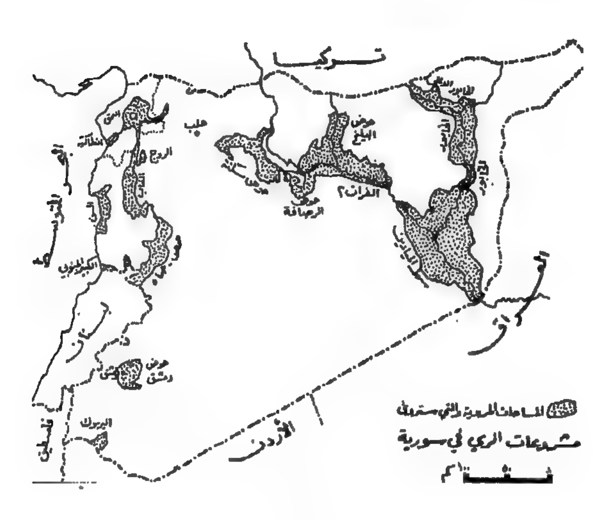
الأول : الإسراع في استكمال المشروعات التي بدأت الأعمال فيها في عقد الستينيات مثل مشروع الفرات وتفرعاته، ومشروعات وادي العاصي مثل مشروع الغاب والعشارنة، والسن والتوسع الأفقي في الزراعة ... وفي تطوير أداء العامل وتحسينه منها مثل مشروع ري حمص – حماة وقناة تل مغاص ومشروع مزيريب ... كذلك دفع عملية زيادة أعداد السدود الصغيرة (السطحية)، إذ لم يتجاوز عددها حتى بداية المدة المدروسة عشرين سداً.

الثاني : العمل على إقامة مشروعات زراعية وري جديدة، وتوسيع عمل المشروعات السابقة، وتحسين أدائها، وبذل الجهود في مجال التوسع الشاقولي في الزراعة.

إن الحديث عن جميع المشروعات الزراعية والمائية المرتبطة بها بالتفصيل طويل، نكتفي بذكر شواهد منها على عملية التنمية الحثيثة لمواجهة أخطار الزيادة السكانية، وعجز النمو والتنمية الاقتصادية عن مواكبتها في العقود القادمة التي ستواجه نقصاً عالمياً ومحلياً في الغذاء وضروريات البقاء الأخرى. ومن أهم المشروعات الزراعية التي ظهرت منذ عام ١٩٧٠، أو مازال العمل جارياً فيها نذكر السدود الجديدة ومشروعاتها على الفرات (سد البعث وسد تشرين)، وعلى الخابور مشروع سدود

الخابور والحسكة، ومشروع الري على دجلة، ثم مشروع وادي نهر عفرين. كذلك مشروع وادي اليرموك الأدنى لإنتاج الخضر الباكورية، ومشروع اليرموك الأعلى.
أما في الغرب والساحل فكان التركيز على استكمال أعمال مشروع السن، وتوسيع مدى الاستفادة منه في الري، وتأمين مياه الشرب للمدن والقرى الساحلية منذ عام ١٩٧١. ثم هناك مشروع ١٦ تشرين على نهر الكبير الشمالي الذي بدأ العمل فيه عام ١٩٨١، ثم مشروع سهل عكار والبقيعة وغيره من مشروعات مائية ــ زراعية أصغر تتمثل بتزايد أعداد السدود الصغيرة (السطحية) إلى أكثر من ١٢٠ سداً عام ١٩٩٤. أي بزيادة نحو ١٠٠ سد بين ١٩٧٠ ــ ١٩٩٤ (الشكل ١).
ومما زاد في النمو والتنمية الزراعية تصاعد اهتمام القطاع الخاص بإقامة المشروعات الصغيرة على شكل مزارع مروية، وإنشاء مداجن عصرية، ومناحل، وتربية الحيوانات في الحظائر الفنية، وإدخال أسلوب البيوت البلاستيكية (الدفيئة أو الجنة) في الزراعة. مما أسهم مساهمة فعالة في زيادة الإنتاج ورفع المردود (الغلة)، ولاسيما من قبل القطاع الخاص.
ومع ذلك وعلى الرغم من التحسن والنمو والزيادات الواضحة في المؤشرات الزراعية وأرقامها يجب عدم إغفال العديد من الحقائق المؤثرة في الزراعة تأثيراً سلبياً، منها عدم استقرار أرقام مساحة الأراضي الزراعية، وتغير مساحات الأراضي البعلية لارتباط ذلك بالأوضاع المناخية وتقلباتها، وكذلك خروج مساحات منها من دائرة الاستثمار أو انخفاض مردودها نتيجة تملحها، أو تلوثها، أو زحف العمران، والمنشآت الاقتصادية عليها، أو تعرضها للتصحر والتصحير، وعدم ضبط استثمار المياه الجوفية. إن هذه المؤثرات السلبية ومثيلاتها المؤثرة في مقومات الزراعة وتربية الحيوان وصيد الأسماك وعناصرها المختلفة، إضافة إلى الزيادات المتسارعة في أعداد السكان، ونمو احتياجاتها من الغذاء، وإنتاج هذا القطاع تتضافر في رفع قيمة المعونة الغذائية التي تتلقاها سورية، والتي قدرت عام ١٩٩٢ بـ (١٠,٨ مليون

دولار) على أن هذا الواقع بدأ يتغير، وأصبحت سورية قادرة على إنتاج حاجتها من المنتجات الزراعية السنوية وخاصة الحبوب من الأراضي المروية فقط.



الشكل (١)

المشروعات الزراعية المروية والتي ستروى

١-المشروعات الصناعية في سورية :

تسهم الصناعة والتعدين في تركيب الناتج المحلي الإجمالي بنسبة أقل من نسبة إسهام الزراعة، فهي بحدود ١٢,٦٪ لعام ١٩٩٤. بينما كانت ٢٢٪ لعام ١٩٧٠. أي النسبة

تراجعت بمقدار ٩,٤٪ (المجموعة الإحصائية ١٩٩٤ صفحة ٥٠٦) والسبب في ذلك تبادل مواقع الاهتمام بقطاع دون غيره وفق الخطط الخمسية المتعاقبة، ونتيجة للسياسات الاقتصادية، إضافة إلى الأوضاع والظروف الخارجية التي تؤثر في مقومات الصناعة السورية ومشروعاتها القائمة والتي هي قيد التنفيذ. لكننا ومع ذلك نجد أن ارتفاعا في حجم الناتج الصناعي وقيمته قد تحقق منذ عام ١٩٧٠ تظهره القيمة التي كانت عام ١٩٧٠ بحدود ١,٤٩٤ مليون ل.س وبلغت ٥٧,٨٧٦ مليون ل.س عام ١٩٩٤، مما يؤكد نجاح التنمية وخططها في هذا القطاع، وتترجمه أرقام قيمة الإنتاج الصناعي التي كانت عام ١٩٧٠ نحو ٣,٤٠٤ مليون ل.س، وأصبحت ٢١٩,٩٧٦ مليون ل.س عام ١٩٩٤. أي بزيادة ٢١٦,٥٧٢ مليون ل.س في ٢٤ سنة، وكذلك أعداد العاملين في الصناعة التي كانت ٣٠,٧١٢ عاملا في عام ١٩٧٠ وأصبحت ١٤٦,٠٣٨ عاملا عام ١٩٩٣، أي بزيادة ١١٥,٣٢٦ عاملا في ٢٣ سنة. أو بمعدل ٥٠١٤ فرصة عمل سنويا.

ما كان لهذه الأرقام أن تتصاعد ولخطوات التنمية أن تتسارع في هذه المدة الزمنية لولا السياسات الاقتصادية التي طبقت، وهدفت في محصلتها النهائية إلى تشجيع إقامة المشروعات الصناعية في القطاعات الثلاثة: العام والخاص والمشترك، ولاسيما القطاع الخاص الذي يلقى تشجيعا واضحا ضمن سياسة التعددية الاقتصادية المميزة للمدة الزمنية المدروسة. فكان إسهامه فعالا وخاصة في الصناعات التحويلية الغذائية والنسيجية والخشبية والأثاث. وقد تزايد دور هذا القطاع بعد صدور قانون الاستثمار رقم (١٠) لعام ١٩٩١، الذي ينظر إليه على أنه خطوة مهمة في التنمية الاقتصادية السورية ونموها.

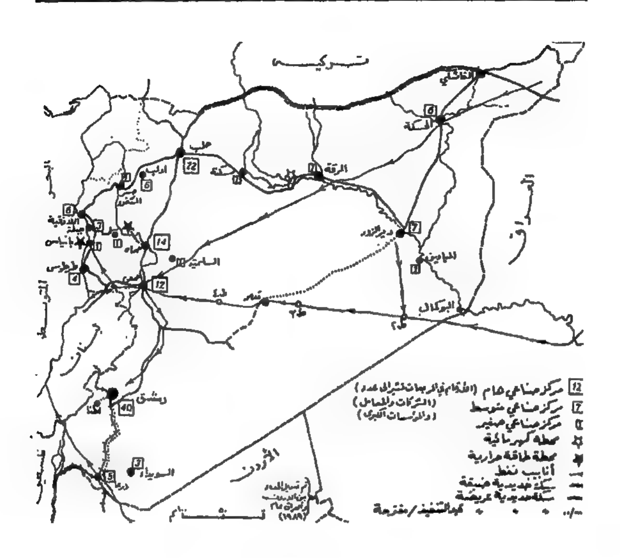
بلغ عدد المشاريع والمنشآت الصناعية في سورية لعام ١٩٩٤ للقطاعات جميعها ٣٧٣٣٧ منشأة، منها ١٠٥ منشآت للقطاع العام، و٦٥ منشأة على القانون رقم (١٠). وفي المقابل لم يتجاوز عددها بضعة آلاف (لا تتوافر أرقام موثوق بها) لعام ١٩٧٠

وما قبله لذا نأتي بعدد المشاريع الصناعية المنفذة بيم عامي ١٩٨٥ ــ ١٩٩٣ للمقارنة، والذي بلغ ١٥٦٣٢ مشروعا في القطاع الخاص. أما عن تطور رؤوس الأموال المستثمرة (تراكميا) فقد قفزت أرقام القطاع العام من مبلغ ٢٣٠٥,٨ مليون ل.س (١٩٧٠) إلى مبلغ ١٠٦٠٥٣,٢ مليون ل.س (١٩٩٣).

وإضافة إلى ما تقدم تميزت صناعة هذه المرحلة بالتوسع في مجال الصناعات الاستخراجية (النفط والغاز والفوسفات والملح) والصناعات التحويلية، كما أدخلت صناعات جديدة، وتحسنت نوعية الإنتاج وتحققت مستويات جيدة لاستغلال الطاقات.

لكن أبرز ما تحقق في هذا القطاع هو كسر طوق المركزية في التوزيع الجغرافي للمشاريع والمنشآت الصناعية. فقد كانت مدينة دمشق بحكم قدمها وتاريخها ومكانتها السياسية منذ العصر الأموي قطبا اقتصاديا ومركزا صناعيا رئيسيا في سورية، تليها حلب عاصمة شمال سورية التي ازدهرت ونمت صناعتها منذ العهد العثماني. وبقيت دمشق وحلب وحيدتين في هذا المجال حتى دخلت حمص فحماه المسرح فأكملتا محور الشمال – الجنوب للمراكز الصناعية التي تحولت صناعاتها من يدوية تقليدية إلى صناعات حديثة، مع بقاء الأولى حية حتى اليوم. وظلت هذه المدن مسيطرة وتمركزت فيها الصناعات عقودا عديدة، حتى بدايات المرحلة المدروسة، والسير على سياسة اللامركزية، وتوزيع المعامل على أقاليم سورية المختلفة في حوران (درعا) والسويداء والسلمية وجسر الشغور. والساحل والفرات حيث أقيمت فيها منشآت صناعية قليلة العدد ومتنوعة الاختصاص، لكن اتجاها جديدا في التوطين الصناعي أخذ يفرض نفسه من خلال السياسة اللامركزية ومقومات الصناعة فنشأ في العقود الثلاثة الماضية مركز الساحل الصناعي في اللاذقية وطرطوس وعلى امتداد الإقليم، كما برز مركز الفرات (دير الزور والرقة)، وأخذ يتنامى مع ازدياد أهمية الصناعة الاستخراجية على امتداد الفرات الفرات وغربي الخابور والحسكة. وفي الوقت نفسه أثبتت المراكز الصناعية الأصغر وجودها بقيام معامل جديدة فيها. كما في إدلب

وجبلة ودرعا والسويداء. فأصبح عدد مناطق التوطن الصناعي اثنتي عشرة منطقة لا منطقتين، وانتشرت المصانع والمعامل في أقاليم القطر (حتى البادية حيث صناعة تعدين الفوسفات) لا في محور دمشق – حلب فقط. أقيم أغلبها مراعيا شروط ومقومات إقامة صناعة حديثة بالقدر الممكن، من حيث الجدوى الاقتصادية، وتوافر المادة الأولية، واليد العاملة والطاقة، وغيرها من عناصر قريبة من الموقع(الشكل ٢). أما المنشآت الصغيرة فقد ازدادت أعدادها وانتشرت في جميع المدن والبلدات بل وحتى القرى. مما وفر اليد العاملة الرخيصة وفي كثير من الحالات المواد الأولية، ساعد على ازدهار تحسن وسائل النقل، والتوسع في مجال طرق المواصلات، ولاسيما منذ صدور القانون (١٠) وما سبقه من قرارات وسياسات تشجيع المستثمرين، وأصحاب رؤوس الأموال على توظيف أموالهم وقدراتهم إلى جانب القطاع العام شريكا أو مستقلا، في جو من الاستقرار والأمان السائدين. وذلك على الرغم من عدد من المشكلات والسلبيات الداخلية والخارجية التي تواجه الصناعة السورية.



شكل (٢)

الصناعة وتوزع الصناعات ومواطنها في سوريا لعام ١٩٩٠.

ج- تنمية بشرية- اقتصادية وتنظيم جغرافي جديد لسورية:

لا تنطبق حدود المحافظات السورية وتقسيماتها الإدارية على الأقاليم والمناطق الجغرافية. لكن تطورات النمو والتنمية الشاملة ولاسيما في حقل السكان والاقتصاد

والحركية (الديناميكية) التي تعيشها منذ عقد السبعينيات آخذة بفرض نفسها تدريجيا على واقع يتبلور في إطار تنظيم (أو تقسيم إقليمي) جغرافي جديد لسورية.
إن التنمية الحثيثة والشاملة للقطر أدت إلى توزيع جديد لكل من السكان ومناطق الإنتاج والمجمعات الاقتصادية – الاجتماعية، حينا بدوافع غير مخطط لها، وأحيانا – وهو الغالب – في إطار سياسات محددة ومدروسة، ولاسيما في إطار السياسات الاقتصادية (الزراعية والصناعية والتجارية والسياحية والمواصلات ...) الخاضعة لخطط ودراسات متأنية تأخذ في الحسبان توفير الخدمات والاحتياجات على قاعدة من بنية هيكلية (تحتية) سليمة. وهكذا أوجدت أعمال التنمية منحى جغرافيا جديدا في معالجة المشكلات السكانية والاقتصادية وغيرها، ورسم سياسات تتفق مع المتغيرات الطارئة. وقد تبلور هذا المنحى بظهور إقليمين (بؤرتين) إنتاجيين مهمين هما : إقليم الفرات والجزيرة، وإقليم الساحل. لذلك ولتحقيق توازن وتكامل إقليمي عادل، لابد من سياسة تنموية شاملة تقوم على أسس جغرافية وتخطيط إقليمي مازال القطر يفتقر إليهما. وموازنة (مقارنة) بؤر الإنتاج السابقة لعام ١٩٧٠ بالبؤر الجديدة التي نمت وازدهرت بعد عام ١٩٧٠، في إطار هذا البحث وملامح التنمية السكانية البشرية والاقتصادية، تحثنا للمناداة والتأكيد على ضرورة الإسراع لوضع سياسات تنسجم والمراحل القادمة في تاريخ القطر التنموي الشامل. دون إغفال واقع تشترك فيه أنحاء المعمور السوري، هو النمو المتسارع لأعداد السكان وما يرافق ذلك من مشكلات وينجم عنه من أعباء وأزمات.

١ ــ بؤر الإنتاج في سورية قبل ١٩٧٠ :

تكاد بؤر الإنتاج التقليدية هذه تنحصر بشريط أرضي عرضه ٥٠ ــ ٨٠ كم، يمتد من الشمال إلى الجنوب، إلى الغرب من خط البادية ــ المعمورة. قامت فيه، ولاسيما في

محوره الأوسط مدن حلب وحماة وحمص ودمشق القديمة والعريقة ومنها حتى الحدود الأردنية جنوباً.

ففي هذا الشريط الإنتاجي قامت الزراعة وتربية الحيوانات العريقة، وفي مدنها ولدت الصناعة التقليدية التي تحولت في أثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها إلى صناعة حديثة تنافس التقليدية. وفي هذا الشريط نفذت أولى المشروعات الصناعية والزراعية السابقة لعام ١٩٧٠. ونتيجة لذلك ولما كانت تتمتع به هذه البؤر الإنتاجية من ثقل اجتماعي واقتصادي وسكاني، حظي هذا الإقليم بالاهتمام والعناية أكثر من باقي أقاليم سورية، مقابل إهمال ملحوظ لبؤر إنتاج وأقاليم أخرى ذات مصادر للثروة وفرص إنتاج مهمة كما في شرقي البلاد وغربها.

٢ ــ بؤر إنتاجية جديدة بعد ١٩٧٠ :

ليست هذه البؤر جديدة إلا من حيث نموها وتطورها وتحولها إلى مراكز ثقل اقتصادي إنتاجي، وتغيرها من أقاليم متخلفة مهملة إلى أخرى متطورة اقتصادياً واجتماعياً بالموازنة مع غيرها من أقاليم القطر. وهي جديدة أيضاً من حيث المشروعات الاقتصادية والمنشآت الإنتاجية التي انتشرت فيها وجذبت إليها البشر ودعت إلى العناية بها لما يستثمر من خيراتها وثرواتها التي كانت شبه مجهضة ومقتصرة على الإنتاج الزراعي والحيواني الخاضع لرحمة السماء والإهمال. وهذه البؤر هي :

ــ <u>إقليم الفرات والجزيرة :</u> الذي كان مصدر حبوب وقطن وإنتاج نفط الجزيرة العليا، وكان إقليماً شبه مهمل حتى نهاية الستينيات، مطلع المرحلة المدروسة، حيث أصبح موطن النمو والتنمية والإنتاج الأول في سورية بعد استثمار ثرواته المائية بالمشروعات في وادي الفرات وحوضه وروافده ومشروعاته الزراعية المروية، واستصلاح آلاف الهكتارات من أراضيه، وتحسين مردودها وتنويع

محصولاتها، ومكننة العمل فيها ... وكذلك إنتاج ثرواته الباطنية من نفط وغاز وملح، وإقامة صناعات عديدة فيه في دير الزور والحسكة والرقة والميادين ... وغير ذلك من مؤسسات إنتاجية قلبت الإقليم إلى بؤرة إنتاجية تزداد أهميتها يوماً بعد يوم وتسهم في تطوير القطر بنسب عالية جداً من خبراتها وإنتاجها المتزايد.

ـ إقليم الساحل : أصبح هذا الإقليم بسهله وجبله موئلاً لتطورات كثيرة وسريعة في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والخدماتية وغيرها، فانتشرت فيه المشروعات الزراعية المروية والمعامل والمصانع والمنتجعات السياحية والاصطيافية وتحسن أداء الموانئ وفعاليتها، كذلك تناثرت فيه المنشآت الصناعية الصغيرة، ومدت السكك الحديدية، وشقت الطرقات المعبدة، وأصبح السهل يعج بالنشاط والحركة اقتصادياً واجتماعياً وديموغرافياً، فتحول إلى بؤرة إنتاجية مهمة جداً في سورية.

نتائج :

نستخلص من كل ما تقدم عدداً من النتائج والأفكار والاقتراحات التي أفرزتها دراسة الملامح البشرية والاقتصادية للتنمية، وما تبع عملية التنمية بين ١٩٧٠ – ١٩٩٤ من نشوء بؤر إنتاجية جديدة، وتغيرات جغرافية إقليمية شاملة. نوجزها فيما يلي :

ـ مازالت سورية تعاني من تكاثر سكاني متسارع، ومع ذلك لا توجد فيها سياسة سكانية محددة لابد من التعجيل في وضعها.

ـ تعيش التنمية الاقتصادية تصاعداً واضحاً في الإنتاج والتنويع والنوعية، وتستمتع بالسير على سياسات مرسومة ومرنة تتكيف مع التغيرات، وتعيش تعددية إيجابية باشتراك القطاع العام مع الخاص والمشترك في عملية البناء والتطور، مما يشجع على توسيع دائرة الاستثمار الاقتصادي. ومع ذلك مازالت

هناك فجوة بين النمو السكاني (٣,١٪) والنمو الاقتصادي (٢٪) لابد من تضييقها ثم سدها وتجاوزها قبل فوات الأوان.

ـ كان من نتائج التطور الاقتصادي والاجتماعي ظهور بؤر إنتاجية جديدة، قديمة في إقليم الساحل وإقليم الفرات والجزيرة تبشر بتوازن إقليمي جغرافي للقطر.

ـ العمل على إيجاد تنظيم جغرافي جديد في إطار تخطيط إقليمي متكامل ومتوازن وعادل لمواكبة النمو والتطورات التي سيواجهها القطر في القرن الحادي والعشرين.

ـ في ضوء ما تقدم وتنفيذاً للتوصيات المختلفة لدعم مسيرة التنمية الاقتصادية والبشرية، يمكن لسورية أن تستوعب الأعداد المتزايدة من السكان ... ونكرر : شريطة استمرار التنمية واستدامتها مع رفع مستويات الإنتاجية ومقوماتها، ووضع سياسة سكانية ناجعة، وعدم انتظار نتائج فرضية (إن التطور مع ما يرافقه من تقدم اقتصادي واجتماعي سوف يؤدي في النهاية إلى استقرار عدد سكان) كما يذكر كيفتز (١٩٩٠).

المراجع:

ـ التعدادات السكانية لأعوام ١٩٦٠ و ١٩٧٠ و ١٩٨٠. المكتب المركزي للإحصاء، رئاسة مجلس الوزراء، دمشق.

ـ تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٤٤. برنامج الأمم المتحدة الإنمائي (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٩٤) م.

ـ تقرير موجز حول المؤشرات الاقتصادية والاجتماعية في الجمهورية العربية السورية ١٩٧٠ – ١٩٩٣ م. المكتب المركزي للإحصاء، رئاسة مجلس الوزراء. دمشق ١٩٩٤م.

ـ تقرير موجز عن مشروع الموازنة العامة للدولة لعام ١٩٩٥. وزارة المالية، دمشق ١٩٩٥م.

ـ الرفاعي، محمد نور الدين. "المياه ومشاريع الري والأمن الغذائي في سورية" مجلة جامعة دمشق ٢ العدد ٨ (ربيع الأول ١٤٠٧ هـ - كانون الثاني ١٩٨٧) : ٥٧ - ٧٨.

ـ ستهم، حافظ. الريف والتنمية. تونس : صندوق الأمم المتحدة للنشاطات السكانية ١٩٨٧م.

ـ عبد السلام، عادل. جغرافية سورية الجزء الأول في الجغرافية الطبيعية والبشرية والاقتصادية : دمشق ١٩٧٣م.

ـ عبد السلام، عادل. جغرافية سورية العامة. دمشق : مديرية الكتب الجامعية. ١٩٩٠م.

ـ عبد السلام، عادل. الأقاليم الجغرافية السورية. دمشق : مديرية الكتب الجامعية، ١٩٩٠م.

ـ كيفتز، ناثان : "العدد المتزايد لسكان العالم" مجلة العلوم - الترجمة العربية - ٧ العدد ٣ (مارس / آذار ١٩٩٠) الكويت : ٥٦ - ٦٥.

ـ المجموعة الإحصائية لأعوام ١٩٧٢ و ١٩٨٨ و ١٩٩٤. المكتب المركزي للإحصاء. رئاسة مجلس الوزراء. دمشق.

ـ موسى، علي وحربه، محمد. محافظة حماه. دمشق : وزارة الثقافة ١٩٨٥م.

ـ النتائج الأولية للتعداد العام للمساكن والسكان وحصر المنشآت والتعداد الزراعي لعام ١٩٩٤. المكتب المركزي للإحصاء. رئاسة مجلس الوزراء. دمشق.

- Beguin. H.; L' organisation de l'espace au Marco; Bruxelles 1974.
- Hamadi. M.; L'industrie en Syrie, Thése d'Etat Soutenue à L 'univerité Paul Valéry Montpellier 1978.
- Harba. M.; Organisations agraires, population turale et dévéloppement en Syrie, Thése d'Etat Soutenue à L'université Paul Valézry, Montpellier 1978.

* تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق ١٩٩٥/٦/٣

إشكالية فهم العلم في الفكر الغربي الحديث: دراسة تحليلية

د. خليل درويش
كلية الآداب ــ الجامعة الأردنية

ملخص

في محاولة للنظر في مدى استقلالية العلم عن أبعاده الإنسانية توضح الدراسة المحاولة التاريخية للعلم الاستقلال عن اللاهوت في الغرب، كما تبين إلى أي مدى يمكن للعالم أن يصدر أحكاماً واقعية أو عقلانية يضمنها الحياد القيمي.

وتشير الدراسة إلى ظهور اتجاه عام في الغرب في كل من العلوم الطبيعية والاجتماعية يحاول تفسير فلسفة العلم وإعادة صياغتها، إلا أن هذا الاتجاه لا يشكل إجماعاً. رغم استناده إلى قواعد نظرية ومنهجية ذات خصائص مشتركة.

وتنتهي الدراسة إلى أن العلم لايمكن أن ينظر إليه بمعزل عن هذه الخصائص مجتمعه.

مقدمة تاريخية:

ارتبط العلم عبر تاريخه الطويل بمناحي الحياة الإنسانية الأخرى وبأبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وصار جزءاً من الثقافة الإنسانية وله تأثير بالغ في جوانبها الأخرى كالدين والأخلاق والفلسفة..... واتضح في القرون الثلاثة الأخيرة أن تقدم الثقافة والحياة الاجتماعية مرهون بالتقدم في مجال العلم وفي مجال التقنية التي تعد تطبيق لنظرياته. ولقد بذل العلماء جهوداً مضنية لتحقيق استقلالية العلم لكي تكون أحكامه موضوعية وعقلانية. وكانت المواجهة بين العلم والدين جادة في أوروبا إبان العصور الوسطى، إذ كانت الكنيسة الكاثوليكية قد أحكمت هيمنتها على جميع جوانب الحياة في أوروبا آنذاك(حتى منتصف القرن السادس عشر). وعندما أنشئ مركز لترجمة التراث العلمي للعرب في طليطلة عام ١١٣٠م (١) أخذت الكنيسة على القائمين عليه أنه ينقل عن " الكفار"، وحاولت أن تحبط الاتجاه العقلاني المتأثر بفكر العرب وعلومهم. وعندما انتشرت فلسفة ابن رشد، أصدرت البابوات ثلاث فتاوى تمنع تداول الرشدية وتدريسها في معاهد إيطاليا وباريس باعتبارها فلسفة عقلية. وحينما أتمت الفلسفة المسيحية في القرون الوسطى تمثل نتاج ابن سينا نشأت نهضة فكرية داخل نطاق الكنيسة نفسها(٢)، إذ كانت الفلسفة آنذاك مسخرة لأغراض اللاهوت. وظهر فلاسفة هم في الأصل آباء كاثوليك، رسم عدد منهم فيما بعد قديسين، مثل أوغسطين (٣٥٤ - ٣٤٠) Augustine والقديس إنسلم (Anselm) (١٠٣٣ ــ ١١٥٩) والقديس توما الإكويني (Thomas Aquinas) (١٢٢٥ - ١٢٧٤) وأطلق على هذا الفكر الذي يتمحور حول اللاهوت العقلي اسم الاسكولائية (= المدرسية) (Schoolasticim)(٣).

وقد تبنته الكنيسة وأصبح يدرس في المعاهد التابعة لها التي تحولت فيما بعد إلى جامعات. وظلت أصداء الصراع بين اللاهوت الدوغماني، واللاهوت العقلاني تتردد

في أوروبا إلى وقت متأخر. إذ نجد ديكارت (Descates) (١٥٩٦ - ١٦٥٠) في القرن السابع عشر يخفي أحد مؤلفاته لأنه حسب أن ما فيه يمكن أن يثير الكنيسة ضده، وعندما أراد أن ينشر كتابه المشهور"تأملات في الفلسفة الأولى " عرضه على أحد آباء الكنيسة آنذاك، وهو مرسين (Mersenne)، فكتب له ملاحظات تفيد أن ثمة أمورا في الكتاب ستثير الكنيسة ضده (٤). وكان ديكارت على حق في خوفه من استفزاز الكنيسة ضده، فلقد كانت أمامه تجربة عدد من العلماء المحبطين منهم جاليليو (Galilieo) (١٥٦٤ ــ ١٦٤٢) . وما تعرض له من مضايقات كثيرة من رئاسة الكنيسة الكاثوليكية.

وعلى الرغم من كل ذلك ظهرت ارهاصات واضحة للعلم والعقلانية , منها ظهور المذهب الاسمي (Nominalism) في مبحث الكليات , الذي أحال العلم الإنساني إلى علم مفاهيمي أدى بتفرعاته المختلفة إلى بروز ردود فعل واضحة على السلطة الدنيوية للكنيسة (٥).

لقد تمثلت الحركة الاجتماعية الأولى في رد المسؤولية عن أفعال الإنسان إلى العناية الإلهية (Divine Providence) لا إلى سلطة الكنيسة وصكوك الغفران التي تصدرها، وكانت حركة الفرانسيسكان (Franciscan) والبروتستانت (Protestantism) مثلا" واضحا" على ذلك.

لقد نال مارتن لوثر (M. Luther) (١٤٨٣ - ١٥٤٦) بأن " خلاص الإنسان ليس في أعماله، بل في العناية الإلهية فقط" (٦)، وذلك لإخراج العقل الإنساني من دائرة هيمنة السلطة الكنسية، ثم ظهرت الحركة الاجتماعية الثانية لتفصل بين الإرادة الإلهية وإرادة الإنسان وهما ما يتعلق بهما فعلاهما، على يد كالفن (Calvin) (١٥٦٤ ــ ١٥٦٤) الذي رأى أن الإرادة الإلهية إرادة حرة مستقلة عن مقاييس الإنسان وهي لا تتأثر بأفعال الناس" (٧) .

وقد مهد فصل الإرادة الإلهية عن الإرادة الإنسانية لظهور الحركة الإنسانوية (Humanism) التي أولت الإنسان اهتماما" خاصا" ، ومثلت خروجا على الاسكولائية التي كان محور اهتمامها اللاهوت(٨). إن الإنجازات التي حققتها الحركة الإنسانوية لم تقتصر على تأكيد دور الإنسان في الإبداع والاكتشاف وصناعة التاريخ بل أكدت مشروعية (Validity) النظريات في مجال العلوم الطبيعية . ومن المعروف أن الإغريق قد حققوا تقدما" مذهلا" في الرياضيات والطب ، ثم ذوت نهضتهم العلمية بعد القرن السادس الميلادي، فأفسحوا المجال للعلماء العرب في القرون الخمسة التي تلت لتطوير الحركة العلمية. ومن العرب لا اليونان، كان تفتح العقلية الأوروبية ذلك أن إسهام الحركة الإنسانوية في القرنين الخامس والسادس عشر في تحرير البحث العلمي، وترسيخ مبدأ السببية في تفسير الظواهر الطبيعية (٩)، كان له الأثر البارز في هذا المجال. فلم تعد معرفة الطبيعة من حيث ماهيتها هدفا" أو غاية، بل أصبحت معرفة الطبيعة منوطة بغايات ذات طابع إنساني . وقد انتفع المنهج العلمي من تطوير مباحث الرياضيات على يد جاليليو وديكارت ولبنز (Leibniz) فصار أفضل من حيث الدقة والأحكام. وبذلك تم الانتقال من منطق الماهيات الثابتة الذي كان محور الفكر الفلسفي الكلاسيكي إلى منطق الظواهر المتغيرة كما يراها الإنسان المتعقل العالم. وحاول العلماء تفسير خواص هذه الظواهر تفسيرا" كميا" باستعمال منهج الاستقراء. وبذلك أرسى جاليليو وديكارت قواعد المنهج العلمي وحرروه من وصاية اللاهوت. فلم يعد يكفي لمعرفة الظاهرة الإحاطة بجوهر الموضوع حسب منطق الماهيات الثابتة، بل أصبح من الضروري معرفة كيفية حدوث الظاهرة وتكميم التغير في خواصها والتعبير عن ذلك رياضيا. وقد تخطى هذا المنهج إطار العلوم الطبيعية إلى العلوم الاجتماعية والإنسانية التي حاولت منذ بداية القرن العشرين استعمال المنهج التجريبي نفسه في دراسة المواضيع التي تخصها.

مفهوم العلم:

يمكن النظر إلى مفهوم العلم من زوايا مختلفة ، فينظر إليه من حيث هو حقل من حقول الثقافة، وعلى هذا الوجه يعتبر نشاطا اجتماعيا يؤثر في المؤسسات وفعاليات المواطنين ومعاييرهم وينظر إليه كذلك في مستوى الغرض فيكون معناه النشاط أو الجهد المنظم الذي يقوم به الإنسان بغرض الاكتشاف، وعن هذا الاكتشاف يكون ماهو نافع لحياة الإنسان في مستوى الثقافة. كما يمكن النظر إلى العلم في المستوى الابستمي، فيكون جملة الأمور المترابطة منطقيا(١٠). والتي عنها يكون تقدم وعي البشرية بعامة.

يتناول هذا البحث كلا من المفاهيم المذكورة آنفا" بإيجاز، ويقدم فهما" مقترحا" يجمع بين البعدين الثاني والثالث نظرا" للتداخل بينهما. إن ما يدعم هذه المحاولة هو أن الإسهامات الجديدة في مجال العلم، جعلت الصلة بين مفاهيمه المختلفة وتطبيقاته التقنية، إشكالية يدور حولها النقاش إلى يومنا هذا . إن مفهوم العلم في الفكر الغربي الحديث كان حصيلة لعدد من الإمكانيات التي شكل تاريخ التطور الاجتماعي أساسا لها. وقد تحول هذا المفهوم في القرنين الماضيين إلى مفهوم كلي واسع الانتشار في العالم. فقد اتخذت هذه الحقيقة فضلا عن ذلك، طابعا مختلفا في وقتنا الحاضر ، وذلك من خلال ما وجه إليها من انتقادات مفادها أن العلم " ظاهرة ثقافية استعمارية " (١١). ويكون هذا النقد مقبولا إذا وجه للمركز ــ أي لمفهوم العلم في حد ذاته ــ وليس لبعض الظواهر التابعة ، كالاختصاصات الدقيقة وتوجهاتها أو ظاهرة استغلال العلماء في الشركات الصناعية، وتبعية الفنيين لمثل هذه المؤسسات . فنقد هذه المجالات لا يفضي، كما يبدو، لحظة إصلاح عملية. ولم يفض بالطبع إلى تغيير النهج الذي يتبعه العلماء في تحقيق اكتشافاتهم. ذلك أن تقدم العلم ارتبط بتحسين كفاءة الأدوات التي

يستعملها العلماء في مختبراتهم، وهذه بالطبع كانت حصيلة التقدم التقني الذي نــهضت به المؤسسات الصناعية، مهما يكن من شأن الروح التجارية التي تحكمها.

وفي بادئ الأمر طرح السؤال حول ما إذا كان هناك حقا مفهوم قديم للعلم تعول عليــه الحداثة في الغرب! إن ذلك ، ولأسباب وجيهة، موضع شك. فعلى مســتوى الأســس والقواعد التي تقوم عليها الميتا ــ نظرية (Meta - theory) (١٢) برزت تصــورات مختلفة حول ما يمكن أن تقدمه النظرية العلمية. ومنذ أن طور مؤسس " حلقة فينــا (Vienna circle) موريتس شلك (M . Schlick) وأتباعها فيما بعد رودلف كارناب (R. Carnap) وأتو نويرات (O. Neurath) معايير صارمة للإمبيريقية الواقعية في بداية هذا القرن ووصولاً بالموقف العدمي الاستسلامي لفيرابند (Feyerabend) لم يكن بالإمكان ملاحظة أي فروق جوهرية بيــن النظريــات العلميــة والســحر والخيــال والمسرح(١٣). ولكن بين هذين القطبين المتطرفين احتلت نظريات كارل بوبــر (K. Popper) وتوماس كون (Th. Kuhn)مكانا متميزاً"(١٤). وعلى الرغم من اختــلاف تصوراتها بخصوص مسائل العلم إلا أنها ابتعدت عن فهم العلم بوصفه مشروعا خلــوا من الفرضيات أو أنه مجرد مشروع استقرائي يمضي دون إطار نظري (١٥). وهــذا ينسحب على المستوى الموضوعي الذي يرى أن الممارسية العلمية تكشف عن نمــاذج تأسيسية وإيضاحية. كما أن فهم العالم في حالات كثيرة يكون أقل توافقا مع ممارســته العلمية . ومع ذلك فالتأثير أكثر تباينا عما هو الحال في مناقشات فلاسفة العلم أنفسهم.

ويستدل مما سبق أن البعد الثقافي ــ التاريخي لمفهوم العلم كان مستبعدا في البدايــات الأولى ، وهو أمر يبرر التطرق لمفهوم العلم الحديث في الغرب. وبناء عليــه بــرز اتجاه عام (Minstream) في الغرب في دوائر الفلسفة والعلوم الاجتماعية يتوخــى النظر في طبيعة لغة العلم والقانون العلمي، ومشكلة تفسير الوقائع العلمية. ويشــتمل هذا الاتجاه على مجموعة من الأسس النظرية والمبادئ الفلسفية التي يــدور حولــها

النقاش ، وقليل منها صار موضع إجماع عند المشتغلين بهذا الحقل . هذا القليل من المبادئ يتمتع بالخصائص التالية:

١ ـ الحياد القيمي: (Vlue - Free)

يعتبر الحياد القيمي من أهم الخصائص التي تميز مفهوم العلم الحديث في وعي مفكري الغرب، ولكن الجدل الذي يدور حوله لم يؤد إلى استقرار رؤية واضحة له، وكان ماكس فيبر (Max Weber) (١٨٦٤ - ١٩٢٠) من أوائل العلماء الذين انتبهوا إلى مشكلة الحياد القيمي للعلم، واعتبروه نتيجة منطقية للعقلانية المبنية على أحكام واقعية. فيكون للحياد القيمي جانبان أحدهما يتعلق بالعالم والآخر يتعلق بالمؤسسة أو المؤسسات التي يرتبط بها العالم. وتعني عقلانية العالم التحرر من الأحكام الذاتية والقناعات المسبقة. ويقتضي الحياد القيمي كذلك تحرر العالم من تأثير المؤسسة التي يعمل فيها(١٦). ومن الجلي أن يصعب تحقيق هذين الأمرين . فمن النادر أن نجد باحثا يلتزم بالحياد القيمي تماما ويتجنب تدخل أحكامه الذاتية وقناعاته المسبقة في الموضوع الذي يتناوله بالبحث. وليس في الإمكان تحقق الحياد القيمي في ظل البناء الفعلي للمؤسسات التي يرتبط بها العلماء، لأنها في أكثر الأحيان محكومة ببيروقراطية تسندها قوانين محددة تؤدي في نهاية المطاف إلى استثمار نواتج العلم في تحقيق مزيد من النفوذ والربح المادي للمؤسسة. وعلى الرغم من أنه لايمكن الفصل بين العالم وقناعاته المسبقة، لكن الحد الأدنى المطلوب للحياد القيمي يكمن في أن لاتشكل القناعات المسبقة جزءا" من النسق العلمي الذي يتبناه. وإذا كان هذا مطلوب من علماء الطبيعة ، فهو بلا شك مطلوب، على أكثر ، ممن يعملون في حقل العلوم الإنسانية والاجتماعية. ذلك أن العلوم الاجتماعية باعتبارها علوم أفعال تحكمها خصائص معيارية فتتعارض من مرامي فيبر بخصوص العقلانية، التي تقوم عنده بالدرجة الأولى على التحليل العقلاني للنشاط الذي تحكمه جدلية الوسائل والغايات،

ومعرفة العلاقات الحقيقية التي تربط فيما بين الظواهر. أو ما يسميه فيبر " بالتفسير السببي" وهو الهدف الأساسي الذي تتوخاه العلوم الإنسانية (١٧). أما فيما يتعلق بالمنطق الداخلي لمسألة الحياد القيمي فإنه يقوم على مسلمتين (١٨): الأولى : العلم من حيث هو نشاط فإنه جهد عقلاني يخضع ما يحصل عنه للبرهان أو في الحد الأدنى للتسويغ العقلي . الثانية : أن العلم يلتزم بالأحكام الواقعية التي تتوافر فيها شروط العقلانية . ولذلك فإن الإلحاح على الحياد القيمي عند فيبر ليس من باب اللغو، بل هو توصية منهجية. ومن أجل هذه الغاية يحدد فيبر أربع خطوات لتحقيق الحياد القيمي وهي (١٩):

١ ــ تعيين المسلمات القيمية التي يكون محل اختلاف في الرأي .

٢ ــ معرفة ما يترتب على هذه المسلمات القيمية من مشكلات من خلال تقييمها عمليا إن أمكن ، ومن خلال حالات واقعية.

٣ ــ ترتيب للنتائج العملية .

٤ ــ تحديد المسلمة القيمية الجديدة التي تمضي من غير مشكل أو على الأقل لا تشتمل على مشكلات إلا في المستوى الأدنى القابل للحل.

إن ما يقدر في نظرية فيبر هو أنه أثار الانتباه إلى أهمية الحياد باعتباره أمرا" أساسيا" في كل عمل علمي، أكثر من كونه قدم حلا لهذه القضية لأنها أثارت جدلا كثيرا وتمحورت حولها أدبيات كثيرة. ومن المواقف النقدية لمنهجية فيبر في العلوم الاجتماعية أنه موفقا في الفصل بين إطار القيمة والواقع(٢٠). وشكك هذا الموقف في إمكانية اشتقاق أحكام معيارية منطقية من قضايا ذات طبيعة وصفية. ويؤخذ على فيبر قوله بعدم إمكانية استخدام الأسلوب العقلاني في برهنة الأقوال القيمة، لأن هذه الملاحظة المنهجية يمكن أن تنسحب على تبرير الأقوال الواقعية ، وهذا مالم يقصده فيبر.

ويرى الباحث أن هناك إمكانية للفصل بين الأقوال المعيارية والأقوال ذات الطبيعة الوصفية. ورغم قناعته بأن هذا الفصل يسبب صعوبات في اللغة اليومية العامة ، إلا أنه ممكن جدا في اللغة العلمية .

٢.الامبريقية(Empericism): والواقعية(Raelism):

في البداية لم يشك أحد في مشروعية الامبيريقية (= المنهج التجريبي) في البحث العلمي والنتائج المترتبة على هذا المنهج ، لكن ظهور الاتجاه التواضعي (Conventionalism) في بداية هذا القرن أدى إلى التشكك في جدوى الامبيريقية للحسم بين النظريات العلمية . ذلك أن أتباع هذا الاتجاه أو كلوا الأمر برمته إلى العلماء أنفسهم (٢١). وكان موقف كون (Kuhn) الذي أبرز الدور الرئيسي للامبيريقية في البحث العلمي، وبخاصة في العلوم التي يلزمها البحث المخبري كالفيزياء والكيمياء (٢٢) معارضا لاتجاه الشك هذا.

وعلى الرغم من الخلاف حول المعيار اللازم للحكم على النظريات العلمية، إلا أن الامبيريقية تقتضي أن تشير الفرضيات والنظريات العلمية إلى البناء الواقعي للأشياء ، مما يؤدي إلى مسلمة مفادها أن لهذه النظريات وجودا" حقيقيا بمعزل عن وعي العالم بها وهذا بالطبع يلزم التفريق بين وقائع الملاحظة (المتعلقة بالمدرك) من جهة ولغة النظرية (المتعلقة بالمدرك) وهي لغة رمزية لايتبدى فيها أدنى تماثل مع الوقائع العيانة (الظواهر التي هي موضوع البحث).

لكن القوانين المصاغة في إطار النظرية تعتمد بالطبع على النتائج التجريبية التي تم الحصول عليها واختبرت بوساطة الباحث(٢٣).

وإذا كانت الإمبيريقية منهجا" يسترشد به الباحثون، فإن الواقع هو مادة هذا المنهج ، الذي حاول بعض المتطرفين في العلم أن يجعلوه معيارا" أوحدا" في التمييز بين ما هو

علمي وما هو غير علمي. لكن الامبيريقية التي تتوخى تحقيق المعرفة عن طريق الملاحظة والاختبار تتضمن ملاحظات تعتمد أساساً" على الخبرة الحسية ، أو ملاحظات مصاغة بأسلوب رياضي أو إحصائي عن طريق الاستقراء . والاستقراء ينصب على وصف ماهو عياني قائم أصلاً". فالامبيريقية تجعل الواقع مصدرا" للمعرفة ومعيارها هو مدى التطابق مع هذا الواقع. وأي نظرية لاتكون صادقة إلا إذا كانت مدعومة بالملاحظة والتجربة، وليس في الإمكان التحقق من صحة التعميمات النظرية إلا عن طريق اختبارها بالأساليب الفنية الموضوعية إلى جانب التجريب، لتكون الامبيريقية شرطا" أساسيا" للتفكير العلمي(٢٤)، والواقعية، لازمة أساسية للامبيريقية ، باعتبارها موضوع دراستها، وإلا أصبح حالها حال الدراسات النظرية التخمينية. ولكن الوقوع في الامبيريقية المتطرفة يشكل مزلقا ينبغي أن لايقع فيه الدارسون. وقد وصل الأمر ببعض الدراسات ، وخصوصا في العلوم الاجتماعية ، أن حولت الواقع إلى مجرد أرقام لوصف هذا الواقع دون تفسيره، لذلك ينبغي أن يكون هنالك مزج متنوع بين التأمل البحث والاستنتاج العقلي والمنهج التجريبي ، لكي لايكون هدف العلم الوصف لذاته(٢٥).

٣. القوانين الفكرية والمعممة:

لقد ذكر أن تفسير الظواهر هو الوظيفة المركزية للعلم، سواء أكان من العلوم الطبيعية أم الإنسانية ، ويتم ذلك بوضع فرضيات يمكن إخضاعها للاختبار، وذلك بتوجيه من النموذج المثالي للمنهج المستخدم في البحث ثم تعميم النتائج . وقد يكون من السائغ ان تقبل بع النشاطات البحثية التي لاتستعمل التعميم، لأنها لاتقوم على البحث في عينة من ظاهرة ما كما هو الشأن في العلوم التجريبية، وهي العلوم التي تدعى بالعلوم الفكرية (Idiographic) (٢٦). أما العلوم التي تبنى على أساس إمبيريقي، فإنها القابلة للتعميم، وتتميز هذه العلوم بأنها علوم ذات قوانين تقوم على أساس وجود نوع من

الحتمية (Determinism)، كعلاقة بين السبب وما ينتج عنه من ظواهـــر، وتســـمى العلوم المعممة(Nomothethic).

إن النوع الأول من العلوم لايختص بكشف الصلات السببية بين الظواهر، وإنما علـــى وضع فرضيات تأملية ووصفها على قدر الإمكان. وهذا هو شان العلوم الاجتماعيـــة والإنسانية، فالسلوك الإنساني الذي لاتتميز بعض جوانبه بتوجيهات معرفية واضحـــة يصعب تحليلها على أساس تجريبي.

إذا استخدم مصطلح " التعميم " ليعني أنشطة معينة في البحث العلمي لتحصيل المعرفة بخصوص الظواهر عن طريق الاستقراء، فإن ما يعنيه هذا المصطلح هو تعميم مـــا حصل من تفسير على الظواهر المماثلة ومن ميزات مفهوم العلم الحديث في الغـــرب القابلية للتعميم. وهذه القابلية ميزة قديمة ، فعلى الرغم من أن أسلوب ضبط التجربـــة وتكرارها لم يتطور إلا في العصر الحديث، إلا أن المراجعة التاريخية لتطور العلـــم تفضي بنا إلى القول إن التأمل الميتافيزيقي للطبيعة (عند فلاسفة اليونان) قد أتى أكله في العلوم الطبيعية، ثم انتقل إلى العلوم الاجتماعية والإنسانية من خلال نقـــل قواعـــد النشاط والفعل لتطابق معايير النظام المجتمعي والسياســـي. وقـــد اعتمـــد اللاهـــوت المسيحي في القرون الوسطى هذه النظرية الميتافيزيقية المرتكزة إلى أن الله هو الـــذي أبدع الخلق ونواميس الطبيعة على حد سواء.

ومنذ القرن الثامن عشر لاقى المفهوم الميتافيزيقي القائم على وحدة الطبيعة نوعا مـــن المصداقية وأصبحت القوانين الطبيعية العامة هي نفسها قوانين الفكر، واعتمـــد العلـــم الحديث على التقنية والتجربة باعتبارها مقياسا لمصداقية القوانين الطبيعية. ولم يعـــد القانون العلمي، من حيث هو كذلك، محل اختلاف، مادام مدعوما بالمشاهدة الحســـية والتجربة.

٤.البراجماتية(Pragmatism):

لقد اعتقد الفلاسفة اليونان أن الإنسان هو الموجود الوحيد الذي يعيش بغنه واكتسب العلم الحديث هذه الصفة، ولكن أضيفت إليه النجاعة الاقتصادية، فلم يعد العلم لمجرد العلم أو من أجل المعرفة لذاتها، بل أصبح البعد الأهم للتقدم، وأصبح يحدد أهدافه بمعزل عن المثل الخلقية والدينية. ولم تسلم العلوم الاجتماعية والإنسانية من ذلك أيضا"، ولذلك نجد أن اهتمام الهيئات الحكومية وغير الحكومية بالعلم قد تزايد فوفوت هذه الهيئات ما يضمن استمرار البحث العلمي وتنشيطه، وبخاصة عندما يكون له مردود تقني وجدوى اقتصادية. وعلى الرغم من أن القرون الوسطى لم تشهد هذا الارتباط العضوي بين العلم وسمته العملية (البراجماتية)، إلا ان التحول الذي طرأ على المجتمعات الأوروبية ربط بين العلم ونتائجه وجعله يتخذ منذ حوالي قرنين بعدا" عمليا" خالصا". ويؤثر حتى على النظريات العلمية نفسها، فالفرضية أصبحت تخضع للاختبار التقني والإحصائي، فإذا قبلت فإنه يعاد الاستفادة منها تقنيا، واستغلالها بطريقة براجماتية(٢٧)، لكن ما إذا كانت الفرضيات في هذا العلم لاتخضع إلا للتقييم العلمي المحض بمعزل عما يترتب عليها من نتائج عملية في المستوى التقني. وتنفق الهيئات الرسمية والشركات الكبرى أموالا طائلة للنهوض بهذه الأبحاث. وقد لايترتب عليها مردود مباشر في المستقبل القريب. لكن كان دائما" بمقدور هذه الهيئات تبرير ذلك بما قد تفضي إليه هذه الأبحاث من مردود اقتصادي ولو في المستقبل البعيد.

ولذلك يمكن القول بأن اعتماد التقدم المعرفي في العلوم الطبيعية والإنسانية على الثروة والنفوذ خلف تبعية خطيرة تربط العلم بالمؤسسات الصناعية وأجهزة الدولة وهي تبعية تبعث على الشك في أهداف المعرفة ومراميها وما يمكن أن تحمله من تأثيرات سلبية على قيم الدين والأخلاق والايدولوجيا وما تضمنه من تضارب في المصالح الاقتصادية. ومن تأثيرات سلبية على حياة البشر وميولهم الروحية.

خاتمة:

مما سبق يبدو واضحا أنه قد تحقق للعلم في الغرب الاستقلال عن اللاهوت من حيث البنية الداخلية للعلم ، لكن العلم يمكن أن يخضع من حيث نتائجه لاعتبارات دينية، ولاسيما إذا كان الدين مسيسا. وبذلك يخضع العلم للاعتبارات السياسية ـ الدينية ـ لا للدين من حيث هو دين. كما أن النتائج التي يصل إليها العالم لاتخضع لإرادته أو تستجيب لرغباته أو قناعاته المسبقة. ومع أن الاستقلال قد تحقق للعلم في هذين المجالين، إلا أن إشكالات فهم العلم في الغرب مازالت قائمة وستبقى قضية جدلية خلافية، وخاصة في العلوم الاجتماعية والإنسانية التي لايمكن أن تكون محايدة حتى لو اعتقد البعض أن من الممكن أن يكون لها قوانينها الخاصة بها.

أما فيما يتعلق بظهور اتجاه عام في الغرب من أجل تفسير فلسفة العلم وإعادة صياغتها، فإن الأسس النظرية والطرق المنهجية التي يستند إليها هذا الاتجاه لاتشكل اجماعا، ومع انها تتضمن الجمع بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية والإنسانية،إلا أنها تشترك في بعض الخصائص مثل الحياد القيمي، الإمبيريقية والواقعية، القوانين العامة والخاصة والبراجمانية.

وإذا أمكن تصور العلاقة بين العلم ونتائجه وما يترتب عليها من منظور نفعي. فإنه لايمكن للعلم أن يتخلص من التبعية المتبادلة بين علم العلماء وبين إرادة أصحاب الثروة والنفوذ في المؤسسات الصناعية الكبرى التي تهتم بتحقيق الأرباح المادية دون اكتراث بأي قيم أخرى.

الهوامش

1 - Brockhause Enzyklopadie, Wiesbaden: F. A. Brockhaus, 1973. P. 742.

2 - Gilson, E. Les Sources Greco - Arabes de L'Augustinism Auicennisant, Archives d'Histoire et Litteraire du Moyen Age, Vol , 4 , 1929 , p. 5 - 149 .

See also, Goichon, A. M.: The Philosophy of Avicenna its influence on Mediaval Europe. Trans . by M.S. Khan, Delhi. 1969.

٣ ـ أرنست بلوخ، فلسفة عصر النهضة، ترجمة اليـــاس مرقـــص ، بـــيروت: دار الحقيقة، ١٩٨٠، ص ٩.

4 - Descates. R.Descartes. Letters, Collected by ch. Adam and p. Tannery . Every Man's Library, 1949, Vol. 1.p.190

5 - Romback, H: Substanz, System, Structur. Die ontologie des Funktionalismus und der philosophisch Hintergrund der Modernen Wissenschaft . Bd . I Freiburg & Munchen: dtv 1965. P. 50.

انظر ايضا":

يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصـــــر الوســيط ، بـــيروت دار القلــم /١٩٧٩م.

6 - Ibid ,p. 68 .

٧ ـ يعيد بعض المفكرين الغربيين نشاة السلوك الرأسمالي المعاصر إلى فكر كـالفن، ففي الدراسة التي قام بها ماكس فيبر عـــن العلاقــة بيــن الأخـــلاق البروتســتانتية والرأسمالية أشار إلى اثر فكر كالفن على ذلك.

Eisenstadt, Shmiel. Die Protestantische Ethik und der Geist des Kapitalismus, Eine analytische und vergleichende Darstellung Kzfss, 1971: 22 jg: 1 - 23

انظر الترجمة العربية: ماكس فيبر، الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية، ترجمة محمد على مقلد، بيروت: مركز الإنماء العربي عام النشر (بدون).

8 - Kirsteller, p. 0: humanismus und Scholastik in der italienischen Renaissance, I < Munchen 1974 , p. 87 - 111.

9 - Kessler Echart: Humanismus und Natur Wissenschaft Frankfurt : Surkamp 1970 .p.16 - 17.

10 - Rod, W. Die Philosophie der Neuzeit, I. Von Francis Bacon bis spinoza Munchen: dtv 1978: p. 221.

11 - Galtung, J. After Camelot , in: Horowitz 1967 a .

انظر:

12 - Otto Benecke Stiftung (Hrsg.) Kulturelle Konfrontation oder interkulturelles Lernenen, Nomos Verlagsgesellschaft, Baden - Baden 1987, p.81.

13 - Ibid, p.82

14 - Ibid, p.83

١٥ – روديجر بوبنر، الفلسفة الألمانية، ترجمة فؤاد كامل ، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة ١٩٨٧م، ص ص ١٤٥ ــ ١٥٢ .

١٦ – جوليان فروند، سوسيولوجيا ماكس فيبر، ترجمة جورج ابي صالح بيروت: مركز الإنماء القومي، علم النشر (بدون) ص ٤٠.

١٧ – المصدر السابق نفسه.

18 - Weber Max: Gesammelte Aufsatze zur Wissenschaftslehre (Methodologie), Tubingen : Mohr, 1975: p. 487 - 490.

19 - Kasler Dirk (Hrsg): Klassiker des soziologischen Denkens, B. II Munchen: Beck , 978 , p.160

20 - Stegmuller, Wolfgang: Probleme und Resultate der Wissen chaftstheorie und Analytischen Philosophie, Bd. I. Berlin New York: Spriner 1983.

٢١ ـ من الرواد الذين مثلوا هذا الاتجاه العلمي في فرنسا بوانكارية ودوهيم. ويقوم هذا الاتجاه على أن العلوم الطبيعية والاجتماعية عبارة عن بناءات مفهمية خالصة تنظر إلى القوانين الطبيعية على أنها ثوابت غير قابلة للدحض. لذا لايعتقد أصحاب هذا الاتجاه أن بمقدور الامبيريقية الحسم بين النظريات العلمية.

Fuchs W. U.A. (Hrsg) Lexikon zur Soziologie 2. Aft Opladen estdeutscher Verlage Gmbh 1978: p. 426 .

22 - Kuhn Thomas Die Structur Wissencschafltlicher Revolutionen , Frankfurt: Surkamp 1967 .

٢٣ ـ قد لاتكون الامبيريقية مقياسا ملزما للحكم على مدى علمية النظرية، وقد يكون مصدر التشكك في علمية النظرية متمثلاً" في خصائص الفرضيات: انظر Fuchs w.Op. Cit .p.186

٢٤ ـ اندرو جيمسون " نشوء مؤسسات العلم الحديثة" العلم : نظرياته وتطبيقاته ـ بغداد. اتحاد مجالس البحث العلمي العربي، ١٩٨١ م ، ص ٣٩.

٢٥ ـ انظر: أسامة أمين الخولي " العلم والعطاء العلمي " بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٨٥ م، ص ٢٣.

محمد علي محمد، علم الاجتماع والمنهج العلمي، ط٣، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٨م ص ص ٧٠ - ٧٦.

٢٦ ــ Stegmuller, Op Cit, P, 55 - 67

٢٧ ــ انظر ، يورغن هابرماس " النتائج العلمية للتقدم العلمي والتقني " ترجمة بــدر الديــن عرودكــي، مجلــة الفكــر العربــي المعــاصر، عــدد ٢٤/ ١٩٨٣ م، ص ص ١٣١ ــ ١٤٢.

* تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق ١٩٩٤/٣/٢٣

مفهوم المادة في الفلسفة الأفلاطونية

د. سليمان الضاهر
قسم الفلسفة ـ كلية الآداب

الملخص

يعد أفلاطون (٤٢٧ ـ ٣٤٧ ق. م) مرحلة متميزة في تاريخ الفلسفة اليونانية. فهو أول من ميز تمييزاً واضحاً بين العقلي (المثل) والحسي (الموجودات المادية). وانطلاقاً من هذا التمييز فرق بين الكوسمولوجية ذات المنشأ الإلهي، والطبيعة التي تسودها الضرورة. ولكن لكي تتحقق صور العالم العقلي في العالم الحسي لابد من افتراض وجود "مبدأ مادي" يتحقق فيه الشبيه.

لقد رفض أفلاطون الأخذ بأي عنصر من العناصر الأربعة كمبدأ كلي للموجودات، على اعتبار أن العنصر محدد ويتصف بالكيفيات لذلك جاء هذا البحث كمحاولة للكشف عن ((المبدأ)) الذي افترضه أفلاطون بديلاً عن العنصر الذي أخذ به الفلاسفة الطبيعيون، فعرضنا بعض الآراء التي حاولت دراسة المادة عند أفلاطون، فخالفنا بعضهم، واتفقنا مع بعضهم الآخر. ومن خلال تتبع المصطلح اليوناني الذي استعمله أفلاطون لاحظنا أن ثمة إمكانية للتمييز بين نوعين من المادة الأفلاطونية:

ـ المادة الأولى اللامتعينة (أو الشيئية المعدومة).

ـ والمادة القريبة المدركة حسياً. وباعتقادنا هذا ما حمل أفلاطون على تقديم دراسة للمادة بمعنيين: بالمعنى الفلسفي الأنطولوجي أولاً، ومن ثم بالمعنى الفيزيائي الذي يهتم بدراسة بنية المادة ثانياً.

إن نظرية أفلاطون في المادة قبل أرسطو تعد أعلى مرحلة وصل إليها الفكر الفلسفي اليوناني. فالأهمية الخاصة لهذه النظرية تبدو من خلال التأثير في أرسطو، وحمله على صياغة المقولات الفلسفية وتحديدها على نحو منطقي تحديداً دقيقاً.

فسر الفلاسفة الطبيعيون قبل سقراط الموجودات الطبيعية بافتراض وجود مبدأ مـــادي أولي (ἡ ἀρχή) يكمن في أساس كل الموجودات. فمن خلال هذا المبدأ فسروا العالم المادي والروحي معاً. وبهذا المعنى قـــال طـــاليس: ((إن كـل الأشـيـاء مملـوءة بالآلهة))[١]. فالفلاسفة الأوائل أغفلوا مقابلة الفكر بموضوعه، وأهملوا تبيان علاقاتهما دون أن يأبهوا لطبيعة الفكر ووظيفته في المعرفة، ففاتهم التفريق بين العقلي والحسي، أو المجرد والمشخص.

تحدث سقراط عن مفهوم "الخير" كأساس لكل الموجودات ((ورفـــض البحـث فـــي الطبيعة، فهو لم يهتم بطبيعة الموجودات، ولم يتعرض لقضيـــة نشـأة "الكـون" ولا للقوانين التي تحكم الظواهر الكونية بل على العكس، أشار إلى حماقة أولئـــك الذيـــن عالجوا مثل هذه القضايا))[٢]. فسقراط ((اهتم بالفضيلة ولن يبحث في الطبيعة))[٣]، ولم يوجه اهتمامه للكشف عن المبدأ المادي الأولي للوجود.

رفض أفلاطون آراء الفلاسفة الطبيعيين فيما يتعلق بالعناصر، ولاحـــظ أن العنصـــر المادي الذي تحدث عنه هؤلاء الفلاسفة يتطابق مع الطبيعة من حيث امتلاكه للكيفيات، واتصافه بالثبات، فأدرك عدم وجود مبدأ كلي عندهـــم يمكـــن مـــن خلالـــه تفسـير الموجودات الطبيعية، فشرع يبحث عن هذا المبدأ.

يعرض أفلاطون نظريته الكوسمولوجية في محاورة "طيماوس" ـ وهي من أعمالـــــه المتأخرة ـ بطرحه الإشكالية في التساؤلات التالية: ((هل نشأ الكون وبأية طريقة؟ أم أنه لم يتكون بعد؟))[٤] وهكذا بدأ أفلاطوزن في فلسفته الطبيعية يتصدى لبحث "المادة" كمفهوم حديث الولادة في تلك الحقبة الزمنية من تاريخ الفلسفة اليونانية. ولكـــن قبـل البدء في دراسة هذا المفهوم نرى من الضروري الإشارة إلى فكرة أساسية قد تساعدنا في توضيح أبعاد المشكلة التي نحن بصددها، وهذه الفكرة تدور حول التميـــيز بيـــن مفهوم الضرورة والمصادفة في الفلسفة اليونانية.

افترضت الفلسفة اليونانية في بحوثها الطبيعية والميتافيزيقية وجود قوة خارجية غائية ــ بصرف النظر عن فاعليتها أو سلبيتها ــ اعتمدتها في تفسير الكون. فتحدث هيراقليطس عن السلطان، أو كما دعاه "بأبي العالم"، وجعل أناكساغوراس من العقل "نوس νοῦσ " منظماً ومحركاً للكون، وارتبطت ظاهرتا الكون والفساد عند أرسطو بعشق المحرك الأول اللا متحرك كمانح للعالم الدفعة الأولى للحركة كونه علة محركة وغائية للموجودات الطبيعية. في حين توجت الكوسمولوجية الأفلاطونية بالصانع (δεμιοῦργοσ) كمشيد (Synistas) للكون ((وحائز على رتبة الألوهية))(٥). وطبقاً لتمييز أفلاطون بين عالم علوي تعبر عنه "المثل" (τὸ εἶδος) المدركة عقلياً التي تمثل الوجود الحقيقي، وعالم سفلي يعد أشباحاً للمثل تعبر عنه الموجودات الحسية، وفقاً لهذا التمييز جاءت نظرية أفلاطون الكوسمولوجية ذات صبغة إلهية تتعارض مع فلسفته الطبيعية التي تحكمها الضرورة.

لقد رفض أفلاطون في محاورة "القوانين" نظرية نشأة الكون على أساس المصادفة العمياء، وعرض نقده للنظرية الكوسمولوجية عند "فيزيائي" القرن الخامس ق. م قائلاً: ((دعني أيضاً أجعل الأمر أكثر وضوحاً، إنهم يقولون: إن المادة والنار والتراب والهواء تدين جميعاً في وجودها للطبيعة والمصادفة، ولا يدين واحد منها في وجوده للفن، ثم هي بدورها الفواعل المطلقة العديمة الروح التي ينتج عنها أجسام الصنف الثاني، وهي الأرض والشمس والقمر والنجوم، لقد اندفعت هذه القواعد اندفاعاً عرضياً، ومضى كل منها بمقتضى اتجاهاته المتعددة، وعندها التقت بشكل ملائم: الحار بالبارد، والجاف بالرطب، واللين بالصلب وهكذا دواليك بالنسبة لكل امتزاج عارض لا مفر منه مما ينشأ عن اختلاط الأضداد، وهكذا وعلى أساس هذه الحكمة كان مولد كل السموات بكل ما فيها، وكذلك كان في تعاقب مناسب مولد جميع الحيوانات والنباتات، إذ أن كل فصول السنة قد نشأت من قبل عن هذه الأسباب نفسها،

وكان كذلك كما يقول لا بفعل العقل، أو إله أو فن، وإنما أخبرك بالطبيعة والمصادفة))[٦].

أما في محاورة "طيماوس" فيعزز أفلاطون الصبغة الإلهية لنظريته الكوسمولوجية ويربطها بشكل عام بالصانع، فالسماء والكواكب وضعت لغاية محددة، ووفقاً لمنهج عام، تعد هذه الموجودات كائنات حية[٧]، وترتبط بعلاقات روحية، وتتحرك بشكل عاقل، لأن الصانع يمسك بنظام دورانها الأبدي. فالكون الأفلاطوني ذو منشأ إلهي، قام به الصانع ((مستعيناً بالمثل والأعداد))[٨] فعندما شرع الصانع يبني العالم ــ وفق أفلاطون ــ رتب العناصر الأربعة في الطبيعة، فوضع النار في الأعلى والتراب في الأسفل، والهواء والماء بينهما، وهنا ينتهي دور الصانع. وبالمقابل ففي الانتقال إلى عالم الموجودات الحسية المتمثلة بالمادة، يبدأ أفلاطون بالحديث عن الموجودات التي تنشأ وتفسد بحكم الضرورة. فالطبيعة في فلسفة أفلاطون تسودها وتحكمها الضرورة ((لقد بينت أحاديثنا السالفة... الأشياء التي كونها العقل. ولكن حديثنا الآن يجب أن يدور حول الأشياء التي تحدث بحكم الضرورة. إن مولد العالم قد حدث من اقتران فعل الضرورة والعقل فعلى هذا الوجه وطبقاً لهذه الأصول بالذات تركب العالم حتى في مبادئه بفعل الضرورة))[٩].

"فالضرورة" عند اليونانيين قبل أفلاطون ــ أنباذ قليدس وأيضاً المدرسة الذرية مثلاً ــ كانت تشير إلى كل ما يحدث في الطبيعة دون أي نسق محدد، أو نظام معين، وبهذا المعنى يتطابق مفهوم الضرورة عندهم مع المصادفة العمياء" (τύχη). ولكن مع أفلاطون أخذت الضرورة معنى آخر (ἀναγκή) وأصبحت ترتبط بظروف خارجية تؤدي نسقاً محدداً، أو نظاماً معيناً بمعنى القوانين التي تحكم الظواهر الطبيعية.

لقد خصص أفلاطون للضرورة مجالاً وجودياً محدداً، وهو مجال الموجودات الطبيعية في عالمنا الحسي، أين يجري التفاعل والتحول المتبادل للعناصر الأربعة. فالضرورة عند أفلاطون تبدأ حيث تنتهي مهمة الصانع ((بتنظيم الأجناس الأربعة))[١٠]، فالعمليات الطبيعية التي تشارك فيها العناصر الأربعة تحدث وفقاً لقوانين الضرورة الطبيعية التي تحدث عنها أفلاطون مطولاً في محاورة "طيماوس" عندما فسر العمليات الفيزيوكيميائية في الطبيعة.

من المعروف أن تفسير المفاهيم والمقولات الأفلاطونية أمر صعب جداً، فقد لاحظ ذلك القدماء أنفسهم، فذكر مؤرخ الفلسفة اليونانية ديوجين اللائرسي: ((أن أفلاطون اختار عباراته غامضة كي لا تفسر بسهولة))[١١]، أما دينوس كاليكارناسيوس[١٢] (Denys Kalikarnasios) فقد كتب: ((عندما يطمح أفلاطون للتعبير بشكل جميل، فغالباً ما يبهم مفاهيمه، وتصبح معانيه مظلمة بشكل كامل))، لكن المبيودورس كتب بهذا الخصوص فقال: إن أفلاطون: ((رأى في منامه أنه أصبح بجعاً يطير من شجرة إلى أخرى، مسبباً الكثير من المتاعب والمصاعب لصيادي الطيور))، وقد فسر سقراط الساموسي هذه الرؤية ((بأن أفلاطون يصبح عسير الفهم لمن أراد تفسير نظرياته واستجلاء معانيه ومفاهيمه))[١٣].وهكذا فالصعوبة في دراسة أفلاطون وفهمه ذات طابع اصطلاحي يقوم على تناسب أو ترادف المعاني التي يستعملها.

ففي محاورة "طيماوس" يسمى أفلاطون المادة بـ "المرضعة" و" الأم الحاضنة لكل موجود" وهذه التسمية ترادف "اللامتعين" (τό ἄπειρον) في محاورة "فيليبوس"، ذلك اللامتعين الذي يتطابق مع مفهوم "الآخر" في محاورة "بارمنيدس"، أما في محاورة "القوانين" و"جورجياس" فيسمي أفلاطون المادة بـ "الطبيعة القديمة". فأفلاطون يستخدم هذه التسميات أو المفاهيم بمعنى واحد يرادف بعضها بعضاً، وبناءً على هذا الترادف الذي يكتنفه شيء من الغموض والإبهام، يطرح السؤال التالي: لماذا لجأ أفلاطون إلى هذه التسميات المتعددة في محاوراته المختلفة أثناء حديثه عن المادة؟

فهل قصد الإبهام حقاً؟ أم أن مفهوم المادة مع أفلاطون ما زال حديث الـــولادة ولـــم يتبلور بعد؟ أم أن ثمة تطوراً فكرياً عند أفلاطون؟ .

إننا نستبعد الاحتمال الثالث ذلك لأن أفلاطون في محاورة "طيماوس" ـــ وهـــي مــن أعماله المتأخرة ـــ يستعمل تسميات ومعاني متعددة للمادة، وأحياناً تبدو متعارضــة. أم بالنسبة للاحتمال الأول والثاني ففي اعتقادنا كلاهما وارد. فربما تعمد أفلاطون الإبهام في تعدد المعاني وترادفها أثناء حديثه عن المادة، وذلك من أجـــل ترجيـــح الجـــانب الميتافيزيقي على الجانب الطبيعي، دون أن يضحي بالثـــاني علـــى حســـاب الأول. فالإطار العام للفلسفة الأفلاطونية يرجح الحل الميتافيزيقي، ويتخذ من "المثل" عالمـــاً عقلياً يعبر عن الوجود الحقيقي. أم الاحتمال الثاني فله أيضاً ما يبرره، فالفكر الفلسفي وقتئذ لم يصل بعد إلى مستوى تبلور وتحديد المقولات. فلقد دار أفلاطون كثيراً حـــول مفهوم المادة، دون أن يتوصل إلى تحديدها بالاسم.

لقد استخدم أفلاطون أثناء حديثــــه عـــن المـــادة عبـــارة "المتحـــرك فـــي المكـــان (ἐν χῶρα κινεῖσθαι) وأشار إليها بمصطلح "خاوس χαός "[١٤] وتعني "مـــادة فوضوية" وترادف مصطلـــح "خـــورا، خوريـــس χῶρα, χωρίs " فـــي محـــاورة :"طيماوس"، ونقترح ترجمته إلى العربيـــة بـــ "الإمكانيـــة البســـيطة"، أو "الشـــيئية المعدومة"، أو "المادة الأولى اللامتعينة"، والتي تفهم عند أفلاطون كمقـــر وفـــير ((لا يقبل الفساد ويؤمن حاملاً لكل الموجودات ذات الصيرورة والحدوث، وهو لا يـــدرك بالحواس، بل يضرب من البرهان الهجين المختلط، إنه لا يكاد يصدق))[١٥].

وهكذا فمصطلح (χῶρα) في الفلسفة الطبيعية الأفلاطونية يتطابق مع مفهوم "المـــادة الأولى اللا متعينة" التي تعد مبدأ لكل الموجودات، فهي غير مرئية وتنشـــأ العنـــاصر المدركة حسياً، التي تمثل بدورها جواهر بسيطة للأشياء، فـــ "خورا" ((خليط مـــادي أولي غير معين، تنشأ عنها العناصر الأربعة المرئية والمحددة فـــي المكـــان))[١٦]،

فالمادة التي شرع أفلاطون يفسرها على حد تعبيره ليس لدينا تسمية لها ((نحن نراها كما لو أنها في الأحلام، ونؤكد لا بد لهذا الموجود أن يكون في مكان ما، ويشتمل متسعا ما...))[١٧]. وهكذا فأفلاطون متفق مع سابقيه من الفلاسفة اليونانيين برفض مقولة الخلق من عدم (εκ οὐκ υντῶν)، وخلافا لهم يؤكد على ضرورة وجود مبدأ مادي أولي لا متعين خال من الكيفيات والتحديدات. فمحاورة "طيماوس" التي مثلت الفلسفة الطبيعية الأفلاطونية، يدور فيها الحديث عن مبدأ ما ((لا يرى ولا صورة له ويقبل كل الأشكال، ويشارك العالم المعقول بصورة تحير كل العقول، ويصعب على الفكر أن يحيط به ويدركه))[١٨]، وهذا هو المبدأ المادي الذي واجهه الصانع عندما نقل "الشيئية المعدومة" أو "اللاوجود" (τό μή ὄν) وفق الصورة، إلى الوجود المتحقق المصور. إن نشأة الكون لن تكون من العدم المطلق، بل من مادة أولى ((وبفعل الضرورة والعقل))[١٩].

نميز في أنطولوجيا أفلاطون بين قطبين متعارضين وهما: العقل المتمثل بالصانع من ناحية، والمادة المرتبطة بالضرورة من ناحية أخرى، والتي رأى أفلاطون بصددها أن عليه أن يجتهد في دراستها ليقول فيها قولا واضحا[٢٠] ((... لأنه حتى الآن لم يدلنا أحد على أصلها))[٢١]. لقد لاحظ أفلاطون أن العناصر المدركة حسيا عند الفلاسفة الطبيعيين لا تمتلك مبدأ كليا، فكان عليه أن يبدأ بالبحث عن هذا المبدأ الكلي للعناصر فقرر أن: ((البحث يضطرنا إلى محاولة الكشف عن نوع غامض وعسير على الفهم))[٢٢]، ذلك النوع الذي لا يدرك حتى النهاية، فكل منا يستطيع أن يتحدث عنه بمعنى ما. فالحديث هنا لا يدور عن "الخلاء" أو "الامتداد" أو "المكان"، كما قرر ديمقريطس، وليس عن المادة المتحققة (ἡ ὕλή) بالمعنى الأرسطي[٢٣]، بل عن مفهوم "المادة الأولى اللا متعينة (πρωτη ὕλη) التي حددها أفلاطون بـ ((مادة رخوة لزجة لكل طبيعة))[٢٤] واستعارها أرسطو من معلمه، وحددها في الكتاب السابع من الميتافيزيقيا" بقوله: ((وأنا أعني بالمادة ما ليس هو بذاته شيئا خاصا، ولا

هو كم ما، ولا يصح عليه أي من المقولات الأخرى التي يتعين بها الموجود))، ومع ذلك ((ليست عدما أو سلبا للصفات أو المقولات))[٢٥] فهذه هي المادة الموجودة بالقوة والتي تمتلك قابلية الوجود بالفعل، وهذا ما يصدق خاصة على المادة الأولى. إن لفظة مادة (ἡ ὕλή – hyle) بالمعنى الاصطلاحي الدقيق، مغيبة في الفلسفة الأفلاطونية، ففي فلسفة أفلاطون الطبيعية يمكن الحديث عن "الشيئية المعدومة"، أو "المادة اللا متعينة" المسلوبة من كل الكيفيات (πρωτή́ ὕλή) والتي يمكن التعبير عنها بألفاظ أفلاطون: بـ "الجنس الذي لا يدرك حتى النهاية"، أو "الأم المرضعة" أو "الحاضنة لكل ولادة"، أو "بيت الرحم"، أو "الحامل" أو "القابل" أو الإمكانية البسيطة التي تقبل كل الهيئات" ... إلخ. ولكن لكي تتحول "الشيئية المعدومة" إلى موجود حسي، لا بد من تدخل الضرورة، التي تعمل على تحريك "المبدأ المادي اللا متعين" الذي يتصف بأنه ((يقبل في جميع جنباته وعلى حالات متعاقبة قبولا جيدا صور جميع الموجودات الدائمة في الوجود))[٢٦]. إن "الشيئية المعدومة" أو "الأم الحاضنة" هي المادة العديمة الشكل التي تتقبل الصفات التي يراد أن تعطى لها: ((وهكذا فإننا عندما نقول: إنه من كل ما نشاء مرئيا، أو بصورة اعم محسوسا، فالأم والوعاء ليس.... ترابا، ولا نارا ولا ماء، ولا سيئا مما صنع من هذه الأجسام، حتى ولا مما صنعت منه هذه الأجسام،ولكن عندما نقول: إن نوع من الكائن اللا مرئي والمجرد من الشكل، والذي يتقبل كل شيء ويشارك مع ذلك بصورة متعثرة، في المعقول، يظل صعبا على الفهم، فإننا لا نخطئ))[٢٧]، وهكذا فالفلسفة الطبيعية الأفلاطونية تقرر وجود مادة لا متعينة تقبل صور جميع الأشياء. وسابقة على نشوء العناصر الأربعة.

بعد هذا التحليل لمفهوم المادة يتبادر إلى الذهن السؤال التالي: ما أهمية ضرورة افتراض وجود مادة في فلسفة أفلاطون القائمة على اعتبار أن المثل هي الموجودات الحقيقية؟ ، ومن ثم كيف فسرت المادة الأفلاطونية في الأدبيات الفلسفية؟

لقد تباينت الشروح وتضاربت الآراء بشأن الإجابة عن هذا السؤال، ولعل أرسطو أول من أجاب عن هذا التساؤل حين اعترف بوجود المادة في الفلسفة الأفلاطونية، فقـــرر في كتاب "الطبيعة": ((أن اللا متعين (to Apeiron) هو المبدأ الأصلي للموجــودات عند أفلاطون))[٢٨]، على حين ذهب رتــر إلـــى رأي مخــالف فعــد أن ((المــادة الأفلاطونية شيء مجرد صرف لا وجود له في الخـــارج وقــد افترضــه أفلاطــون افتراضا من ناحية نظرية المعرفة. فنحن في علمنا بالأشياء الخارجية نستعين بشـــيء ما نتصور فيه وجود الماهيات، وهذا الشيء هو ما يسمى باسم المادة))[٢٩]. أمـــا د. عبد الرحمن بدوي فقد طرح رأيا ثالثا فقرر أن المادة عند أفلاطــون هـــي : ((فـــي الواقع مبدأ للتفسير أكثر منه أن تكون مبدأ وجوديا حقيقيا))[٣٠]. غـــير أن الدكتـــور ماجد فخري يطرح رأيا مخالفا فيرى أن المادة الأفلاطونية هي ((العـــــدم المحــض))[٣١]، بيد أن ثمة رأيا آخر يطابق بين مفهوم "المادة" ومفهوم "الامتداد" فـــي فلســفة أفلاطون، ويمثله تسلر إذ يؤكد: ((أن المادة الأفلاطونية ترد إلى الامتداد أو خصائص هندسية محضنة))[٣٢].

تلتقي هذه الآراء المتضاربة بنقطة واحدة، إذ تقرر في غالبيتها وجود "مادة مـــا" فـــي فلسفة أفلاطون الطبيعية. ومن ثم ترفض هذه الآراء أن تكـــون هـــذه المـــادة "مبــدأ وجوديا"، ولكنها من ناحية أخرى تختلف فيما بينها في تفسير هذه المادة.

إن المرتكز الأساسي لتلك الآراء يستند إلى حجة صحيحة، وهي ان المثل التي تؤلــف العالم العقلي تحتل الأولوية في فلسفة أفلاطون الميتافيزيقية، ولكن تجاهل المادة التـــي من خلالها تتحقق المثل في العالم الحسي يهمل الجانب الطبيعي في فلسفة أفلاطـــون، ذلك الجانب المكمل للجانب الميتافيزيقي ومن ثم فعدم عد المادة "مبدأ وجوديا" يـــؤدي إلى إنكار العالم الحسي الذي تعد المادة قوامه الأساسي، وهذا يعني عدم تحقق المثـــال في العالم الطبيعي، ومن ثم لا يمكن الحديث إلا عن جانب واحد في فلسفة أفلاطـــون، وهذا مخالف لما افترضه الفيلسوف بضرورة وجـــود عـــالم مـــادي يعكـــس صـــور

الموجودات العقلية، ومن ثم لم يكن بالإمكان الحديث عن جواهر ثابتة مقابل الموجودات المتغيرة. إن نظرية المثل الأفلاطونية تقرر وجود ثلاثة موضوعات أساسية: وهي المثال والشبيه ومادة يتحقق فيها الشبيه في العالم المادي.

إن المادة عند أفلاطون لا تتطابق البتة مع الوجود الحقيقي – المثل – فالوجود الحقيقي وفقا لأفلاطون هو الأزلي، إنه الجواهر الثابتة، وبالمقابل فالأشياء التي تحيط بنا هي الشبيه المضطرب الذي يمثل نسخا مشوهة، وأشباها مبهمة غامضة، ولكن مهما كانت الصفات التي تحمل على الموجودات الحسية، فلا يمكن عد تلك الموجودات عدما محضا بالمقارنة مع المثل. إن الموجودات الحسية وفق أفلاطون تمتلك واقعية ما، من نمط أدنى بالمقارنة مع واقعية المثل المدركة عقليا. ولما كان من المتعذر أن تنحدر الأشياء من عالم المثل، لأنه لا يمكن للناقص المبهم الدائم التغير – الموجودات المادية – أن يخرج من الكامل التام الثابت – المثل – فلا بد إذا لتفسير الموجودات الحسية من اللجوء إلى مبدأ آخر هو المادة التي يدعوها أفلاطون بـ "الجنس الثالث"[٣٣] الغامض والعسير على الفهم.

لقد حاول أفلاطون بطرحه لمفهوم المادة، إيجاد الحلقة التي تربط العالم الحسي بالعالم العقلي، فالفكرة ليست هي ما يقابل الشيء الحسي فحسب، بل إن الفكرة يجب أن تولد هذا الشيء أيضا، أي يجب أن يلامسها الشيء ويتلبسها: فكريا "كوجود"، وحسيا "كنشوء وتكون". و"المادة" أو "الجنس الثالث"[٣٤] بلغة أفلاطون هي: الشرط الضروري لوجود العالم. "فالجنس الثالث" هو مبدأ جميع الموجودات الحسية، ويتحقق فيه الشبيه وتنعكس من خلاله المثل، فتتكون الأشياء التي تكتسب وجودا حسيا ذا صورة ولون ... بيد أن كل ما ينشأ من الموجودات فليس من الحاضنة، بل فيها، وهو ما يسميه أفلاطون بـ "الامتداد"[٣٥]، وعندئذ تتحدد المادة في المكان بعلاقتها وامتلاكها للأبعاد، وتصبح موجودا واقعيا مكتسبا للصور المدركة حسيا.

إن مقارنة الموجودات الحسية "بالمادة الأولى" تظهر أن الموجودات الحسية تتكون وتتغير وتفسد في المكان، على حين "الحاضنة أو "المادة الأولى" فهي أزلية الوجود في هذا العالم. فالحاضنة لا يمكن إدراكها عقليا كالفكرة، ولا حسيا كالأشياء، فلا يمكن أن يقال عنها أي شيء سوى أنها شيئية معدومة لا متعينة بذاتها: ((وهذا القابل بالذات الذي يحل فيه المحدث والحامل لصفة (المثال الدائم) لا يعد إعدادا جيداء، ولا يهيأ تهيئة حسنة ما لم يكن بلا شكل، وخاليا من هيئة كل تلك الصور المزمع أن يتقبلها من مصدر ما....، ولذا وجب أن يظل الجنس القابل في ذاته كل الأجناس، بمعزل عن كل الصور والهيئات))[٣٦]. فلو كانت المادة الأفلاطونية "شيئا ما" معينا بذاته، لكان في الإمكان تحديدها من خلال علاقاتها، ومن ثم كانت مخالفة لطبيعتها ووظيفتها في قبول الصور، وكانت أخيرا قد امتلكت الصورة الخاصة بها، وبنتيجة ذلك تسلب الدور الذي تؤديه في الطبيعة، وهو قبولها كل الصور والأشكال.

ووفقا لأفلاطون فالمادة بذاتها مسلوبة من كل صورة، ولكنها تمتلك إمكانية قبول أي صورة: صورة النار،والهواء، والعناصر الأخرى. إذا انطلاقا من المادة الأولى يفسر أفلاطون كيفية نشوء العناصر الأربعة التي تعد أجساما، وتعني المادة القريبة المتحققة في الواقع الموضوعي: ((عن الحاضنة نقول: مادام أنها تندى رطوبة، وتلتهب نارا وتتقبل صور التراب والهواء وتحمل كل التأثيرات الناجمة عن هذه الحالة فتبدو في غاية التنوع، ولما كانت ذات إمكانيات كثيرة وغير متجانسة ولا متوازية، فهي لا يمكن أن تستقر في أي من جوانبها. ولما كانت تتغير بشكل دائم، فتتقلب تلك الإمكانيات، والتي بدورها تغير تلك القوى التي تحركها، فما أصبح متحركا يتجزأ دائما، فتنشأ الجزيئات التي تحمل في اتجاهات مختلفة، كما يحصل في ذر الحبوب: التي لا يمكن أن تستقر في مكان واحد، فالكثيف والثقيل يستقر في مكان واحد، والرخو والخفيف، يتجمع ويجد مكانا آخر. والشيء نفسه يقال عن الأجناس (أي العناصر الأربعة س. ض) التي كانت تتقلب في الحاضنة، والتي تعد بحركتها

المضطربة كما وأنها بالغربال: فالمتباينة تبتعد كثيرا عن بعضها بعضا، أما تلك التي أكثر تشابها، تهز فيقترب بعضها من بعض: وهكذا فالأجناس الأربعة، تنفصل في المكان، وذلك قبل بدء الزمان ونشأة الكون))[٣٧]. ففي هذا النص يعرض أفلاطون حالة المادة قبل تشكل الكون، ويتحدث عن الإمكانيات المتناقضة التي تحتويها، "تندى رطوبة" و"تلتهب نارا" و"تقبل صور التراب والهواء". "فالإمكانيات التي تحتويها المادة "مضطربة وغير متجانسة" وهكذا فالمادة الأولى عند أفلاطون تعد ميدانا واسعا للمتناقضات التي تحدث بفعل الضرورة الطبيعية التي تسود العالم المادي، والتي عنها فيما بعد تنشأ العناصر الأربعة. إذا فليست العناصر مبادئ الأشياء، لأنها معينة من جهة،ولأنها من جهة أخرى يتحول بعضها إلى بعض،فيدلنا هذا التحول على أنه ثمة حاملا ما غير معين في ذاته، تتعاقب عليه العناصر، وهذا الحامل هو المادة الأولى المغايرة للعناصر التي تعد موجودات حاصلة على الصورة ((إنه واضح بعض الوضوح، ولكل عاقل، أن النار أولا والتراب والمادة والهواء هي أجسام))[٣٨].

فأهمية المادة في فلسفة أفلاطون تبدو من خلال الدور الإيجابي الذي تشغله تلك المادة باعتبارها مبدأ وجوديا يحقق الرباط بين عالم المثل وعالم الموضوعات المادية. فعد المادة الأفلاطونية مبدأ وجوديا أمر ضروري يستلزمه مذهب أفلاطون الفلسفي، وتتجلى تلك الضرورة في تحقيق العلاقة بين الموجودات العقلية والموجودات الحسية ومن هنا لا نتفق مع التفسير الذي يقدمه عبد الرحمن بدوي، للمادة الأفلاطونية بوصفها: ((مبدأ للتفسير أكثر من أن تكون مبدأ وجوديا حقيقيا))[٣٩]. فالتفسير الذي يقدمه بدوي، يلغي العالم الحسي الذي تعد المادة قوامه الأساسي، لحساب العالم العقلي، بيد أن تركيز رتر على تفسير المضمون الأنطولوجي لفلسفة أفلاطون، يلتقي مع بدوي، ويقطع الصلة بين العالم الحسي والعالم العقلي. فإذا كانت حجة رتر تقوم على أن المادة الأفلاطونية ((شيء مجرد صرف لا وجود له في الخارج، بل افترضها أفلاطون من الناحية المعرفية))[٤٠]، فإن هذا الافتراض لا يوضح المشكلة التي نحن

بصددها، بل العكس فهو يهمل الجانب المعرفي المتعلق بالأشياء الحسية الذي افترضه أفلاطون كأحد شروط المعرفة الحقيقية إذ أن رؤية الموجودات الحسية تحمل على تذكر الموجودات الحقيقية الأزلية. إن المعرفة الحقيقية ممكنة فقط بالنسبة لما يمكن إدراكه عقليا، أما بالنسبة للمعارف المعطاة من خلال الحواس يمكن أن تكون أكثر أو أقل صدقا. فالنوع الثاني للواقعية عند أفلاطون كشف عنه الفيلسوف اليوناني بقوله: ((هناك نوع ثان يسمى باسم الأول ويشبهه، وهو محسوس مولود وفي حركة دائمة وتحول، يحدث في محل ما، ثم يعود فيهلك وينقطع، وينالـه الظن بواسطة الحس))[٤١].

إن استمرارية وجود الأشياء الحسية الدائمة التغير،إنما تقوم على أساس مشاركة المثل الأزلية الثابتة. فأفلاطون عندما ميز بين عالم معقول أزلي كلـي، وعالم محسوس محدث،ومتحول وجزئي إنما حاول طرح طبيعة العلاقة بين الفكر والوجود. فإذا كان عالم الموجودات الحسية يمثل انعكاسا لعالم المثل، فإن ذلك قد أسهم في تطور نظرية المعرفة، وأكسب أشكال التفكير الفلسفي آفاقا واسعة وفي المقام الأول طرح قضية العلاقة بين الفكر والوجود التي استمدها أرسطو من أفلاطون وحلها بطريقة أكثر مادية في "الفيزيقا" فالفلسفة الطبيعية التي قدم فيها أرسطو حلولا أكثر واقعية، شغلت فيها نظرية المادة أهمية جوهرية. فأرسطو في فلسفته الطبيعية التي ركزت على مفاهيم المادة والصورة والفعل، استبعدت الثنائية الأفلاطونية، لكنه استعمل المثل الأفلاطونية بطابع حسي واقعي، بعملية الانتقال من الموجود بالقوة إلى الموجود بالفعل، هذا الانتقال الذي يؤدي إلى التحديد الفردي للموجودات عن طريق اكتساب الصورة. وهكذا فـ "المرضعة" و"الحاضنة لكل موجود" عند أفلاطون تتمثل في فلسفة أرسطو بما يعرف بنظرية "المادة الموجودة بالقوة" تلك النظرية التي تعد ركنا أساسيا في فلسفة أرسطو الميتافيزيقية.

أما رأي الدكتور ماجد فخري باعتبار المادة الأفلاطونية ((عدما محضا)) فهو بذلـــك يدخل إلى الفلسفة الأفلاطونية مقولة لا تعرفها الفلسفة اليونانية البتة، فالفلسفة اليونانيـة عبر تطورها التاريخي من طاليس إلى أرسطو أقرت وبصورة واضحة مقولة مفادها: "لاشيء يفني ولاشيء يخلق من العدم" فالسؤال إذا: كيف تنشأ وتتكـــون الموجـــودات الحسية من العدم عند أفلاطون وفق رأي الدكتور فخري؟. في محاورة "طيماوس" ثمة نص واضح كل الوضوح يتعارض والرأي الذي ذهب إليه د.فخري، ويؤكد أن ثمـــة مادة أولية تتمتع بواقعية ما، وتتعاقب عليها الصور والأشكال يقـــول أفلاطـــون: ((إن أذاب فنان ذهبا، وسكبه وأتاه كل الأشكال، وما انفك هكذا يسكبه ويمـــره بـــها كلـــها واحدا فواحدا، فإن دل أحد على شكل من تلك الأشكال، وسأل: ما هو يا ترى؟ فـــآمن بكثير وأقرب إلى الحقيقة أن يرد عليه الفنان قائلا: إنه ذهب. أما المثلث وكل الأشكال الأخرى التي حدثت وتولدت في الذهب، فلا بد من الامتناع دوما عن القول بشأنها: إن هذه كائنة بما أنها تتحول وتتهاوى في حين إبداعها))[٤٢]، فكيف لنـــا إذا أن نتحـــدث عن المادة الأفلاطونية "بوصفها عدما" وفق رأي د. فخري.

عالج أفلاطون مفهوم المادة الأولى بشكل عميق مكنه من الكشف عن الفهم الديالكتيكي لعملية التكون والنشوء، فتسلر عندما ((يرد المادة الأفلاطونية إلى الامتداد)). ويطـــابق بين المادة والامتداد في فلسفة أفلاطون، فاته أن يرى في الامتداد نوعا مـــن الصـــور والأشكال، فالامتداد يشير إلى التناهي والتشكل للجسم الطبيعي المحدد فـــي المكـــان، فتسلر إذا لا يتحدث عن المادة الأولى اللامتعينة، بل عن المادة التي اكتسبت صـــورة ما وأصبحت موجودا محددا مرئيا ومحسوسا.

وما دمنا نعتقد أن المادة الأفلاطونية تمثل "مبدأ وجوديا حقيقيـــا" يمكننـــا القـــول: إن أفلاطون قبل أرسطو قد خطا خطوة كبيرة في عملية التمييز بين الحســـي والعقلـــي، وقدم تفسيرا فلسفيا لمفهوم المادة، وفتح آفاقا واسعة في تاريخ الفلسفة لتبلـــور مفـــهوم المادة.

لم يكتف أفلاطون بالتفسير الفيزيائي في محاورة "طيماوس"، إذ عالج الفيلسوف اليوناني بنية المادة فيزيائيا، أو ما يعرف بالمذهب الذري الأفلاطوني.

صحيح أن أفلاطون قد تأثر بنظرية ديمقريطس الذرية، لكنه عمد إلى وضع نظرية فيزيائية خاصة في بنية المادة،عالجها بشكل يتلاءم مع آرائه الفلسفية، فنظرية أفلاطون الفيزيائية في بنية المادة مخالفة لأية نظرية فيزيائية في تلك الحقبة الزمنية من تاريخ الفلسفة اليونانية.

إن افتراض أفلاطون بأن ذرات العناصر الأربعة مختلفة البنية كان مساويا لاعترافه بأن العناصر الأربعة لا تعد المبادئ الأولية للأشياء، بل فقط يمكن النظر إليها كجواهر بسيطة، لذلك لا يمكن أن نعدها ذرات بسيطة للأشياء، وهذا ما أكده أفلاطون بقوله: ((ونحن ندعوها (أي العناصر س. ض) بالمبادئ ونقبلها كعناصر للكون ... فلا يجوز حتى لقاصر العقل أن يتصورها ويتمثلها على أنها مقاطع الكلمة))[٤٣]. وهكذا فالعناصر بذاتها ليست أولية بل تأتي في الدرجة الثانية من حيث البنية التركيبية للموجودات بعد المادة الأولى التي تشكل البنية الأساسية والوحدة الأولية للعناصر والموجودات.

لقد سمى أفلاطون "المادة الأولى" في محاورة "طيماوس" بـ "المرضعة والحاضنة لكل موجود"، ووصفها بأنها ((تندى رطوبة، وتلتهب نارا، وتقبل صور التراب والهواء، ..... وتبدو في غاية التنوع))[٤٤]، فهو بذلك يميز بين المادة الأولى والعناصر الأربعة، ومن هذا التميز تظهر أهمية نظرية أفلاطون في المادة فالمادة الأولى اللامتعينة تعكس المعطى الطبيعي وتجسده وفق رأي فرانسوا شاتليه: ((فعندما يفسر أفلاطون بوضوح كيف أن الفوضى انتظمت في عناصر أربعة، يذهب إلى أبعد ما يراه الفيزيائيون والآخذون بمنظومة أفلاطون باعتبارها مثالية مطلقة لا تحتوي على أي جانب حسي مادي، فأفلاطون عندما يرجع انتظام الفوضى في أربعة

عناصر فإنه يستنتج الطبيعة من المحسوسات)). فهو يعمل على دراسة الجسيمات المادية الأولية التي تتألف منها الجزيئات التي تتكون منها العناصر. فالعناصر إذا ليست مبادئ أولية للموجودات.

إن العناصر الأربعة موجودات مركبة، فصورة العنصر صفة مرتبطة بالمكان (المحل) وهذا يعني تميز صفة أو خاصة مرتبطة بالجسم، مثل العمق ((... إنه واضح، ولكل عاقل أن النار والتراب والماء والهواء هي أجسام، وأن كل نوع من الأجسام له سمك وعمق))(٤٥)، فالعمق خاصة داخلية للمكان بعكس الصورة التي تتوافق مع المكان خارجيا.

وينسحب التميز بين العناصر في فلسفة أفلاطون الطبيعية على التميز بين الجزيئات التي تتكون منها العناصر المختلفة، لا بل إن الجزيئات تبدو كمركبات معقدة، تتألف من جسيمات أولية بسيطة يمكن أن تتفاعل وتتداخل مع بعضها. ولذلك لا يمكن تسميتها بـ "الذرات"، فالجزيئات عند أفلاطون تمتلك صورا وأحجاما مختلفة، فهذه "الكيفيات الأولية" تحدد الصفات أو الخصائص الحسية للعناصر الأربعة في مرحلة لاحقة في عملية التكون، لقد ذهب أفلاطون في تفسير بنية المادة إلى درجة عميقة، فعندما افترض أن كل عنصر من العناصر يتركب من جسيمات أولية بسيطة تحدد الخصائص الفيزيائية للعنصر، فإنه قد لاحظ أن الاختلاف بين هذه الجسيمات البسيطة يستوجب تغيرا وتحولا في البنية الداخلية للجسيمات البسيطة أيضا.

لقد نسب أفلاطون لذرات العناصر الأربعة صور الأشكال الهندسية الأربعة الكثيرة السطوح: فالنوع الأول من المجسمات هو الهرم ذو الأوجه الثلاثة،والنوع الثاني من الجسيمات هو الشكل ذو الثمانية أوجه،والنوع الثالث من المجسمات هو ذو العشرين وجها،والنوع الرابع من المجسمات هو المكعب(٤٦) مقارنا هذه الأشكال الهندسية مع النار، والهواء، والماء والتراب. لقد عمد أفلاطون من خلال هذا التشبيه إلى إعطاء

الذرات صورا كاملة، تلك الصور التي يمكن أن تكون صورا حقيقية للأجسام الفيزيائية المعطاة بالتجربة الحسية. أما النوع الخامس من الأشكال الهندسية التي تكلم عنها أفلاطون في "طيماوس" فهو الشكل الدائري كثير الزوايا، فهذا الشكل ليس له علاقة بالعالم الطبيعي، بل قصره على العالم السماوي قائلا: ((وبقي تركيب واحد خامس، استعمله الله عندما رسم العالم وزينه))(٤٧).

وبعد الحديث عن الأشكال الهندسية الأربعة التي نسبها أفلاطون لذرات العناصر لا بد من طرح السؤال التالي: هل يمكن أن نعد الأشكال الهندسية التي حملها أفلاطون على ذرات العناصر الأربعة نماذج رياضية عقلية؟ أم أنها أشكال هندسية واقعية ؟.

ثمة إجابات متباينة حول هذه القضية: فيرى هيز نبرك: ((أن تشبيه أفلاطون لذرات العناصر بأشكال كثيرة الزوايا، والتي بدورها تنتهي إلى نوعين من المثلثات؛ إنما يقضي إلى أن التصورات الأفلوطونية عن المادة تنتهي إلى نماذج رياضية))(٤٨)، أما دور فمان يا.ك فيذهب إلى رأي مخالف إذ يرى: ((أن مثلثات أفلاطون يمكن عدها مادية متحققة في الواقع الحسي. فهذه المثلثات خلافا للمثلثات الرياضية، يجب أن تمتلك سماكة ما، لم ير أفلاطون ضرورة للحديث عنها، لأن ثمة سماكة وعمقا ما للذرات))(٤٩).

نحن بدورنا نرجح الرأي الثاني، ونرى أن المثلثات الأفلوطونية تعد صورا بسيطة لموجودات العالم الحسي، تلك الموجودات الخاضعة لقوانين الضرورة. فالمثلثات والأشكال الهندسية، لم تكن بالنسبة لأفلاطون صورا بسيطة تتطابق مع مفهوم "الصورة الجسمية" التي يتحدث عنها ابن سينا في الفلسفة الطبيعية(٥٠).

صحيح أن الموضوعات الرياضية والأشكال الهندسية، هي موجودات عقلية، ولكنها مستمدة من الموجودات الحسية. وهكذا يربط أفلاطون بين الأشكال الهندسية والخصائص الحسية للعناصر. فالصفات الحسية تنشأ بفعل الاقتران مع الصور

والأشكال الهندسية، إذا فالمجسمات الهندسية تشكل جوهرا ماديـــا حســيا. إن فعــل الضرورة المرتبط بالمادة، يحقق من الـــ χῶρα للامتعينة أشكالا هندسية خارجيــة محسوسة، هي الموجودات الحسية.

تكشف لنا محاورة "طيماوس" بشكل خاص والمحاورات الأخرى بشــكل عــام عــن محاولة أفلاطون في صياغة مفهوم المادة، هذا المفهوم الذي كان جديدا وغير واضــح بالنسبة للإغريق، لذلك ليس من قبيل المصادفة أن يصف أفلاطون المادة بـــ "الجنــس الثالث"، ويعدها "موجودا ما غامضا مبهما وعسيرا على الفهم". ومهما يكن من أمــــر فإن أفلاطون في طيماوس "توصل إلى فرضيات عميقة في مستوى الفلسفة الطبيعية ــ بصرف النظر عن التصورات الأسطورية التي تضمنتها محاورة طيماوس ــ لذلـــك فالأهمية الخاصة لهذه النظرية، تبدو من خلال التأثير في أرســـطو وحملــه علــى صياغة المقولات الفلسفية وتحديدها على نحو منطقي تحديدا دقيقا.

فإذا كان أفلاطون قد بشر بولادة مفهوم المادة، فهل اقتربنا من فهم الآراء الأفلوطونية بخصوص هذا المفهوم؟.

الهوامش

١. أرسطو في النفس، موسكو، ١٩٧٦، ص ٣٩١ / فقرة A19 ــ ١٠٢٩/.

٢. اكسانوفانس الأثيني. المؤلفات السقراطية. موسكو، ١٩٣٥، ص ٢٣.

٣. أرسطو. الميتافيزيقيا. موسكو، ١٩٧٦، ص ٧٩ / فقرة A5 ــ ٩٨٧/.

٤. أفلاطون. طيماوس. موسكو، ١٩٧١، ص٤٦٨ / فقرة C ــ ٢٧/.

٥. لمزيد من الاطلاع حول هذه القضية: انظر فسيليفا. ت. ف. فلسفة المدرسة الأثينية. موسكو، ١٩٧٥، ص ٥٣ ــ ٧١.

٦. أفلاطون. القوانين. ترجمة محمد حسن ظاظا. مطابع الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٩٨٦ ، ص ٤٥٥.

٧. انظر: أفلاطون. طيماوس. ص ٤٧٨ / فقرة D, e ــ ٣٨/.

٨. المصدر السابق، ص ٤٩٥ / فقرة b ــ ٥٣/.

٩. المصدر السابق، ص ٤٨٨ / فقرة e ــ ٤٧/.

١٠. المصدر السابق، ص ٤٩٥ / فقرة b ــ ٥٣/.

١١. ديوجين اللائرسي. حياة ونظريات وأقوال الفلاسفة العظماء. موسكو، ط ٢، ١٩٨٦، ص ١٥٣.

١٢. فيلسوف ومؤرخ يوناني. عرف كممثل لعلم البيان والخطابة، كتب عدة رسائل نقدية حول المعنى والأسلوب في النصوص الفلسفية اليونانية. سافر إلى روما في ٣٠ ق.م.

١٣. ديوجين اللائرسي. حياة ونظريات وأقوال الفلاسفة العظماء. ص ٤١٥.

١٤. إن مصطلح χαός الذي استخدمه أفلاطون ومن قبله هزيود في كتابه "أنساب الإله" ترجمة يوسف كرم بمصطلح "الهاوية أو الخلاء الذي ستحل فيه الموجودات"، انظر: يوسف كرم. تاريخ الفلسفة اليونانية. طبعة جديدة دون تاريخ، ص ٥. نحن نقترح ترجمته بـ "المادة الأولى اللا متعينة".

١٥. أفلاطون. طيماوس. ص ٤٩٣ / فقرة b ــ ٥٢/.

١٦. سر كييف ك. آ. سلينين يا. آ. الطبيعة والعقل والباراديكما اليونانية. لينينغراد، ١٩٩١، ص ٣٢.

١٧. أفلاطون. طيماوس. ص ٤٩٣ / فقرة b ــ ٥٢/.

١٨. أفلاطون. طيماوس. ص ٤٩٢ / فقرة A, b ــ ٥١/.

١٩. المصدر السابق. ص ٤٨٨ / فقرة A ــ ٤٨/.

٢٠. انظر: المصدر السابق. ص ٤٩١ / فقرة A ــ ٥٠/.

٢١. أفلاطون. طيماوس. ص ٤٨٩ / فقرة C ــ ٤٨/.

٢٢. أفلاطون. طيماوس. ص ٤٨٩ ــ ٤٩٠ / فقرة A ــ ٤٩/.

٢٣. أعتقد ليس صحيحا إن نحمل معنى المادة الأفلاطونية على مفهوم المادة (ἡ ὕλη – hyle) بالمعنى أرسطي، فخليل الجر ربما فاته هذا التمييز عندما كتب: ((وهذا المبدأ غير المنظور وغير الملموس والذي لا شكل له هو ما يسميه أفلاطون بالمادة أو الهيولي (ἡ ὕλη) وهو متوسط بين الكائن والعدم))، خليل الجر وحنا الفاخوري. تاريخ الفلسفة العربية بيروت، ١٩٨٢، جـ ١، ص ٧٥.

٢٤. أفلاطون. طيماوس. ص ٤٩١ / فقرة C ــ ٥٠/.

٢٥. أرسطو. الميتافيزيقيا. موسكو، ١٩٧٩، ص ١٩٠ / فقرة A,19 ــ ١٠٢٩/.

٢٦. أفلاطون. طيماوس. ص ٤٩٢ / فقرة A ــ ٥١/.

٢٧. المصدر السابق.

٢٨. أرسطو. الطبيعة. موسكو، ١٩٨١، ص ١٠٩ / فقرة A,5 ــ ٢٠٣/.

٢٩. الاقتباس مأخوذ عن:عبد الرحمن بدوي، دار القلم: بيروت، ١٩٧٩، ص ١٧٠.

٣٠. عبد الرحمن بدوي. أفلاطون، ص ١٨١.

٣١. ماجد فخري. أرسطو المعلم الأول. الأهلية للنشر والتوزيع: بيروت، ١٩٧٧، ط ٢، ص ٨٩، ويأخذ بوجهة النظر هذه مؤرخ الفلسفة اليونانية، البرفيسر الروسي الشهير تشانشف آ. ن. إذ كتب أن ((المادة الأفلاطونية تقترب من العدم)). تشانشف آ. ن. محاضرات'في تاريخ الفلسفة اليونانية. موسكو، ١٩٨١، ص ٢٥٣.

٣٢. الاقتباس مأخوذ عن: مقدمة البير ريغو لمحاورة طيماوس. نقلها إلى العربية فؤاد جرجي بربارة. دمشق، ١٩٦٨، ص ١١٢.

٣٣. يفرق أفلاطون بين ثلاثة أجناس:

(١) ــ "الجنس الأول" النموذج المثالي الأول (παραδειγμα τός εἶδος) الموجود خارج الزمان والمكان.

(٢) ــ "الجنس الثاني" المحاكي أو الشبيه للنموذج الأول، وهو الموجود الحسي.

(٣) ـ "الجنس الثالث" هو المادة التي يتحقق بها الشبيه لكي يصبح مرئيا ومسموعا ومحسوسا انظر: أفلاطون. طيماوس / فقرةA,b,c ـ ٥٢/.

٣٤. هنا يجب أن نشير أن أفلاطون لا يميز بين النوع (τὸ εἶδος) والجنس (γένος) ويستعمل لفظتي "أيدس وكينس" كلفظتين مترادفتين، وفي جملة واحدة أحيانا. ففي حديثه عن الشيء، نراه يعمد على السواء إلى كلمة "نوع" أو لفظة "جنس". ويظهر هذا واضحا عندما يتحدث أفلاطون في محاورة "طيماوس" عن الأجناس أو الأنواع الثلاثة التي فصلناها في الهامش رقم "٣٣"، وانظر: أيضا/ فقرة 50-A , 94-A/.

٣٥. انظر أفلاطون. طيماوس. / فقرة 49-A , 48-A/.

٣٦. المصدر السابق. ص ٤٩١ / فقرة C, d ـ ٥٠/.

٣٧. انظر أفلاطون. طيماوس. ص ٤٩٤ ـ ٤٩٥ / فقرة 53-b , 52-e/.

٣٨. المصدر السابق. ص ٤٩٥ / فقرة 53-C/.

٣٩. عبد الرحمن بدوي. أفلاطون. ص ١٨١.

٤٠. الاقتباس مأخوذ عن: عبد الرحمن بدوي. أفلاطون. ص ١٧٠.

٤١. أفلاطون. طيماوس. ص ٤٩٣ / فقرة 52-A/.

٤٢. المصدر السابق. ص ٤٩١ / فقرة 50-A, b/.

٤٣. المصدر السابق. ص ٤٨٩ / فقرة C, b -48/. يعد أنباذ قليدس أول فيلسوف يوناني طرح نظرية العناصر الأربعة (الماء والهواء والتراب والنار)، أو كما سماها بـ "جذور" الأشياء. لقد نظر أنباذ قليدس إلى العناصر الأربعة

يوصفها الجواهر الأولى للأشياء. أما في عصر أفلاطون فأصبحت "جذور" أنبادقليدس تشير إلى مصطلح (στοιχεία–Stoicheia) أي "العناصر" أو "الحروف" فمعنى هذه التسمية تنحصر في أن جميع الأشياء تتألف من العناصر في المرحلة الثانية لتركيب الأجسام. فأفلاطون هنا يرفض أن تكون العناصر هي مبادئ أولية للموجودات، كالكلمة التي ليست مبادؤها الأولية هي المقاطع، بل الحروف هي المبادئ الأساسية للمقاطع، وهكذا فالحروف والمقاطع سابقة على تشكل الكلمة وربما قصد أفلاطون بهذا التشبيه أن ثمة مادة أولى لا متعينة أولاً، ومن ثم عنها تتشكل العناصر الأربعة ثانيا.

٤٤. أفلاطون. طيماوس. ص ٤٩٣ / فقرة D ــ ٥٢/.

٤٥. أفلاطون. طيماوس. ص ٤٩٥ / فقرة C ــ ٥٣/.

٤٦. أفلاطون. طيماوس. ص ٤٩٥ ــ ٤٩٧ / فقرة 55-C ــ ٥٤/.

٤٧. المصدر السابق. ص ٤٩٧ / فقرة C ــ ٥٥/.

٤٨. هيز نبرك ب. الفيزياء والفلسفة. ترجمة أندريف آ. ب. موسكو، ١٩٦٣، ص ١٦١.

٤٩. دورفمان يا. ك. تاريخ الفيزياء من العصور الكلاسيكية وحتى نهاية القرن العشرين، موسكو، ١٩٧٤، ص ١٤٠.

50. راجع ابن سينا. كتاب النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعية والإلهية، ص ١٣٦، وراجع أيضا: ابن سينا. الإشارات والتنبيهات مع شرح نصر الدين الطوسي، تحقيق سليمان دنيا. القاهرة، ١٩٨٤، ط ٢، ص ١٩١ ــ ١٩٥.

* تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق ١٩٩٤/٧/١٩

العلاقة التربوية بين الطفل والتلفزيون في محافظة درعا

د. علي وطفة
كلية التربية ـ جامعة دمشق

ملخص

أجريت الدراسة في محافظة درعا (جنوب سورية) في صيف ١٩٩٠ حول عينة من أطفال المرحلة الابتدائية، بلغت ٥٢٥ تلميذاً من تلامذة الصف الخامس الابتدائي الذين تراوحت أعمارهم بين العاشرة والثانية عشرة من العمر. وقد بلغت نسبة الإناث في العينة ٤١,١٤٪ مقابل ٥٨,٧٤٪.

هدفت الدراسة إلى تقصي العلاقة القائمة بين التلفزيون والأطفال عبر أربعة محاور أساسية وهي:

١ـ مدة المشاهدة.

٢ـ البرامج المفضلة.

٣ـ وعي الآباء بالجوانب التربوية للتلفزيون.

٤ـ المقارنة بين الدور التربوي للمدرسة، والتلفزيون وذلك عبر مواقف التلاميذ من كليهما.

وخرجت الدراسة بنتائج هامة نذكر منها:

١ ـ يعطي الأطفال ـ أفراد العينة ـ للمدرسة أهمية خاصة، إذ تحتل المدرسة أولوية تفضيلهم بالقياس إلى التلفزيون.

٢ـ هناك شريحة واسعة من الأسر التي لا تمارس أياً من عمليات ترشيد الاستهلاك الإعلامي التلفزيوني، وتترك لأطفالها الحبل على الغارب في مشاهدة الأفلام غير المخصصة لهم، بالإضافة إلى ذلك فإن أفراد هذه الأسر لا يوجهون أطفالهم إلى مشاهدة أي من البرامج التعليمية أو العلمية.

٣ـ تشير الدراسة في مستوى العلاقة الزمنية بين الأطفال والتلفزيون إلى أهمية الفترة الزمنية التي يقضيها الأطفال أمام الشاشة الصغيرة. وتبين النتائج أن الأطفال يقضون عشر ساعات ونصف وسطيا في الأسبوع في مشاهدة التلفزيون في أثناء العام الدراسي، ولكن هذه الفترة الزمنية تتضاعف في أثناء العطلة المدرسية إذ يقضي الأطفال ٢١ ساعة وسطيا في مشاهدته.

٤ـ لا فروق ذات دلالة إحصائية في مدة مشاهدة التلفزيون وفقا لمتغير الجنس.

٥ـ تحتل الأفلام المتحركة المستوردة، والتي تتسم بطابع العنف أولوية اهتمام الأطفال. ويلاحظ ندرة البرامج التعليمية والعلمية التي وردت في إجابات الأطفال.

وانتهت الدراسة إلى تشكيل مجموعة من التوصيات الهامة التي تؤكد في مجموعها أهمية حماية الطفولة من الآثار الضارة لمشاهدة برامج الكبار، ومن مخاطر المشاهدة الزمنية الطويلة للتلفزيون، وإلى ضرورة ترشيد الاستهلاك التلفزيوني عبر تطوير مستوى وعي الآباء التربوي الخاص بإدراك الجوانب السلبية والإيجابية للفعل الإعلامي التلفزيوني.

١ــ مقدمة:

تطرح العلاقة التربوية بين الأطفال والتلفزيون إشكالية تربوية بالغة الأهمية والتعقيد. وشكلت هذه العلاقة محوراً أساسياً من محاور البحث العلمي على المستوى التربوي خلال العقود الأخيرة من العصر الذي نعيش فيه. فالتلفزيون ينافس اليوم كلاً من المدرسة والأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية. وأدى ذلك إلى إثارة اهتمام المفكرين ومخاوفهم من الآثار السلبية المحتملة التي يمكن أن يتركها التلفزيون في حياة الأطفال النفسية والاجتماعية. وتجلى هذا الاهتمام في نمو سريع كماً وكيفاً في البحوث التي تتناول جوانب العلاقة بين الطفولة والتلفزيون، وخاصة هذه التي تتناول أطراف العلاقة القائمة بين الأسرة والمدرسة والتلفزيون في تنشئة الأطفال، وتلك التي تتناول الآثار السلبية والإيجابية التي يتركها التلفزيون في عقول الناشئة، وصحتهم النفسية والروحية.

يكاد يجمع الباحثون اليوم على أهمية الدور التربوي الذي يؤديه التلفزيون في حياة الأطفال. وهم يجمعون أيضاً ــ دون ريب ــ على جملة من الآثار السلبية التي يتركها التلفزيون في حياة الأطفال النفسية والتربوية. إذ تشير الدراسات الجارية إلى أن الجوانب السلبية للعلاقة بين الأطفال والتلفزيون تعود إلى أمرين أساسيين : يتمثل الأول في طبيعة البرامج التلفزيونية التي توجه إلى الأطفال ومقدار انسجام هذه البرامج مع طبيعة نموهم النفسي والمعرفي، ونمط القيم التربوية التي تشتمل عليها، على حين يمثل الجانب الثاني طبيعة العلاقة القائمة بين الأطفال والبرامج التلفزيونية المعروضة على الشاشة الصغيرة، وخاصة الفترة الزمنية الطويلة التي يقضيها الأطفال أمام الشاشة الصغيرة، والتي تشكل خطراً كبيراً على نموهم النفسي والاجتماعي. ومن هذه البوابة يلاحظ الدارسون أن الفترة الزمنية الطويلة، التي يقضيها الأطفال في مشاهدة التلفزيون، غالباً ما تكون على حساب جملة من الأنشطة والفعاليات التربوية والاجتماعية الضرورية لنمو الأطفال نفسياً واجتماعياً.

وفي إطار ذلك كله أصبحت العلاقة بين الطفل والتلفزيون أحد الموضوعات التربوية الإعلامية التي تطرح نفسها على الباحثين والدارسين في أقطار العالم وبلدانه. ولقد أصبح التحديد العلمي العياني للعلاقة بين الطفل والتلفزيون مهمة عملية، وضرورة تربوية، يجمع عليها أكثر الباحثين والمفكرين المعاصرين في هذا الميدان.

ومن أجل بناء صورة متكاملة لطبيعة العلاقة بين الطفل والتلفزيون، وإضاءة الجانب الميداني لهذه الدراسة يمكن استعراض الجوانب النظرية التالية لهذه المسألة.

(٢) ثانياً: الإطار النظري للدراسة:

١/٢ ــ أهمية الدور التربوي للتلفزيون:

ينظر الخبراء اليوم إلى التلفزيون بوصفه الوسيلة الإعلامية الفعالة القادرة على صياغة الرأي العام وهندسة السلوك الإنساني. ويعتقد بعضهم أن التلفزيون استطاع أن يحدث ثورة في أمزجة البشر، وفي عادات الشعوب وثقافاتها. ومن أجل التعبير عن أهمية التلفزيون في حياة الأطفال التربوية، بدأ المفكرون يستخدمون مفاهيم ومقولات أدبية بالغة الدلالة لوصف ذلك التأثير الذي يمارسه التلفزيون في حياة الأطفال. لقد أطلق الباحثون الأمريكيون على التلفزيون لقب "الأب الروحي للطفل" (إبراهيم محمد عوض : ١٩٨٧ ، ٢٩). وأطلقوا على أطفال اليوم لقب "أطفال التلفزيون" أو "جيل التلفزيون" وهم يعنون بذلك "أن الأطفال يتلقون تربيتهم على أيدي ثالوث تربوي يتمثل في الأب والأم والتلفزيون" (دكاك : ١٩٨٩ ، ١١٧).

يقول هيملويت "إن التلفزيون يمارس تأثيره حينما يعرض الصور والآراء مراراً وتكراراً، وكلما تكرر عرض القيم نفسها والآراء نفسها كان تأثيرها أشد فعالية (٦،٢٢). ومن هنا بالذات "يكون للتلفزيون سلطان عظيم في بلورة نظرة الأطفال للحياة وتشكيل أذواقهم (٨،٢٢). وفي دوامة هذه العلاقة لابد من الإشارة إلى عنصر هام يزيد من أهمية تأثير التلفزيون على النشء الصغير، وهو أن الطفل الصغير لا

يحتاج إلى معرفة القراءة. يقول جان كرم "إن التلفزيون مدرسة أخرى للطفل، بل هو المدرسة الأغنى والأكثر حيوية وتسلية وترفيهاً .... وهو فوق ذلك كله المدرسة التي لا تقفل أبوابها، ولا تغيب ألعابها" (جان جبران كرم : ١٩٨٨ ، ٣٥). فالتلفزيون يشكل أحد أهم مصادر المعلومات عند الأطفال ومن ثم فإن اتجاهات الأطفال وأفكارهم تتشكل بتأثيره والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: أين دور الأسرة والمدرسة، وما موقف كل منهما من هذه الأداة الإعلامية ذات القدرة الكلية على صياغة السلوك عند الإنسان؟

ويبدأ الطفل اكتسابه المعرفي من خلال اتصاله البكر مع الشاشة. وهذا ما يذهب إليه إيرون ERON (١٩٦٣) إذ يقول: "إن الطفل يقلد تقليداً طبيعياً كل ما يراه على شاشة التلفزيون" (محمود منسي ١٩٨٨ ، ١٠٠). وإذا الطفل يتعلم ارتباطياً عن طريقة المثير والاستجابة، كما يبين بافلوف وسكنر، أو يستبطن ما يراه وما يسمعه على طريقة فرويد وديدنه، أو أنه يكره على عملية تمثل ثقافي قسرية اجتماعية كما يرى دوركهايم، فإن الجميع يتفقون على أن الطفل يكتسب جل خبراته وأهمها في مرحلة الطفولة المبكرة، التي تقع دون سن الخامسة من العمر، وهي المرحلة التي يكون فيها الطفل عاشقا للتلفزيون ومولعا ببرامجه.

٢/٢ ـ الفترة الزمنية التي يقضيها الأطفال في مشاهدة التلفزيون:

يقضي الأطفال ساعات طويلة جدا أمام الشاشة قبل دخولهم إلى المدرسة الابتدائية؛ إذ تبين دراسة أجريت في استراليا "أن الطفل الأسترالي يقضي ٢٠٠٠ ساعة في مشاهدة التلفزيون قبل بلوغه الخامسة من العمر، أي ما يعادل سنتين دراسيتين" (مصطفى المعموري ١٩٨٥ ، ١٧١). وتبين دراسة أمريكية أخرى "أن الطفل الذي يتراوح عمره بين خمس وست سنوات يقضي أربع ساعات يوميا أمام التلفزيون (مصطفى أحمد تركي : ١٩٨٤ ، ١٠٥).

تذكر سيسيليا فيلتيزن في دراسة لها حول التلفزيون والتنشئة الاجتماعية في السويد أن الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين العاشرة والثانية عشـرة هـم أعظـم مسـتهلكي التلفزيون إذ يمضي الأطفال أبناء هذه الشريحة العمرية حوالي أربع عشرة ساعة فـي الأسبوع أمام شاشة التلفزيون (أديب خضور : ١٩٩٠).

تفيد الإحصائيات البريطانية أن نصف الأطفال من سن العاشرة وما فـوق يشـاهدون البرامج الموجهة إلى الكبار في النصف الأول من السهرة، أي حتى الساعة التاسـعة مساء. وإن الأطفال من هذه الفئة العمرية يشـكلون ٢٥٪ مـن جمـهور مشـاهدي التلفزيون في فترة السهرة. (أديب خضور : ١٩٩٠ ، ٦٦).

وتشير الإحصائيات الأمريكية إلى أن التلاميذ في الصفوف الأولـى مـن المدرسـة الابتدائية يقضون ٤٠٪ من وقت مشاهدتهم للبرامج التلفزيونية في مشـاهدة الـبرامج الموجهة للكبار، في حين ترتفع هذه النسبة في أوساط طلاب الصـف السـادس فـي المرحلة الابتدائية إلى ٧٩٪ (أديب خضور : ١٩٩٠ ، ٦٧). وفي بريطانيـا بينـت إحدى الدراسات أن ٧٥٪ من الأطفال يفضلون برامج الكبار، وخاصة البرامج التـي تتعلق بالجريمة. (أديب خضور : ١٩٩٠ ، ٦٧).

٣/٢ ـ مواقف الآباء من الدور التربوي للتلفزيون:

تبين إحدى الدراسات الأمريكية "أن الأمهات ينظرن إلى التلفزيون بوصفه أداة تربوية تعليمية هامة، وأنه يزيد من قدرات أطفالهن اللغوية، ويغني مفرداتهم، ويعلم صغـار الأطفال الكثير عن الحياة ويعدهم للذهاب إلى المدرسة" (عبـد الرحمـن عيسـوي : ١٩٧٩ ، ١١٤).

وعلى المستوى العربي بينت إحدى الدراسات التي أجريت فـي الكويـت، أن هنـاك ١٢,٩٪ من عينة الدراسة آباء وأمهات الأطفال الذين يشاهدون التلفزيـون بانتظـام

يرغبون في أن يشاهد أطفالهم بعض البرامج التلفزيونية لأنها تكسب الطفل العادات والقيم المرغوب بها (مصطفى أحمد تركي: ١٩٨٤).

وفي هذا السياق يرى هيملويت، بالاستناد إلى بحوثه التجريبية، أن الآباء ينظرون إلى التلفزيون في صورته المفضلة (هيملويت .ت هيد: ١٩٦٧ ، ٢٠٦)، ويذهب بعضهم إلى الاعتقاد بأن التلفزيون يشكل رابطة أسرية هامة، وأنه لا يشكل خطرا يهدد حياة الأسرة (هيملويت ١٩٦٧، ٢٠٨). وترى الأمهات أن التلفزيون يشكل عامل تنظيم داخل الأسرة، فهو يجعل الأطفال هادئين، لا بل إن بعضهن يسكتن أطفالهن بوضعهم أمام شاشة التلفزيون" (٢٢، ٢٠٩). لقد شكل التلفزيون أحد أساليب الضبط والتوجيه التربويين داخل الأسرة. وفي دراسة هيملويت حول عينتين من الأطفال: كبار السن، وصغار السن، تبين أن ١٨٪ من الأطفال كبار السن و ٣٢٪ من الأطفال صغار السن يعاقبون بحرمانهم من مشاهدة التلفزيون، وذكر نصف أطفال المجموعتين أن آباءهم يسمحون لهم بمشاهدة التلفزيون حتى وقت متأخر من الليل على سبيل المكافأة لهم لقيامهم بسلوك جيد. وفي خصوص موقف الأهل من التلفزيون يقول الدكتور مصطفى أحمد تركي: "إن معظم الأسر قد تنازلت عن بعض أدوارها في التنشئة الاجتماعية للتلفزيون".

ولكن بعض الناس ينظرون إلى التلفزيون بوصفه أداة استلاب وقهر ثقافي تربوي. وهم يركزون على مخاطر البرامج التلفزيونية وعلى آثارها السلبية في عقول الأطفال. وفي هذا الخصوص تبين إحدى الدراسات "أن هناك عددا كبيرا من الأمريكيين الذين لا يملكون أجهزة تلفزيون، وليس السبب في ذلك عدم توفر المال بل لأنهم يعدون أن التلفزيون الأمريكي وسيلة تضليل تشوه النفس الإنسانية" (٦٩، ١١٩٨١: Rosnay.J).

وتبين الملاحظات العلمية، في هذا السياق أن الموقف السلبي للأسرة من دور التلفزيون التربوي يتباين بتباين المستوى الاجتماعي لأسر الأطفال، وذلك يعني أنه: كلما ازداد وعي الأسرة التربوي والثقافي استطاعت أن تأخذ موقفا سلبيا من التلفزيون

على وجه العموم، ومن بعض البرامج (كالعنف، والجريمة والجنس) على وجه الخصوص والتحديد. الجوانب السلبية والجوانب الإيجابية.

٤/٢ ـ المدرسة والتلفزيون:

يتأثر الطفل بحكم اتصاله الدائم مع الشاشة الصغيرة بمنظومة من المفاهيم والتصورات والعادات والقيم المتضمنة في البرامج التلفزيونية، وذلك بشكل عفوي لا إرادي: وفي إطار العلاقة بين الطفل والتلفزيون يلاحظ أن الطفل يمثل القطب السالب في عملية الاتصال، إذ يقتصر دوره على عملية تلقي المعلومات والمعارف المعروضة واستقبالها، وذلك يعني غياب التغذية الراجعة في عملية الاتصال التلفزيوني.

يقدم التلفزيون تنوعا كبيرا في برامجه، والتي تتباين بدرجات مختلفة في مضامينها وقيمها واتجاهاتها. ويتباين الأطفال في مستوياتهم العمرية، فلكل فئة عمرية منهم حاجاتها ومتطلباتها واهتماماتها وقدراتها الخاصة، وهذا يعني أن التلفزيون يتوجه دفعة واحدة إلى فئات عمرية مختلفة من الأطفال دون تمييز. إن الأطفال قبل السادسة من العمر لا يستطيعون إدراك التسلسل المنطقي في فيلم، أو إدراك الحبكة الدراميكية للقصة التلفزيونية، إذ يبدو كل مقطع أو مشهد من الفيلم، بالنسبة لهذه الشريحة العمرية أنه حدث مستقل عن منظومة المشاهد الأخرى. ومن ثم فإن الطفل في هذا العمر يفهم الأحداث بناء على خبرته الخاصة، وليس بناء على منطلق الفيلم. ويضاف إلى ذلك أن النص التلفزيوني يميل ـ في أغلب حالاته ـ إلى مخاطبة مخزن العواطف والميول عند الطفل فهو يتوجه إلى خيالهم بدرجة أكبر من توجهه إلى عقولهم وقدرة التفكير لديهم.

وعلى خلاف ذلك كله غالبا ما تقوم بعملية توزيع الأطفال إلى صفوف ومراحل عمرية محددة، أي: إنها تقوم بعمل منهجي في تلقين كل فئة عمرية ما يناسبها وما

يناسب قدراتها العقلية، ومستوى نموها النفسي العقلي، وتساير التتابع المنطقي في تقديم المعارف والمعلومات إلى الأطفال.

عندما تجرى المقارنة بين المعرفة التلفزيونية والمعرفة المدرسية يمكن استعراض النقاط التالية:

١ ـ تقدم المدرسة، وعلى خلاف التلفزيون، معارف منظمة متكاملة متسلسلة منطقيا، وتعتمد على مبدأ التتابع التدريجي في عرض المعلومات.

٢ ـ تقوم المعرفة المدرسية وفق مبدأ التفاعل بين المعلم والتلاميذ، وبين التلاميذ أنفسهم في قاعة الصف.

٣ ـ تضع المعرفة التلفزيونية الأطفال في مواجهة مسائل قد تكون مبكرة جدا بالنسبة لهم، وعلى خلاف ذلك فإن المدرسة تحاول إيجاد نوع من التنسيق بين حاجات الأطفال ومستوى نموهم والمعارف المقدمة إليهم.

٤ ـ تتوجه المعرفة المدرسية إلى عقول الأطفال وقدرة النقد لديهم على حين توجه المعرفة التلفزيونية إلى مخزون العواطف والميول عند الأطفال.

٥ ـ تبرز أهمية نشاط الطفل وفعاليته وتجربته الخاصة في المدرسة على حين يسجل ذلك النشاط غيابا كاملا في مواجهة المعرفة التلفزيونية.

وغني عن البيان أن التلفزيون بدأ ينافس المدرسة في كثير من جوانب عملها ونشاطها وفعاليتها، وبدأت المنافسة تطرح نفسها كإشكالية تربوية بالغة الأهمية والخطورة. ويمكن تلمس هذه الإشكالية في عدد من النقاط أبرزها:

١ ـ أن التلفزيون يهيمن على عقلية الطفل ومشاعره في مرحلة مبكرة لا وجود فيها للمدرسة، إذ يتعرض الطفل لتأثير الصورة التلفزيونية منذ الأشهر الأولى لولادته، وتبدأ مشاهدته في الثانية من العمر، وقبل دخول الطفل إلى المدرسة ويكون قد قضى في مشاهدة التلفزيون في حدود ٢٠٠٠ ساعة كما تقدر بعض البحوث. وهذا من شأنه أن يعطي التلفزيون أهمية خاصة بالقياس إلى المدرسة. وتعني مثل هذه

العلاقة المبكرة في جملة ما تعنيه أن الطفل قد تشكل إلى حد كبير على نحو تلفزيوني، أي أنه قد تأثر بمنظومة من القيم والاتجاهات والمفاهيم الخاصة بمعروضات الشاشة. وهذا يعني أن الطفل يصل إلى المدرسة وهو مشبع بالقيم والاتجاهات التلفزيونية التي تتعارض – إلى حد كبير – مع قيم المدرسة واتجاهاتها. ومن هنا تبدأ الإشكالية في مستواها الأول.

٢– لا تتوقف العلاقة بين الطفل والتلفزيون عند حدود دخول الطفل إلى المدرسة بل تستمر هذه العلاقة أكثر قوة وعمقا، وذلك يشرح من جديد استمرارا عميقا للإشكالية السابقة: وهو استمرار يحمل في طياته تناقضات حادة تبرز في التباين الذي يقوم بين معروضات الشاشة، ومعروضات المنهج المدرسي التي تكون متناقضة إلى حد كبير. وذلك من شأنه أن ينعكس سلبيا على سلامة النمو النفسي والمعرفي عند الأطفال.

٣– هناك تباين في أسلوب العرض بين التلفزيون والمدرسة. فالمدرسة تبني مناهج تربوية تعليمية لا يمكن لها أن تضاهي عنصر التشويه والجاذبية التي يتميز بها التلفزيون. وفي هذا الصدد يلاحظ حاليا أن هناك هوة عميقة بين الأطفال والمدرسة، إذ لا يجد الأطفال في المدرسة ما يلبي طموحهم ويشبع احتياجاتهم المتنامية، وعلى العكس فإنهم يجدون ذلك في مضمون البرامج التلفزيونية.

وتبين الدراسات الجارية اليوم أن نسبة كبيرة من الأطفال في المجتمعات الغربية الذين نشئوا في عهد التلفزيون يتركون مدارسهم في سن مبكرة، والسبب ليست الظروف الاقتصادية أو الاجتماعية السيئة. ولكن السبب هو أن طفل اليوم هو طفل التلفزيون "فالتلفزيون يقدم ظروفا جديدة لتكيف بصري منخفض واشتراك مرتفع، الأمر الذي يجعل أساليب التعليم القديمة صعبة للغاية" (جيهان أحمد رشتي : ١٩٧٨ ، ٣٧٨). وفي هذا الصدد يقول مارشال ماك لوهان: "إن هؤلاء

الذين يتركون المدرسة يمثلون رفضا لتكنولوجيا القرن التاسع عشر كما تظهر في المؤسسات التعليمية الغربية" (Rosnay.J :١٩٨١، ٣٨٨).

٤ـ ويلاحظ اليوم أن الأطفال يقضون غالبية أوقات فراغهم في مشاهدة التلفزيون بعد العودة من المدرسة، وذلك ينعكس سلبا على مستوى تحصيلهم واهتماماتهم المدرسية. وغالبا ما يذهبون متأخرين إلى أسرة نومهم بتأثير التلفزيون، وذلك من شأنه أن يؤثر أيضا في مستوى نشاطهم المدرسي في الصباح.

٥ـ ويضاف إلى ذلك كله، أن هناك تعارضا كبيرا بين القيم الأخلاقية والسلوكية التي يتلقاها الطفل عبر البرامج التلفزيونية. وهذه هي التي يجب عليه العمل بمقتضاها في حياته المدرسية؛ ومن هنا نشأت إشكالية التواصل بين الطفل والمدرسة، ومن هنا أيضا نشأت هوة عميقة بين المدرسة وأجيال التلفزيون الذين ينظرون إلى المدرسة بوصفها مؤسسة ثقافية تعاني من الشيخوخة والضعف، وينظرون إلى الحياة المدرسية بوصفها كابوسا يجثم على صدورهم.

ويمكن لنا أن نجمل ما سبق بالقول: إن هناك منافسة عميقة بين الطرفين بين المدرسة والتلفزيون ويتجلى هذا التناقض فيما يلي:

١ـ يقضي الطفل وقتا أمام التلفزيون أكثر من المدرسة كما تشير الإحصائيات العالمية.

٢ـ تعتمد المدرسة على التتابع التدريجي في التعليم بعكس التلفزيون.

٣ـ يقدم التلفزيون دفقا هائلا من المعارف، ويستوعب الطفل منها القليل النادر.

٤ـ يجيب التلفزيون عن أسئلة لم يسبق للصغار أن طرحوها من قبل، أو وجدوا أنفسهم بحاجة إليها مثل: ماهية الحب وتجسداته؟ مسألة الموت والحياة، والشقاء والتمييز الاجتماعي .... الخ.

(٣) ثالثاً - الدراسات السابقة:

١/٣ ـ دراسات أجنبية:

(١/١/٣) ـ تعد دراسة هيلد .بت هيملويت (التلفزيون والطفل : دراسة تجريبية لآثار التلفزيون في النشء) من أفضل الدراسات التي أجريت حتى اليوم حول تأثير التلفزيون في الطفل. وقد أجري البحث على عينة بلغت ٩٢٧ من الأطفال البريطانيين الذين تتراوح أعمارهم بين العاشرة والرابعة عشرة من العمر. وقد تناولت الدراسة قضايا متعددة جدا حول مسألة العلاقة بين الطفل والتلفزيون ومنها: (المدرسة والتلفزيون، ووقت المشاهدة، والبرامج التلفزيونية والتلفزيون والفراغ، والتلفزيون ووسائل الإعلام الأخرى، والتلفزيون وقضايا الأسرة). ومن النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة:

- ٤٧٪ من الأطفال غير المشاهدين (العينة الضابطة) يفوقون الأطفال المشاهدين (العينة التجريبية) في مستوى الأداء المدرسي.
- يخصص الأطفال أفراد العينة من ١٣ إلى ١٥ ساعة أسبوعيا في مشاهدة التلفزيون.
- ٨٠٪ من الأطفال يشاهدون التلفزيون في المساء مع ذويهم. وتبين الدراسة ضعف مراقبة الآباء وتوجيههم فيما يتعلق بمشاهدة أطفالهم برامج التلفزيون.
- يميل الأطفال إلى مشاهدة التلفزيون بكثرة كلما تضاءلت أمامهم فرص النشاط الأخرى، الترويح، الرحلات، الأندية، النشاطات الأخرى.

(٢/١/٣) ـ تعد الدراسة التي أجراها كل من م. ج. شمبارت M.J Chambart de lawe و س. بيلان C. Bellan في عام ١٩٧٨ من الدراسات الرائدة في فرنسا إذ أجريت حول برنامج تلفزيوني يدعى "أطفال الصورة" "Enfants de l" image"، وهو برنامج موجه إلى الأطفال عبر شاشة التلفزيون الفرنسي. وأجريت هذه الدراسة على

ثلاثة محاور تدور حول نقطة مركزية هي شخصية الطفل في الأدب وفي الأفلام المتحركة وفي الأفلام السينمائية في المجتمع الفرنسي. وشكلت الشريحة العمرية التي تبدأ من السادسة حتى الثالثة عشرة من العمر موضوع الدراسة. وتشتمل هذه الفئة العمرية على مرحلتين الطفولة الوسطى والطفولة المتأخرة (مرحلة ماقبل المراهقة). وهي المرحلة العمرية التي يخضع الأطفال فيها إلى تعليم مكثف، وإلى تفاعل اجتماعي يتميز بالخصوصية. ويشكل أطفال هذه المرحلة العمرية الجمهور الأمثل لوسائل الإعلام الجماهيري. وينطوي البحث المعني على ثلاث دراسات هي:

١ـــ الدراسة الأولى تتناول صورة الأطفال في الروايات وفي الأفلام التي توجه إلى الراشدين.

٢ـــ الدراسة الثانية تتناول صورة الأطفال المعروضة عبر وسائل الإعلام الجماهيرية الموجهة إلى الناشئة.

٣ـــ تباشر الدراسة الثالثة تحليل عملية التحويل الاجتماعي بواسطة التفاعل الذي يقوم بين الأطفال والشخصيات الإعلامية.

أجريت هذه الدراسة في منطقة الأود Aude على عينة من المدارس الباريسية، وقد تم اختيار المدارس وفقاً لمعيار تمدنها. واشتملت العينة على سبعين مدرسة وبلغ عدد أفراد العينة ١١٣١ تلميذاً. وقد طلب إلى أفراد العينة كتابة موضوع يتحدثون فيه عن أبطالهم المفضلين، وقد تركت لهم حرية اختيار الموضوع. في المرحلة الثانية من الدراسة: طلب الباحثون إلى الأطفال أن يختار كل منهم الطفل الذي يرغب بإقامة علاقة معه. ويتمثل هدف الباحثين في تحديد نموذج الشخصية التي يرغب الطفل في تقمصها Identification.

وقد بينت الدراسة أن السمات التي تحظى بإعجاب الأطفال هي الشجاعة والجسارة ثم التهذيب والرقة. ويلاحظ الباحثون تأثير التلفزيون الكبير في طبيعة خيارات الأطفال

فالأبطال الأربعة الذين حازوا المرتبة الأولى في تفضيل الأطفال هي شخصيات غالباً ما عرضت على الشاشة الصغيرة، وذلك قبل فترة قصيرة من بداية الاستفتاء.

ويستخلص الباحثون أن البرامج الخيالية التي تقدمها وسائل الإعلام لا تعطي الأطفال صورة موضوعية عن الجوانب المستقبلية للحياة الاجتماعية. وعلى الرغم من ذلك كله فإن العلاقة بين الأطفال ووسائل الإعلام علاقة تفاعلية ديناميكية. وإن التحول الاجتماعي يجري وفق علاقات موضوعية متلاحقة ومتزامنة ومن ثم فإن تأثير وسائل الإعلام في التنشئة الاجتماعية مرهون – إلى حد كبير – بطبيعة العلاقة الإعلامية التي تتمثل في عملية استقبال الأطفال الرسالة الإعلامية، والمكان الذي يحتله الطفل في المجتمع.

(٣/١/٣) – وتبين الدراسة التي أجراها برادلي كرين بيرج Bradley Green Berg والتي تدور حول سلوك الأطفال في إطار الأسرة، والأدوار التي يتسلمونها، استهدف الباحثون دراسة العلاقة بين استهلاك الأطفال للبرامج التلفزيونية (الموجهة إلى الأسرة) وفكرتهم عن الدور الذي يجب أن تقوم به الأسرة. ولقد تم تحليل البرامج المعنية، واتجاهات الأطفال، ومستوى إدراكهم، ومن ثم طبيعة إدراك الآباء وأفكار الأطفال التي تتعلق بالأسرة.

وانطلق الباحثون في دراستهم هذه من فكرتين أساسيتين شكلتا محوراً لدراسات سابقة حول العلاقة بين اتجاهات الأطفال ومستوى استهلاكهم للبرامج التلفزيونية وهما:

١– أن الأطفال يستطيعون تعلم أنماط سلوكية عبر مشاهدتهم نماذج سلوكية تظهر على الشاشة وذلك دون تدخل مباشر.

٢– أن الأطفال يستطيعون تمثل القيم، ويتقمصون شخصيات عبر عمليات تعزيرية.

٣– أن تدخل الآباء يتدخل في مستوى تأثير البرامج التلفزيونية في الأطفال.

إذ يلاحظ أن الأطفال الذين يباشرون نقاشاً مع ذويهم أقل تأثيراً بالبرامج التلفزيونية من غيرهم.

وقد أولت الدراسة اهتماماً يدور حول متغير مراقبة الأهل وتوجيههم الأطفال نحو اختيار البرامج ومقدار مشاركة الأهل أطفالهم في مشاهدة البرامج التلفزيونية.

(٤/١/٣) ــ وتجدر الإشارة إلى دراسة أتكان (Atkan) التي أجريت في ربيع عام ١٩٧٣ على عينة تتكون من ٧٠٣ أطفال أمريكيين، تتراوح أعمارهم بين ٩ ــ ١٠ سنوات، لمعرفة العلاقة بين مستوى المعارف السياسية، ومقدار إقبال الأطفال على المشاهدة. إذ أجريت المقارنة بين مستوى معارفهم السياسية، ومقدار إقبالهم على مشاهدة الأخبار التلفزيونية، ولقد بينت نتائج الدراسة ما يلي:

١ــ تزداد المعارف السياسية عند الأطفال الذي يشاهدون الأخبار التلفزيونية، وذلك مع تقدم أعمارهم (كان الأطفال في عمر العاشرة أكثر معرفة بالسياسة من الأطفال الذين هم في عمر التاسعة).

٢ــ نال الأطفال الذين يشاهدون الأخبار ــ على الأغلب معدلات أكبر في درجة معرفتهم السياسية (٤٨٪ مقابل ٦١٪).

(٥/١/٣) ــ وتعد دراسة ويلبر شرام عام ١٩٦١ من أهم الدراسات العالمية التي تناولت مسألة العلاقة بين الطفولة والتلفزيون، وذلك بعنوان "التلفزيون وأثره في حياة أطفالنا". وقد تناولت هذه الدراسة عينة واسعة جداً من الأطفال بلغت (٦٠٠٠) طفل تتراوح أعمارهم بين الثالثة والسادسة من العمر. وهي دراسة طولانية امتدت على مدى ثلاث سنوات وتناولت مناطق في الولايات المتحدة الأمريكية وفي كندا. ومن أبرز النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة وجود علاقة سلبية عالية بين النجاح المدرسي، والمدة الطويلة لمشاهدة التلفزيون. كما أبرزت الدراسة أهمية الأوضاع الاجتماعية المحيطة بالأطفال في زيادة إقبال الأطفال على مشاهدة التلفزيون (شرام : ١٩٦٥).

٣/١ ــ دراسات عربية:

(١/٢/٣) ــ هدفت دراسة سعد عبد الرحمن التي أجريت على عينة قوامها ١٠٠٥ من طلاب وطالبات المدارس المتوسطة في الكويت خلال عام ١٩٧٣، تعرف دور التلفزيون في حياة طفل المدرسة المتوسطة في الكويت. تراوحت أعمار الأطفال ــ أفراد العينة ــ بين ١٠ و١٣ سنة، وبلغت نسبة الإناث في العينة ٥٢٪. وقد بينت الدراسة ما يلي: (سعد عبد الرحمن: ١٩٧٤).

ــ يفضل أغلب الأطفال مشاهدة التلفزيون بين السابعة والتاسعة مساءً. ٣٤٪ من أولياء الأطفال يمنعون أطفالهم من مشاهدة بعض البرامج وتتعرض الإناث إلى التدخل أكثر من الذكور (٣٧,٣٪ مقابل ٣٠,٤٪).

ــ أهم الأشياء التي استفادها الأطفال من التلفزيون هي تنمية المعلومات العامة (٧٧٪)، زيادة المعلومات الدينية (٦٢,٥٪)، تقوية اللغة الأجنبية (٤٣,٧٪)، اكتساب هوايات جديدة (٢٤,٨٪).

أهم البرامج المفضلة هي الأفلام العربية، فالمسلسلات الأجنبية، فالتمثيليات والمسرحيات المحلية، فالرسوم المتحركة.

(٢/٢/٣) ــ وتجدر الإشارة إلى الدراسة التي أجرتها المؤسسة العامة للإذاعة في العراق عام ١٩٧٧، والتي هدفت إلى تحديد آراء وملاحظات وإجابات ذوي الأطفال حول مشاهدة أطفالهم التلفزيون واتجاهاتهم نحو برامجه.

وقد أجريت هذه الدراسة على عينة قوامها ٣٠٠ من الآباء الذين لديهم أطفال من الأعمار ٤ ــ ١٥ سنة، في مركز بغداد وضواحيه. ومن بين النتائج التي خرجت بها هذه الدراسة :(المؤسسة العامة للإذاعة والتلفزيون: ١٩٧٨).

يرى ٣٢٪ من أفراد العينة أن العلاقة بين التلفزيون والطفل جيدة جدا، و ٣٧٪ جيدة، و ٢٩,٦٦٪ متوسطة، و ١,٣٣٪ رديئة، ويوافق تماما ٣١,٦٪ علـــى أن التلفزيـــون يسيء للأطفال وأحيانا ١١٪.

(٣/٢/٣) ــ وفي مصر قام التلفزيون المصري عام (١٩٦٦) بإجراء دراســة علــى عينة عشوائية منتظمة قوامها ٩٦٠ طفلا، من ١٦ ابتدائية مشتركة في مدن القـــاهرة وبورسعيد والزقازيق وأسيوط وبني سويف وأذين، مضى على اقتناء أسرهم أجـــهزة التلفزيون سنة على الأقل. وقد بينت الدراسة النتائج التالية:

- تتذبذب ساعات المشاهدة في صفوف الدراسة الستة بين ساعتين أو ثلاث ســاعات، ويبلغ أقصى حد للمشاهدة بين تلاميذ وتلميذات الســنتين الأولـــى والثانيــة ســت ساعات، ويمثلها عدد بسيط: ٣ مشاهدين.
- تفرض قيود على ٣٥٪من الأطفال في مشاهدة جهاز التلفزيـــون، وأهـــم أســـباب فرض القيود هي استذكار الدروس (٩٨,٢٪)، وعدم مشـــاهدة الأفـــلام الأجنبيـــة المثيرة، وبعض المسلسلات المصرية التي تحتوي على جريمة ورعـــب (١,٨٪). (التلفزيون المصري: ١٩٦٦).

(٤/٢/٣) ــ وفي مصر أيضا، ومن أجل تعرف دور التلفزيون فـــي تثقيـف الطفــل أجرت منى محمد عبد الفتاح جبر دراسة ميدانية باستخدام صحيفة استبيان بالمقابلة مع عينة عشوائية قوامها ١٠٠٠ تلميذ من بعض المدارس الابتدائية بمحـــافظتي القــاهرة والجيزة في مصر عام ١٩٧٣. ومن النتائج التي وصلت إليها هذه الدراســـة: (منـــى محمد عبد الفتاح جبر: ١٩٧٣).

- يشاهد ٦٠٪ من الأطفال التلفزيون مع أفراد الأسرة جميعهم. ويخصـــــص ٤٨,٦٪ من أفراد العينة ساعتين للمشـــاهدة، و ٤٥,٨٪ ســاعة، و ١٥,٨٪ ٣ ســاعات. ويشاهدون برامج الأطفال (٣,٧٪)، فبرامج المسابقات والفوازير (٢٢٪)، فــالأفلام

والحلقات الأجنبية (١٢٪)، فالمنوعات (٩٪)، فالتمثيليات والمسلسلات العربية (٧٪)، والأفلام العربية (٧٪)، فالبرامج الثقافية (٦٪)، فالبرامج العلمية والدينية (٤٪)، فالإعلانات (٣٪)، والبرامج الرياضية (٣٪).

ـ يرى أولياء الأمور أن الأطفال يكتسبون مجموعة معارف ومعلومات من مشاهدتهم التلفزيون منها زيادة الثقافة، وتوسيع المعلومات والمدارك (٢٦٪)، اكتساب معلومات عامة (٢١٪)، ومعلومات علمية مبسطة (٨٪)، وحسن الأسلوب (٧٪)، معرفة الحياة وإخصاب الخيال (٦٪) ... الخ. ويرى ٣٥٪ من أولياء الأمور أن الطفل يكتسب بعض العادات السيئة من التلفزيون منها : الألفاظ والإشارات غير المهذبة (٣٩٪)، التقليد لبعض الشخصيات (٢٦٪)، العنف (١٧٪)، التأثير السيئ لمشاهدة الجنس (٨٪)، وللرقص الخليع (٦٪)، وللأفلام الخيالية (٢٪).

(٣/٢/٥) ـ وقد هدفت الدراسة التي أجرتها ناهد رمزي عام ١٩٧٠ في مصر تعرف الآثار المختلفة للتلفزيون على الصغار (ناهد رمزي: ١٩٧٥).

وهي دراسة ميدانية باستخدام صحف استبيان بالمقابلة مع عينة قوامها ١٢٣٦ تلميذا وتلميذة من المدارس الابتدائية والإعدادية، ٦١٣ منهم عينة تجريبية (يشاهدون التلفزيون)، و ٦٢٣ عينة ضابطة (لا يشاهدون التلفزيون)، بالإضافة إلى ٢٧٢ أسرة من أسر المشاهدين. وذلك في محافظات القاهرة والجيزة والإسكندرية في مصر عام ١٩٧٠. ومن النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة:

ـ يشاهد الأطفال ـ أفراد العينة ـ التلفزيون أيام الدراسة أقل من ساعة، ترتفع أيام الإجازات إلى خمس ساعات. ويشاهده ٩٩,٣٤٪ منهم مع آخرين. وبلغت نسبة من يشاهد البرامج التعليمية ٤١,٦٩٪، وإن ٨٨,٤٣٪ من مشاهديها يستفيدون منها في البرامج الدراسية. ويرى ٥٦,٥٧٪ بعض المناظر المخيفة على الشاشة.

ــ ذكر أرباب أسر الأطفال المشاهدين أن أطفالهم يشاهدون التلفزيون أيام الدراسة ١ ــ ٢ ساعة، وأيام الإجازات ٣ ــ ٤ ساعة، ويقبل ٧٣٪ من أطفالهم على المشاهدة حتى آخر السهرة عند ٥٩,٣٦٪، وحدث بعض التعليقات في أثناء المشاهدة (٨٦,٥٦٪) ويوجه الأطفال أسئلة عند المشاهدة (٨٤,٦٤٪). ويحرص ٩٧,٤٤٪ من أرباب الأمر على مشاهدة أطفالهم الأفلام والتمثيليات وبرامج الأطفال. وتلجأ ٧٧٪ من الأسر إلى تشغيل التلفزيون في أثناء المذاكرة، وتمنع ٦٦,٨٠٪ منها الأطفال من المشاهدة في أثناء المذاكرة، وتمنع ٦١,٧٦٪ أطفالها من مشاهدة المناظر المخيفة.

(٦/٢/٣) ــ وفي سورية تجدر الإشارة إلى دراسة "أمل دكاك عام ١٩٨٨". تتناول الباحثة جوانب متعددة من المسألة التربوية الإعلامية في سورية. وقد أبرزت هذه الدراسة عددا كبيرا من النتائج الهامة، إذ بينت الدراسة وجود هوة كبيرة بين مضمون البرامج التلفزيونية والفلسفة التربوية المطروحة في سورية. وقد أشارت الباحثة إلى تناقض القيم والبرامج المستوردة مع الأهداف التربوية المحددة في استراتيجية القطر على المستوى التربوي. كما بينت الدراسة أن البرامج التي يقدمها التلفزيون السوري لا تتناسب تربويا مع مستوى نمو الأطفال معرفيا ونفسيا (دكاك: ١٩٨٩).

(٧/٢/٣) ــ وفي العراق ساهم المركز العربي لبحوث المستمعين والمشاهدين في إجراء العديد من الدراسات والبحوث التي تناولت مسألة الإعلام التلفزيوني والتربية عند الأطفال، وسنقتصر على عرض بعض النتائج التي أبرزتها دراستان في هذا المجال وهي:

الدراسة الأولى: آراء ذوي الأطفال في برامج التلفزيون العراقي عام ١٩٧٧ (المركز العربي: ١٩٧٩).

الدراسة الثانية: استطلاع آراء الأطفال في برامج التلفزيون العراقي عام ١٩٧٩ (المركز العربي: ١٩٧٩).

بينت الدراستان اللتان أجريتا على عينة واسعة من ذوي الأطفال، والأطفال في العراق أن ٤٤٪ من ذوي الأطفال أبدوا موافقتهم على الرأي القائل: إن التلفزيون ضار بالأطفال. كما أعلن ٥٥٪ منهم أن التلفزيون جيد وضروري لنمو الأطفال معرفيا وروحيا. وفي مكان آخر أعلن ٦٠٪ من ذوي الأطفال أن التلفزيون يعلم أولادهم العنف. وقد تبين أن أطفال الطبقة الوسطى يقضون وقتا أطول أمام الشاشة الصغيرة وذلك بالقياس إلى أبناء الطبقة الكادحة. وأن الأطفال يفضلون الأفلام والبرامج الترفيهية بالدرجة الأولى، ثم برامج العنف بالدرجة الثانية. كما بينت الدراسة أيضا أن الأطفال العراقيين يشاهدون التلفزيون أكثر من ضعف مدة المشاهدة عند الأطفال في أوروبة الغربية. كما بينت أن ٧٨٪ من الأطفال أفراد العينة ممن هم دون الخامسة عشرة من عمرهم يشاهدون التلفزيون لمدة تتراوح بين ساعتين وأربع ساعات. وهناك ١٢٪ منهم يقضون مدة تتراوح بين خمس إلى ست ساعات يوميا أمام الشاشة الصغيرة. وتشير هذه الدراسة أيضا إلى ضعف الرقابة الأسرية على سلوك الأطفال المتعلق بالتلفزيون (المركز العربي: ١٩٧٩).

(٨/٢/٣) ــ ومن الدراسات الهامة أيضا دراسة قاسم حسين صالح عام ١٩٧٥، وهي أطروحة أعدت لنيل درجة الماجستير في كلية التربية في جامعة بغداد. وتناولت هذه الدراسة موضوع العلاقة بين التلفزيون والتحصيل المدرسي عند أطفال الصف السادس الابتدائي، ومن أبرز نتائج هذه الدراسة :

١ــ أن الأطفال العراقيين يشاهدون التلفزيون لمدة ١٧ ساعة أسبوعيا أي بمعدل ساعتين ونصف يوميا.

٢ــ الأطفال يشاهدون البرامج الترفيهية بدرجة أكبر من البرامج التعليمية والعلمية.

٣ــ بينت الدراسة انعدام الفروق المعنوية بين الجنسين في مدة مشاهدة التلفزيون.

٤ــ بينت الدراسة انعدام الفوارق الدالة إحصائيا بين مدة مشاهدة التلفزيون والتحصيل المدرسي (صالح: ١٩٧٥).

(٤) رابعاً. مشكلة البحث:

بينت الدراسات الجارية في ميدان الإعلام والتربية وجود تناقضات كبيرة بين مضمون البرامج التلفزيونية المعروضة واحتياجات النمو النفسي والروحي والمعرفي عند الأطفال. كما بينت هذه الدراسات الانعكاسات السلبية الناجمة عن العلاقة القائمة بين التلفزيون والأطفال. وقد بينت الدراسة التي قامت بها الباحثة أمل دكاك في دراستها حول التلفزيون والتنشئة السياسية في سورية أن البرامج التلفزيونية التي يعرضها التلفزيون السوري تمارس نوعا من الاستلاب الروحي والنفسي عند الأطفال، وهي في غالب الأمر برامج مستوردة، لا تعمق قيم البلدان التي أنتجتها فحسب بل القيم الأكثر سلبية في هذه المجتمعات وهي قيم الاستهلاك والعنف والفوضى.

وتشير الملاحظات اليومية إلى أن الأطفال في سورية تربطهم علاقة قوية بالنص التلفزيوني كما هو الحال في كثير من بلدان العالم. ويتجلى ذلك في الفترة الزمنية التي يقضيها الأطفال في مشاهدة التلفزيون وفي مدى تعلقهم العاطفي والوجداني بالبرامج التلفزيونية. وتشير المعطيات الأولية إلى وجود تباين كبير في مواقف الأسر من وظيفة التلفزيون، ودوره التربوي، وهذه المواقف تتأرجح بين القبول والرفض للدور التربوي الذي يؤديه التلفزيون في حياة الأطفال.

ويضاف إلى ذلك كله التناقض الكبير بين الدور التربوي الذي يمارسه التلفزيون والفلسفات التربوية التي تتبناها الشرائح الاجتماعية فيما يتصل بالأخلاق والقيم والاتجاهات. فالتلفزيون يشبع الأطفال بأفكار واتجاهات قد تتناقض ـ إلى حد كبير ـ مع ما هو سائد في إطار الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه الأطفال. فالأطفال يشاهدون أفلام الكبار وأفلام السهرة ويخرجون على دائرة ما هو مخصص لهم، ومن شأن ذلك أن يطرح إشكالية تربوية بالغة الأهمية والخطورة.

وكل ما سبق يقع في إطار العلاقة التربوية التي تصل الطفل بأسرته ومدرسته وشاشته الصغيرة. ومشكلة البحث تقع ـ بالدرجة الأولى ـ في إطار البحث عن طبيعة

التوازن أو اللاتوازن التربوي القائم بين الطفل والتلفزيون في منظومة العلاقات التربوية والضرورية والقائمة في إطار المجتمع الذي نعيش فيه. وما هو ملاحظ في إطار هذه العلاقات لا يحمل صيغة علمية، ويبقى في إطار الفرضيات، ويحتاج إلى تحديد علمي واضح المعالم. والتحديد العلمي العياني لطبيعة العلاقة القائمة بين التلفزيون والطفل، في المستوى التربوي، تشكل الإطار العام لإشكالية البحث المطروحة، والتي يمكن أن تتجلى بوضوح أكبر في نمط الأسئلة التي يطرحها البحث في الفقرة التالية.

٥. الأسئلة التي يجيب عنها البحث:

يسعى البحث للإجابة عن الأسئلة التالية:

أولا: ما درجة تعلق الأطفال ومحبتهم للمدرسة ـ بالمقارنة ـ بالقياس إلى التلفزيون؟ وهل هناك من تباين في الموقف منهما وفقا لمتغير الجنس؟

ثانيا: كيف يوجه الآباء سلوك أطفالهم نحو التلفزيون؟ وهل هناك من تباين ذي دلالة إحصائية في مواقف الآباء الخاصة بترشيد الاستهلاك التلفزيوني عند أطفالهم وفقا لمتغير الجنس؟

ثالثا: ما الفترة الزمنية التقريبية التي يقضيها أطفال العينة في مشاهدة التلفزيون في أثناء العطلة وخارجها. هل هناك من فروق دالة إحصائيا بين الإناث والذكور في الفترة الزمنية التي يقضيها كل منهما في مشاهدة التلفزيون؟

رابعا: ما نوع البرامج والأفلام التي تستهوي الأطفال وتنال إعجابهم، وهل هناك من تباين ذي دلالة إحصائية وفقا لمتغير الجنس؟

ـ منهج البحث وأداته:

يجري البحث وفقا لمنهج البحث الميداني وخطواته الأساسية وذلك بمساعدة استبانة توزع على عينة محددة من الأطفال. وقد تم اعتماد الإحصاء الوصفي والاستدلالي في تحليل معطيات الدراسة الميدانية.

٦ـ استبانة البحث:

تضمنت استبانة البحث سبعة عشر سؤالا، تدور حول العلاقة بين التلفزيون والأطفال، وقد أعدت من أجل الإجابة عن أسئلة البحث، ومن أجل تحديد مواقف الأطفال من التلفزيون والمدرسة ومن دور التلفزيون التعليمي، ومن أجل استطلاع مستوى الوعي التربوي عند ذوي الأطفال ـ أفراد العينة ـ وقد تم عرض استبانة البحث على لجنة من المحكمين في كلية التربية لضمان قدرتها على استطلاع ما تسعى لقياسه، ومن ثم إلى تحقيق عنصري السهولة وإسقاط الغموض، وتحقيق مستوى التوافق والصدق الظاهري. وتم تعديل الاستبانة وفقا لملاحظات المحكمين، وإعادة صياغة بعض البنود، وإسقاط بعضها الآخر للصعوبة والتكرار، ومن ثم تعديل بعض الأسئلة بما ينسجم مع توجهات البحث وبما يحقق أغراضه.

وقام الباحث بإجراء اختبار مسبق (Pre - test) على عينة بلغت ثلاثين تلميذا من طلاب الصف الخامس الابتدائي، وتبين أن الاستبانة صالحة للتطبيق إذ أبدى الأطفال سهولة في الاستجابة لأسئلة الاستبانة، وتمت الاستفادة من التجربة نفسها في قياس ثبات الإجابة، وأعيد تطبيق الاستبانة بعد أسبوع كامل، ومن ثم بينت النتائج معامل ترابط عال وفقا لمقياس بيرسون (٠,٧٦ لأدنى مستوى ارتباط في بنود المقياس، وإلى ٠,٨٧ الحد لأعلى مستوى ارتباط) بين الاختبارين، وذلك يدل على ثبات واضح لأداء الاستبانة. ويضاف إلى ذلك أن الأسئلة المتضمنة في المقياس هي من النوع التقليدي المستخدم في أغلب البحوث والدراسات الجارية في هذا الميدان.

(٦/٢) ـ حدود الدراسة:

تم اختيار محافظة درعا في جنوب سورية لإجراء الدراسة الميدانية. ويعود اختيار منطقة الدراسة لوجود معسكرات طلائع البعث التربوية في المنطقة المعنية حيث يتجمع الأطفال لممارسة نشاطاتهم التربوية الصيفية.

وقد أجري البحث في آب من صيف عام ١٩٩٠، أي في الموعد الذي تبدأ فيه المعسكرات الصيفية للأطفال في سورية، وقد استمرت إجراءات البحث طيلة خمسة عشر يوما وذلك بمساعدة فريق كبير من طلاب الدراسات العليا، وطلاب الإجازة الذين دربوا على تحقيق التواصل مع الأطفال، وملء الاستبانة عن طريق مساعدة الطفل في تدوين المعلومات.

(٦/٣) ـ عينة البحث:

أجري البحث بطريقة المسح الشامل للأطفال الذين التحقوا بالمعسكرات الصيفية التي تنظمها منظمة طلائع البعث في درعا (زيزون) في صيف عام ١٩٩٠. وتتراوح أعمار الأطفال المدروسين بين العاشرة والثانية عشرة من العمر، وهم تلامذة الصف الخامس الابتدائي. بلغ مجموع عدد الأطفال الذين التحقوا بالمعسكر (٥٢٩) طفلا وهم من أطفال محافظة درعا حكما. تم استجواب (٤٤٦) طفلا من مجموع الأطفال الموجودين في المعسكر. وبلغ عدد الأطفال الإناث في العينة ١٨٤ بنسبة ٤١,٢٥٪ مقابل ٢٦٢ من الأطفال الذكور وبنسبة ٥٨,٧٤٪. هذا ويقدر للعينة المدروسة أن تكون ممثلة لأطفال المنطقة الذين تقع أعمارهم في الفئة العمرية المدروسة. بلغ عدد الأطفال الذين يشكلون المجتمع الأصلي للعينة، وهم الأطفال المسجلين في الصفين الخامس والسادس والذين تبلغ أعمارهم بين العاشرة والحادية عشرة من العمر وفقا لمعطيات المكتب المركزي للإحصاء في درعا ١٦١٥٠ طفلا، وبالقياس بلغت نسبة العينة ٤٪ من مجموع الأطفال الذين يقعون في إطار هذه الفئة العمرية في المنطقة.

وتشكل العينة المسحية هذه عينة كبيرة جدا، بمعنى أنها تمكن من تمثيل حقيقي لمجتمع الأطفال في هذه الفئة العمرية.

(٦/٤) ــ إجراءات منهجية:

أولا: تم استعراض نتائج كل مجموعة من الأسئلة على حدة، إذ عرضت النتائج الكلية، وبعد ذلك حددت دلالة الفروق بين الجنسين.

ثانيا: يعتمد البحث على مقياس تحليل التباين (Ficher)، ومقياس كا٢ (Chi-Asquar)، وصيغته هي: كا٢ = مجموع (ت – ت) / ت، وبالتعويض ت = الواقعية المشاهدة (Observed Frequencies)، ت = التكرارات المتوقعة (Expected Frequencies) وهذه هي الصيغة العامة لكا٢.

وذلك لقياس دلالة الفروق الإحصائية لإجابات أفراد العينة، وقد دونت قيمة كا٢ المحسوبة في نهاية كل جدول بالمقارنة مع قيمة كا٢ المجدول وفقا لدرجات الحرية الحاصلة، ومستوى دلالة ٠,٠٥.

ثالثا: تم استبعاد الإجابات غير الواضحة من استبانة البحث، وأهملت حالات عدم الإجابة عن الأسئلة المطروحة. وذلك يفسر التباين في قيم الجداول النهائية، ويعود ذلك إلى وجود عدد من الأطفال الذين أبدوا موقفا سلبيا في الإجابة عن بعض الأسئلة (إجابات غير واضحة)، ويقع ذلك أحيانا في إطار التكرارات التي تقع في فئة (لم يجب عن السؤال).

٧. نتائج الدراسة:

(٧/١) ــ المفاضلة بين التلفزيون والمدرسة عند الأطفال:

يرى فريق من الباحثين أن التلفزيون يشكل منافسا حقيقيا للمدرسة في أدوارها التربوية والتعليمية. وفي هذا السياق يقول رئيس جامعة شيكاغو "أرى أن الوقت سيحين لأرى أنه وبفعل التلفزيون لن يعود الشعب الأمريكي يقرأ ولا يكتب وأنه

سيعيش حياة شبيهة بحياة الحيوانات الدنيا" (UNISCO : ١٩٥٢ ، ١٠٣). وفي هـــذا الخصوص يذكر الدكتور جان جبران كرم "أن الطفل الطبيعي في تكوينه العام، وفـــي بنيته النفسية والفكرية لا يجتذب إلى التلفزيون إلى حد إعلان القطعيـــة بينـــه وبيـــن المدرسة، بل هو مرشح دائماً لإقامة توازن فاعل بين الطرفين" (جان جـــبران كـــرم: ١٩٨٨ ، ٩٦).

هذه الطروحات التي تباشر مسألة العلاقة بين المدرسة والتلفزيون تضعنا أمام مهمـــة اختبارها في إطار هذا البحث الميداني. فما طبيعة العلاقة بين المدرسة والتلفزيون في عالم الأطفال في مجال دراستنا وحدودها؟ وهل هناك من قطعية حقيقية بين المدرســة والتلفزيون في عالم الأطفال؟ أم أن هناك توازناً بين طرفي العلاقة؟

من أجل تحديد اتجاهات الأطفال نحو التلفزيون من جهة، واتجاهاتهم نحو المدرسة من جهة أخرى، ثم المقارنة بين الطرفين، اشتملت استبانة البحث في طليعتها على ثلاثـــة من الأسئلة وهي:

١ـــ هل تحب التلفزيون؟ ٢ـــ هل تحب المدرسة؟ ٣ـــ أيما تحب أكثر المدرسة أم التلفزيون؟

وتسعى هذه الأسئلة إلى تحديد مواقف الأطفال من المدرسة ومن التلفزيون من جهـــة، وإلى المقارنة بين مواقفهم هذه من المؤسستين من جهة أخرى. ويضاف إلى ذلك كلـــه أن تحديد طبيعة العلاقة بين هذه الأطراف يشكل منطلقاً تمـــهيدياً لدراســـة الجوانـــب الأخرى في مسألة بحثنا.

(١/١/٧) ـــ يستعرض الجدول رقم (١) إجابات الأطفال عن السؤال الأول وهو: هـــل تحب مشاهدة التلفزيون؟ إذ يعلن ٥٤,٣٪ من الأطفال أنهم يحبون التلفزيـــون كثـــيراً، مقابل ٤٥,٥٪ من الأطفال الذين أعلنوا أنهم يحبونه قليلاً، ولم يعلن أحد من الأطفـــال أنه لا يحب التلفزيون. ويعني ذلك أن التلفزيون يحتل مكانة هامة في حياة الأطفـــال،

وهذا ما تؤكده أكثرية الدراسات الجارية في هذا الميدان (إبراهيم محمد عوض: ١٩٨٧ ، ٢٩).

وتشير نتائج كا٢ إلى وجود فروق دالة إحصائياً بين الذكور والإناث (بلغت قيمة كا٢ المحسوبة ٥,٥٢، وهي أكبر من قيمتها الجدولية البالغة ٣,٨٤ لدرجة حرية واحدة ومستوى دلالة ٠,٠٥. وتعود هذه الفروق القائمة بين الذكور والإناث إلى وجود علاقة قوية جداً بين الإناث والتلفزيون، وذلك بالقياس إلى الذكور، إذ أعلن ٦١,٣٪ من الإناث تعلقهن الشديد بالتلفزيون، وذلك مقابل ٤٨,٤٪ عند الأطفال الذكور. وتعود هذه الفروق القائمة بين الجنسين إلى أن الأطفال الذكور أكثر اتصالاً بالعالم الخارجي من الإناث، إذ يمثل التلفزيون بالنسبة للإناث نافذة تصلهن بالعالم الخارجي، وذلك في أغلب المجتمعات التقليدية، إذ تلح الثقافة التقليدية على أهمية الربط بين الإناث والمنزل على حين تؤكد للذكور أهمية الفعل الخارجي.

(٢/١/٧) ــ السؤال الثاني: هل تحب المدرسة؟

تم توزيع إجابات الأطفال عن هذا السؤال في الجدول رقم (٢).

لقد أعلن ٧٠٪ من الأطفال حبهم الشديد للمدرسة، مقابل ٢٩,٩٪ من الأطفال الذين يحبونها قليلاً، ولم يعلن أحد من الأطفال بأنه لا يحب المدرسة. وتشير هذه النتيجة ــ بشكل مسبق ــ إلى مكانة عالية للمدرسة بالقياس إلى التلفزيون في نفوس الأطفال، وذلك حين تقارن معطيات هذا السؤال مع معطيات السؤال الأول (حب الأطفال للتلفزيون).

وكما هو الحال في السؤال السابق تشير نتائج كا٢ إلى وجود فروق دالة إحصائياً بين موقف الإناث والذكور من المدرسة، حيث بلغ كا٢ المحسوبة ٤,٣٥، وهي أكبر من قيمتها الجدولية البالغة ٣,٨٤، وذلك لدرجة حرية واحدة ودلالة في مستوى ٠,٠٥. وتعود هذه الفروق الإحصائية إلى تعلق أكبر للإناث بالمدرسة، وذلك بالقياس إلى

الأطفال الذكور: لقد أعلن ٩٢,٢٢٪ من الأطفال الإناث حبهم الشديد للمدرسة، وذلك مقابل ٥٢,٤٢٪ من الأطفال الذكور.

ويعود ذلك التباين في إجابات الأطفال وفقاً لمتغير الجنس إلى ما تتيحه المدرسة للإناث من فرصة اتصال واقعي أكبر مع الحياة، إذ تمثل المدرسة بالنسبة لهن في مجتمع تقليدي رمزاً للحرية الاجتماعية، ومجالاً لتحقيق الذات في إطار وسطهن الاجتماعي. كما توفر لهن أيضاً فرص النشاط الفكرية والثقافية والترفيهية المتنوعة التي تتيح لهن تحقيق الذات وتفجير الطاقات. وفي الوقت الذي تغيب فيه مثل هذه الفرص في عالم الذكور فإن الثقافة التقليدية تعطي لهم فرص الاتصال بالعالم الخارجي بدرجة أكبر بكثير من الإناث. ويضاف إلى ذلك أن نسبة التسرب عند الإناث أعلى منها عند الذكور، وأن الأسر تنتهز فرصة رسوب الإناث لإبقائهن في المنزل كما تشير الملاحظة في هذا المجال. وهذا يعني أن غالبية الأطفال من الإناث قد أثبتن الجدارة في متابعة التحصيل المدرسي حتى هذه المرحلة مرحلة الصف الخامس والسادس.

تشير معطيات السؤال الأول والثاني إلى أن الأطفال جميعاً يحبون المدرسة، ويحبون التلفزيون، وإلى تعلق الإناث بالمؤسستين بدرجة أكبر منها عند الذكور. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: ما المكان الذي يحتله كل من التلفزيون والمدرسة في سلم تفضيل الأطفال. ولتحديد ذلك على المستوى الإحصائي تضمنت استبانة البحث السؤال الثالث ونصه على الشكل التالي: أيما تحب أكثر المدرسة أم التلفزيون؟

(٣/١/٧) ــ وفي الجدول رقم (٣) وزعت إجابات الأطفال عن هذا السؤال وفقا لمتغيري الجنس. ويشير الجدول المعني إلى المكانة العالية التي تحتلها المدرسة بالقياس إلى التلفزيون في عالم الأطفال المستفتين: لقد أعلن ٩٢,٧٪ من الأطفال تفضيلهم للمدرسة على التلفزيون، وذلك مقابل ٧,٢٥٪ من الأطفال الذين أعلنوا أولوية التلفزيون على المدرسة. وهذه النتيجة تشير ــ من حيث المبدأ ــ إلى أن التلفزيون

غير قادر على منافسة المدرسة في المنطقة التي يجري فيها البحث (درعا) وهذا يخالف نتائج كثير من الدراسات التي أجريت في البلدان الغربية، والتي تبين أن التلفزيون ينافس المدرسة ويهدد وظيفتها التربوية (أنظر Lazar.J : ١٩٨٥). وتشير المقارنة بين إجابات الجنسين إلى فروق دالة إحصائيا بين الجنسين (أنظر الجدول رقم ٣) ويرجع ذلك إلى تفضيل الإناث للمدرسة وذلك بالمقارنة مع الذكور: أبدى ٩٥,٩٪ من الإناث تفضيلهن المدرسة على التلفزيون مقابل ٩٠,٥٨ عند الذكور.

(٤/١/٧) ــ خلاصة: تشير نتائج السؤال الأول والثاني والثالث إلى ما يلي:

ــ الأطفال جميعا يحبون المدرسة، وهم جميعا يحبون التلفزيون.

ــ الإناث أكثر تعلقا بالمدرسة والتلفزيون من الذكور.

ــ الأطفال أفراد العينة جميعا يفضلون المدرسة على التلفزيون.

ــ الإناث أكثر تفضيلا للمدرسة عن التلفزيون، وذلك بالقياس إلى الذكور.

(٢/٧) ــ ثانيا: مواقف الأطفال من الدور التعليمي والتربوي للتلفزيون بالمقارنة مع المدرسة:

من أجل استفتاء آراء الأطفال في دور التلفزيون التعليمي والتربوي بالقياس إلى التلفزيون تضمنت استبانة البحث ثلاثة أسئلة (السؤال ٤، ٥، ٦) وهي على التوالي:
٤ــ هل تشعر أنك تتعلم من التلفزيون؟ ٥ــ هل تتعلم من التلفزيون أشياء لا تتعلمها في المدرسة؟ ٦ــ هل تشعر أن التلفزيون أكثر فائدة من المدرسة؟

(١/٢/٧) ــ نتائج السؤال الرابع:

هل تشعر أنك تتعلم من التلفزيون؟ تضمن الجدول رقم (٤) توزع إجابات الأطفال وفقا لمتغير الجنس. أجاب ٤٣,٤٪ من الأطفال أنهم يتعلمون كثيرا من التلفزيون، وأعلن ٥٢,٧٪ منهم أنهم يتعلمون منه قليلا. وعلى خلاف ذلك أبدى ٣,٨٣٪ أنهم لا

يتعلمون أبدا من التلفزيون. وتشير نتائج كا٢ إلى عدم وجود فروق دالة إحصائيا بين إجابات الأطفال وفقا لمتغير الجنس (أنظر الجدول رقم ٤).

(٧/٢/٢) ــ نتائج السؤال الخامس ونصه: هل تتعلم من التلفزيون أشياء لا تتعلمها في المدرسة؟

تم توزيع إجابات الأطفال في الجدول الخامس وفقا لمتغير الجنس. ويشير ذلك الجدول إلى أن ٦١,٤٪ من أفراد العينة يؤكدون أنهم يتعلمون من التلفزيون أشياء لا تتيحها لهم المدرسة، وذلك مقابل ٣٨,٦٪ الذين يرفضون هذه المقولة.

ومن جديد تؤكد معطيات هذا السؤال نتائج السؤال رقم (٤)، أهمية الدور التعليمي للتلفزيون، وهي مسألة تؤكدها أغلب الدراسات الميدانية المعاصرة اليوم، وخاصة البحث الميداني الكبير الذي قام به هيملويت هيلدت في الولايات المتحدة الأمريكية (هيملويت : ١٩٦٧).

ويمكن القول في هذا الخصوص إن الدراسات العلمية قد بينت بوضوح أهمية التأثير التعليمي للتلفزيون، وهذا ما يورده (القلا) في مقالة له عن الدور التعليمي لوسائل الإعلام حيث تبين إحدى الدراسات العلمية أن المتعلم يحتفظ بـ ٥٠٪ من المادة التعليمية السمعية البصرية (القلا ــ فخر الدين : ١٩٨٧).

وتشير نتائج كا٢ إلى وجود فروق دالة إحصائيا بين الجنسين في الإجابة عن السؤال الخامس، انظر الجدول رقم (٥). لقد أبدى ٧١,٣٪ من الإناث أنهن يتعلمن من التلفزيون أشياء لا تتيحها لهن المدرسة وذلك مقابل ٥٦,٤٪ من مجموع الأطفال الذكور.

(٧/٢/٣) ــ السؤال السادس ونصه: هل تشعر أن التلفزيون أكثر فائدة من المدرسة؟

عرضت نتائج هذا السؤال في الجدول رقم (٦). وتبين أن أكثرية الأطفال قد أعلنوا أن المدرسة أكثر فائدة من التلفزيون، إذ أعلن ٨٨,٧٪ من أفراد العينة أن المدرسة أكثر

فائدة من التلفزيون، وذلك مقابل ١١,٣٪ من الأطفال الذين أعلنوا أن التلفزيون أكثر فائدة من المدرسة.

وتشير نتائج كا٢ إلى انعدام الفروق الدالة إحصائيا بين الجنسين، انظر الجدول رقم (٦). إذ يؤكد أفراد العينة جميعا أولوية المدرسة وأهميتها وفائدتها، وذلك بالقياس إلى التلفزيون. ويعني ذلك أن الأطفال يدركون الأهمية التربوية والتعليمية للمدرسة بالقياس إلى التلفزيون وهذا ما تؤكده القيم الثقافية السائدة في المجتمع السوري في المرحلة الراهنة.

(٤/٢/٧) ــ <u>خلاصة:</u>

ــ يمارس التلفزيون ــ كما يعتقد الأطفال ــ دورا تعليميا هاما في حياتهم، إذ أبدى جميع أفراد العينة شعورهم بأن التلفزيون يمارس دورا تعليميا ولم يبد أحد منهم اعتراضا أو رفضا لهذه الفكرة.

ــ يشكل التلفزيون مصدرا هاما من مصادر العملية التربوية، ويتيح للأطفال فرص تعلم جوانب من الحياة والمعارف لا تتيحها لهم المدرسة، انظر نتائج السؤال رقم (٥).

ــ تجمع أكثرية الأطفال على أهمية الدور التعليمي للمدرسة بالمقارنة مع التلفزيون (السؤال رقم ٦).

ــ يشكل التلفزيون بالنسبة للإناث مصدرا أكثر أهمية للتعلم العرضي، وذلك بالمقارنة مع الذكور.

(٣/٧) ــ ثالثا: تدخل الآباء في سلوك أبنائهم تجاه مشاهدة التلفزيون:

تشكل مسألة الوعي الإعلامي التربوي إحدى أهم القضايا التي تطرح نفسها على السوسيولوجيا التربوية المعاصرة. ولقد نظمت في هذا الشأن الكثير من الندوات العلمية والتربوية كان من أبرزها ــ على مستوى الوطن العربي ــ الندوة التي أعد

لها مكتب التربية العربي لدول الخليج عام ١٩٨٢ تحت عنوان "ماذا يريد التربويون من الإعلاميين" (المكتب العربي لدول الخليج : ١٩٨٦).

وتقع مسألة الوعي الإعلامي التربوي بين قطبين أساسيين هما: النص التلفزيوني (البرامج) من جهة، وموقف ذوي الأطفال من وظيفة هذه البرامج ومن سلوك أطفالهم إزاء الرسالة الإعلامية التلفزيونية.

ففي الوقت الذي تشير فيه أكثر الدراسات والبحوث إلى مخاطر الرسالة الإعلامية التلفزيونية على عقول الأطفال والناشئة، مازالت الأسر تقدم مزيداً من التنازلات في أدوارها التربوية للشاشة الصغيرة. ومازالت الساعات التي يقضيها الأطفال أمام الشاشة الصغيرة تتزايد تدريجيا.

وفي هذا الصدد تشير دراسة أجريت في الكويت أن ١٢,٩٪ من أفراد عينة الدراسة يرغبون في أن يشاهد أطفالهم بعض برامج التلفزيون لأنها تكسب الطفل العادات والقيم المرغوب فيها، كما اقترح ٨٤,٣٪ منهم إنتاج برامج خاصة للأطفال في مرحلة ما قبل المدرسة الابتدائية. وفي سياق التعليق على هذه النتائج يقول الدكتور مصطفى أحمد تركي "إن معظم الأسر قد تنازلت عن بعض أدوارها في التنشئة الاجتماعية للتلفزيون" (تركي مصطفى أحمد : ١٩٨٤ ، ١٠٣). إن الخطر الحقيقي لمسألة العلاقة بين الطفل والتلفزيون تكمن في جانبين: الجانب الأول هو مدى انسجام البرامج التلفزيونية مع مستلزمات التطور العقلي والمعرفي عند الطفل، ومدى خلو هذه البرامج من القيم المنافية للعرف التربوي (العنف والايروتيكية)، ويتمثل الجانب الثاني في قدرة الأسر على تنظيم العلاقة بين الطفل والتلفزيون بما من شأنه حماية الطفل من الجوانب السلبية الضارة للرسالة الإعلامية التلفزيونية. فالتلفزيون أداة اتصال وإعلام وتنشئة اجتماعية، وللأسرة إمكانية توظيفه تربويا بما يحقق الانسجام والتكامل في شخص الطفل، ويتمثل ذلك في قدرة الأسرة على تنظيم أوقات المشاهدة عند الطفل، واختيار البرامج التلفزيونية المناسبة لنموه الاجتماعي والمعرفي. وهي مهمة ليست

يسيرة بالنسبة للأسرة إذ تتطلب مستوى جيدا من النضج الثقافي والمعرفي عند ذوي الأطفال. وفي هذا المجال يقول الدكتور جان جبران كرم "لقد تأكد لعلماء النفس أن كل ما يصل إلى الطفل من برامج تلفزيونية معدة أساسا له، وآخذة بالحسبان تكوينه الخاص تعطي الطفل مردودا خيرا ..... ويضيف الكاتب أن البرامج الأخرى الموجهة للجميع لا تضيف إلى معرفة الطفل إلا كميات فوق كميات يفوق ضررها فائدتها" (كرم: ١٩٨٨ ، ٣٩). ويشير الدكتور نواف عدوان إلى تدني مستوى الوعي التربوي الإعلامي عند الأسرة العربية في العراق، وهناك ٢٥٪ من أفراد عينة الدراسة التي أجراها حول هذه المسألة أكدوا أنهم لا يعلمون أكان أطفالهم قد شاهدوا التلفزيون أم لا؟ في اليوم السابق لاستجوابهم (نواف عدوان: ١٩٧٩ ، ١٣).

يقول جان جبران كرم في سياق هذه المسألة "على الشرق أن يفيد كليا من الضياع العالمي، وبداية الصحوة العالمية في شأن التلفزيون، قبل أن يدخل أطفاله في متاهة العصر التلفزيوني" (جان جبران كرم: ١٩٨٨ ، ٧٣).

هذه الطروحات التربوية التي تتعلق بدور التلفزيون في حياة الأطفال وأهمية الوعي الإعلامي في ترشيد الاستهلاك التربوي الإعلامي عند الأطفال تضعنا أمام تساؤل كبير، وهو: ما مستوى الوعي الإعلامي التربوي عند أسر أطفال العينة المدروسة؟ وهل يمارس ذوي الأطفال دورا تربويا إعلاميا في ترشيد الاستهلاك التلفزيوني عند أطفالهم؟

ومن أجل قياس مستوى ترشيد الاستهلاك التلفزيوني عند الأطفال تضمنت استبانة البحث سبعة من المؤشرات أو الأسئلة، وقد وردت في استمارة البحث على الشكل التالي:

٧ ـ هل يمنعك أهلك من مشاهدة التلفزيون في أثناء العام الدراسي؟

٨ ـ هل يمنعك أهلك من مشاهدة أفلام الكبار؟

٩ ـ هل يمنعك أهلك من مشاهدة أفلام السهرة ؟

١٠ ـــ هل تشاهد أفلام السهرة ؟

١١ ـــ هل يمنعك ذووك من مشاهدة بعض الأفلام التلفزيونية ؟

١٢ ـــ هل ينصحك أهلك بمشاهد بعض البرامج التلفزيونية ؟

١٣ ـــ هل ينصحك أهلك بمشاهدة بعض البرامج التعليمية ؟

(١/٣/٧) ـــ السؤال السابع: هل يمنعك ذووك من مشاهدة التلفزيون في أثناء العام الدراسي؟ يستعرض الجدول رقم (٧) معطيات هذا السؤال وفقاً لجنس الأطفال، والمستوى التعليمي لذويهم. ويشير الجدول المذكور إلى أن ٦٤,٩٪ من الأطفال يمنعون من مشاهدته في أثناء العام الدراسي، ذلك مقابل ٣٣,٥٪ من الأطفال الذين أعلنوا أنهم لا يمنعون من مشاهدته. وتشير نتائج كاي مربع إلى انعدام وجود الفروق الدالة إحصائيا بين الجنسين (٧).

وهذا يشير ـــ من حيث المبدأ ـــ إلى ارتفاع مستوى الوعي التربوي الإعلامي عند ذوي الأطفال وذلك بشكل عام، وهذه النتيجة سوف تدرس على ضوء النتائج التفصيلية اللاحقة.

(٢/٣/٧) ـــ السؤال الثامن: (١٢) هل يمنعك أهلك من مشاهدة أفلام الكبار؟

عرضت نتائج هذا السؤال في الجدول رقم (٨) حسب الجنس. ويبين الجدول المذكور أن ٤٩,٩٪ من مجموع الأطفال يمنعون من مشاهدة أفلام الكبار، مقابل ٣٩,٩٪ من الأطفال الذين لا يواجهون اعتراضا على مشاهدتهم أفلام الكبار.

وتشير نتائج كا٢ إلى غياب الفروق الدالة إحصائيا بين الجنسين. ونتائج السؤال رقم (٨) لا تتناقض مع نتائج السؤال رقم (٧) بل تفسرها: لقد أعلن ٦٤,٩٪ من الأطفال أنهم يمنعون من مشاهدة التلفزيون في أثناء العام الدراسي وهي نسبة أكبر بكثير من نسبة الأطفال الذين أعلنوا أنهم يمنعون من مشاهدة أفلام الكبار والبالغة ٤٩,٩٪. وهذا يعني أن الأسر تمنع الأطفال من مشاهدة التلفزيون دون تمييز بين البرامج التلفزيونية. فالمنع لا يأخذ بالحسبان نوعية النص، أو: أيكون النص التلفزيوني موجها للكبار أم

للصغار؟ وهذا يعني انخفاض مستوى الوعي التربوي، أي انخفاض نسبة الأسر التي تميز بين البرامج المفيدة للأطفال أو الضارة لهم، ويلاحظ أحيانا أن بعض الأسر تمنع أطفالها من مشاهدة التلفزيون كشكل من أشكال العقاب التربوي، وفي كل الأحوال لا يتميز ذلك المنع بالتنظيم والقدرة على المواظبة.

(٣/٣/٧) ــ السؤال التاسع: هل يمنعك ذووك من مشاهدة أفلام السهرة ؟ تم عرض نتائج هذا السؤال في الجدول رقم (٩) وفقا لمتغير الجنس.

تقع دلالة هذا السؤال في دائرة السؤال السابق رقم (٨)، فأفلام السهرة مخصصة ــ في غالب الأحوال ــ للراشدين، وعلى الرغم من ذلك فإننا أمام سؤال يحمل خصوصية بالغة الأهمية وتتمثل هذه الخصوصية فيما يلي:

وجود الأهل في المنزل في أثناء الفترة المسائية، وهذا من شأنه إعطاء الأسرة فرصة أكبر في مراقبة الأطفال، وترشيد علاقتهم بالتلفزيون، كما يبين السؤال نمطا آخر من الوعي التربوي، والذي يتعلق بأهمية النوم المبكر عند الأطفال.

يشير الجدول رقم (٩) إلى أن ٥٥,٩٪ من الأطفال الذين لا يمنعون من مشاهدة أفلام السهرة، وذلك مقابل ١١,٣٪ من الأطفال الذين يمنعون منعا دائما من مشاهدته في أثناء السهرة، وفي المقابل أعلن ٣٢٪ أنهم يمنعون من مشاهدته أحيانا. ولابد لنا من أجل قراءة موضوعية لنتائج هذا السؤال أن نأخذ في حسابنا التناقض بين معطيات هذا السؤال والسؤال السابق : يلاحظ أن ٤٩,٩٪ من الأطفال قد أعلنوا أنهم يمنعون من مشاهدة أفلام الكبار، وهي نسبة أكبر من نسبة الأطفال (٤٤٪ تقريبا) الذين أعلنوا أنهم يمنعون أحيانا أو دائما من مشاهدة أفلام السهرة. ويعود تفسير ذلك التباين إلى أن الأطفال لا يشعرون بضغط الأهل ومنعهم في أثناء السهرة بفعل النوم المبكر للأطفال.

وتشير نتائج كا٢ إلى تجانس إجابات الأطفال وفقا لمتغير الجنس (٩).

(٤/٣/٧) ـ موقف الأطفال من أفلام السهرة:

لتحديد موقف الأطفال من أفلام السهرة تضمنت استبانة البحث السؤال رقم (١٠)، ونصه: هل تشاهد أفلام السهرة ؟ ويهدف هذا السؤال إلى تحديد مستوى الوعي التربوي عند ذوي الأطفال. وبيانات هذا السؤال تلقي الضوء على معطيات الأسئلة السابقة المتعلقة بمستوى الوعي التربوي الإعلامي عند ذوي الأطفال. أي أنه عندما يشاهد الأطفال أفلام السهرة فإن ذلك يؤخذ مؤشرا على مدى فعالية توجيه الأسرة سلوك الأطفال المتعلق بالتلفزيون. وأفلام السهرة هي تتصل باحتياجات الراشدين وعالمهم بالدرجة الأولى، وهي بالإضافة إلى ذلك، أكثر البرامج التي تنعكس بالضرر على حياة الأطفال العقلية والروحية.

وقد تم عرض نتائج السؤال رقم (١٠) في الجدول رقم (١٠) وفق الجنس. ويشير الجدول رقم (١٠) إلى أن ١٦٪ من الأطفال يشاهدون دائما أفلام السهرة، وأن هناك ٣٦,٧٪ من الأطفال الذين يشاهدونها أحيانا، وفي المقابل يوجد ٤٧,٢٪ من الأطفال الذين لا يشاهدونها أبدا. وهذا يعني أن أكثر من ٥٠٪ من أفراد العينة يتعرضون لمخاطر البرامج التلفزيونية الموجهة للراشدين.

وتشير نتائج مقياس كا٢ لدلالة الفروق بين الإجابات إلى وجود فروق دالة إحصائيا بين الجنسين في مقدار مشاهدتهم برامج السهرة وأفلامها.

وتعود هذه الفروق إلى زيادة نسبة الأطفال الإناث اللواتي يشاهدن أفلام السهرة وبرامجها. إذ أعلن ٢٣,٤٪ من الإناث أنهن يشاهدن أفلام السهرة بانتظام وهي نسبة تزيد على ضعف نسبة الأطفال الذكور الذين يشاهدونها والبالغة ١١٪ تقريبا. وفي الوقت الذي يعلن فيه ٦٢,٦٪ من الذكور أنهم لا يشاهدون أفلام السهرة وبرامجها تنخفض هذه النسبة إلى ٥٢,١٤٪ عند الأطفال الإناث. وتعود هذه الفروق القائمة بين الجنسين في تقديرنا إلى جملة من العوامل منها:

١ــ يوجه الآباء عناية خاصة بالأطفال الذكور، وذلك فيما يتعلق بمصيرهم المدرسي وهذه العناية توجد بدرجة أقل عندما يتعلق الأمر بالإناث وتلك هي إحدى سمات الثقافة التقليدية الخاصة بدور ومركز كل من الجنسين في إطار الحياة الاجتماعية.

٢ــ غالبا ما تقوم الإناث بتأدية بعض وظائف الخدمة المنزلية في أثناء السهرة وهذا من شأنه أن يتيح لها فرصة مشاهدة أفلام السهرة وبرامجها بدرجة أكبر من الذكور.

٣ــ غالبا ما تكون الإناث في فترة الطفولة المتأخرة (١١ ــ ١٣ عاما) أكثر استعدادا للدخول في الحياة الاجتماعية من الذكور، ولذلك فإن التلفزيون يوفر لهن بعض الاحتياجات النفسية والاجتماعية (يلاحظ في هذه الفترة من العمر أن الإناث أكثر نضجا في المستوى العاطفي والبيولوجي من الذكور).

٤ــ ويضاف إلى ذلك أن الأطفال الذكور يقضون وقتا أكبر في اللعب من الإناث خارج المنزل، وغالبا ما يرافق ذلك حالة من التعب الجسدي الذي يدعوهم إلى النوم المبكر وذلك بالقياس إلى الإناث.

(٥/٣/٧) ــ السؤال الحادي عشر: هل يمنعك أهلك من مشاهدة بعض البرامج التلفزيونية.

يهدف هذا السؤال إلى قياس مستوى الوعي التربوي لذوي الأطفال فيما يتعلق ببعض الخصوصيات التي تتصل بأفلام العنف، والأفلام ذات الطابع الديني والجنسي.

فالمنطقة كما تبين لنا في إطار بحث سابق أجريناه في المنطقة حول "التحديات الإعلامية في المنطقة الجنوبية في سورية" تتعرض لموجة واسعة من التلفزة العربية والأجنبية، إذ يلاحظ أن بعض المحطات الأجنبية (محطة الشرق الأوسط، وتلفاز العدو الصهيوني) تقوم ببث سيل من أفلام الجنس والمصارعة والأفلام البوليسية. والسؤال هنا يهدف إلى معرفة موقف الأسر من بعض هذه البرامج.

ويشير الجدول رقم (١١) إلى نتائج السؤال رقم (١١)، إذ يعلن أن ٥٩,٨٥٪ من الأطفال لا يمنعهم ذووهم من مشاهدة أي من البرامج، مقابل ٣٧,٣٪ من الأطفال الذين أعلنوا أنهم يمنعون من مشاهدة بعض البرامج التلفزيونية.

وتشير نتائج كا٢ إلى وجود فروق دالة معنويا بين الذكور والإناث في إجاباتهم عن هذا السؤال: ففي الحين الذي يعلن فيه ٤٤,٩٪ من الذكور أنهم يمنعون من مشاهدة بعض البرامج التلفزيونية، تنخفض هذه النسبة لتصبح ٢٦,٢٪ عند الإناث. وهذا يؤكد مرة أخرى أن الأسر أكثر عناية بالأطفال الذكور، وذلك بالقياس إلى الأطفال الإناث حينما يتعلق الأمر بترشيد "الاستهلاك التلفزيوني.

(٦/٣/٧) ـ السؤال الثاني عشر: هل ينصحك ذووك بمشاهدة بعض البرامج التلفزيونية؟

في الأسئلة السابقة والتي تتعلق بدرجة منع الأسر الأطفال من مشاهدة البرامج التلفزيونية حاولنا قياس الموقف السلبي لذوي الأطفال من التلفزيون وبرامجه. وفي السؤالين الثاني عشر والثالث عشر يسعى البحث إلى قياس الموقف الإيجابي من البرامج التلفزيونية.

يبين الجدول رقم (١٢) أن ٦٩,٧٪ من الأطفال ينصحون بمشاهدة بعض الأفلام والبرامج التلفزيونية، وذلك مقابل ٣٠,٣٪ من الأطفال الذين لا يرشدون أو ينصحون بمشاهدة أي من هذه البرامج. ويشير ذلك إلى إيمان ذوي الأطفال بالرسالة التربوية الإعلامية للتلفزيون في بعض برامجه وإلى ارتفاع مستوى الوعي التربوي لديهم.

وتشير نتائج حساب كا٢ إلى انعدام وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الجنسين (انظر الجدول رقم ١٢).

(٧/٣/٧) ـ السؤال الثالث عشر: هل ينصحك أهلك بمشاهدة البرامج التعليمية ؟ هذا السؤال يدخل في إطار السؤال السابق، ولكنه يبرز خصوصية السؤال السابق وأهميته.

يشير الجدول رقم (١٣) إلى توزيع إجابات الأطفال على السؤال رقم ١٣. ويتضح من الجدول المذكور أن ٧٣٪ من الأطفال ينصحون بمشاهدة البرامج التعليمية، مقابل ٢٥,٧٪ من الأطفال الذين أعلنوا أنهم لا ينصحون بمشاهدتها. ويلاحظ أن هذه النتيجة متقاربة مع نتائج السؤال السابق. وتشير نتائج كا٢ إلى انعدام الفروق الإحصائية بين الجنسين.

(٨/٣/٧) ـ خلاصة: تشير مجموعة الأسئلة الخاصة بقياس مستوى الوعي التربوي الإعلامي عند ذوي الأطفال إلى وجود شريحة هامة من الأطفال الذين هم خارج إطار التوجيه التربوي المتعلق بدور التلفزيون ووظيفته التربوية.

(٤/٧) ـ رابعا: الوقت الذي يقضيه الأطفال في مشاهدة التلفزيون:

تطرح مسألة العلاقة الزمنية المديدة بين الطفل والتلفزيون اليوم إشكالية تربوية هامة، وهي ظاهرة تربوية إعلامية تعاني منها أكثرية بلدان العالم وشعوبه.

فالعلاقة الزمنية بين الطفل والتلفزيون تنشأ في مرحلة مبكرة جدا. وفي هذا الصدد يؤكد ويلبر شرام "أن أول اتصال بين الطفل والتلفزيون يتم في الثانية من العمر" (ويلبر شرام : ١٩٦٥ ، ٤٤). وعلى مستوى الزمن الذي يقضيه الأطفال في مشاهدة التلفزيون تشير دراسة أجريت في استراليا إلى أن الطفل الذي بلغ عمره خمس سنوات يقضي ٢٠٠ ساعة أمام التلفزيون. أي ما يعادل سنتين دراسيتين (دكاك : ١٩٨٩ ، ١١٠). وفي دراسة أخرى أجريت في الكويت تبين أن الأطفال يقضون ساعتين وربع تقريبا أمام التلفزيون ويزداد عدد الساعات إلى ثلاث ساعات وثلث تقريبا في يوم الجمعة، وذلك عند الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين عامين وستة أعوام (محاسن أحمد : ١٩٧٨). وفي دراسة أجريت في أمريكا تبين أن الوقت الذي يقضيه الأطفال أمام التلفزيون يتزايد باستمرار وأن الطفل الذي يتراوح عمره بين الخامسة والسادسة ويشاهد التلفزيون لمدة أربع ساعات يوميا (مصطفى أحمد تركي : ١٩٨٤ ، ١٠٥).

ويذكر الدكتور مصطفى أحمد تركي أن الدراسات التي أجريت في العالم العربي تشير إلى أن الأطفال في أعمار مختلفة يقضون ١٦ ساعة أمام التلفزيون في الأسبوع (مصطفى أحمد تركي : ١٩٨٤ ، ١٠٤). ويذكر الدكتور نواف عدوان أن ٧٨٪ من مجموع الأطفال ممن هم دون الخامسة يشاهدون التلفزيون لمدة تتراوح بين (٢ و٤ ساعات)، وأن ١٢٪ منهم يقضون بين خمس وست ساعات يومياً، وبصورة إجمالية يقضي أطفال العراق مدة ٢١ ساعة أسبوعيا أمام التلفزيون، وأن الطفل العراقي يقضي في مشاهدة التلفزيون مدة تزيد على ضعف المدة التي يقضيها الأطفال في أوروبا الغربية (نواف عدوان : ١٩٧٩ ، ١٣).

هذه الدراسات، التي أجريت والتي تجري لتحديد الفترة الزمنية التي يقضيها الطفل أمام التلفزيون، لا تهدف إلى مجرد تحديد عدد الساعات التي يقضيها الطفل أمام التلفزيون، بل تهدف، في جملة ما تهدف إليه، إلى الإشارة إلى الأضرار المحتملة التي تنتج عن علاقة الطفل الزمنية بالتلفزيون. فالعلاقة الزمنية تشكل الإطار العام للعلاقة الوجدانية والثقافية والتعليمية والتربوية التي تترتب على علاقة الطفل بالتلفزيون.

وفي القطر العربي السوري مازالت هذه العلاقة في حكم المجهول على المستوى العلمي، إذ يلاحظ ندرة الدراسات ــ إن لم يكن غيابها الكامل ــ التي تتناول موضوع العلاقة الزمنية بين الأطفال في سورية والتلفزيون.

وتحديد هذه العلاقة يشكل الإطار العام المنهجي لكل دراسة لاحقة تتناول جوانب العلاقة التربوية بين الطفل والتلفزيون على وجه العموم. والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام هو: ما الوقت الذي يقضيه أطفال القطر العربي السوري في مشاهدة التلفزيون في أثناء العطلة المدرسية وفي أثناء الدوام المدرسي؟

ولتحديد الفترة الزمنية التي يقضيها الأطفال أفراد العينة في مشاهدة التلفزيون تم استفتاء رأي الأطفال في سؤالين وهما:

السؤال رقم ١٤: كم عدد الساعات التقريبي الذي تقضيه في مشاهدة التلفزيون في أثناء العطلة المدرسية ؟
السؤال رقم ١٥: كم عدد الساعات التقريبي الذي تقضيه في مشاهدة التلفزيون في أثناء الدوام المدرسي.

(١/٤/٧) ـــ نتائج السؤال (١٤): تم تفريغ معطيات هذا السؤال في الجدول رقم ١٤ وفقاً لمتغير الجنس.
ويشير الجدول رقم (١٤) إلى أن الأطفال ـــ أفراد العينة ـــ يشاهدون التلفزيون مدة ثلاث ساعات يومياً في أثناء العطلة المدرسية، وأن ١٥٪ منهم يشاهدونه أكثر من ثلاث ساعات يومياً، و ٢٣٪ منهم يشاهدونه مدة تزيد على أربع ساعات، وهو معدل مشاهدة عالية وتلك هي النتيجة التي توصلت إليها أغلب الدراسات السابقة.
وتشير نتائج كا٢ إلى انعدام الفروق الدالة إحصائياً بين الإناث والذكور (انظر الجدول رقم ١٤).
(٢/٤/٧) ـــ نتائج السؤال رقم (١٥): الوقت الذي يقضيه الأطفال في مشاهدة التلفزيون في أثناء المدرسة:
يبين الجدول رقم (١٥) توزع إجابات الأطفال لأفراد العينة وفقاً لمتغيري الجنس. وتبلغ الفترة الزمنية التي يقضيها الأطفال في مشاهدة التلفزيون في أثناء المدرسة ساعة ونصف يومياً، وذلك بفارق ساعة ونصف يومياً لصالح أيام العطلة الأسبوعية والصيفية، وهي في كل الأحوال مدة تتجاوز الفترة الزمنية المخصصة للأطفال، والتي تقل عن ساعة يومياً (٤٥ دقيقة).
وتشير نتائج كا٢ إلى غياب الفروق ذات الدلالة الإحصائية بين الجنسين في مدة مشاهدة كل منهم للتلفزيون.

(٣/٤/٧) ــ خلاصة: يمكن استخلاص النتائج التالية الخاصة بالفترة الزمنية التي يقضيها الأطفال في سورية:

١ــ يقضي الأطفال ــ أفراد العينة ــ ٢١ ساعة وسطياً في الأسبوع في أثناء العطلة المدرسية.

٢ــ يقضي أطفال العينة عشر ساعات ونصف أسبوعياً في أثناء الدوام المدرسي.

٣ــ لا فروق دالة إحصائياً بين الذكور والإناث في مدة المشاهدة خلال الفترة المدرسية أو خلال العطلة الصيفية.

(٥/٧) ــ خامساً: البرامج التي يفضل الأطفال مشاهدتها في التلفزيون:

تشكل العلاقة بين النص التلفزيوني المعروض والطفل المحور الأساسي في الإشكالية التربوية التي تتعلق بالتنشئة الاجتماعية للأطفال. وتتحدد هذه الإشكالية بطبيعة النص التلفزيوني المعروض (البرامج والأفلام والمسلسلات والأغنيات) كما تتحدد بأهدافه ومضامينه التربوية والقيمية. ويلاحظ الدارسون أن غالبية البرامج التلفزيونية التي تعرض على الشاشات الصغيرة مشبعة بقيم العنف والجنس والخيال والاستهلاك. والأطفال في هذا السياق يتعرضون لأخطر أنواع التلوث الثقافي. وقد حذر كثير من الباحثين والمفكرين من مخاطر الجرعات المسمومة التي يتناولها الأطفال عبر سيل من أفلام العنف والجريمة.

وقد اتضح في دراسات عديدة أن التلفزيون يسهم في ارتفاع نسب الجريمة والعنف عند الشباب في مناطق عديدة من العالم تحت تأثير الوتيرة المتزايدة للبرامج التلفزيونية المشبعة بالعنف. لقد أدت البرامج التلفزيونية في الولايات المتحدة الأمريكية، خلال عشر سنوات من الزمن، إلى تغيير أذواق الأمريكيين فيما يتعلق بالمأكل والمشرب والمسكن ووسائل اللهو (زهير مناصفي : ١٩٨٥ ، ١١٦). وفي معرض النقد للبرامج التلفزيونية التي تعرضها التلفزة العربية يقول مناصفي: "ثقافة

التلفزيون تحاول أن تبدد ما يوجد فينا أصلاً ..... وتحاول إفراغ الإنسان العربي من قيمه، من معارفه، ومن مفاهيمه" (زهير مناصفي : ١٩٨٥ ، ١١٨).

يقول الدكتور صالح أبو أصبع "إن أخطر الوسائل الإعلامية في تهديد ثقافتنا القومية هو الجهاز المرئي بما يقدمه من برامج ترفيهية تستورد بنسبة ٥٠٪ من الغرب على مستوى الوطن العربي" (صالح أبو أصبع : ١٩٨٢ ، ٢٢٧). وتشير دراسة أجرتها منظمة اليونيسكو عام ١٩٧٤ إلى أن الدول النامية تستورد نصف البرامج التلفزيونية، وأن ٧٥٪ من هذه البرامج يستورد من الولايات المتحدة الأمريكية (عواطف عبد الرحمن : ١٩٨٤ ، ٦٩).

وتشير أمل دكاك في دراستها عن دور التلفزيون في تنشئة الأطفال سياسياً في سورية إلى غلبة البرامج المستوردة، والتي تحمل طابع العنف، وتتنافى مع القيم الوطنية والاجتماعية التي رسمتها السياسة التربوية في سورية (أمل دكاك : ١٩٨٩).

والأسئلة التي تطرحها هذه الدراسة في هذا المستوى هي: ما مواقف الأطفال من برامج التلفزيون السوري؟ ما البرامج التي تستحوذ على تفضيلهم؟ وما هو مكان البرامج التعليمية في سلم أولوياتهم وتفضيلهم؟ وهل هناك من فروق ذات دلالة إحصائية بين الجنسين؟

ومن أجل تحديد مواقف الأطفال من البرامج التلفزيونية المعروضة تم تصميم سؤالين وجها إلى الأطفال أفراد العينة وهما:

السؤال رقم ١٦ ونصه: ما البرامج التي تفضلها؟ (سؤال مغلق).

السؤال رقم ١٧ ونصه: ما البرامج التي شاهدتها وأعجبتك؟ (سؤال مفتوح).

(١/٥/٧) ـ نتائج السؤال رقم (١٦): تنتظم نتائج هذا السؤال في الجدول رقم (١٦) موزعة وفقاً لمتغير الجنس.

ويتضح من خلال الجدول المذكور احتلال الأفلام المتحركة المكانة الأولى في سلم تفضيل الأطفال، إذ حازت هذه الأفلام على ٢٢٪ من أصوات الأطفال أفراد العينة.

ويلي هذه الأفلام على التوالي البرامج الرياضية ٢٠٪، التعليمية ١٧٪، الأفلام الأجنبية ١٢٪، العلمية والعاطفية ٦٪ لكل منهما، برامج غنائية ٦٪، بوليسية ٤٪ وأخيراً الأخبار ٣٪، انظر الجدول رقم ١٦.

ولقياس درجة التباين في الإجابات بين الذكور والإناث اعتمد مقياس فيشر لتحليل التباين، وتبين وجود فروق دالة إحصائيا في مستوى ٥٪ بين الذكور والإناث في مستوى تفضيلهم البرامج التلفزيونية، كما هو مبين في الجدول التالي:

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	التباين	قيمة ف المحسوبة	قيمة ف المجدولة
بين المجموعات	١١٦٥٣,٥٥	١	١١٦٥٣,٥٥	—	—
داخل المجموعات	٣٨٦٤٤,٢٢	١٦	٢٤١٥,٢٦	٤.٨٢	٤,٤٩
المجموع	٥٤١٤٨	—	١٢٣١٧,٣٧	—	—

ويعود التباين في سلم تفضيل البرامج بين الذكور والإناث إلى المحاور التالية:

١ـ تفضيل الإناث الأفلام المتحركة والتعليمية والبرامج الغنائية بدرجة أكبر من الذكور. انظر الجدول رقم (١٧).

٢ـ تفضيل الذكور البرامج الرياضية والإخبارية بدرجة أكبر من الإناث. (جدول ١٦).

(٢/٥/٧) ـ إجابات الأطفال عن السؤال المفتوح رقم (١٧):

ألف السؤال المفتوح رقم ١٧ على الشكل التالي: أذكر بعض البرامج أو الأفلام التلفزيونية التي شاهدتها وأعجبتك ؟ ويملك الطفل حرية الإجابة عن هذا السؤال بذكر بعض البرامج، أو الأفلام التي شاهدها وأثارت إعجابه.

ولتفريغ نتائج هذا السؤال تم اعتماد منهج تحليل المضمون، إذ تم إحصاء المفردات كافة (أسماء البرامج المذكورة) التي وردت في إجابات الأطفال وتم تفريغها في فئات تشمل تكرارات هذه الأفلام والبرامج وفقا لمتغير الجنس. وقد بلغ عدد المفردات التي أوردها الأطفال ٥٣٧ مفردة (أسماء البرامج والأفلام).

ويهدف السؤال رقم (١٧) إلى تحديد طبيعة الأفلام والبرامج التي تثير تعلق الأطفال وإعجابهم، وقياس الفروق القائمة بين الذكور والإناث في توجههم لمشاهدة البرامج التلفزيونية، ثم قياس تأثير متغير الحالة التعليمية للأب على علاقة الأطفال بالنص التلفزيوني المعروض، وفي النهاية نوعية الأفلام والبرامج التي تلبي احتياجات الأطفال ورغباتهم.

وزعت معطيات السؤال رقم (١٧) في الجدول رقم (١٧)، وتشير معطيات هذا الجدول إلى إعجاب الأطفال وتعلقهم بالأفلام التالية مرتبة وفق التسلسل الانتخابي:

سالي، الهداف، توم وجيري، أبطال الملاعب، برنامج طلائع البعث، ساسوكي، فلونة، فتاة المراعي، بيرين، ساندي بيل، الأحلام الذهبية، الرجل الحديدي، المناهل، الأخبار (انظر الجدول رقم ١٧).

ويلاحظ في إطار نتائج هذا السؤال أن الأطفال يميلون بشكل عام إلى الأفلام المتحركة بالدرجة الأولى، ثم إلى الأفلام المتحركة المشبعة بمضمون العنف: توم وجيري، أبطال الملاعب، الرجل الحديدي، ساسوكي.

لحساب دلالة الفروق الإحصائية بين الجنسين في الإجابة عن السؤال (١٧). تم حساب قيمة (ف) لتحليل التباين، وتبين انعدام الفروق الدالة إحصائيا بين الجنسين في سلم تفضيلهم الأفلام والبرامج المعروضة. وفيما يلي تفصيلا بنتائج اختبار (ف) لتحليل التباين بين الجنسين:

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	التباين	قيمة ف المحسوبة	قيمة ف المجدولة
بين المجموعات	١١٦,٠٣	١	١١٦.٠٣	—	—
داخل المجموعات	٨٩٨٤	٢٦	٣٤٥,٥٤	٠,٣٣	٤,٤٩
المجموع	٩١٠٠,٣	—	٤٦١,٥٧	—	—

(٣/٥/٧) ــ خلاصة:

تشير معطيات تحليل السؤالين السادس عشر والسابع عشر إلى النقاط التالية:

١ــ تحتل الأفلام والبرامج المتحركة المرتبة الأولى في سلم تفضيل الأطفال ــ أفراد العينة ــ ومن أبرز هذه الأفلام: الهداف، سالي، توم وجيري، أبطال الملاعب، ساسوكي، ساندي بل، بيرين، الرجل الحديدي، فتاة المراعي. ويلاحظ أن أغلب هذه البرامج مستوردة وتتسم بطابع العنف.

٢ــ تحتل برامج الرياضة المرتبة الثانية في أولويات التفضيل عند الأطفال.

٣ــ تحتل البرامج التعليمية المرتبة الثالثة، وأبرزها البرنامج التعليمي (افتح ياسمسم) الذي حاز إعجاب الأطفال، ونال ١٥٪ من أصواتهم.

٨. خلاصة الدراسة:

لتقديم صورة سريعة ذات طابع شمولي لنتائج الدراسة نستعرض النقاط التالية:

١ــ يعطي الأطفال ــ أفراد العينة ــ للمدرسة أهمية خاصة، إذ تحتل المدرسة أولوية تفضيلهم بالقياس إلى التلفزيون.

٢ــ يولي الأطفال الإناث المدرسة أهمية أكبر بالقياس إلى الأطفال الذكور.

٣ــ يؤكد الأطفال أهمية الدور التعليمي والتثقيفي للتلفزيون، وهم مقابل ذلك يعطون المدرسة دورا أكثر أهمية فيما يتعلق بهذا الدور.

٤ــ تؤكد نتائج الدراسة وجود شريحة واسعة من الأطفال الذين يتعرضون لتأثير أفلام الكبار والسهرة.

٥ــ هناك شريحة واسعة من الأسر التي لا تمارس أيا من عمليات ترشيد الاستهلاك الإعلامي التلفزيوني، وتترك لأطفالها الحبل على الغارب في مشاهدة الأفلام غير المخصصة لهم، وبالإضافة إلى ذلك فإن أفراد هذه الأسر لا يوجهون أطفالهم إلى مشاهدة أي من البرامج التعليمية أو العلمية.

٦ــ في مستوى العلاقة الزمنية بين الأطفال والتلفزيون تشير الدراسة إلى أهمية الفترة الزمنية التي يقضيها الأطفال أمام الشاشة الصغيرة. وتبين النتائج أن الأطفال يقضون عشر ساعات ونصف وسطيا في الأسبوع في مشاهدة التلفزيون في أثناء العام الدراسي، ولكن هذه الفترة الزمنية تتضاعف في أثناء العطلة المدرسية إذ يقضي الأطفال ٢١ ساعة وسطيا في مشاهدته.

٧ــ لا فروق ذات دلالة إحصائية في مدة مشاهدة التلفزيون وفقا لمتغير الجنس.

٨ــ تحتل الأفلام المتحركة المستوردة، والتي تتسم بطابع العنف أولوية اهتمام الأطفال. ويلاحظ ندرة البرامج التعليمية والعلمية التي وردت في إجابات الأطفال.

٩. توصيات ومقترحات:

تبين الدراسة تعرض شريحة واسعة من الأطفال لتأثير البرامج التلفزيونية المخصصة للكبار، وتجاوز الأطفال الفترة الزمنية المخصصة لهم في مشاهدة التلفزيون، وغلبة الأفلام المستوردة التي تحمل طابع العنف، وندرة البرامج التعليمية والعلمية المخصصة للأطفال، وانخفاض مستوى الوعي التربوي بالمسألة الإعلامية عند شريحة واسعة من الأسر، وغلبة البرامج التلفزيونية المستوردة على البرامج

التلفزيونية العربية والمحلية، وفي ضوء هذه النتائج توصل الباحث إلى صياغة التوصيات التالية:

١ـ توجه حملة إعلامية ذات طابع شمولي تهدف إلى رفع مستوى الوعي التربوي بالمسألة الإعلامية عند الأطفال وذويهم، وإلى حماية الأطفال من الآثار الضارة التي تترتب على اتصال الأطفال غير الراشدين بالبرامج والأفلام المخصصة للراشدين.

٢ـ العمل على زيادة مساحة الأفلام والبرامج التعليمية والعلمية المخصصة للأطفال.

٣ـ العمل على إنتاج برامج وأفلام تلفزيونية مخصصة للأطفال محليا أو عربيا، تنسجم مع الثقافة العربية، وتعبر عن الاستراتيجيات التربوية المطروحة على الساحة العربية، وتساعد على حماية الأطفال من التأثير الثقافي القادم من البلدان الأجنبية.

٤ـ التعاون بين إدارة التلفزيون والمتخصصين في مجال علم النفس والتربية والإعلام والاجتماع في توجيه عملية الإنتاج التلفزيوني، وترشيد استهلاكه على أسس علمية راشدة.

٥ـ دراسة مضمون البرامج التلفزيونية المستوردة وتحليلها، واختيار ما هو مناسب منها، وخاصة هذه التي لا تنطوي على قيم العنف والإثارة، والتي تنسجم مع الأهداف التربوية والثقافية التي حددها المجتمع لنفسه.

٦ـ إجراء المزيد من الدراسات والبحوث الخاصة بمسألة الاتصال الإعلامي بين الأطفال ووسائل الإعلام المختلفة، وتوظيف نتائج هذه الدراسات في رسم الاستراتيجيات التربوية الإعلامية.

١٠. استبانة الدراسة

الاسم .... العمر .... الجنس ....

اسم المدرسة ....المنطقة .... الناحية .... القرية ....

عمل الأب .... مستوى تحصيله المدرسي ....

عمل الأم .... مستوى تحصيلها المدرسي ....

١ــ هل تحب التلفزيون ؟ لا أحب .... قليلا .... كثيرا ....

٢ــ هل تحب المدرسة ؟ لا أحب .... قليلا .... كثيرا ....

٣ــ أيما تحب أكثر المدرسة أم التلفزيون ؟

٤ــ هل تشعر بأنك تتعلم من التلفزيون ؟ قليلا .... كثيرا .... لا أتعلم ....

٥ــ هل تتعلم من التلفزيون أشياء لا تتعلمها من المدرسة ؟ نعم .... لا ....

٦ــ هل تشعر أن التلفزيون أكثر فائدة من المدرسة ؟ نعم .... لا ....

٧ــ هل يمنعك أهلك من مشاهدة التلفزيون في أثناء العام الدراسي؟ نعم ....
لا .... أحيانا ....

٨ــ هل يمنعك أهلك من مشاهدة أفلام الكبار ؟ نعم .... لا .... أحيانا ....

٩ــ هل يمنعك ذووك من مشاهدة أفلام السهرة ؟ نعم ...... لا .... أحيانا ....

١٠ــ هل تشاهد أفلام السهرة ؟ نعم .... لا .... أحيانا ....

١١ــ هل يمنعك أهلك من مشاهدة بعض برامج التلفزيون ؟ دائما .... أبدا.......
أحيانا ....

١٢ــ هل ينصحك أهلك بمشاهدة بعض البرامج التلفزيونية ؟ دائما .... أبدا ....
أحيانا ....

١٣ــ هل ينصحك ذووك بمشاهدة البرامج التعليمية ؟ دائما .... أبدا ....
أحيانا...........

١٤ــ في أيام العطلة المدرسية: كم من الوقت تقضيه تقريبا في مشاهدة التلفزيون ؟

ساعة واحدة .... ساعتين .... ثلاث ساعات ....

أربع ساعات .... أكثر من أربع ساعات ....

١٥ــ كم من الوقت تقضيه تقريبا في مشاهدة التلفزيون في أثناء المدرســـــة؟ ســـاعة ...... ساعتين .... ثلاث ساعات .... أكثر من ثلاث ساعات ....

١٦ــ ما هي البرامج التي تفضلها: رتب ذلك وفقا للمتوالية العددية:

برامج تعليمية ....

برامج علمية ....

أفلام كرتون ....

مسرحيات ....

أفلام عاطفية ....

أفلام كوبوي ....

برامج غنائية ....

برامج رياضية ....

١٧ــ اذكر بعض البرامج التي شاهدتها وأعجبتك ....

....

الجدول رقم (١)

توزع إجابات الأطفال عن السؤال رقم (١) ونصه: هل تحب التلفزيون؟

	قليلا	٪	كثيرا	٪	أبدا	مجموع	٪
ذكور	١٣٠		١٣٠		ـ	٢٦٠	
٪		٥١,٦		٤٨,٤			١٠٠
إناث	٧٠		١١١		ـ	١٨١	
٪		٣٨,٧		٦١,٣			١٠٠
مجموع	٢٠٠		٢٤١		ـ	٤٤١	
٪		٤٥,٣		٥٤,٦			١٠٠

قيمة كا٢ المحسوبة: ٥,٥٢ دالة إحصائيا

قيمة كا٢ الجدولية: ٣,٨٤١ لدرجة حرية واحدة ومعنوية ٠,٠٥

الجدول رقم (٢)

توزع إجابات الأطفال عن السؤال رقم (٢) ونصه: هل تحب المدرسة ؟

	قليلا	٪	كثيرا	٪	أبدا	مجموع	٪
ذكور	١٠٨		١١٩		ـ	٢٢٧	
٪		٤٧,٥٧		٥٢,٤٢			١٠٠
إناث	١٤		١٦٦		ـ	١٨٠	
٪		٧,٧٧		٩٢,٢٢			١٠٠

قيمة كا٢ المحسوبة: ٤,٣٥ غير دالة إحصائية

قيمة كا٢ الجدولية: ٥,٩٩ لدرجة حرية واحدة ومعنوية ٠,٠٥

الجدول رقم (٣)

توزع إجابات الأطفال عن السؤال رقم (٣) ونصه:
أيما تحب أكثر المدرسة أم التلفزيون؟

	المدرسة	٪	التلفزيون	٪	مجموع	٪
ذكور	٢٣١		٢٤		٢٥٥	
٪		٩٠,٥٨		٩,٤١		١٠٠
إناث	١٦٥		٧		١٧٢	
٪		٩٥,٩٣		٤,٠٦		١٠٠

قيمة كا٢ المحسوبة: ٧٥.٧٥ لدرجة حرية واحدة

قيمة كا٢ الجدولية: ١٠,٥٩٧ لدرجة حرية واحدة ومعنوية ٠,٠٠٥

النتيجة: توجد فروق دالة في مستوى ٠,٠٠٥

الجدول رقم (٤)

توزع إجابات الأطفال عن السؤال الرابع ونصه: هل تشعر أنك تتعلم من التلفزيون؟

	قليلا	٪	كثيرا	٪	أبدا		مجموع	٪
ذكور	١٤١		١١٠		١١		٢٦٢	
٪		٥٣,٨		٤١,٩		٤,١٩		١٠٠
إناث	٧٩		٧١		٥		١٥٥	
٪		٥٠,٩		٤٥,٨٠		٣,٢٢		١٠٠

قيمة كا٢ المحسوبة: ٠,٧١ غير دالة إحصائية

قيمة كا٢ الجدولية: ٥,٩٩١ لدرجتي حرية ومعنوية ٠,٠٥

الجدول رقم (٥)

توزع إجابات الأطفال عن السؤال الخامس ونصه: هل تتعلم من التلفزيون أشياء لا تتعلمها في المدرسة ؟

	قليلا	٪	كثيرا	٪	لا	مجموع	٪
ذكور	١٣٧		١٠٦		—	٢٣٤	
٪		٥٦,٣٧		٤٣,٦٢			١٠٠
إناث	٨٧		٣٥		—	١٢٢	
٪		٧١,٣١		٢٨,٦٨			١٠٠

قيمة كا٢ المحسوبة: ٧,٦٣

قيمة كا٢ الجدولية: ٦,٦٣٥ لدرجة حرية واحدة ومعنوية ٠,٠١

النتيجة: توجد فروق دالة في مستوى ٠,٠١

الجدول رقم (٦)

توزع إجابات الأطفال عن السؤال السادس ونصه: هل تشعر أن التلفزيون أكثر فائدة من المدرسة ؟

	قليلا	٪	كثيرا	٪	لا	مجموع	٪
ذكور	٢٧		٢٠٦		٠	٢٣٣	
٪		١١,٥٨		٨٨,٤١			١٠٠
إناث	١١		٩٢		٠	١٠٣	
٪		١٠,٦٧		٨٩,٣٢			١٠٠

قيمة كا٢ المحسوبة: ٠,٠٥

قيمة كا٢ الجدولية: ٥,٩٩١ لدرجة حرية واحدة ومعنوية ٠,٠٥

النتيجة: لا توجد فروق دالة إحصائيا في مستوى ٠,٠٥

الجدول رقم (٧)

توزع إجابات الأطفال عن السؤال السابع ونصه: هل يمنعك ذووك من مشاهدة التلفزيون في أثناء العام الدراسي؟

	نعم	٪	لا	٪	أحيانا	٪	مجموع	٪
ذكور	١٧٢		٨٤		٠		٢٥٦	
٪		٦٧,١٨		٣٢,٨١		٠		١٠٠
إناث	١٠٩		٦١		٧		١٧٧	
٪		٦١,٥٨		٣٤,٤٦		٣,٩٥		١٠٠

قيمة كا٢ المحسوبة: ٠,٤٢ لا توجد فروق دالة إحصائيا

قيمة كا٢ الجدولية: ٥,٩٩١ لدرجتي حرية ومعنوية ٠,٠٥

الجدول رقم (٨)

توزع إجابات الأطفال عن السؤال الثامن ونصه: هل يمنعك ذووك من مشاهدة أفلام الكبار؟

	نعم	٪	لا	٪	لم يجب	٪	أحيانا	٪	مجموع	٪
ذكور	٣٣١		١٠٦		٦		١٧		٢٦٢	
٪		٥٠,٧٦		٤٠,٤٥		٢,٢٩		٦,٤٨		١٠٠
إناث	٨٨		٧١		٩		١٣		١٨١	
٪		٤٨,٦١		٣٩,٢٢		٤,٩٧		٤,١٨		١٠٠
مجموع	٢٢١		١٧٧		١٥		٣٠		٤٤٣	
٪		٤٩,٨٨		٣٩,٩٥		٣,٣٨		٦,٧٧		١٠٠

قيمة كا٢ المحسوبة: ٠,١٤ لا توجد فروق دالة إحصائيا

قيمة كا٢ الجدولية: ٧,٨١٥ لثلاث درجات حرية ومعنوية ٠,٠٥

الجدول رقم (٩)

توزع إجابات الأطفال عن السؤال التاسع ونصه: هل يمنعك ذووك من مشاهدة أفلام السهرة؟

	لا ٪	أحيانا ٪	دائما ٪	مجموع ٪
ذكور	١٣٠	٨٣	٢٩	٢٤٢
٪	٥٣,٧١	٣٤,٢٩	١١,٩٨	١٠٠
إناث	٩٦	٥٠	١٦	١٦٢
٪	٥٩,٢٥	٣٠,٨٦	٩,٨٧	١٠٠

قيمة كا٢ المحسوبة: ١,٢٦

قيمة كا٢ الجدولية: ٥,٩٩١ لدرجتي حرية ومعنوية ٠,٠٥

النتيجة: لا توجد فروق دالة إحصائيا في مستوى ٠,٠٥

الجدول رقم (١٠)

توزع إجابات الأطفال عن السؤال العاشر ونصه: هل تشاهد أفلام السهرة ؟

	لا ٪	أحيانا ٪	دائما ٪	مجموع ٪
ذكور	١٥٩	٦٨	٢٨	٢٥٥
٪	٦٢,٣٥	٢٦,٦٦	١٠,٩٨	١٠٠
إناث	٤٤	٩٠	٤١	١٧٥
٪	٢٥,١٤	٥١,٤٢	٢٣,٤٢	١٠٠

قيمة كا٢ المحسوبة: ٥,٧٧ لا توجد فروق دالة إحصائيا

قيمة كا٢ الجدولية: ٥,٩٩١ لدرجتي حرية ومعنوية ٠,٠٥

النتيجة: لا توجد فروق دالة إحصائيا في مستوى ٠,٠١

الجدول رقم (١١)

توزع إجابات الأطفال عن السؤال الحادي عشر ونصه: هل يمنعك أهلك من مشاهدة بعض البرامج التلفزيونية ؟

	أبداً	٪	أحياناً	٪	دائماً	٪	مجموع	٪
ذكور	١١٤		١٣٢		٨		٢٥٤	
٪		٤٤,٨٨		٥١,٩٦		٣,١٤		١٠٠
إناث	٤٥		١٢٣		٤		١٧٢	
٪		٢٦,١٦		٧١,٥١		٢,٣٢		١٠٠

قيمة كا٢ المحسوبة: ١٥,٣٤

قيمة كا٢ الجدولية: ٥,٩٩١ لدرجتي حرية ومعنوية ٠,٠٥

النتيجة: توجد فروق دالة إحصائياً في مستوى ٠,٠٥

الجدول رقم (١٢)

توزع إجابات الأطفال عن السؤال الثاني عشر ونصه: هل ينصحك أهلك بمشاهدة بعض البرامج التلفزيونية ؟

	دائماً	٪	أبداً	٪	مجموع	٪
ذكور	١٦٦		٦٣		٢٢٩	
٪		٧٢,٤٨		٢٧,٥١		١٠٠
إناث	١١٩		٦١		١٨٠	
٪		٦٦,١١		٣٣,٨٨		١٠٠

قيمة كا٢ المحسوبة: ١,٩٤

قيمة كا٢ الجدولية: ٣,٨٤١ لدرجة حرية ومعنوية ٠,٠٥

النتيجة: لا توجد فروق دالة إحصائياً في مستوى ٠,٠٥

الجدول رقم (١٣)

توزع إجابات الأطفال عن السؤال الثالث عشر ونصه: هل ينصحك أهلك بمشاهدة البرامج التعليمية؟

	دائما	٪	أبدا	٪	أحيانا	٪	مجموع	٪
ذكور	١٨٦		٦٨		٤		٢٥٨	
٪		٧٢,٠٩		٢٦,٣٥		١,٥٥		١٠٠
إناث	١٢١		٤٠		١		١٦٢	
٪		٧٤,٦٩		٢٤,٦٩		٠,٦١		١٠٠

قيمة كا٢ المحسوبة: ٠,٤٧

قيمة كا٢ الجدولية: ٥,٩٩١ لدرجتي حرية ومعنوية ٠,٠٥

النتيجة: لا توجد فروق دالة إحصائيا في مستوى ٠,٠٥

الجدول رقم (١٤)

المدة الزمنية التي يقضيها الأطفال أمام التلفزيون في أثناء العطلة المدرسية

	ساعة	ساعتين	٣ ساعات	٤ سا	أكثر من ٤ سا	مجموع
ذكور	٣٧	٥٣	٢٤	٣٤	٤٠	١٨٨
٪	١٩,٦٨	٢٨,١٩	١٢,٧٦	١٨,٠٨	٢١,٢٧	١٠٠
إناث	٢٢	٥٢	٢٩	١٩	٤١	١٦٣
٪	١٣,٤٩	٣١,٩٠	١٧,٧٩	١١,٦٥	٢٥,١٥	١٠٠

قيمة كا٢ المحسوبة: ٦.٨٠

قيمة كا٢ الجدولية: ٩,٤٨٨ لأربع درجات حرية ومعنوية ٠,٠٥

النتيجة: لا توجد فروق دالة إحصائيا في مستوى ٠,٠٥

الجدول رقم (١٥)

المدة الزمنية التي يقضيها الأطفال أمام التلفزيون في أثناء المدرسة

	ساعة	ساعتين	٣ ساعات	أكثر من ٣ سا	مجموع
ذكور	١٧٨	٥٣	١٠	١٢	٢٥٣
٪	٧٠,٣٥	٢٠.٩٤	٣,٩٥	٤,٧٤	١٠٠
إناث	٩٦	٤٢	٣	١١	١٥٢
٪	٦٣,١٥	٢٧,٦٣	١,٩٧	٧,٢٣	١٠٠

قيمة كا٢ المحسوبة: ٢,٥٦

قيمة كا٢ الجدولية: ٤,٧٣ لثلاث درجات حرية ومعنوية ٠,٠٥

النتيجة: لا توجد فروق دالة إحصائيا في مستوى ٠,٠٥

الجدول رقم (١٦)

البرامج التي يفضل الأطفال مشاهدتها

	ذكور	إناث	مجموع
أفلام كرتون	١٦٨	١٠٢	٢٧٠
٪	١٩,٩٥	٢٦,٥٦	٢٢,٢٠
برامج تعليمية	١٢٨	٨٣	٢١١
٪	١٥,٢٠	٢١,٦١	١٧,٢١
برامج رياضية	٢٠٣	٤٣	٢٤٦
٪	٤٩,١٠	١١,١٩	٢٠,٠٦
برامج مسرحية	١٠٩	٤٥	١٥٤
٪	١٢,٩٤	١١,٧١	١٢,٥٦
برامج علمية	٤٧	٣٤	٨١
٪	٥,٥٨	٨,٨٥	٦,٦٠
أفلام عاطفية	٦٠	٢١	٨١
٪	٧,١٢	٥,٤٦	٦,٦٠
أفلام بوليسية	٤٣	١١	٥٤
٪	٥,١٠	٢,٨٦	٤,٤٠
برامج غنائية	٤٠	٤٥	٨٥
٪	٤,٧٥	١١,٧١	٦,٩٣
برامج إخبارية	٤٤	٠	٤٤
٪	٥,٢٢	٠	٣,٥٨
مجموع	٨٤٢	٣٨٤	١٢٢٦
٪	١٠٠	١٠٠	١٠٠

الجدول رقم (١٧)

الأفلام والبرامج التلفزيونية التي نالت إعجاب الأطفال:

اسم البرنامج	ذكور	إناث	مجموع
سالي	٣٠	٧٠	١٠٠
٪	١٠،١٠	٢٩،١٦	١٨،٦٢
الهداف	٦٥	٢٩	٩٤
٪	٢١،٨٨	١٢،٠٨	١٧،٥٠
افتح يا سمسم	٤٣	٣٨	٨١
٪	١٤،٤٧	١٥،٨٣	١٥،٠٨
توم وجيري	٣٥	٢٤	٥٩
٪	١١،٧٨	١٠،٠٠	١٠،٩٨
أبطال الملاعب	٣٢	٣	٣٥
٪	١٠،٧٧	١،٢٥	٦،٥١
طلائع البعث	٢٠	١١	٣١
٪	٦،٧٣	٤،٥٨	٥،٧٧
ساسوكي	٢٧	–	٢٧
٪	٩،٠٩	–	٥،٠٢
فلونة	١١	٩	٢٠
٪	٣،٧٠	٣،٧٥	٣،٧٢
فتاة المراعي	٣	١٦	١٩
٪	١،٠١	٦،٦٦	٣،٥٣
هايدي	١	١٥	١٦
٪	٠،٣٣	٦،٢٥	٢،٩٧
ساندي بل	٥	٩	١٤
٪	١،٦٨	٣،٧٥	٢،٦٠
الأحلام الذهبية	١١	١	١٢
٪	٣،٧٠	٠،٤١	٢،٢٣
الرجل الحديدي	٧	٤	١١
٪	٢،٣٥	١،٦٦	٢،٠٤
المناهل	٧	١١	١٨
٪	٢،٣٥	٤،٥٨	٣،٣٥
المجموع	٢٩٧	٢٤٠	٤٦٦
٪	١٠٠	١٠٠	١٠٠

المراجع

١ــ (القلا) فخر الدين: "وسائل الإعلام وتربية الطفل"، الإعلام العربي، العدد ١١، كانون الأول/حزيران ١٩٨٦/١٩٨٧ (ص : ١٠٨ – ١١٥).

٢ــ (أبيض) ملكة: "علم الاجتماع التربوي"، مؤسسة الوحدة، دمشق ١٩٨٨.

٣ــ (المعموري) مصطفى: "النظام الإعلامي الجديد"، عالم المعرفة، العدد ٩٤، كويت ١٩٨٥.

٤ــ (إبراهيم) محمد عوض: "التلفزيون والطفل : التلفزيون الأب الثالث لطفل اليوم"، مجلة الفيصل، عدد ١٢٢ نيسان ١٩٨٧، (ص : ٢٩ – ٣٤).

٥ــ (المعموري) مصطفى: "وظائف أجهزة الإعلام، ووظائف أجهزة الثقافة : التكامل بين أجهزة الإعلام وأجهزة الثقافة في الوطن العربي)، المنظمة العربية، تونس ١٩٨٤.

٦ــ (القلا) فخر الدين: "وسائل الإعلام وتربية الطفل" مجلة الإعلام العربي، العدد ١١، كانون الأول ١٩٨٦، حزيران ١٩٨٧.

٧ــ (الجابر) محمد: "الإدراك والاتصال"، المركز القومي للاستشارات والتطوير الإداري، بغداد (من غير تاريخ).

٨ــ (السود) نزار عيون ــ (العقاد) ليلى: "علم الاجتماع الإعلامي"، المطبعة الجديدة، دمشق ١٩٨٥.

٩ــ (الدباغ) فخري: "غسل الدماغ" دار الطليعة، بيروت ١٩٨٢.

١٠ــ المركز العربي لبحوث المستمعين والمشاهدين "استطلاع آراء ذوي الأطفال في برامج التلفزيون العراقي"، بغداد ١٩٧٧.

١١ــ المركز العربي لبحوث المستمعين والمشاهدين "استطلاع آراء الأطفال في برامج التلفزيون العراقي"، بغداد ١٩٧٩.

١٢ـ (أحمد) محاسن: "التنشئة الثقافية والمعرفية لطفل ماقبل المدرسة الابتدائية"، بحث مقدم إلى أسبوع التربية الثامن المنعقد في الكويت عام ١٩٧٨.
١٣ـ (أبو أصبع) صالح: "وسائل الإعلام الغربية والانسلاب الثقافي"، المعرفة، العددان : ٢٤٣ – ٢٤٤، أيار – حزيران، ١٩٨٢، ص ٢٢٧.
١٤ـ (المشوط) محمود عليان: "علم النفس الإعلامي" مطبعة الداوودي، دمشق ١٩٨٨.
١٥ـ المؤسسة العامة للإذاعة والتلفزيون: المركز العربي لبحوث المستمعين والمشاهدين ببغداد: "استطلاع رأي ذوي الأطفال بخصوص برامج التلفزيون العراقي"، المؤسسة العامة للإذاعة والتلفزيون، بغداد ١٩٧٨.
١٦ـ التلفزيون المصري: "التلفزيون والطفل : بحث ميداني"، القاهرة ١٩٦٦.
١٧ـ (بال) فرنسيس: "وسائل الإعلام الدول المتطورة" تعريب حسين العيودات، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس ١٩٨٣.
١٨ـ (بلعربي) علي: "التكامل بين الثقافة والإعلام"، ضمن نخبة من الباحثين العرب، التكامل بين أجهزة الإعلام وأجهزة الثقافة في الوطن العربي، إعداد توفيق فياض، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس ١٩٨٤، ١٩٧٠ (ص : ٤٥ ـ ٥٥).
١٩ـ (تركي) مصطفى أحمد: "الإعلام وأثره في شخصية الفرد"، عالم الفكر، مجلة ١٤، العدد ٤، يناير ـ فبراير ـ مارس، ١٩٨٤ (ص ٩٩ ـ ١٢٥).
٢٠ـ (جبر) منى محمد عبد الفتاح: "دور التلفزيون في تثقيف الطفل"، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٣ (رسالة ماجستير).
٢١ـ (دكاك) أمل: "دور التلفزيون في تنشئة الأطفال سياسيا في القطر العربي السوري" جامعة دمشق، كلية الآداب، ١٩٨٩ (رسالة أعدت لنيل درجة الماجستير في علم الاجتماع).

٢٢ـ (رويه) ريمون: "السبرنتيك وأصل الإعلام" ترجمة عادل العوا، وزارة الثقافة، دمشق ١٩٧١.

٢٣ـ (رحمة) أنطون: "التربية العامة"، مطبعة خالد بن الوليد، دمشق ١٩٨٨.

٢٤ـ (رشتي) أحمد جيهان: "الأسس العلمية لنظرية الإعلام"، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٧٨.

٢٥ـ (سليم) نبيل: "وسائل الاتصال الحديثة وبناء الذاتية الثقافية"، الوحدة عدد ٥٤، آذار (مارس) ١٩٨٩، (ص ١٦١ ـ ١٧٠).

٢٦ـ (شللر) هربرت .أ: "المتلاعبون بالعقول"، ترجمة عبد السلام رضوان، عالم المعرفة، العدد ١٠٦، تشرين الأول (أكتوبر) الكويت ١٩٨٦.

٢٧ـ (شرف) عبد العزيز: "وسائل الإعلام ومستقبل الطفل العربي" مجلة الفكر، عدد ١٠، تموز ١٩٨٥ (ص ٣٣ – ٤٤).

٢٨ـ (شرام) ويلبر، أدوين باركر، جاك ليل: "التلفزيون وأثره في حياة أطفالنا"، ترجمة زكريا سيد حسن، الدار المصرية للترجمة والتأليف والنشر، القاهرة ١٩٦٥.

٢٩ـ (صالح) قاسم حسين: "علاقة طول مشاهدة التلفزيون، وطبيعة برامجه في التحصيل المدرسي لطلبة الصف السادس الابتدائي"، أطروحة ماجستير، جامعة بغداد ـ كلية التربية ١٩٧٥.

٣٠ـ (عدوان) نواف: "دور المركز العربي لبحوث المستمعين والمشاهدين في تطوير برامج الأطفال"، بغداد ١٩٧٩ ص ١٣.

٣١ـ (عبد الرحمن) عواطف: "قضايا التبعية الإعلامية والثقافية في العالم الثالث"، عالم المعرفة، العدد ٧٨، حزيران ١٩٨٤ ص ٦٩.

٣٢ـ (عبد الله) عبد الرحيم صالح: "الأسرة كعامل تربوي وتعاونها مع المدرسة في تربية الأطفال"، الاتحاد العام لنساء العراق، العدد ٥٥ – ١٩٧٩.

٣٣ـ (عيسى) رائدة عساف: "تـأثير التلفزيـون علـى الأطفـال"، معـهد الخدمـة الاجتماعية، رسالة تخرج ـ دمشق ١٩٩٠.

٣٤ـ (عبد الرحمن) سعد: "التلفزيون وطفل المدرسة المتوسطة" وزارة الإعـلام ـ الكويت ١٩٧٤.

٣٥ـ (عيسوي) عبد الرحمن: "الآثار النفسية والاجتماعية للتلفزيون العربي"، الهيئـة المصرية للكتاب، القاهرة ١٩٧٩.

٣٦ـ (كرم) جان جبران: "التلفزيون والأطفال" دار الجيل، بيروت ١٩٨٨.

٣٧ـ (لابول) آينيل دوسو: "التكنولوجيا والسياسة في عصر المعلومات" تعريب ماري عوض، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة الإعلام، تونس ١٩٨٣.

٣٨ـ (مناصفي) زهير: "سحر الشاشة الصغيرة وطغيانها الخفـي" الفكـر العربـي المعاصر، العدد ٣٥، حزيران ١٩٨٥ ـ ص ١١٦.

٣٩ـ مجموعة من علماء النفس: "علم النفس الاجتماعي وقضايا الإعلام والدعايـة"، تعريب نزار عيون السود، دار دمشق ١٩٧٨.

٤٠ـ (منسي) محمود: "النظام الإعلامي الجديد" عالم المعرفة، عـدد ٩٤، الكويـت ١٩٨٥.

٤١ـ (مناصفي) زهير: "سحر الشاشة الصغيرة وطغيانها الخفـي" الفكـر العربـي المعاصر، مجلة العلوم الإنسـانية، العـدد ٣٥، خزيـران ١٩٨٥، (ص ١١٤ ـ ١٢٠).

٤٢ـ مكتب العربي لدول الخليج: "وقائع ندوة ماذا يريد التربويون مـن الإعلاميـن" ١٩٨٦.

٤٣ـ (رمزي) ناهد: "التلفزيون والصغار" المركـز القومـي للبحـوث الاجتماعيـة والجنائية، القاهرة ١٩٧٥.

٤٤ــ (هشام) عبد المنعم و (سليمان) عدلي: "الجماعات والتنشئة الاجتماعية" القاهرة ١٩٧٠.

٤٥ــ (هيملويت) هيلد .ت: "التلفزيون والطفل: دراسة تجريبية لآثار التلفزيون على النشء" تعريب أحمد سعيد عبد الحليم ومحمود شكري العدوي، مؤسسة سجل العرب، القاهرة ١٩٦٧.

٤٦ــ هيلد .ت .هيملويت و أ. ن. أوبنهام و باميلا فيمس و د. بلومنتال و م. نيول و ي. كروفت هوايت و ن. أ. ستاندن و أ. ج. هويلدن: "التلفزيون والطفل : دراسة تجريبية لأثر التلفزيون على النشء" تعريب أحمد سعيد عبد الحليم ومحمود شكري العدوي، مراجعة سعد لبيب، مؤسسة سجل العرب، القاهرة ١٩٦٧.

٤٧ــ (وهدان) عز الدين: "اشتراطات موضوعية مرحلية لمواجهة تحالف الإعلامين الامبريالي والصهيوني" مجلة الوحدة، الإعلام والوعي العربي، العدد ٥٤، آذار (مارس) ١٩٨٩ (ص ٧٣ ــ ٨٧).

٤٨ــ (وطفة) علي: "التحديات الإعلامية في جنوب سورية"، جامعة دمشق، كلية التربية، دمشق ١٩٩٠، بحث غير منشور.

مراجع باللغة الفرنسية

(De Rosnay) Joel: "L' approche systematique appliquee a l ' etblissement scolaire" dans Beadot Alain, "sociologiede l' ecole" Bordas, Paris, 1981 (pp 141 – 154). (Marie).

Winn : "T.V.Drougue ?", Fleurs, Paris, 1979.

LAZAR Judith:"Ecole, communication, television P.U.F, Paris", 1985.

(Lazar) Judith: "Sociologie de la communication de mass" Armond Colin, Paris, 1991.

Siempan – Ch : "Television et education aux Etats unis", UNISCO, Paris. 1952.

Mireille Chalvon & Pierre corset & Michel Souchon: "L' enfant devant la television des annees 90", P.U.F. Paris, 1990.

* تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق ١٩٩١/٩/٢٦

قضايا التطور الاقتصادي في دولة المدينة الإغريقية (البوليس) في القرن الخامس ق.م

د. خليل سارة
كلية الآداب ـ قسم التاريخ
جامعة دمشق

الملخص

يتناول هذا البحث التحولات الرامية إلى دراسة مختلف المجالات الأساسية والفرعية التي تعين الدارس على فهم اقتصاد المجتمع الإغريقي القديم في القرن الخامس ق.م ويشير إلى دراسة العوامل المؤثرة في ارتقاء الاقتصاد كصفات البيئة الطبيعية والوصول إلى مستوى تطور قوى الإنتاج، وصفات الإنتاج، وصفات النظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، ودرجة التبادل مع مجتمعات حوض البحر الأبيض المتوسط.

ونوضح في هذا البحث مراحل التطورات الاقتصادية التي حصلت في دولة – المدينة (البوليس) مستندين في ذلك إلى أهم آراء المؤرخين القدامى في تحليل ذلك الوضع، ونشير إلى تفسيرها وإيضاحها من خلال وجهات نظر مختلف العلماء في اقتصاد اليونان القديم وإيضاحها من خلال دراساتهم الحديثة والمعاصرة التي ساعدت إلى حد كبير في فهم خصائص الاقتصاد اليوناني في القرن الخامس ق.م وما طرأ عليه من مستجدات علمية غيرت من بعض النظرات القديمة السائدة التي عاقت الوصول إلى فهم سليم لخصائص هذا الاقتصاد.

وقد توافرت أدلة ملموسة في القرن الخامس ق.م تؤكد أن الوضع العام لـ (البوليس) أعطى قوة دفع كبيرة لتطور الاقتصاد الكلاسيكي، وكان هذا واضحاً من خلال الشواهد العمرانية المشيدة في كثير من دول المدن (البوليس).

وكذلك أدى التطور اللاحق للعلاقات النقدية -السلعية والانتشار الواسع للعبيد في الملكيات الزراعية بصورة رئيسية، إلى نمو إنتاجية الاقتصاد وأصبح أحد أسس اختصاصاته.

والاستنتاج الأساسي الجديد الذي توصلنا إليه من خلال هذا البحث هو أن نظام البوليس كفل التقدم الاقتصادي للمجتمع الإغريقي القديم.

مقدمة:

ظهرت دول المدن اليونانية في العصر الكلاسيكي فيما بين القرنين الثامن والرابع ق.م، وقد عرف هذا الشكل بنظام دولة المدينة (POLIS). والذي يعني ببساطة أن تؤلف كل منطقة جغرافية كياناً مستقلاً قائماً بذاته له مقومات الدولة الشكلية كلها على الأقل. ويتمحور عادة حول مدينة واحدة تحيط بها رقعة من الأرض تصغر أوتكبر تبعاً للظروف، تنتشر فيها مجموعة من القرى الصغيرة من بينها على الغالب ميناء بحري.

وقد كانت الصيغة الأولى التي استقرت عليها دول المدن اليونانية هي تجمعات سكانية قبلية في تكوينها. واللفظة اليونانية التي تستخدم على هذا الشكل من التجمعات السكانية هي (Synoekismos) ومعناها الحرفي "الإسكان المشترك"[١]. وكان صاحب أكبر مساحة من الأراضي يرأس التجمع القبلي الذي يوجد فيه ويتخذ لقب (Basileus). وكانت الظروف الجغرافية التي جزأت بلاد اليونان إلى مناطق منعزلة أو شبه منعزلة هي التي أدت إلى ظهور مثل هذا التكوين من التجمعات القبلية، وربما كان انعدام الأمن في فترة الغزوات الدورية الطويلة هو العامل الثاني في إحداث هذا التشرذم أو الانقسام لبلاد اليونان حيث أصبح أمن كل نتطقة منفرداً ـ مهما صغر حجمه ـ هو شغله الشاغل، في ظروف عدم وجود سلطة مركزية كبرى قادرة على التدخل الفعال وباستمرار على مسافات بعيدة كلما دعت الضرورة. ومع ذلك فسرعان ما يدعم هذا الانقسام السياسي وترسخت قواعده في نظام "دولة المدينة" في العصر الكلاسيكي،فتصوروه نظاماً طبيعياً لهم، وأنه يمثل أرقى نموذج للمجتمع الإنساني المتحضر[٢].

وقد عرفت دول المدن اليونانية أنماطاً من الحكومات الملكية (Monarchia) والأرستقراطية (Aristokratia)، وحكم الأقلية (Oligarchia)، وحكم الطغاة (Tyrania)،

إلى أن وصل النظام السياسي في هذه المدن في نهاية القرن السادس ق.م أو بداية حكم كليثنس ٥٠٨ـ٥٠٧ ق.م إلى النظام الديمقراطي (Demokratia) إذ ساعدت الظروف السياسية الدولية والجغرافية والتاريخية مدن بلاد اليونان على أن ترتقي في حكمها إلى مثل هذا النظام[٣].

وكان من أبرز خصائص دول المدن اليونانية، الحرية Eleutheria، والاستقلال السياسي والديني Autonomia والاكتفاء الاقتصادي Autarkeia. وكان سكان كل دولة مدينة يصبحون جماعة سياسية مترابطة أي يصبحون دولة مدينة، يعرف فيها الناس بعضهم بعضاً معرفة شخصية حيث كانت مصلحة الفرد ترتبط بمصلحة الجماعة ولهم معتقداتهم وأفكارهم الواحدة[٤].

وقد انتشرت ظاهرة دول المدن في كل العصور والأماكن وليس فقط في بلاد اليونان. فنجد على سبيل المثال دول المدن السومرية والبابلية في بلاد الرافدين في الألف الثالثة ق.م، مثل بابل ولاغاش وأور وكيش، ودول المدن الفنيقية مثل صور وصيدا وأرواد على الساحل السوري وقرطاجة في شمال أفريقية. ومن أمثلة دول المدن الأوربية في العصور الوسطى مدن البندقية، وميلانو، وفلورنسة، ومرسيلية، وبرشلونة. وفي العصر الحديث نجد دول المدن مثل كمبريدج، وبريمن، وجنيف، وزيورخ، وسان مارينو، والأخيرة رغم أنها صغرى المدن لا تزال تتمتع بالسيادة والاستقلال التام.

وبعد هذا التعريف البسيط لدولة المدينة اليونانية واستعراض خصائصها السياسية، علينا أن نتعرض بإيجاز إلى مانريد أن نبحثه من السمات والتطورات الاقتصادية في دولة المدينة اليونانية في العصر الكلاسيكي وتحديداً في القرن الخامس ق.م، إذ يعد هذا القرن، العصر الأكثر ازدهاراً لدولة المدينة اليونانية (البوليس) التي كانت الشكل الأساسي للتنظيم السياسي والاجتماعي للمجتمع اليوناني. ولإيضاح هذا الشكل من

الحضارة اليونانية القديمة أي دولة المدينة (البوليس) لابد من بحث القاعدة الاقتصادية لهذا العصر الذي أعير فيه اهتمام خاص لتحليل الوضع الاقتصادي والاتجاهات التي تطور فيها، سواء على صعيد الصناعة أو التجارة، ولن نتطرق في هذا البحث إلى الزراعة التي يمكن تناولها فيما بعد في بحث مستقل. ولذا فإننا سنوضح في هذه الدراسة مختلف الخصائص الأساسية ومراحل التطور لهذه الجوانب الاقتصادية المذكورة آنفاً، ومدى تغلغل العلاقات النقدية ـ السلعية في السيطرة على الاقتصاد اليوناني بعد أن تغلّب على الاقتصاد العيني البدائي وأسهم في عمليات التطور الاقتصادي من حيث إنّه يمكن أن نعدّ هذا الجانب ثورة عملية أو انقلاباً إيجابياً في الحياة الاقتصادية للمجتمع اليوناني أدى بدوره إلى بزوغ فجر جديد في العلاقات التجارية بين اليونان والعالم غير اليوناني من جهة، وإلى تطور هذه العلاقات بين المدن اليونانية نفسها من جهة أخرى.

ومن جانب آخر سنتعرض إلى مختلف التفسيرات الاقتصادية للمدارس التاريخية العالمية التي ظهرت بدءاً من نهاية القرن التاسع عشر، ومدى تطور علم التأريخ لدى كل من هذه المدارس فيما يخص دراسة اقتصاد اليونان القديم، ونبين آراء بعض العلماء ونظرياتهم والمناهج المتطورة التي اتبعوها في طرق البحث العلمي لدراسة الاقتصاد اليوناني الكلاسيكي.

وتنحصر أهمية هذه الدراسة في أن الدراسات الحديثة لاتلتفت إلى القرن الخامس ق.م، بالشكل الكافي والمطلوب. فقد ركزت اهتمامها على العصر البطولي (أي دور تشكيل المدينة الكلاسيكية) أو على القرن الرابع ق.م (أي دور الأزمات) وفي مثل هذه الحال لايمكن تفسير أحداث القرن الخامس ق.م إلا بشكل جزئي ووفق توافر مصادر البحث التي ركزت اهتمامها على دولة المدينة اليونانية أثينا (Athenae).لذا فإن مسرح أحداث هذا البحث هو بلاد اليونان القارية وبشكل خاص أثينا وماحولها من المراكز الأخرى التي أدت دوراً رئيسياً في الفعاليات الاقتصادية والسياسية في العصر الذي

نؤرخ له، وهذه المراكز كماذكرتها بعض المصادر المتوافرة هي مدن ومستعمرات يونانية على شواطئ البحرين الأسود والمتوسط.

أما زمان هذا البحث، فهو مابين القرنين الخامس والرابع ق.م، فإذا كان القرن الخامس قد شهد ازدهار اليونانيين القدماء ونشاطهم، فإن طلائع القرن الرابع شهدت انحطاطهم. إلا أن الدراسات الحديثة المعاصرة بينت، من وجهة النظر الاقتصادية، أن القرن الرابع ق.م لايمثل فترة انحطاط، وإنما هو امتداد لسير العمليات اللاقتصادية، أو فترة لاحقة من التطور تعود بداياته إلى القرن الخامس ق.م لذا وجب علينا في هذه الحالة أن نستخدم تلك المصادر التي تصف القرن الرابع لإيضاح تلك العمليات الاقتصادية واتجاهات التطور الاقتصادي الذي تعود بداياته للقرن الذي سبقه.

ومن جهة أخرى، فإن قضايا التطور الاقتصادي في القرن الخامس ق.م، تستحق الدراسة من جديد وإعادة النظر في ضوء البحوث المعاصرة التي أمدت الدارسين والباحثين بمعطيات جديدة يمكن أن تصوّب بعض المعلومات، أو أن تستكمل أخرى في أي عصر من العصور. لذا فإن هذا البحث سيعالج أهم القضايا الاقتصادية الأساسية والفرعية في المجتمع اليوناني في القرن الخامس ق.م، بناءً على المستجدات الحديثة والمعتمدة عند أغلب العلماء الذين شكلت نظرياتهم وآراؤهم آفاقاً جديدة في دراسة التاريخ الاقتصادي لليونان الكلاسيكية في القرن الخامس ق.م.

وقد اعتمدت في كتابة هذا البحث على كل ماوقع تحت يدي من مراجع كتبها عدد من أساتذة التاريخ الكلاسيكي في العالم العربي حتى الوقت الحاضر، إضافة إلى أحدث الدراسات التي صدرت في الاتحاد السوفييتي السابق وأوربا من المترجمات أو في لغاتها الأصلية.

أسباب التطور الاقتصادي في دولة المدينة اليونانية (البوليس):

إذا ما بدأنا في دراسة دولة المدينة اليونانية (البوليس)، من وجهة النظر الاقتصادية وحسب، يتبين لنا أنها كانت قبل كل شيء جماعة من المواطنين الزراعيين. وتدلنا الخصائص الأساسية (للبوليس) كخصائص أشكال التنظيم الاجتماعي والسياسي، أنها تشكلت من مثل هذه الجماعة التي اعتمدت شكل الملكية الزراعية القديم. ولكن بدءاً من بداية القرن السادس ق.م اصطدمت هذه الجماعة المتشكلة في بلاد زراعية كبلاد اليونان بعدة عوامل ساعدت على نمو الصناعة والتجارة وتطورهما.وهذه ظاهرة هامة تستدعي النظر في بعض أسبابها، لما لها من آفاق تنموية متطورة أثرت في بلاد اليونان كلها.

أولاً: إن أول هذه الأسباب كان مرتبطاً بظهور (البوليس) المتشكلة التي استندت في بادئ الأمر إلى فئة المواطنين المزارعين أي الديموس (Demos) التي اعتمدت شكل الملكية الزراعية القديم. وقد أدى انتصار الديموس مع الفئات الاجتماعية الأخرى على النظام الارستقراطي الحاكم في ذلك الوقت، إلى الاستقلال السياسي والاجتماعي للمزارعين الذي حدد نوعية التطور الاقتصادي للمزارعين، وخلق ظروفاً مناسبة أدت إلى رفع مستوى حياة (البوليس). فكان سبباً أساسياً ساعد على عملية التعجيل في تطور الصناعة والتجارة وعلى رفع مستوى الحياة وازدياد متطلبات المزارعين إلى الإنتاج الصناعي.

ثانياً: وثاني هذه الأسباب هو الاستعمار اليوناني، ونحن هنا لانتطرق إلى أسبابه، وإنما نشير حتماً إلى تأثير عمليات الاستعمار في التطور الاقتصادي في بلاد اليونان. فأساس تيار الهجرة اليونانية كان مرتبطاً بتأسيس المستعمرات الجديدة بمحاذاة شواطئ البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود. فكل مستعمرة أرادت أن تضمن لنفسها التنظيم الاقتصادي وأن تستوعب في الوقت نفسه كيفية استغلال الأراضي الزراعية،

لأن الزراعة كانت النشاط الرئيسي لأغلبية المستعمرات. ولكن هذا قطعاً لم يؤد إلى إيقاف حركة الاتصالات التجارية مع أثينا وهي أبرز المراكز الاقتصادية في بلاد اليونان، على الرغم من أن الاكتفاء الذاتي كان المثل الأعلى لكل مستعمرة؛ ولكن هذا كان صعب المنال فكثير من المستعمرات كان يفتقر بشكل خاص إلى المواد الخام، وهذا ما أرغم أكثرية المستعمرات على تطوير اتصالاتها التجارية مع المدن الأخرى وأثينا خاصة، بجميع الوسائل التي تراها مناسبة. وكان المستعمرات في صقلية، الأولى في هذا المضمار لأنها تفتقر إلى الكثير من المواد الخام والمعادن، كما هو الحال في بلاد اليونان نفسها التي كانت تفتقر إلى الحبوب واضطرت إلى استيراده من مستعمراتها في البحر الأسود من شبه جزيرة القرم (حيث كانت هناك قوانين وأنظمة تنظم تجترة الحبوب من هذه المناطق وهذا موضوع لن نتعرض له في بحثنا. ونرى أنه يمكن معالجته في بحث مستقل عن الزراعة).وهذا ما حال دون أن تصل المستعمرات إلى مرحلة الاكتفاء الذاتي في النظام الاقتصادي الجديد آنذاك.

وإذا دققنا النظر في صفة التبادل التجاري بين المستعمرات والمركز الاقتصادي الرئيسي ألا وهو أثينا، يجدر بنا أن نأخذ بالحسبان أحد الظروف الهامة وهو الذي ساعد على تعزيز الروابط التجارية بينها وتقويتها. فعمليات التبادل التجاري في المجتمعات القديمة تضمنت نوعين من التبادل السلعي، السلع المخصصة لتلبية الحاجات المعيشية، والسلع المخصصة لتلبية الحاجات الزراعية. وكان من خصائص التطور الاقتصادي لكل مستعمرة، أن تؤمن الحاجات المعيشية بقواها الذاتية وتصدير الفائض إلى المدن الأخرى، وخصوصا إلى أثينا التي كانت تفتقر إلى المواد الغذائية كالحبوب مثلا، في حين كانت أثينا تصدر إلى المستعمرات السلع المخصصة لتلبية الحاجات الزراعية كأدوات العمل الزراعية، والأواني الخزفية لتعبئة المواد الغذائية ومن ثم تصديرها كالخمر والنبيذ والزيت. وهذا مما حدد طابع العلاقات التجارية بين المستعمرات والمركز الرئيسي. لهذا السبب، فإن المستعمرات اليونانية أبدت تأثيرا

فعالاً في عمليات تطوير الاقتصاد وتجديده، وإعادة بنائه بطريق تعاظم السلع الموجهة لخدمة الاقتصاد الزراعي في المستعمرات وتنمية الإنتاج الصناعي في أكثرية مدن (البلوليس) المتطورة اقتصادياً كأثينا.

ونتيجة لهذه العمليات التجارية، تبدو أمامنا معالم التغيير واضحة في طابع الإنتاج الصناعي في اليونان، بدءاً من نهاية القرن السابع أو بداية القرن السادس ق.م، حيث بدأت تجري انعطافات حاسمة في أهم المراكز الاقتصادية اليونانية بالنسبة للمنتجات الصناعية، وتبدأ سلسلة من المنتجات الخزفية التي تطورت أساليب تصديرها ليس عن طريق الطلب والحجز وتلبية الحاجات التي يوصي عليها وحسب، وإنما عن طريق تصديرها إلى الأسواق التجارية[٦].فقد بدأت تبرز في الوقت نفسه الأساليب التقنية والاختراعات الجديدة التي تحدد مستوى تطور الانتاج الصناعي لليونان عبر كثير من القرون[٧]. وكان من أبرز الأساليب التقنية، عمليات سك النقود في أكثر المناطق اليونانية المتطورة[٨].

ويمكن القول، إن كل هذه التغيرات في نهاية الأمر، أدت إلى أنه في جوف (البوليس) (يدور الكلام فقط على مدن البوليس المتطورة اقتصادياً) ولدت المدينة ـ الدولة[٩]. وهكذا، أصبحت دولة المدينة (Polis) التي تركزت حول جماعة مدينة واحدة، هي الشكل النموذجي لدولة المدينة اليونانية"[١٠].

سمات دولة المدينة اليونانية (البوليس):

وبعد أن وصلنا إلى ولادة دولة المدينة اليونانية، علينا أن نحدد سمات هذه المدينة، أكانت تنطبق عليها مواصفات المدينة في العصر القديم أم لا؟ ولهذا، فإن هناك الكثير من العلماء بآرائهم المتشابهة أو المختلفة يحددون الخصائص الأساسية لتكون المدينة،

فبعضهم يقترح إطلاق اسم المدينة على كل منطقة يعيش فيها أكثر من خمسة آلاف شخص وتتوافر فيها كل الظروف العمرانية والتي تشهد عليها كل الوثائق المكتوبة[11] .

وهناك مسلك آخر لحل هذه المعضلة يقدمه لنا الأستاذ ي.م دياكونوف، ففي معرض حديثه عن المدينة البابلية في الألف الثاني ق.م، يورد مجموعة من العلاقات البارزة لإيضاح صفة المدينة فيقول: (تعدّ المدينة مركزاً لجذب السكان ــ وهي مركز العلاقات الاقتصادية بسبب أنه يتم عبرها تبادل العلاقات التجارية. ومن جهة أخرى، فإن التبادل في العلاقات العينية أو السلعية النقدية بين الزراعة والصناعة، أو بين مختلف المناطق هو دليل واضح على عمليات تقسيم العمل، ومن ثم فالمدينة هي مركز العلاقات السياسية ومركز التوجيه الاقتصادي والاداري[12].

ويرى أرسطو في تحديده جوهر المدينة في أن (الوحدة التامة تفرض على كل جماعة سياسية أن تشغل المساحة الميسورة لها، وأن تحدد رقعة أراضيها حتى تبلغ حدودها الطبيعية، وأن عظمة الدولة تتحدد بقدرة السكان لا بعددهم) [13].

وقد ظهر في الفترة المتأخرة بحثان أساسيان في تفسير جوهر المدينة:

أولهما: البحث الذي يقدمه عالم الاجتماع الأمريكي و.سمولينسن ١٩٦٥، فهو يورد في الفصل الثالث من بحثه العناصر الأساسية لجوهر المدينة، ويشير إلى أبرز هذه العناصر في أن المدينة تمثل مركزاً للنشاط الصناعي في حين أن القرية تمثل مركزاً للنشاط الزراعي[14]. وتتقارب آراؤه مع آراء بعض العلماء الاختصاصيين في تاريخ المدينة القديمة كما هو الحال عند غ.سوبرغ، الذي يحدد المدينة كشكل (متناقض) مع القرية و(كملجأ) لمختلف الاختصاصات غير الزراعية[15].

ثانيهما: هو البحث الذي نشر في المراجع الروسية والذي قدمه م.ن موجيفتش ١٩٧٩، فهو يبرز أربعة طرق أساسية لجوهر المدينة وتتمثل في:

١ًــ الموقع الجغرافي.

٢ًــ الاقتصاد الجغرافي.

٣ًــ واقع المدينة وتلاؤمها مع نظريات إنشاء المدن.

٤ًــ الوضع الاجتماعي.

وتوصل م.ن موجيفتش من خلال هذه الطرق الرئيسية إلى استنتاج مفاده، أن أياً من هذه الطرق لايستطيع على وجه الدقة بشكل عام تحديد جوهر المدينة كنموذج خاص لمركز سكاني. فوجهة نظره في تحديد جوهر المدينة تستند إلى تلك العناصر الاقتصادية التي تساعد في ولادة المدينة[16].

وهكذا فإن ر. سمولينسن وم.ن موجيفتش يتوصلان في نهاية الأمر إلى استنتاج، بأن الجوهر الذي يحدد المدينة كتنظيم اجتماعي يجب أن يستند إلى هذه المبادئ الأساسية، وعدّ المدينة نتيجة لعمليات تقسيم العمل الاجتماعي، وعلى الأخص تقسيم العمل بين الزراعة والصناعةً. فالمدينة تصبح بنتيجة هذا التقسيم، التنظيم الاجتماعي الذي يتركز فيه على الأغلب النشاط الصناعي المتضمن في أساسه الشكل التاريخي الأول لجوهر المدينة[17].

ومن خلال ما سبق نستطيع أن نستنتج بوضوح، أن المدينة كتنظيم اجتماعي خاص، يجب أن تتكامل فيها جميع العوامل الاقتصادية. ويجدر الإشارة إلى عامل يعدّ من أهم العوامل الاقتصادية على الإطلاق والذي أغفلته البحوث المذكورة آنفاً والذي يكمن ــ في رأينا ــ في تقسيم العمل ضمن النشاط الصناعي نفسه، أي وجود الاختصاصات الداخلية ضمن نطاق المهنة الواحدة. وهذا ما أشار إليه أرسطوفانس في كوميدياته المختلفة ــ كما سنرى لاحقاً ــ وهذه إشارة واضحة إلى المستوى العميق الذي وصل

إليه النشاط الصناعي في أثينا. وهنا نستطيع أن نجمل العوامل الاقتصادية التي تساعد على ولادة دولة المدينة على الشكل التالي:

١ ــ تقسيم العمل بين الصناعة والزراعة.

٢ ــ التوغل في الاختصاصات الداخلية للإنتاج الصناعي نفسه.

٣ ــ تطور التبادل التجاري وتوافر حاجات السوق.

٤ ــ وجود الملكية الخاصة.

٥ ــ وجود الطبقات وعلى الأخص الطبقات المتخصصة سواء في المجال الزراعي أو الصناعي.

ومن خلال تحليلنا للواقع الاقتصادي في أثينا، نرى بوضوح كل هذه العوامل والتوجهات الاقتصادية قد بدت فيها، والتي ترسم لنا أوضاع التطور الاقتصادي في هذه المدينة التي وصلت فعلاً إلى ما يسمى بدولة المدينة. ويبدو الآن، المجال واسعا أمامنا لاستعراض مراحل التطور الاقتصادي التي مرت بها دولة المدينة اليونانية.

التطور الاقتصادي في دولة المدينة اليونانية (البوليس):

يمثل أرسطوفانس أهم المصادر الأساسية التي ترسم لنا الأوضاع الاقتصادية المتطورة في أثينا من خلال كوميدياته المتعددة. فمعلوماته تعكس لنا بوضوح الحياة الأثينية بكل مقوماتها الاجتماعية والاقتصادية في القرن الخامس وبداية القرن الرابع ق.م[١٨]. والأهم من ذلك، أن هذه الكوميديات تعطينا تصورات واضحة ليس فقط على صعيد عمليات تقسيم العمل بين الصناعة والزراعة فحسب، وإنما على صعيد تقسيم العمل الداخلي والدقيق في مجالات الزراعة والصناعة والتجارة والملكية الخاصة

والطبقات الاجتماعية. فمن خلالها نتعرف إلى المستوى الاقتصادي المتطور الذي وصلت إليه دولة المدينة اليونانية في القرن الخامس ق.م.

ففي مجال الصناعة أولا:

يمكن أن نتعرف من خلال كوميدية الثروة (بلوتوس) إلى طبقتين أساسيتين مهنيتين وهما طبقة المزارعين وطبقة الصناعيين[١٩]. وهذا ما يتوافق مع ما أدلى به المفكرون القدماء بوجوب التقسيم المهني في المجتمع حيث يذكر أرسطو بهذا الخصوص قائلا " إن الدول لا تتألف من قسم واحد وإنما من أقسام كثيرة، وأول تلك الأقسام، هو الجماعة القائمة على إمداد القوت، أي من يدعون حراثا وفلاحين. والقسم الثاني هو طبقة العمال وهذه الطبقة تعنى بالصناعات التي لاتعمر مدينة دونها،ومن الصناعات ما لا غنى عنه، ومنها ما يرمي إلى الترف ورغد العيش. والقسم الثالث من المجتمع هوطبقة أهل الأسواق، الذين يصرفون أعمارهم في البيع والشراء وتجارة الجملة وتجارة المفرق. والقسم الرابع هو طبقة الأجراء. والقسم الخامس هو طبقة المحاربين"[٢٠].

وهنا لايتسع المجال لنا، لأن نورد عمليات تقسيم العمل في النطاق الزراعي كما وردت عند المسرحي أرسطوفانس، وإنما نشير فقط إلى قائمة طويلة من أصحاب المهن الصناعية في أثينا، فعلى سبيل المثال نجد:

الحجارين، والحطابين، وصانعي القرميد، وصانعي السفن، وصانعي اللباد، والحدادين، والحذائين، والخبازين، وصانعي الأجبان، والفرائين، والدباغين، ونساجي الصوف، وصانعي السجاد، والصاغة، والخزافين، والطحانين[٢١].فهذه قائمة طويلة، وإن لم تكن تفي بالغرض المطلوب لكل المهن الصناعية في أثينا، إلا أنها تعطينا تصورات واضحة حول عمليات تقسيم العمل في النطاق الصناعي.

وتجدر الإشارة أيضاً في كوميديات أرسطوفانس، إلى ما وصل إليه التطور الصناعي في أثينا من مستوى عالٍ مرموق على الصعيد المهني. فهي لا تشير فقط إلى بعض المهن الصناعية بشكل عام، وإنما إلى الاختصاصات الدقيقة أو الداخلية في مهنة واحدة. فعلى سبيل المثال تذكر لنا هذه الكوميديات، أنه في نطاق مهنة النجارين، وجد من الصناع من تخصص في صناعة الدواليب الخشبية، ومنهم من تخصص في صناعة الأسرّة الخشبية، أما في مهنة نسج الصوف، نجد من الصناع من تخصص في عمليات النسج، ومنهم من تخصص في عمليات الصباغة. وإلى جانب عمال الخزف نجد من في صناعة المصابيح الخزفية فقط. وإلى جانب الحدادين، نجد من تخصص في صناعة بعض الأدوات المعدنية لأجل النشاط الزراعي، وعلى الأخص صناعة المحاريث المعدنية والمعاول. أما من جهة أخرى[٢٢]. وهذا مما يدلنا على مبلغ التطور الصناعي الذي وصل إليه الصنّاع الإغريق في هذه الفترة.

ودون شك، فإن هذه القائمة لم تكن شاملة لكل المهن، فإلى جانب المهن التي ذكرناها، هناك مهن أخرى يذكرها فلوتارخوس في معرض حديثه عن منجزات البناء العمرانية في أثينا في فترة بريكليس. فيذكر مثلاً في فترة حديثه عن العمال الذين تطلبت خدماتهم من أجل عمليات البناء بقوله "احتاجت أثينا في هذه الفترة إلى مواد مختلفة، مثل الحجر والنحاس والعاج والذهب والأبانوس وخشب السرو، ثم النجارين والبنائين والنحاسين والنقاشين والخراطين وغيرهم من الصناع"[٢٣]. ثم ينتقل بعد ذلك إلى عمال النقل "إن نقلها بحراً استدعى تجاراً وتجارة وربابنة. أما براً فقد تطلب نقلها صانعي العجلات، وسائقي عربات الثيران، وعربات الخيول، وصانعي الحبال والجلد، وعمال الطرق، وسباكي الحديد"[٢٤]. ومن الصعب علينا، أن ندرك ثقل وطأة عمل كهذا، في فترة لم يكن فيها ما يتوافر من الأدوات التقنية. وإذا أردنا أن نتعرف إلى كيفية الطريقة التي تم فيها نقل هذه المواد، علينا أن نقرأ بعض التفاصيل الهامة حول ذلك كما جاء في إحدى المخطوطات اليونانية في القرن الرابع ق.م. "لقد تضمن العمل

ثلاث مراحل، أولا تمهيد الطريق من المحجر إلى المدينة، وإزالة الحجارة منه ثم رصفه بحجارة منحوتة مع شق طرق جانبية على مسافات عدة، ثم عمل عربات تقوى على حمل كتل الأحجار. وأخيرا عملية النقل نفسها، وتقوم بها عربات تجرها الثيران، ويتكلف كل زوج من الثيران أربع دراخمات ونصف يوميا، ويستغرق النقل ثلاثة أيام، لمسافة طولها ٣٠ ميلا. ولما كان جر الكتلة الواحدة يستلزم من ٣٠ إلى ٤٠ زوجا من الثيران، فبهذا تتكلف الدولة لنقل كل كتلة من ٣٠٠ إلى ٤٠٠ دراخمة (Drachme)[٢٥]. ولتبسيط هذه التكلفة نتبع الطريقة الحسابية البسيطة التالية:

٣٥ زوجا من الثيران (الحد الوسطي)×٤,٥ دراخمة يوميا = ١٥٧,٥٠ دراخمة في اليوم الواحد.

١٥٧,٥٠ × ٣ أيام = ٤٧٢,٥٠ دراخمة في ثلاثة أيام.

وطبعا، إن هذا عمل شاق جدا، وليست الكتل الكبيرة من الأحجار المستوردة في مباني الحكومة في أثينا، إلا لتدلنا على ما بذل في بنائها من مجهود بشري وطاقة حيوانية ومن تطور تقنيات استخدام مواد البناء ونقلها توافر عدد كبير من الصناع وعمال البناء. ومن جهة أخرى، كان هذا العمل مكلفا ولا تستطيع القيام به إلا المدن المتطورة اقتصاديا وذات الموارد الكبيرة. وكل علمنا أن عمليات البناء في فترة ازدهار أثينا الاقتصادي في القرن الخامس ق.م، وتحديدا في مدى ستة عشر عاما من عام ٤٤٧ إلى عام ٤٣١ ق.م أو بالأحرى القول، الفترة البيركليسية تكلفت من المبالغ ما يقارب ٨٠٠٠ تالانت (Talent)[٢٦]، في حين كان كل ما جمعته الخزينة الحكومية ٩٧٠٠ تالانت[٢٧] (التالانت = ٦٠٠٠ دراخمة).

وقد ساعدت مقاطعة أتيكا (Attika) حيث توجد أثينا في وسط شبه الجزيرة اليونانية بثروتها الغنية من المعادن والأحجار في تسريع عمليات البناء والتطور الاقتصادي وكان لهذه الثروة وقع كبير في مجرى السياسة الداخلية والخارجية والعسكرية، إذ

استغل الطاغية بيسستراتوس هذه الثروة لتدعيم مركزه بين الجماهير، كما استغل الزعيم تميستوكليس مناجم الفضة في لاوريوم (Lauriom) في الطرف الجنوبي الشرقي من شبه الجزيرة في تقوية الأسطول الأثيني بمئتي سفينة جديدة، كان لها الفضل الأول في التغلب على الفرس في معركة سلاميس عام ٤٨٠ ق.م وكانت جبال أتيكا غنية بالرخام والصلصال والأحجار الجيرية المتنوعة الألوان. وقد استخدم المعماريون الأثنيون هذه الأحجار في تشييد تلك المعابد الفخمة كالبارثنون (Pathenon) الذي استغرق بناؤه عدة سنوات (٤٤٧ ــ ٤٣٨ ق.م) والأرخثيوم (Erechtheum) والبوابات البديعة (Propylaca) والنوادي الثقافية الرياضية (Gymnasium) أو المعابد ومسرح دايونيسيوس (Theatron) والأروقة(Stoa) وغيرها من قاعات الموسيقى (Odeium) أو المباني الرسمية في السوق العامة (Agora) التي ازدانت بها أثينا على أيام بيريكليس (٤٦١ ــ ٤٢٩ ق.م). وحبت الطبيعة أتيكا بأنواع بديعة من الرخام كان معظمها يستخرج من محاجر جبلي بنتليكوس وهيميتوس.

ووحبتها الطبيعة أيضاً بتربة غنية من الصلصال وخاصة في سهل أثينا (كيفيسوس) الذي استخدم في صناعة الأواني الخزفية ذات الزخارف البديعة والرسوم التي تمثل بعض الأساطير المشهورة، وقد استخدمت هذه الأواني في تعبئة الزيت وتصديره إلى مختلف أنحاء العالم الهليني[٢٨]. حيث تزايد الاهتمام في الصناعة الخزفية في القرن الخامس ق.م، وتطورت الورشات الخزفية وبلغ عدد العمال فيها ٢٠ شخصاً، وترافقت الزيادة في عدد العمال مع التغيير في تصميمات أفران الحرق. فهذه الأفران التي كان قطرها في القرن السادس ق.م (١,٢ ــ ٢,٥) فقد بلغ في القرن الخامس (٤,٥م)[٢٩].وتشهد هذه التطورات على الطموح في زيادة الانتاج بما يتناسب وتطور عمليات تقسيم العمل في حدود الورشات المتخصصة.أما في الصناعة التعدينية، فقد كانت أحد الفروع الرئيسية في الاقتصاد اليوناني، وكانت مناجم الفضة في (لاوريوم) أحد مراكزها الرئيسية.[٣٠] حيث تطلب هذا الفرع مهناً مختلفة كاستخراج وإعداد

المواد الخام وصهر المعادن. وقد عمل في هذا الفرع الحفارون والعتالون حيث بلغ عدد العمال في كل منجم ١٠ –٢٠ شخصاً، وأيضاً ٢٠ من العمال المساعدين.(٣١) أما الورشات الصناعية المقامة على الأرض كانت مهمتها إعداد المواد الخام وتركيزها، وكان يعمل في هذه الورشات تبعاً لتقارير ز.لاووفر ٣٣ شخصاً ينفذون ثلاث عمليات مختلفة، تقطيع المعدن، والطحن النهائي للمعدن، ومن ثم الصهر.(٣٢) ولم تكن هذه الورشات تنتج الفضة فقط، وإنما تصنع بقية المعادن وخاصة الرصاص.

وكانت صناعة التعدين تتطور بتطور استخراجها، فكانت الخامات المستخرجة من مناجم لاوريوم تدق في مهارس ضخمة بمدقات ثقيلة من الحديد يحركها العبيد، ثم تنقل بعدئذ إلى مطاحن تطحنها بين حجرين دوارين شديدي الصلابة، ثم تغربل ويؤخذ ما ينزل من ثقوب الغربال إلى حيث يغسل، فيوضع على مناضد مائلة مستطيلة الشكل مصنوعة من الحجر ومغطاة بطبقة رقيقة ملساء من الإسمنت الصلب ويسلط عليه شؤبوب ماء من حوض، ويندفع تيار الماء ثم ينثني بزوايا حادة عندها فجوات تلتقط جزيئات المعدن. ثم يؤخذ ما يتجمع منه فيها ويلقى في أفران للصهر مجهزة بمنافيخ ترفع حرارتها. وفي قاع كل فرن فتحات ينزل منها المعدن المصهور، ويفصل الرصاص من الفضة برفع حرارة المعدن المصهور فوق بوائق مصنوعة من مادة مسامية وتعريضه بعد ذلك للهواء.وبهذه الطريقة السهلة يتحول الرصاص إلى أكسيد الرصاص وتخلص الفضة. وقد برع العمال في عمليتي الصهر والتنقية، كما تشهد بذلك العملة الفضية الأثينية، فإن فضتها نقية إلى درجة ٩٨ في المائة (٣٤). وكانت بعض المدن تسك نقوداً من خليط من الذهب والفضة. أما الحكومة الأثينية منذ أيام صولون فقد أخذت على نفسها تشجيع التجارة إلى أقصى حد بإيجاد عملة موثوق بها طبعت عليها لوحة أثينا التي أخذت تحل شيئاً فشيئاً محل العملة المحلية في جزر بحر إيجة، وكان الذهب في هذه المرحلة لا يزال سلعة تجارية تباع بالوزن، ولم تكن أثينا تسكه عملة إلا في حالات الضرورة النادرة، وكانت النسبة المعتادة بينه وبين الفضة

١٤ إلى ١ [٣٥] وكانت أصغر النقود الأثينية تسك من النحاس، وكانت ثماني قطع منها تكون الأوبول (Obol) وهي وحدة نقدية صغرى تعادل (٥٠٠) قرشاً سورياً تقريباً [٣٦]. وكانت ست أبولات تكوّن الدراخمة (Drachma) والدراخمتان تكونان أستاتر (Statar) والمئة دراخمة تكون مينا (Mina)، وستون مينا تكون وزنة (Talent)[٣٧].

وعلينا أن نبين بعض الشيء تعداد السكان الذين عملوا في مجال الصناعة في المدن اليونانية. وهذا من الصعب لعدم توافر المصادر الموثوق بها، لذا فإننا سنعتمد بعض المعلومات المتناثرة التي تخص أثينا، على الرغم من أنها لاتعطينا معلومات دقيقة وصحيحة.

فقد تبين من خلال آراء بعض الباحثين، أنه عمل في أتيكا، مايقارب٤٠٠ من العمال الخزفيين. وتبعاً تقارير ز.لاووفر (وفي فترة استخراج الفضة) عمل في مناجم لاوريوم العمال العبيد الذين بلغ عددهم ٢٠ ــ ٣٠ ألف شخص، وعدا العبيد عمل الناس الأحرار أيضاً[٣٨].

أما في مجال التجارة ثانياً:

فإن عمليات تقسيم العمل لم تتناول فقط النشاط الصناعي، وإنما تناولت النشاط التجاري. وإن ما ذكره أرسطوفانس في كوميدياته من أن المهن التجارية، لاتسمح لأي مجال للشك، في أن التبادل التجاري في أثينا وفي هذه الفترة بالذات حمل طابعاً اختصاصياً فعلى سبيل المثال: كانت هناك تجارة الخبز والعسل، والخضار والسمك والأسلحة والسيوف والرقيق[٣٩]. وهناك طائفة أخرى عملت في مجال الخدم مثل: كشاشي الحمام، والحلاقين، والاطباء[٤٠].ونتج عن ذلك كله تطور في العلاقات النقدية ــ السلعية التي أدت بدورها إلى ظهور المصارف التجارية في القرن الخامس ق.م. والتي كان يقع أكثرها في موانئ المدن التجارية مثل بيريه، وفي المراكز الدينية مثل دلفي.

وكانت الصفة الأساسية للمنتجات المتبادلة، هي عمليات البيع والشراء، التي عدّت دليلاً هاماً على المستوى الرفيع لتطور العلاقات النقدية ــ السلعية. وعند أرسطوفانس قائمة هامة بالمواد المعمول بها في السوق التجارية، ولكن هذه القائمة كانت تفتقر إلى الكثير من المواد المتداولة ولكن على ما يبدو برأينا، أن أرسطوفانس كان يشير إلى أكثر المواد تداولاً وشهرة مثل: الطحين والحبوب، والعسل، والخمر الخيوسي، والمشمش، والبيض والطيور، والسمك والدواجن، والجبن وعلى الأخص الجبن الصقلي، والزيت الرودوسي، والبصل والثوم[41].

وهناك قائمة أخرى يشير إليها أرسطوفانس تتضمن البضائع العامة (غير الغذائية) مثل: الألبسة الكريتية، والخيوط والأقمشة المطرزة من بلاد الشرق الأدنى، والمعاطف الأكباتانية والبيجارية، والصنادل الفارسية واللاكونية، والأحذية والبرونز من أترووريا، والسجاد من بيوتية، والصوف من ملطية، واللؤلؤ من ساردينية، والأخشاب من تراقية، والنحاس من قبرص، والذهب من تاسوس وتراقية، والصوف والكتان والأصباغ من فينيقية، والسيوف من خالكيدية، والزجاج من مصر، والقرميد من كورنثة، والعاج من بلاد الحبشة، والرقيق من ليديا، والأقفال من لاكونية.

أما بالنسبة للمنتجات الغذائية فكانت هناك: تجارة الحبوب من بيزنطة ومصر وايطالية وصقلية، والفاكهة والجبن من صقلية وفينيقية، واللحوم من فينيقية وايطالية، والسمك من البحر الأسود[42].

ولايذكر لنا أرسطوفانس ما كانت تصوره أثينا إلى الخارج، ولكن المراجع تجمع بشكل عام على أن أهم مواد التصدير كانت الخمور، والزيوت، والمعادن، والرخام، والأواني الخزفية، والأسلحة، ومواد الترف، والتحف الفنية.

وبكل الأحوال، فإن مثل هذه القائمة من المواد التجارية المشمولة في كوميديات أرسطوفانس لاتعكس بشكل كامل، النطاق التجاري العام في السوق الأثينية، وكل ما

يهمنا هنا، أنها تعطينا تصورات واضحة عن مستوى التطور الاقتصادي، وخاصة في مجال العلاقات النقدية ـ السلعية في أثينا. ومن جهة أخرى، فإن هذه القائمة تسمح لنا بأن نصل إلى مجموعة من الاستنتاجات الرئيسية:

أولا: إن بلاد اليونان قد وصلت إلى مستوى عال من التطور في مجال العلاقات التجارية مع العالم غير اليوناني، فقد ظهر من خلال القائمة مجموعة من المواد التجارية المستوردة من خارج بلاد اليونان مثل: المعاطف الأكباتانية من أكباتانا في بلاد فارس، والأقمشة المطرزة من بلاد الشرق الأدنى، واللؤلؤ من ساردينية في ايطالية، والصوف والكتان والأصباغ من فينيقية، والزجاج من مصر، والعاج من بلاد الحبشة، والرقيق من ليديا، والصنادل من بلاد فارس، والأخشاب من تراقية في الضفة الاوربية لبحر مرمرة.

ثانيا: إن بلاد اليونان وصلت إلى مستوى عال من التطور في العلاقات التجارية بين المدن اليونانية نفسها، لاحتواء السوق الأثينية على الخمر الحيوسي، والخمر الفاسوسي، والجبن الصقلي، والزيت الرودوسي، والسجاد البيوتي والملطي والاقفال اللاكونية. وهذه إشارات واضحة لعمليات التبادل التجاري بين المدن اليونانية، وهذا ما عبر عنه أرسطوفانس ببضع كلمات في كوميدية الأكارنائين بقوله "ما لايوجد في أثينا يوجد في بيوتية"[43].

ثالثا: إن الاقتصاد اليوناني وصل إلى مرحلة متقدمة من التطور، فقد انتقل من الاقتصاد المنزلي الذي يصنع فيه كل منزل جميع ما يحتاجه تقريبا، إلى الاقتصاد الحضري الذي تصنع فيه كل مدينة جميع ما تحتاجه تقريبا، ثم إلى الاقتصاد الدولي الذي تعتمد فيه كل دولة على ماتستورده من غيرها، والذي لابد لها فيه أن تصدر من السلع ما تؤدي به أثمان وارداتها.

رابعاً: إن بلوغ العلاقات التجارية سواء الداخلية أو الخارجية هذه المرحلة المتطورة، يسمح لنا بأن نستنتج بأن البلاد كان يسودها الأمن والاستقرار. وخاصة بعد تطهير البحر الأبيض المتوسط من القراصنة من عام ٤٨٠ إلى ٤٣٠ ق.م. وجعل ميناء بيريه أهم مراكز التصدير وإعادة الشحن للتجارة المتبادلة بين الشرق والغرب. وفي ذلك يقول سقراط "لقد كان من اليسير أن يبتاع الانسان في أثينا جميع ما يصعب عليه أن يجده إلا في أماكن متفرقة سلعة منه في هذه المدينة وسلعة في تلك"[٤٤]. وقول ثوكوديدس "إن عظمة مدينتنا تجذب غلات العالم كله إلى مرفئنا، حتى أصبحت ثمار البلاد الأخرى من مواد الترف المألوفة للأثيني كثمار بلده نفسه"[٤٥].

وقد اعترف قدماء اليونان، بأهمية التجارة وضرورتها لأجل الحياة الأثينية أيام السلم والحرب. فها هو الأوليغارشي القديم يقول (إن المواد الأساسية والضرورية جداً لأجل الحياة في أثينا كانت ترد عبر البحار)[٤٦]. وقول بركليس إبان الحرب البيلوبونيزية (لقد جهزنا المدينة بكل شيء، حتى أنها لتكفي نفسها في الحرب والسلم)[٤٧]. وقول هيرودوت (تتوفر في أقصى أجزاء المعمورة إلى حد ما، خير المنتجات)[٤٨]. ونجد أرسطوفانس في كوميدياته يضمن كل تعابيره، وتوسلاته للدعوة إلى السلم وإيقاف الحرب البيلبونيزية بسبب ما نتج عنها من خراب اقتصادي، وحلمه في أن يعود يوماً ما إلى مزرعته. ودعوته إلى السلم، ليس السلم فقط بحد ذاته وإيقاف الحرب إنما السلم الذي يريده أرسطوفانس هو إيقاف الحرب وعقد المعاهدات التجارية والتبادل الدبلوماسي بين مدن (البوليس) اليونانية. فالسلم عنده شرط ضروري لأجل قيام علاقات تجارية وضمان ما تريده أثينا من مواد مختلفة وغيرها من المدن. وهذا ما ينطبق تماماً على قول مونتسيكو (إن النتيجة الطبيعية للتجارة هي أنها تؤدي إلى السلم. فالطرفان اللذان يتعاملان معاً ينتهيان إلى الاعتماد المتبادل بعضهما على الآخر، فإذا كان لأحدهما صالح في الشراء، فصالح الآخر للبيع. وكل الصلات قامت على الحاجة المشتركة.

ويشير أرسطو، إلى ضرورة وجود الاكتفاء الذاتي لدى كل دولة أو مدينة وتحقيقه عن طريق عقد الصفقات والمعاهدات التجارية بقولـــه (فـــهنالك أولاً، العنايـــة بـــالأمور الضرورية المتعلقة بالأسواق، فيجب أن تخصص لها سلطة تسهر علـــى الاتفاقيـــات وحسن انتظام الأسواق، لأن كل الدول تقريباً مضطرة إلى شراء بعض الأشياء، وإلـــى بيع غيرها تلبية لاحتياجات بعض المواطنين إلـــى بعضـــهم اللآخـــر فـــي الأمـــور الضرورية. وهذا الأخذ والعطاء، أو التبادل التجاري هو أوجز السبل وأسرعها إلـــى الاكتفاء الذاتي، الذي لأجله يأتلف الناس وينضمون تحت حكم واحد)[٤٩].

وكان من وسائل التعاون الاقتصادي بين المدن اليونانية، مايمكن تسميته بتبادل التمثيل التجاري على النحو التالي: تختار المدينة (من بين مواطني المدينة الأخرى، وليس من بين مواطنيها كما في العصر الحديث) ممثلين لرعاية مصالحها فـــي تلـــك المدينـــة الأخرى. ومن ثم فقد اطلق على هؤلاء الممثلين أو القناصل إن جـــاز التعبـــير اســـم (Proxenoi) بمعنى القائمين برعاية مصالح الضيوف والغرباء والأجانب. وكانوا فـــي العادة من أصدقاء المدينة التي يمثلونها في مدينتهم أو تربطهم بها روابـــط عائليـــة. وكثيراً ما كانوا يكافؤون على خدماتهم بمنحهم امتيازات ماديـــة أو ترقيـــة كحقـــوق المواطنة الفخرية في المدينة الأخرى. ولم يلبث بعد انتشار هذا النظـــام، أن أصبـــح التعيين في مثل هذا المنصب يصاحبه دائماً اكتساب حقوق المواطنة الفخرية. بـــل إن المنصب أصبح مطمع الكثيرين، ولم يلبث أن صار وراثياً ولتسهيل المعـــاملات بيـــن المدن اليونانية كانت تلجأ إلى عقد معاهدات تجارية، إما لتأمين التجار على أرواحـــهم وبضائعهم في الموانئ الاجنبية، أو لتسوية الخلافات الناشئة بسبب تضارب المصـــالح عن طريق عرض القضايا على محاكم طرف ثالث أو محـــاكم مختلفـــة أو محكمـــة الطرف الأقوى، (مثلما فعلت أثينا مع أعضاء حلف ديلوس وتعرف هذه المعاهدات أو الاتفاقات المدنية باسم (Symbolon)[٥٠].

وتعرفنا كوميديات أرسطوفانس على أهمية الدور الذي أدته السوق التجارية في المدينة، وتأمين احتياجات السكان من الحاجات المعيشية اليومية. أما في الريف فإن الصورة تبدو بشكل آخر، ويمكن أن نشرح ذلك من خلال ما جاء في كوميدية الأكارنانيين التي تذكر:

ألعن حياة المدينة وأتحسر على منزلي الريفي العزيز

الذي لم يطلب مني قط أن أشتري وقوداً أو خلاً أو زيتاً

ولم أكن اعرف كلمة (أشترِ) التي تشطر جسمي شطرين

بل كنت أجني فيه كل شيء مني أردت"[٥١].

من خلال هذه الكوميدية يمكن أن نتعرف إلى نوعين اثنين من العلاقات:

أولهما: أن المدينة وصلت إلى مستوى متطور في الاقتصاد النقدي (كمايفهم ذلك من كلمة (أشترِ)، أكثر مما هو عليه في القرية، التي حافظت على النظام العيني والاكتفاء الذاتي في الاقتصاد.

ثانيهما: أنه يجب الإشارة ـــ إلى عدم الإقلال من أهمية دور العلاقات النقدية في القرية، فإن لم يكن لها دور هام، كان لها دور بسيط، أو بالأحرى كان دوراً بدائياً، لأن المزارعين الأثنيين كانوا يضطرون لبيع محصولهم من العنب لأجل قبض النقود وشراء الطحين"[٥٢].

وتجدر الإشارة، إلى أن الأفكار الواردة في كوميديات أرسطوفانس، لايمكن أن تعوض عن مجمل الدراسات الحديثة والبحوث الاقتصادية لليونان في العصر الكلاسيكي. ولكن بكل الأحوال، فإن هذه الأفكار تعدّ شاهد عيان على ما يجري من أحوال اقتصادية واجتماعية عند اليونان. وتتميز هذه الكوميديات عن التراجيديات في أن مضمونها لم يكن قد اعتمد على الأسطورة، وإنما على أساس الحياة الواقعية لأثينا في

تلك الفترة، ومن ثم فإن هذه الكوميديات تتمثل أمام القارئ كصورة عامرة بـــالحوادث في حياة المجتمع الأثيني.

وقد اعترفت الدراسات الحديثة بالأهمية الكبيرة لكوميديات أرســـطوفانس باعتبارهـــا مصدرا هاما لإيضاح الكثير من القضايا الاقتصادية في التاريخ اليوناني القديم، لمـــــا تبرزه من معلومات قيمة حول مختلف المجالات الاقتصادية،وعن درجة تقسيم العمـــل بين الزراعة والصناعة والتمايز بين القرية والمدينة، ودور العلاقات النقدية ــ السلعية في الاقتصاد وعن المكان الذي يشغله العمل العبودي في مختلف الفروع الاقتصاديـــــة في ذلك العصر.

وبعد أن استعرضنا بعض التطورات والانجازات الاقتصادية في دولة ــ المدينة فـــي القرن الخامس ق.م، علينا أن نبدأ في دراسة القسم الثاني من هذا البحـــث، ألا وهـــو تبيان مختلف التفسيرات الاقتصادية للمدارس التاريخية العالمية فيما يخـــص اقتصـــاد اليونان القديم بشكل عام، نظرا لارتباطها الموضوعي بمثل هذا البحث لأنها تبين لنـــا بعض آراء العلماء ونظرياتهم في الاقتصاد اليوناني الكلاسيكي كل من وجهـــة نظـــر مدرسته. ومن ثم فإن هذا القسم يعطينا فكرة عامة عن المناهج المتطورة التي اتبعـــها العلماء في طرائق البحث العلمي لتبيان أسس الاقتصاد اليوناني ودراسته بشكل تصبح عليه هذه الدراسة ــ من حيث الشكل والمنهج ــ أمرا جديـــدا ومتطـــورا لاختـــلاف وجهات نظر العلماء في هذا الموضوع وتناولهم مختلف التفسيرات والآراء.

الاقتصاد اليوناني ومدارس التاريخ الاقتصادي:

لقد بدأت دراسة تاريخ الاقتصاد اليوناني القديم (وبشكل خاص اقتصاد القرن الخـــامس ق.م) بدءا من نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين[٥٣]. وقد ظهر في أثنائـــها توجهان أساسيان في التأريخ القديم.

التوجه الأول: التجديد الحديث وأتباعه هم: أدواردماير ،ي.بيلــوخ، ب. بلحــان، ي. تسيبارت ،م.روستوفتزف.

التوجه الثاني: القديم البدائي وأتباعه هم: ك. بيوخر، أ. زيمرن، ل. آرتين، م. فيبر.

وقد طال الجدال بين أتباع التوجهين أو لنقل بين المدرستين، وقد تناول هــذا الجــدال خصائص التاريخ اليوناني القديم.

وفي الثلاثينيات من القرن العشرين ظهرت أولى الأعمال التي أعدت فيها محــاولات لإبراز خصائص الاقتصاد اليوناني القديم. وكان ج. هازبروك أول مــن درس هــذه الخصائص التي تؤكد دور حكومة دولة المدينة (البوليــس) فــي تنظيــم المواطنيــن المزارعين[٥٤]. ومن جهة أخرى، أشار إلى أن طبقات الصناع والتجار لاينتمون كقاعدة أساسية إلى طبقة المواطنين، وهذا مما حدد التناقض الاقتصادي الأساســي للمجتمــع القديم بين طبقة المزارعين وطبقة التجار والصناع. ويرى ج. هــازبروك فــي هــذا الصدد أن أساس اقتصاد (البوليس) يقوم على الزراعة، والسيطرة السياســية تعــود للملاك أصحاب الأراضي الزراعية، في حين اعتمدت الصناعة والتجارة على عمــل سكان (البوليس) الذين لاينتمون إلى طبقة المواطنين (الأجانب الغرباء والعبيد).

وفي فترة ما بعد الحرب ظهرت مدرسة جديدة في بحوث اقتصاد المجتمع اليونــــاني القديم وتمثلت هذه المدرسة في الباحثين الكبــــار أمثــال م. فينلــي Finley .M وي. فيل Will. Eوتعود هذه المدرسة إلى أحد كبار ممثلي التوجه البدائي م. فيـــبر الــذي كثيراً ما يسمونه في البلدان الاوربية (ماركس البورجوازي) والذي تقرب من نظــــام المجتمع الاقطاعي ولكن تلامذته م. فينلي وي. فيل، يقفون على عكس ذلك، ويؤكدون خصائص المجتمع اليوناني القديم، والتي تؤكد دور المدينة في هذا المجتمع بوصفــها مركزاً للاستهلاك وليست مركزاً للانتاج، ومن ثم ليست عنصراً طفيلياً في الـــتركيب العام للمجتمع.

وتقوم نظرية م. فينلي على الخصائص التالية:

١ ــ عدم تحليل اقتصاد المجتمع اليوناني القديم على الأسس التكنيكية المعمول بها في العصر الحديث، حيث ينعدم وجود بعض المصطلحات الرئيسية في مفهوم الاقتصاد الحديث (كالعمل، الانتاج، الرأسمال، الاستثمارات، المشاريع، العرض والطلب، الجملة).

٢ – غموض الوضع الاقتصادي وعدم تحليله تحليلا منطقيا، لأن العلاقات الاقتصادية والاجتماعية كانت تتجه باتجاه الاقتصاد المنزلي، ومن ثم لم يكن هناك تقسيم واضح في العمل لا في القاعدة ولا في القمة.

لذا يظل من الصعوبة، أن نطبق نظرية اقتصاد السوق على دراسة هذا النظام. وقد انطلق م. فينلي في الحديث عن نظريته من الميركانتالية التجارية والاستثمارات في التجارة إلى أن وصل لمثل هذه الاستنتاجات الجدية. ويؤكد بالإضافة إلى هذا، أن التبادل في المقام الأول وجهته عوامل سياسية لا عوامل اقتصادية، إذ لم تكن المدينة اليونانية مركز إنتاج كما تقدم، ولم يكن المجتمع اليوناني يطمح- بشكل دائم- إلى الازدهار الاقتصادي والنمو التقني، وإلى رفع السوية العالية من الإنتاج.

واستنادا إلى هذه المقولات العامة فإن م. فينلي حدد دور المدينة ومكانها في حياة المجتمع اليوناني القديم، والعلاقات بينها وبين القرية. فالخاصية التي تتسم بها المدينة عنده هي- الطفيلية- في حين أن خاصية القرية- التكامل والترابط- وأن خصائص كل من المدينة والقرية ارتبطت بمجموعة من العوامل أهمها:

الاكتفاء الذاتي، انتشار السكان، حجم الإنتاج، نسب التبادل التجاري، فالاكتفاء الذاتي للمدينة مرتبط بالإيجار، والضريبة والرسوم، وتصدير المنتجات، وتوافر النقل البري والبحري، وتوافر الأرصفة البحرية، وإقامة المراكز التجارية. وأعم سمة خاصة يعتمد عليها م.فينلي اعتمادا كليا في إثبات صحة نظريته في وصفه للمدينة، هي التي لا

تستطيع أن تؤمن حاجاتها الزراعية بقواها الذاتية فتضطر إلى استيرادها مقابل ما تنتجه من مواد صناعية، فالصناعة هي ركيزة المدينة. ومن ثم فإن الإنتاج الصناعي برأي فينلي قليلاً ما ساعد على تطور المدن بخلاف المدن في القرون الوسطى، فلا طوائف الصناع، ولا الورشات الصناعية ولا أسواق البورصة التجارية ساعدت على تطور المدن. ويؤكد أن دور الورشات الصناعية كان ضئيلاً جداً والمبالغة في مدى أهميته لا يستند إلى أساس، لأن المدينة اليونانية كانت مركزاً للاستهلاك وليست مركزاً للإنتاج، وإن إمكانيات المدينة على دفع أثمان ما تتطلبه من احتياجات كان مرتبطاً بقدر المنتجات الزراعية اللازمة وحجمها، وبتوفر أو انقطاع الموارد الصناعية (وأولها الفضة وبقية المعادن الأخرى) ونجداخيل الملكيات الخاصة من الأراضي الزراعية وبالعملاء والسماسرة[٥٦]. فالإنتاج برأي م. فينلي كظاهرة تصدير ملموسة في الحياة بشكل عام لم تتضح بعد.

ويستند م.فينلي، إلى الآراء والتقاليد الاجتماعية القديمة، التي لا تسمح لما يقال، بغنى المدينة وثروتها بواسطة المشاريع الصناعية، فالحاجة الملحة إلى الثروة لم تتحول إلى طلبات إنشاء الرأسمال، ومن ثم لم تكن هناك أي تصورات عن إمكانية التقدم التقني، فالاهتمام كان موجهاً بشكل استثنائي تقريباً إلى النوعية وليس إلى الكمية[٥٧].

ونحن هنا لا نترك مجالاً للشك، في أن مثل هذه النظرية تتفق مع خصائص الاقتصاد اليوناني القديم، أكثر مما هو عليه عند آراء مؤيدي التجديد الحديث، لأنها تتلائم واقعياً ومنطقياً مع الحقائق التاريخية التي تخص اقتصاد المجتمعات القديمة بشكل عام. فألفرد زيمرن، الذي درس اقتصاد اليونان في القرن الخامس ق.م، دراسة علمية مستفيضة يتفق مع رأي م.فينلي، بطريقة غير مباشرة في أثناء حديثه عن المنجزات العمرانية في عصر بيركليس. ثم، يشاطره الرأي أيضاً بطريقة غير مباشرة، في أن المدينة تشكل مركزاً للاستهلاك وليست مركزاً للإنتاج، فقد جاء في قوله مايلي:

(إن أعمال بيركليس لا يمكن أن تدر ربحاً أو تصدر للخارج، أو تستغل لتنمية الثروة. حقاً إن بناءها قد أتاح وسيلة لتشغيل الشعب، لكن عندما تمت لـم تقـدم أيـة خدمـة للصناعة أو أي حافز للتجارة. وعندما تصرف مبالغ كثيرة في أعمال عامة منتجة مثل تلك المبالغ التي صرفها المصريون على بحيرة موريس، فالثروة التي تنفق على هـذا النحو لا تعطي فرصة للعمل وقت القيام به فقط. لكنها تتيح فرصاً للعمل المستمر فيما بعد، مثال ذلك، المرافئ والقنوات والري والطرق أو أي شيء آخر يزيد في إمكانيات مدينة ما. وبيركليس في سعيه لإيجاد عمل مربح للشعب، إنما وجه نشاطهم قصداً إلى أعمال عامة غير منتجة، وهكذا ابتلعت المباني الفخمة العظيمة التي شيدت في حكمـه وتحت إشرافه ثروة المدينة واستنزفتها، دون أن تكون أي مصدر طبيعي، أو تقـدم أي تسهيلات للتجارة مقابل ذلك، فالخزينة قد نضبت إلى الأبد. وقد جبـت أموالـها فـي أعمال عظيمة من الوجهة الفنية، ولكنها من الوجهة الاقتصادية لا قيمة لها)[٥٨].

وهذا النقد، صحيح من الناحية الاقتصادية لأن هذه المنجزات لم تؤدِ إلى أيـة منفعـة اقتصادية للدولة. وكل ما نتج عنها هي إيجاد عمل مربح للشعب أو يمكن تفسير ذلك- كما يقال في عصرنا الحاضر- القضاء على البطالة وإن كان هذا الأمر يعـد شـيئاً إيجابياً إلا أنه، لا يشكل إلا جانباً واحداً أو ثانوياً من التطور الاقتصادي.

ومن جهة أخرى، فإن هذه المبالغ الباهظة التي صرفت، لم تنفق على الدفاع أو لأجـل التقدم الصناعي والتجاري. ووفق تقارير ثوكوديدس المالية فقد تم صرف مبلـغ مـا يقارب ٨٠٠٠ تالانت علىهذه المنجزات من إجمالي ما كـان فـي الخزينـة ٩٧٠٠ تالانت كما ورد سابقاً، وهذا يشكل حوالي ٨٠% من الخزينة العامة ذهبت هدراً إلـى أعمال غير منتجة. وكان من أسباب صرف مثل هذه المبـالغ الباهظـة هـي تنفيـذ طموحات بيركليس في جعل أثينا أجمل مدن اليونان على الإطلاق وبناء إمبراطوريـة عظيمة[٥٩]. هذا وتؤيدنا النصوص في قولنا عن الصناع والعمال الذين استخدموا فـي

المعابد، شأنهم في ذلك شأن من استخدموا في المدينة بوجه عام، من أنهم كانوا عشاقاً للجمال مع ثمن زهيد"[٦].

وبعد ذلك، على الرغم من مشاطرتنا بعض ما جاء في آراء م. فينلي، إلا أنه لدينا التحفظات التالية عليه:

١ - إن م.فينلي كان يتطرف أحياناً في وصفه الاقتصاد اليوناني بالتزمت والجمود. فهذا الاقتصاد وإن وصل إلى هذه المرحلة، إلا أن ذلك كان في العصر القديم ما قبل الكلاسيكي. أما الفترة الكلاسيكية فقد تميزت بنوع من المرونة والتطور بدءاً من إصلاحات صولون وحتى إصلاحات بيركليس الاقتصادية. ومهما يكن من أمر هذه الإصلاحات، إلا أنها تعد شيئاً متطوراً بالنسبة لما قبل هذه الفترة.

٢ - إنه لا يفسر أسس ركود الاقتصاد اليوناني وأسبابه، فالإشارة إلى الآراء الاجتماعية لا تكفي ومن ثم تحتاج إلى تفسير أفضل.

٣ - إنه شبه الاقتصاد اليوناني القديم مع الاقتصاد المتطور في المجتمعات الرأسمالية الحديثة من حيث العلاقات النقدية- السلعية- والمصطلحات والأسواق التجارية.

٤ - على الرغم من أن م. فينلي، اعتمد في بحوثه على كوميديات أرسطوفانس، فقد أغفل الإشارة كما ورد فيها من عمليات تقسيم العمل بين الزراعة والصناعة، وعمليات تقسيم العمل ضمن نطاق المهنة الواحدة. ومن ثم أغفل الإشارة إلى العلاقات النقدية- السلعية حتى أنه ينفي وجودها، وهذا ما يتناقض مع ما أشرنا إليه سابقاً في كوميدية الأكارنانيين: فهذه الخصائص تعد من أهم التطورات الاقتصادية في المجتمعات القديمة التي حصلت في القرن الخامس ق.م، وتنفي نوعاً من الجمود والتزمت الذي شدد عليه م.فينلي.

وكان يجب على م.فينلي، أن يبرر هذا الجمود والتزمت في الاقتصاد، بالعقبات التي وقفت حائلاً أمام التقدم الصناعي، الذي وصفه بأنه لا يساعد كثيراً على التقدم الاقتصادي العام. وهذا غير صحيح لأن المؤرخ كسنوفون في الثلث الأخير من القرن الخامس ق.م أوضح في كتابه حول (المداخيل) إلى عكس ذلك، وعليه أن يعترف أن التقدم الصناعي اصطدم بالأوضاع المعقدة داخل البوليس نفسها. إذ إن هناك مجموعة من مدن (البوليس) اتخذت قانوناً يمنع من حقوق المواطنة للناس الذين يعملون في الصناعة أو بشكل عام يمنع كل المواطنين من ممارسة النشاط الصناعي. وكانت اسبارطة، الأولى في هذا المضمار التي أبعدت مواطنيها عن كل عمل ما عدا العمل العسكري[٦١].

ومن جهة أخرى، تجب الإشارة إلى أنه باعتبار المدينة قد ولدت في جوف البوليس البدائي الذي اعتمد شكل الملكية الزراعية، لذا فإن تطور المدينة من الشكل الزراعي إلى الشكل الصناعي كان بحدود البوليس فقط. وأن الشكل الزراعي السابق قد ترك بصمات قوية على تركيب المدينة الناشئة التي كان عليها أن تتغلب على هذا الشكل والإقلاع في قيام أسس النظام الجديد (نظام المدينة).

وعلينا أخيراً، ألا نغفل دور القوى العبودية في التطورات الاقتصادية في اليونان، لأن العبيد كانوا يشكلون أحد الأصناف الأساسية من سكان البوليس وعنصراً هاماً في الملكية الخاصة. فالعبودية كان لها تأثير كبير على تطور (البوليس) بظاهرتين اثنتين:"

أولهما: أنها كانت تمثل أحد العوامل الأساسية التي تسرع من تطور المجتمع.

ثانيهما: أنها ساعدت على تطور المدينة لأنها أحد الخصائص الأساسية للتنظيم الاجتماعي. ولأنها أظهرت إمكانية واسعة لظهور عمليات تقسيم العمل بين الصناعة والزراعة أي أنها ساعدت على تعويض العناصر السابقة للبوليس.

وقد كان للعبودية أثر كبير على التطورات الاقتصادية، لأن تطورها يعد أحد القوى الأساسية التي تحيط بنظام (البوليس) القديم الذي كان يعمل على استغلال العبيد من قبل ملاكهم، ولكن التطورات التي حصلت في جوف (البوليس) نفسها بالارتقاء من شكل الملكية القديم إلى شكل الملكية الخاصة، قلصت من دور البوليس وساعدت على انحلاله، فالملكية الخاصة شملت في بادئ الأمر الملكيات الزراعية والمتحركة، ويؤلف العبيد إلى جانب المعادن النفيسة، الشكل الهام للملكية المتحركة الذي تزداد أهميته باطراد بحكم التقدم الاقتصادي.لهذا، فإن العبودية ونظام الرق لا يؤلفان إحدى القوى من العلاقات المشاعية المغلقة وحسب، وإنما شكلوا قوى أساسية عملت على اضمحلال تلك العلاقات.

وقد أخذ عدد القاطنين العبيد ينمو ويزداد باطراد حتى بلغ ذروته في القرن الرابع ق.م[٦٢]. إذ أن العبودية على امتداد هذا القرن بدت تشكل قوة أساسية تعمل على اضمحلال البوليس القديم. وفي هذا العصر بالذات تم انتقال العبودية من الشكل البطريركي إلى الشكل الكلاسيكي. ففي فترات ما قبل الكلاسيكية كان الهلوت (Helotes) مثلاً يقبعون تحت أشكال مختلفة من التبعية، ولكنهم انتقلوا إلى الشكل الكلاسيكي في القرن الرابع ق.م[٦٣]. ونحن هنا لا نود تفسير هذه المسألة، وإنما نريد الإشارة فقط إلى جانب واحد من هذه المسألة، وهي أن الأشكال القديمة من التبعية العبودية بمختلف أنواعها كانت ذات خاصية استغلال جماعي، (كالهلوت كما ذكرنا سابقاً)[٦٤]. ولكن هذه الأشكال القديمة، أخذت بالانتقال من التبعية الجماعية إلى التبعية الكلاسيكية أو إلى ملكية العبيد الخاصة. فهذا الشكل هو الذي عزز تعاظم الملكية الخاصة وضيق مجال الأشكال القديمة من التبعية. وهكذا، فإن تطور الملكية الخاصة، وفي مقدمتها ملكية العبيد، ساهم إلى حد كبير على تقويض نظام البوليس السابق (أي من الملكية الجماعية إلى الملكية الخاصة).

وفي الختام، نود القول إن التطور الاقتصادي في بلاد اليونان كان حافلاً بالمصاعب والعقبات التي كانت تنجم عن التناقضات الرئيسية في المجتمع كالتناقضات الداخلية في جوف البوليس، وتناقضات المدينة مع القرية. ومن ثم فإن العلاقات النقدية-السلعية دخلت في صراع مستمر مع البوليس كتنظيم اجتماعي مؤسس على البدايات المشاعية. وبكل الأحوال، فإننا نعد أن القرن الخامس ق.م، تميز بنقلة نوعية فريدة في التطور الاقتصادي بالمقارنة مع الفترات السابقة.

وقد كان التوازن بين متطلبات الإنسان وإمكانيات الطبيعة هو الذي حدد التطورات الاقتصادية الرئيسية بكل مقوماتها، وإذا جاز لنا التعبير، أي التعامل مع الواقع السائد في أي فترة من الفترات، والقفز فوق هذا الواقع يصبح من صميم الأسطورة والخيال وتصبح الدراسة فيه غير علمية أو واقعية، كأن نشبه مثلاً المجتمع اليوناني القديم بمجتمعات العصر الحديث بكل ما فيه من مصطلحات حديثة وقوانين ودراسات. إلا أن التوازن بين الإنسان وإمكانيات الطبيعة يتبعه ومن ثم التوازن بين الإنسان والأحداث الجارية في عصره، ودليلنا على ذلك، أن التوازن الذي حصل في القرن الخامس ق.م، بدأ بالاختلال بسبب تزايد المتطلبات وتصعيد الأزمات السياسية والعسكرية التي تعد الحرب البلوبونيزية إحداها.

الحواشي

١. العابد، مفيد رائف، تاريخ الإغريق (دراسة في التاريخ السياسي والحضاري الباكر والكلاسيكي حتى ظهور الاسكندر)، منشورات جامعة دمشق، ٩٩٤- ٩٩٥، ص٦٠.

٢. العبادي، مصطفى، ديمقراطية الأثينين، مجلة عالم الفكر، المجلد الثاني والعشرون، العدد الثاني، الكويت١٩٩٣، ص٥٥.

٣. العابد، مفيد رائف، ص٦٠.

٤. أحمد علي، عبد اللطيف، التاريخ اليوناني، الجزء الأول، دار النهضة العربية، بيروت١٩٧٦، ص١١١.

٥. إننا نريد الإشارة إلى أن أسباب الاستعمار ليس فقط الأراضي الخصبة، ولكن الحاجة الملحة إلى المعادن.انظر:

Finely M.I. Early creece. The Bronze and archic agec.1970,p.97

6. Vallet G.Villard F. Ceramique grecque et histoire economique- Im; Etudes archeolgiques Recueil de travaux/ Pulbl. Saus la driection de caurbin P. 1963 P.273.

7. STARRCH .C. THE Economic and Social Growth of early creece. 800-500 B.C.N.Y, 1957.P.82.

٨. زاغروف آ.ن، النقود القديمة، موسكو – لينينغراد ١٩٥١، ص٤٥.

٩. كوشلينكوغ.آ، البوليس والمدينة وقضايا التطور الاقتصادي، مجلة التاريخ القديم، موسكو ١٩٨٠، العدد١، ص٣.

١٠. أحمد علي، عبد اللطيف، ص٧٤.

11. City Invincible: Asymposium on urbani zation and cultural develampent. in the Ancient near east. Chicago 1960.P.379-403.

١٢. انظر: دياكونوف ي.م، قضايا المدينة البابلية في الألف الثاني ق.م في كتاب الشرق القديم (المدينة والتجارة في الألف الثالث حتى الألف الأول ق.م) بريفان، ١٩٧٣، ص٣٠-٣١.

١٣. ارسطو ٧، ٤، ٣- ١٣٢٦ آ.

14. Thomlinson R. Urban structure: the social and spatial character of cities.N.Y.1965.

15. Sj oberg G. the drigin and evolution of cities: their origin, crowth and uman impact / with introd. By K. davis (san fanciseo1973) P.19-20.

١٦. موجيفيتش م.ن، المدينة والتطور الاجتماعي، لينينغراد ١٩٧٩، ص١١.

١٧. انظر بالتفصيل: سايكوي. ف، تكون المدينة كمركز انتاجي، دوشانبة ١٩٧٣، ص١٧.

١٨. حول أهمية كوميديات أرسطوفانس في حياة أثينا اليومية انظر:

Masse cl. La fin de la demaratie athenienne 1962.P.73.

١٩. أرسطو فانس، بلوتوس (الثروة) ٩٠٣-٩٠٥.

٢٠. أرسطو السياسة ٤، ٣، ١١-١٢٩٠ ب.

٢١. أرسطو فانس، الطيور ١١٣٤، ٤٩٠، السلم٧٤٧، ١٤، الثروة ٥١٤، ١٦٣، ٥١٣، ١٦٢، ٥١٤، ١٦٦، ١٦٧، ٥٢٨، النساء في المجلس الشعبي ٤١٥، ٤٢٠، الفرسان ٨٧٠، ٧٦٥، السحب ١٣٥٨.

٢٢. أرسطو فـــانس، الــثروة ١٦٣، ٥١٣، ٥٢٧، ٥٣٠، الـسحب ١٠٦٥، الفرسان ٧٦٥، السلم .٦٩٠، ٥٤٨، ٥٤٧، ٤٤٧، ٥٥٩، الطيور ٤٤٠.

٢٣. بلوتارخوس، بيركليس ١٢.

٢٤. المصور السابق نفسه.

٢٥. فرانكوت، المجلد الثاني، ص٨٦ من I.C، الجزء الأول ٨٣٤ ث. الإشارة في ألفرد زيمن، الحياة العامة اليونانية، ترجمة عبد المحسن الخشاب، القاهرة ١٩٥٣، ص٣٣١.

٢٦. انظر زيمرن، ألفرد، ص٥٠٢.

٢٧. توكوديدس٢، ١٣،٣.

٢٨. انظر أحمد علي، عبد اللطيف، ص١٥٦.

29. Vallet G; Villard F.op.cit, P.217

30. Happer R.J. the attic silver mines in the faruth century B.C.ABSA 1953, XLVIII, P.200-245.

31. Lauffer S.Die bergwerkssklaven von laureion. Wiesbaden, T.1, s.48.

٣٢. وقد وردت الإشارة في الكتاب المشار إليه في الحاشية رقم٥٧ ص٢٢٧. Ibid

33. Ibid

٣٤. ديورانت، ول، قصة الحضارة، الجزء الثاني من المجلد الثاني، الكتـــاب السابع (حياة اليونان) ترجمة محمد بدران، الطبعة الخامسة، جامعة الـــدول العربيـــة، القاهرة ١٩٥٣، ص٥١.

٣٥. ديورانت، ول، ص٥٦.

٣٦. العابد مفيد رائف، ص١٣٠.

٣٧. ديورانت، ول، ص٥٦.

38. Lauffer Z.op,cit, T.1, s.161.

٣٩. أرسطوفانس، الفرسان٨٧٠، المرأة في المجلس الشعبي٤٩، المرأة في أعياد السموفريزوسيات٣٨٧، الثروة١٦٧، ٥٢١، الذنابير٤٩٨،٤٩٧ السلم ١٢٠٨،٤٤٧.

٤٠. أرسطو فانس، الثروة٩٥٥، ٣٣٨، ٤١٦، السحب٧٦٦.

٤١. أرسطو فانس، الثروة٩٨٦، المرأة في المجلس الشعبي٨١٩، ١١٣٩، السحب٤٦٠، الذنابير٣٠٢، ٣٠٣، ٤٩٣، ٨٩٦، ٤٩٦، ٦٨٠، السلم١٣٢٢، ١٣٢٣، ليسيستراتا ٦٤، ٥٦١، ٥٦٠، ٩٤٤، الفرسان٦٦٧، الاكارنانيون٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٨، ٨٧٩،٣٥، الضفادع١٣٦٩.

٤٢. أرسطو فانس المرأة في أعياد السموفريزوسيات٧٣١، ٤٢٣، ٩٨٤، ٩٨٣، الطيور ٤٩٣، الزنابير ٤٩٣، ٣٠٢، الاكارنانيون٥١٩، ٨٧٤، ليسيستراتا، ٥٥، ٧٢٩، المرأة في المجلس الشعبي٧٤، ٣١٩، الضفادع٥٤٤، ٩٨٥، السلم١١٧٤.

٤٣. ارسطوفانس، الأكارنانيين٩٠٠.

44. Isocrates, Panegyricus 42.

٤٥. توكوديدس٢، ٦.

٤٦. الأوليجارشي القديم٢، ١٢.

٤٧. كوكوديدس، ٢، ٣٦، ٣.

٤٨. هيرودوت، ٣-١٠٦.

٤٩. أرسطو، السياسة، ٦، ٥، ٢-١٣٢١ب.

٥٠. د: أحمد علي، عبداللطيف، هامش ص ٣١.

٥١. أرسطوفانس الآكارنانيين٣٣-٣٦.

٥٢. أرسطوفانس، السحب ٨١٧، ٨١٩.

٥٣. انظــر بــالتفصيل: كوزيشــين ف.ي، تدويــن تــأريخ العــالم القديــم، موسكو١٩٨٠، ص١٣٩.

54. Hasebroek j. Staat und Handel im Athen crieck enland tubingen, 1928.

55. Will.E. le monde grec et l, orient. La ve siecle p.1972, Finley M. the ancient economy. Berkeley, 1973. p.21.

56. Finley M. p.125.

٥٧. كوشلينكوغ. آ، اليونان القديمة، المجلد الثاني، موسكو١٩٨٣، ص٢٥٦.

٥٨. زيمرن، الفرد، ص٣٠٥.

٥٩. توكوديدس٢، ٤١.

٦٠. هيرودوت ٢، ١٤٩، ٣، ٩١، الاوليجارشي القديم١، ١٧.

61. Cartledge.p. joward the spartan revolution Aretkusa1975, vol VIII, N.1, P.68.

٦٢. انظر ويسترمان و.ل الذي يفترض أنه بحكم بعض الظروف الاســتثنائية، ازداد عدد العبيد في أثينا فجأة، وفي مجموعة أخرى من مدن البوليس أيضــاً، علــى الرغم لم يكن مثل هذا العدد كبيراً في مجتمعات العالم القديم المختلفة.

المصادر المعتمدة في البحث والمترجمة عن الأصل اليوناني إلى اللغة الروسية هي على الشكل التالي:

١. أرسطو، السياسة، ترجمة جوبوليف س.آ، في أربعة مجلدات، المجلد الرابع، موسكو، ١٩٨٣، صفحات ٣٧٥-٦٤٤.

٢. أرسطوفانيس، كوميديات، في مجلدين اثنين، ترجمة بتروفسكيف.آ وبارخا ف..ن. موسكو ١٩٥٤.

٣. أفلاطون، الحكومة، ترجمة يوغونوف آ.ن. في كتاب: أفلاطون في ثلاثة مجلدات، المجلد الثالث، الجزء الأول، موسكو ١٩٧١.

٤. ٤- الأوليجارشي القديم، النظام الأثيني، ترجمة وتعليق رادتسيغ س.ي، موسكو ولينينغراد ١٩٣٦. (إن مؤلف هذا الكتاب هو مجهول الهوية ولا يعرف اسمه الحقيقي، وتعتمد تسميته الأوليجارشي القديم عند بعض العلماء، ويعتقدون أنه أرسطو نفسه، على حين العلماء الروس يدعون بأن هذا الكتاب يعود لمؤلف مجهول ما قبل كسونوفون).

٥. بلوتارخوس، بيركليس، ترجمة سوبولوفسكي س.ي. في كتاب: مختارات من سير حياة بعض الشخصيات في العصر الكلاسيكي في مجلدين اثنين، المجلد الأول، موسكو ١٩٨٧.

٦. توكوديدس، التاريخ، ترجمة ستراتوفسكي غ.آ. لينينغراد ١٩٨١.

٧. هيرودوت، التاريخ العام في تسعة أجزاء، ترجمة ستراتوفسكي غ.آ. لينينغراد ١٩٧٢.

* تاريخ ورود البحث إلى جامعة دمشق ١٨/٥/١٩٩٤

المرأة في أسفار التوراة الحالية والمتداولة (العهد القديم) ومبدأ الغاية تبرر الوسيلة

الدكتور علي عبد الله الجباوي
كلية الآداب ـ قسم الجغرافيا
جامعة دمشق

الملخص

لدى قراءة أسفار التوراة الحالية المتداولة (العهد القديم)، وما تضمنته من قصص خرافية هي من تحرير أحبار اليهود الذين قاموا بكتابة تلك الأسفار، فإننا نجد وبسهولة أن مبدأ تسخير المرأة كشرك لإغراء الآخرين (الأمميين: الغوييم) يوصل المرء إلى غاياته التي يروم تحقيقها، يمكن أن يعود بجذوره التاريخية إلى نصوص تلك القصص التوراتية حيث تم فيها خلط الأوراق التاريخية من قبل كتبة التوراة، ليتسنى لهم تشويه الأحداث التاريخية، وإيقاع قارئيها مستقبلاً في حيرة من أمرهم، وصولاً إلى غاياتهم العدوانية تجاه الأناس الآخرين كافة من أتباع الديانات الأخرى. وأنهم لم يستثنوا نبي الله، ابراهيم من السلوك المشبوه، علماً أن الأخير قد عاش قبل مجيء موسى عليه السلام بأكثر من خمسمائة عام، في حين أن اليهودية كدين لم تظهر إلا بعد قيام دولة يهوذا على أنقاض مملكة سليمان بعد موته، وحدث الأمر بعد وفاة سيدنا موسى بثلاثة قرون تقريباً. وأن ابراهيم كان رجلاً قانتاً لله، وقد أثنى عليه في كل من الإنجيل والقرآن، وهذا ما يجعله في منأى عن المعاصي التي زعم الأحبار بحقه أنه قد أتاها.

المقدمة:

ينظر إلى المرأة في تعاليم الديانة اليهودية المستمدة من أسفار التوراة الحالية /العهد القديم/ نظرة دونية، وأنها خير شرك لإيقاع غيرهم فيه، بغية الوصول إلى هدف يصعب على المرء تحقيقه دون ذلك.

وتشير أسفار التوراة الحالية المتداولة إلى سلوك زعموا فيها أن بعضاً من قدماء أنبياء الدين اليهودي وحكمائه قد مارسوا استخدام المرأة وسيلة، تقودهم إلى غاياتهم المشبوهة التي كانوا يصبون إلى تحقيقها لضعف سياسي وتجاري كان يخيم على أبناء دينهم.

إن كل الأفعال المشبوهة التي وردت في أسفار التوراة الحالية /العهد القديم/، بحق من زعموا أنهم أنبياء للدين اليهودي، في الوقت الذي لم تكن اليهودية قد ظهرت كدين بعد، هي منزلة أعمال حميدة يجب على أتباع العقيدة اليهودية اقتضاءها والسير على هديها، وذلك من خلال الحرص الشديد على تربية أبنائهم على الإيمان بحرفية ما جاء في أسفار التوراة الحالية، وشروحاته التلمودية التي هي من وضع الكتبة الفريسيين[1]، وهذا ما يؤكده ــ الحاخام يهوذا ماغنوس ــ بقوله (إن لليهود عناصر رئيسية أهمها التوراة، إن كل أدبنا ووثائقنا وتاريخنا وكذلك جميع المثل الدينية والأخلاقية والاجتماعية العظيمة المذكورة في التوراة، تفيد في عملية التطور في الحاضر والمستقبل)(٢).

ونود أن نشير إلى أن دراستنا هذه اعتمدت أساساً على التوراة التي بين أيدينا وهي التي يعدها كثير من الباحثين المعاصرين مشوهة وناقصة، ولا يمكن الاتكال بشكل مطلق على صدقها في رواياتها عن بعض من قدماء الدين اليهودي وغيرهم، وإن

كانت الضرورة تدفعنا إلى اعتمادها لوحدانيتها بين مصادرنا عن تاريخ معتنقي الديانة اليهودية.

الهدف من البحث:

سنجهد من خلال نقاشنا الجاد لما جاء في نصوص بعض من قصص التوراة الحالية والمتداولة من أعمال مشبوهة استجلاء الأمور التالية:

أ ـ إظهار شواهد تاريخية ترجح: أن مبدأ تسخير المرأة وسيلة عند معتنقي الدين اليهودي، يعود في جذوره التاريخية إلى التعاليم الدينية التي وردت في أسفار توراتهم المتداولة بين أيدينا، والتي تجيز لمعتنقيها استخدام المرأة كشرك لإيقاع الأغيار فيه، لتحقيق أهدافهم المشبوهة.

ب ـ إن ما جاء في قصص التوراة من أعمال مشبوهة هي من وضع كتبته، ومن ثم نسبوها زورا وافتراء على التاريخ إلى كل من: أبرام: ابراهيم، ويعقوب، وإسحق، ولوط، الذين ينحدر نسبهم إلى الآراميين، حيث لم يكن بعد ذكر لليهودية، وأنهم جميعا كانوا من أتباع الحنيفية التي كانت تنتشر في كثير من مناطق الجزيرة العربية (وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين)،(سورة البقرة١٣٥).

ج ـ إن الأعمال المشبوهة التي يحكيها كتبة التوراة الحالية: هي بمنزلة حميدة، يجب على أتباع العقيدة اليهودية التمسك بها، والسير على هديها.

١ ـ قصة أبرام وزوجته ساراي (سارة)

يحكي سفر التكوين: أن أبرام البدوي المنتجع بماشيته بأرض فلسطين ومصر طلبا للكلأ، قد ارتكب معاصي خطيرة، إذ قدم زوجته العجوز ـ ساراي ـ لغيره أكثر من

مرة لينال نعمة وبركة بسببها، وليبعد الأذى والموت عن نفسه وليحيا من أجلها على زعم كتبة التوراة.

أ ـ في المرة الأولى، كان أبرام قد قدم زوجته ساراي إلى فرعون مصر عندما كان منتجعاً هناك. (فحدث لما دخل أبرام إلى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسناء جداً، ورآها رؤساء فرعون، ومدحوها لدى فرعون: فأخذت المرأة، إلى بيت فرعون فصنع إلى أبرام خيراً بسببها، وصار له بقر وغنم وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال. فضرب الربّ فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ساراي امرأة أبرام. فدعا فرعون أبرام، وقال ما هذا الذي صنعت بي. لماذا لم تخبرني أنها امرأتك، لماذا قلت هي أختي، حتى أخذتها لي لتكون زوجتي، والآن هاهي امرأتك خذها واذهب. فأوصى عليه فرعون رجلاً فشيعوه وامرأته وكل ما كان له)(٣).

ب ـ وفي المرة الثانية كرر أبرام الخطيئة ذاتها مع أبيمالك ملك جرار الفلسطيني عندما حل وحاشيته بأرض الكنعانيين، إذ ادعى أن ساراي زوجته هي أخته (وانتقل ابراهيم من هناك إلى أرض الجنوب وسكن بين قادش وشور وتغرب في جرار، وقال ابراهيم عن سارة امرأته هي أختي. فأرسل أبيمالك ملك جرار وأخذ سارة. فجاء الله إلى أبيمالك في حلم الليل وقال له ها أنت ميت من أجل المرأة التي أخذتها فإنها متزوجة ببعل، ولكن لم يكن أبيمالك قد اقترب إليها، فقال يا سيد أأمة بارة تقتل؟ ألم يقل هو لي إنها أختي وهي أيضاً عن نفسها قالت هو أخي بسلامة قلبي ونقاوة يدي فعلت هذا. وأنا أيضاً أمسكتك عن أن تخطيء إلي لذلك لم أدعك تمسها. فالآن رد امرأة الرجل فإنه نبي فيصلي لأجلك فتحيا، وإن كنت ليست تردها فاعلم أنك موتاً تموت أنت وكل من لك)(٤).

إن القول المذكور آنفاً لكاتب سفر التكوين بحق كل من أبرام وزوجته ـ ساراي ـ برأينا غير صحيح لأسباب منها:

١ـ كانت ساراي قد جاوزت الخامسة والستين عاماً عندما دخلت أرض مصر مع زوجها أبرام، الذي كان يكبرها عشر سنوات، حيث كان الأخير ابن خمس وسبعين سنة عندما انتقل مع زوجه ـ ساراي ـ من حاران إلى أرض كنعان أرض غربته (فذهب أبرام كما قال له الرب وذهب معه لوط. وكان أبرام ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من حاران. فأخذ أبرام ساراي امرأته ولوطاً ابن أخيه وكل مقتنياتهما التي اقتنيا والنفوس التي امتلكها في حاران. وخرجوا ليذهبوا إلى أرض كنعان. فأتوا إلى أرض كنعان)، (تكوين١٢: ١ ـ ٥). وقد كان عمر أبرام مئة عام عندما قطع الرب معه عهداً بأن يعطيه ابناً من زوجه التي سماها سارة، بعد أن سماه إبراهيم بدلاً من أبرام (١٥) وقال الله لإبراهيم ساراي امرأتك لاتدعو اسمها ساراي بل اسمها سارة(١٦) وأباركها وأعطيك أيضاً منها ابناً. أباركها فتكون أمماً وملوك شعوب منها يكونون (١٧) فسقط ابراهيم على وجهه وضحك. وقال في قلبه هل يولد لابن مئة سنة وهل تلد سارة وهي بنت تسعين سنة)،((تكوين ١٧: ١٥ـ١٦ـ١٧))

كما أن المستوى المعيشي المتدني الذي كان يسود في بداية الالف الثاني ق.م المتصف بشظف العيش والخرافة، إضافة إلى النمط الرعوي الذي كانت تعيشه ـ ساراي ـ وزوجها ـ أبرام ـ لم يكن يتيح لساراي أن تبقى جميلة محافظة على نضارتها التي كانت تتحلى بها وهي شابة، وإنما تقدم بها العمر، وأصبحت عجوزاً قد جف عودها، (١١) وكان ابراهيم وسارة شيخين متقدمين في الأيام. قد انقطع أن يكون لها عادة كالنساء (١٢) فضحكت سارة في باطنها قائلة أبعد فنائي يكون لي تنعم وسيدي قد شاخ (١٣) فقال الرب لإبراهيم لماذا ضحكت سارة قائلة أفبالحقيقة ألد وأنا قد شخت)، ((تكوين ١٨: ١١ ـ ١٢ ـ ١٣)). وقد جاء في القرآن الكريم بهذا الصدد (٢٤) هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين. إذ دخلوا عليه (٢٥) فقالوا سلاماً قال سلام قوم منكرون (٢٦) فراغ إلى أهله بعجل سمين (٢٧) فقربه إليهم قال ألا تأكلون (٢٨) فأوجس منهم خيفة قالوا لاتخف وبشروه بغلام عليم (٢٩) فاقبلت امرأته في صرة

فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم (٣٠) قالوا كذلك قـال ربـك إنـه هـو الحكيـم العليم)(٥).

٢ ـ من الثابت تاريخياً أن سكان مصر القديمة كانوا ينظرون إلى أصحـاب النمـط الرعوي نظرة دونية، حيث كانوا ينعتونهم بالقذارة وقلة الأهمية، وأنهم يأنفون الجلوس وإياهم على مائدة واحدة، وإن ما حصل لأبناء يعقوب عندما جاؤوا ليكتالوا القمح مـن عند اخيهم ـ يوسف ـ لخير شاهد على ذلك(٣١) ثم قال يوسف لإخوته ولبيت أبيـه أصعد وأخبر الفرعون وأقول له إخوتي وبيت أبي الذين في أرض كنعان جاؤوا إلـى (٣٢) والعوم رعاة غنم فإنهم أهل مواش. وقد جاؤوا بغنمهم وبقرهم وكل مالهم (٣٣) فيكون إذا دعاكم فرعون وقال ما صناعتكم (٣٤)أن تقولوا إن عبيدك أهل مواش منـذ صبانا إلى الآن نحن وآباؤنا جميعاً، لكي تسكنوا في أرض جاسان، لأن كل راعي غنم هو رجس للمصريين)(٦).

٣ ـ إن الفرعون في مصر القديمة كان يعد نفسه ظل الإله على الأرض، وأبا لليتيم، وعونا للمظلوم، وملاذا للمذعور، ونصرة للضعيف، ومطعما للجوعان، وصادقا فـي تعامله مع الآخرين، فمن غير المعقول أن يقدم على اقـتراف المنكـر القـائم علـى الاستغلال والابتزاز، وذلك تمشيا مع معتقدات دينه التي كان يؤمن بها شـعبه، كـي يجتاز محكمة ـ أوزوريس ـ وهو نقي القلب خال من الذنوب. وهـذا مـا تؤكـده نصوص كتاب الموتى الذي جاء فيه (إني لم أضر بأحد غدرا أو خيانة، ولم يكن بيني وبين البشر مخالطة، لم أقتل، ولم آمر بالقتل، لم أكذب ولم أسلب، ولم أتـرك إنسـانا يتألم من الجوع، ولم أبعد فم الرضيع عن اللبن، ولم أسرق الماشية عن مرعاها، أنـا نقي)(٧). وجاء أيضا في كتاب أناشيد الحب للإله ـ آمون ـ وصفا لمناقب ذلك الإله مايلي (............عطوف رحيم، نصير للفقراء، يحنو عليهم، ويعـير أذنـا صاغيـة لصوت شكاواهم المتواضعة.. إي آمون ـ يا حامي الفقير، أنت أب لليتيـم، وحـام

للأرملة، إن أمك هي الحقيقة، وهي ملك لك أيها الإله الأوحد، الحقيقة هي الإله آمون الأوحد. إي ــ آمون ــ أسكب البهجة في قلب البشر)(٨).

وإن ما قاله كاتب سفر التكوين بحق أبيمالك ــ ملك جرار الفلسطيني، إن هو إلا إفك وافتراء، وأنه لم يحدث قط لعدة أسباب منها:

١ ــ إن أبيمالك رجل تقدم به السن ولم تعد شهوة النساء في صدره تدغدغ عواطفه كي يفتن بامرأة بدوية فقيرة بلغت من العمر عتياً.

٢ ــ إن الزواج من امرأة مازالت على عصمة زوجها لم تكن عادة مكروهة، بل محرمة عند الكنعانيين لأنها تجلب الويلات والمصائب لفاعليها، وإن فيه إثماً كبيراً والدليل على ذلك أن إله أبيمالك تراءى له في المنام وحذره من الوقوع في شباك المكيدة، التي كان قد نسجها ــ أبرام ــ مع زوجته ــ ساراي ــ بأن تقول: إنها أخته لينال خيراً بسببها. فاستجاب أبيمالك التقي الورع بمناقبية الإنسان الكنعاني النبيلة، إلى أوامر إلهه، ورد المرأة إلى زوجها، وعاتبه على فعلته هذه التي كادت تجلب الدمار والهلاك لكل من أبيمالك وشعبه، فيما لو وقع في شباك ذلك الشرك (٨) فبكر أبيمالك في الغدو ودعا عبيده جميعهم، وتكلم هذا الكلام على مسامعهم، فخاف الرجال جداً (٩) ثم دعا أبيمالك أبرام وقال له: ماذا فعلت وبماذا أخطأت إليك حتى جلبت علي وعلى مملكتي خطيئة عظيمة. أعمال لاتعمل عملت بي (١٠) وقال أبيمالك ماذا رأيت حتى عملت هذا الشيء) (٩). فكان جواب أبرام (.....(١١) أني قلت ليس في هذا الموضع خوف الله البتة، فيقتلونني، لأجل إمرأتي (١٢) وبالحقيقة هي أختي ابنة أبي، غير أنها ليست ابنة أمي. فصارت لي زوجة (١٣) وحدث لما أن هيأ الله من بيت أبي أني قلت لها: هذا معروفك الذي تصنعين إلي في كل مكان تأتي إليه قولي عني هو أخي)(١٠).

ورغم المصيبة التي حلت بأبيمالك فقد قابل السيئة بالحسنة والخبث بطيبة القلب، وأجزل العطاء لأبرام ليغفر له الإله على الخطيئة العظيمة التي كاد أن يقع فيها (١٤) فأخذ أبيمالك غنماً وبقراً وعبيداً وإماء وأعطاها لإبراهيم. ورد إليه سارة إمرأته (١٥) وقال أبيمالك هذي أرضي قدامك. أسكن في ما حسن في عينيك) (١١). إن كتبة هذه القصة الخيالية المزعومة بحق أبرام /ابراهيم/ وزوجته ــ ساراي ــ قد أوقعوا أنفسهم في مغالطات زمنية في حبكهم هذه المكيدة، عندما قاموا بوضع ذلك السفر ويعود لجملة من الأسباب منها:

أ ــ إن ساراي / سارة / لم تنم في بيت أبيمالك إلا ليلة واحدة ــ وأنه لم يمسها البتة في تلك الليلة، مما يجعل من هذه المدة القصيرة زمناً غير كاف ليظهر العقم الذي أصاب نساء أهل أبيمالك كنتيجة للأذى الذي أوقعه بهن إله أبرام جزاء لفعلة أبيمالك المنكرة التي بسببها أغلق الرب كل رحم لبيت أبيمالك كما يروي كاتب سفر التكوين، (١٩ ــ لأن الرب كان قد أغلق كل رحم لبيت أبيمالك بسبب سارة ..ابراهيم (تكوين ــ٢٠:

ب ــ إن أبيمالك لم يبعث وراء ساراي / سارة / عندما حلت وزوجها أبرام / أبراهيم / في أرض مملكته، ليقترن بها، لما سمعه عن جمالها وحسن مظهرها، وإنما كان ذهاب ــ ساراي ــ كزوجة ــ لأبيمالك ــ كما يبدو هونتيجة اتفاق تم بينه وبين زوجها ــ أبرام ــ مقابل مبلغ من المال، كان قد اتفقا عليه، وهو ما يحكيه سفر التكوين (١٦) وقال لسارة اني قد أعطيت أخاك ألفاً من الفضة. ها هو لك غطاء عين من جهة، كل ما عندك وعند كل واحد فأنصفت) (١٢).

ج ــ إن ابرام هو ابراهيم من أنبياء الله اصطفاهم لهداية الناس إلى سواء السبيل. و من غير المعقول أن يوقع نفسه وزوجته وأناساً أبرياء معهما في خطيئة تتنافى والتعاليم الروحية السمحة التي أمر الأنبياء المناداة بها، والعمل على نشرها بين

الناس. وإن ما قام به ـ أبرام ـ غير ممكن حدوثه قط إلا في مخيلـة كتبـة سـفر التكوين، ليكون بمنزلة سلوك يمكن الاقتفاء به من قبل معتنقي الدين اليهودي، وصولاً إلى غاياتهم. وإن ـ أبرام ـ /ابراهيم/ بريء من الأعمال المشبوهة التي نسبها إليـه كتبة سفر التكوين. فقد جاء على لسان ـ القديس يوحنا المعمدان حول زعـم أتبـاع الدين اليهودي: أنهم من نسل ابراهيم (٧) وكان يقول للجموع الذين خرجوا ليعتمـدوا منه يا أولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي (٨) فاصنعوا أثماراً تليـق بالتوبة، ولا تبتدئوا تقولون في أنفسكم لنا إبراهيم أباً، لأني أقول لكم إن الله قـادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم) (١٣).

ويرى القديس ـ بولس الرسول ـ بدوره أن من يؤمن بالمسيح عليه السلام، وبتعاليمه الروحية السمحاء، التي نادى بها، ليستحق أن يكون من أتباع إبراهيـم (٢٦). لأنكـم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع (٢٧) لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح (٢٩) فإن كنتم للمسيح فانتم إذن نسل إبراهيم وحسب الموعد ورثة) (١٤).

ويقول بولس الرسول بموضع آخر من رسالته إلى أهل غلاطية بحق إبراهيم (٦) فهكذا آمن ابراهيم بالله فحسب له ذلك برا (٧) فاعلموا إذن أن الذين من الإيمان أولئك هم أبناء ابراهيم (٨) فإن الكتاب إذ سبق فرأى إن الله يبرر الأمم بالإيمان سبق فبشر ابراهيم قائلا: إن فيك تتبارك جميع الأمم (٩) إذن فالذين هم من الايمان يباركون مع ابراهيم المؤمن)(١٥).

وإن القرآن الكريم قد أكد بدوره في مواضع كثيرة من سوره الصفات الحميدة لإبراهيم (١٢) إن ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين (١٢) شـاكرا لأنعمـه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم (١٢) وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخـرة لمـن الصالحين) (١٦).

ويقول تعالى في موضع آخر بحق ابراهيم (١٣٠) ومن يرغب عن ملة ابراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وأنه في الآخرة لمن الصالحين (١٣١) إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين)(١٧).

٢ ــ لوط وتقديم ابنتيه إلى أهل سدوم

يزعم كتبة سفر التكوين أن لوطاً حاول تقديم ابنتيه العذراوين إلى أهل سدوم أصحاب أرض غربته عندما احتشدوا أمام بيته ليتعرفوا إلى الرجلين اللذين استضافهما لأسباب لم يأت كتبة السفر المذكور في قصتهم التي نسبوها إلى ــ لوط ــ (١) فجاء الملاكان إلى سدوم مساءً وكان لوط جالساً في سدوم فلما رآهما لوط قام لاستقبالهما وسجد بوجهه إلى الأرض (٢) وقال يا سيدي ميلا إلى بيت عبدكما وبيتا واغسلا أرجلكما. ثم تبكران وتذهبان في طريقكما، فقالا لا بل في الساحة نبيت (٣٩ فألح عليهما جداً فمالا إليه. ودخلا بيته. فصنع لهما ضيافة وخبزاً فطيراً فأكلا (٤) وقبل أن يضطجعا أحاط بالبيت رجال المدينة، رجال سدوم من الحدث إلى الشيخ كل الشعب من أقصاهـ فنادوا لوطاً وقالوا له أين الرجلان اللذان دخلا إليك الليلة، وأخرجهما إلينا لنعرفهما (٦) فخرج إليهم لوط إلى الباب وأغلق الباب وراءه (٧) وقال لاتفعلوا شراً يا إخوتي (٨) هوذا لي ابنتان لم تعرفا رجلاً، أخرجهما إليكم، فافعلوا بهما كما يحسن في عيونكم. وأما هذان الرجلان فلا تفعلوا بهما شيئاً لأنهما دخلا تحت ظل سقفي)(١٨).

إن قصة ــ لوط ــ مع أهل سدوم، ليست مختلفة وحسب، وبل إنها تحوي مغالطات كبيرة منها:

١ ــ أن لوطاً لم يكن من أهل الحضر يعيش في بيت ثابت في مدينة سدوم شأنه في ذلك شأن عمه أبرام / ابراهيم / سواء عند قدومهما أرض غربتهما أرض كنعان، أو طيلة فترة وجودهما في رحابها، وإنما كانا أصحاب مواش ينتجعان بها بحثاً عن الكلأ من مكان إلى آخر (٥) ولوط السائر مع ــ أبرام ــ كان له أيضاً غنم وبقر وخيام

(٦) ولم تحملهما الأرض أن يسكنا معا. إذ كانت أملاكهما كثيرة فلم يقدرا أن يسكنا معا (٧) فحدث مخاصمة بين رعاة أبرام ـ ورعاة لوط ـ وكان الكنعانيون والفرزيون حينئذ ساكنين في الارض (٨) فقال ـ أبرام ـ للوط لا تكن مخاصمة بيني وبينك. وبين رعاتي ورعاتك. لأننا نحن إخوان (٩) أليست كل الأراضي أمامك. اعتزل عني. وإذا ذهبت شمالا فأنا يمينا وإن يمينا فأنا شمالا (١٠) فرفع لوط عينيه ورأى دائرة الأردن جميعها سقي قبل أن دمر الرب سدوم وعمورة كجنة الرب مثل أرض مصر حتى تنتهي إلى خبوعرة،(١١) فاختار لوط لنفسه كل دائرة الاردن. وارتحل لوط شرقا. فاعتزل الواحد عن الآخر (١٢) أبرام سكن أرض كنعان. ولوط سكن في مدن الدائرة ونقل خيامه إلى سدوم) (١٩).

يدعي كتبة سفر التكوين أن الرجلين المختبئين هما ملاكان وليسا بشرا. إن هذا القول فيه تجديف وافتراء على المعتقدات الدينية السماوية، حيث جميعها تؤكد أن الملائكة أجسام نورانية، وأن رؤيتهم فوق حاسة البصر والسمع للإنسان الذي كان قد خلق من صلصال كالفخار. وقد جاء في القرآن الكريم بهذا الصدد (٧٥) قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي استكبرت أم كنت من العالين (٧٦) قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) (٢٠).

إن ابن آدم الذي خلق من طين غير قادر على إنزال الأذى بالملائكة التي خلقت من مارج من نار ومن ثم لاداعي للملاكين أن يختبئا خوفا وهلعا من أهل سدوم المحتشدين أمام بيت لوط.

٣ ـ إن الذين احتشدوا أمام بيت لوط هم من أتباع لوط وممن يمتون إليه برباط الدم والقربى وليس من سكان منطقة سدوم الذين استضافوه وماشيته ومن معه في أرضهم دائرة الأردن وقد جاء في القرآن الكريم ما يثبت ذلك (٧٧) ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب (٧٨) وجاء قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا

تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد(٧٩) قالوا لقد علمت مالنا في بناتك من حق وأنك لتعلم ما نريد)(٢١).إن لوطاً لما عرض ابنتيه على الرجال المحتشدين ليأخذوهما بطريق الزواج لا على سبيل الزنى، لإبعاد الأذى عن ضيفيه اللذين يعـــدان بمنزلـــة دخيلين استجارا به، حيث صار لزاماً عليه الحفاظ على حياتـــهما. وإن كـــان الثمـــن فادحاً.

٤ ـ إن كتبة سفر التكوين لم يأتوا على ذكر السبب الذي احتشد من أجله أهل ســدوم أمام بيت مضيفهما لوط، إذ أغفلوه عن قصد متعمد، لأنهم إذا ما ذكروه فسيكون أهــل سدوم على حق في تصرفهم تجاه لوط الغريب عنهم وعن أرضهم التي ســـمحوا لـــه وماشيته الانتجاع فيها، لكنهم ادعوا أن أهل سدوم كانوا أشراراً وخطاة. فلو أنهم كانوا قوماً منكرين، لما احتشدوا برأينا أمام بيت لوط طالبين منه التعرف إلى هوية الرجلين اللذين اختبأا تحت سقف بيته، علماً أنهم قادرون على انزال الأذى بلوط وأهلـــه (٩) فقالوا أبعد إلى هناك، ثم قالوا جاء هذا الانسان ليتغرب وهو يحكم بيننا حكمـــاً، الآن نفعل بك شراً أكثر منهما، فألحوا على الرجل لوط، وتقدموا ليكسروا الباب) (٢٢).

وبعد أن كان الرجلان خائفين من رجال سدوم، تحولا فجأة إلى قوة خارقـــة، حيـث ضربا المحتشدين كافة بالعمى(١٠) فمد الرجلان أيديهما وأدخلا إليـــهما لوطـــاً إلـــى البيت، وأغلقا الباب (١١) وأما الرجال الذين على باب البيت فضربوا بـــالعمي مـــن الصغير إلى الكبير فعجزوا عن أن يجدوا الباب(٢٣).

٣ ــ لوط ومضاجعته لابنتيه العذراوين

يزعم كتبة سفر التكوين أن لوطاً قد ضاجع كلتا ابنتيه بعد أن اسكرتاه حتـــى الثمالـــة ليكون له عقب من الذكور، بعد أن تخلصتا من والدتهما، وحتى لا تكون حجر عـــثرة في تحقيق فعلتيهما المشبوهة، (٣١) وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليـــس فـــي الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض (٣٢) هلم نسقي أبانا خمراً ونضطجـــع

معه فنحيي من أبينا نسلا (٣٣) فسقتا أباهما خمرا في تلك الليلة، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. (٣٤) وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة إنني قد اضطجعت البارحة مع أبي نسقيه خمرا الليلة أيضا، وتعالي أنت ضاجعيه لنقيم من أبينا نسلا.(٣٥) فسقتا أباهما خمرا تلك الليلة أيضا، وقامت الصغرى فضاجعته ولم يعلم بنيامها ولا بقيامها. (٣٦)فحبلت ابنتا لوط من أبيهما(٣٧) فولدت البكر ابنا ودعت اسمه ــ مؤاب. وهو أبو المؤابيين إلى اليوم(٣٨) والصغيرة ولدت ابنا ودعت اسمه ابن عمي. وهو أبو بني عمون إلى اليوم)(٢٤).

إن مجريات هذه القصة غير واقعية ولم تحدث إلا في مخيلة واضعي سفر التكوين لغايات مشبوهة يرومون تحقيقها مستقبلا عن طريق الأجيال المتعاقبة التي تدين باليهودية، ويعود ذلك لجملة من الأسباب أهمها:

١ ــ إن زعم واضعي سفر التكوين: إن ابنتي لوط قد حبلتا من أبيهما، حيث أنجبت الأولى طفلا ذكرا اسمه ــ مؤاب ــ وهو أب للمؤابيين، في حين أنجبت الثانية طفلا ذكرا دعته ــ ابن عمي ــ وهو أبو العمونيين ــ إلى يومنا هذا، هو زعم غير صحيح وفيه تشويه للحقائق التاريخية، التي تؤكد أن رسول العرب الكنعانيين يعود إلى ما قبل الالف الثالث ق.م لا بفلسطين فحسب بل في كامل بلاد الشام، حيث كان القسم الجنوبي منها مقسما إلى مناطق ذات تسميات محلية تتوافق مع تسميات سكانها المحليين: فعلى سبيل المثال أن عمون ــ ومؤاب ــ هما تسميتان لمنطقتين جغرافيتين تقعان إلى الشرق من مجرى نهر الأردن وإلى الجنوب من مجرى نهر اليرموك، وإلى الشمال من جبال مدين. وأن سكان تلك المنطقتين المذكورتين هم من العرب الكنعانيين، وكانوا يعرفون بالمؤابيين والعمونيين، قبل مجيء ــ أبرام ــ وابن أخيه لوط إلى أرض كنعان، أرض غربتهم بما يزيد على /٢٠٠٠/ عام سبقت. وكان يعيش إلى جانب المؤابيين والعمونيين في دائرة شرق الأردن كل من السدوميين، والعموريين، والمديين، وهذه الجماعات تنتمي إلى الكنعانيين. والتسميات المذكورة

آنفاً تحمل مسمياتهم حيث كل جماعة عرفت باسم المنطقة التي عاشت فيـــها، وهــذه عادة عربية أصيلة لا تزال حتى يومنا هذا، فعلى سبيل المثال ـــ نسب البابليون نســبة إلى بابل، والسبئيون نسبة إلى سبأ، والغساسنة نسبة إلى نبع غسان. والتدمريون نســبة إلى تدمر. ويقول ـــ أحمد سوسة حول تلك المغالطات (......إن كتبة التوراة تعمـــدوا الخلط بين الأدوار التاريخية، إهمال التسلسل الزمني، فربطوا العصور بعضها ببعض، وذلك لكي يرجعوا تاريخهم إلى عصور لم يكن لهم أي وجود فيها، فيلتبس الأمر على القارئ)(٢٥).

٢ ـــ إن لوطاً كان رجلاً صالحاً ولم يكن من عباده المشركين: (ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين)(٢٦).

٣ ـــ بدلاً من أن يقوم ـــ إله لوط ـــ الذي هو إله أبرام بضرب لوط وأهله جزاء للمنكر الذي اقترفوه، فقد صب جام غضبه على أهل دائرة الأردن مكافأة لهم، على حسن صنيعهم الذي قدموه إلى لوط ـــ وأهله في أرض كنعان أرض غربتهم (٢٣ وإذ أشرقت الشمس على الأرض دخل لوط إلى صوغر ٢٤ فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتاً وناراً من عند الرب من السماء٢٥ وقلب تلك المدن وكل الدائرة الأردن، وجميع سكان المدن ونبات الارض)(٢٧).

٤ ـــ قصة اسحق وزوجته رفقة

قام اسحق على زعم كتبة سفر التكوين بتقديم زوجته ـــ رفقة ـــ إلى أبيمالك ـــ ملـــك جرار ليحصل على نعمة بسببها، وذلك اقتداء بفعلة والده ـــ أبرام ـــ مـــن قبـــل (٧) وسأله أهل المكان عن امرأته. فقال هي أختي. لأنه خاف أن يقول امرأتي لعل أهـــل المكان يقتلوني في رفقة لأنها كانت حسنة المنظر(٨) وحدث إذ طالت له الأيام هنـــاك أن أبيمالك ملك جرار أشرف من الكوة ونظر وإذا اسحق يلاعب رفقـــة امرأتـــه (٩)

فدعا أبيمالك إسحق وقال إنما هي امرأتك فكيف قلت هي أختي. فقال له إسحق لأنــي قلت لعلي أموت بسببها)(٢٨).

إن هذه القصة من وضع كتبة سفر التكوين، ويمكننا القول إنها لم تحــدث قــط لعــدة أسباب منها:

١ ــ إن رفقة لم تكن اختاً لإسحق من طرف أمه ساراي: سارة ــ ولا من طرف أبيه أبرام. بل هي بنت لابن عمه بتوئيل بن ناحور بن تارح أبي أبرام. وأن نسب رفقـــة من طرف أمها هو رفقة بنت ملكة بنت هاران بن تارح، وهي شقيقة إلى يسـكة (٢٧) وهذه مواليد تارح: ولد تارح أبرام وناحور وهاران. وولد هاران لوطـــاً(٢٨) مــات هاران قبل تارح أبيه في أرض ميلاده في أور الكلدانيين (٢٩) واتخذ أبرام ونــاحور لنفسيهما امرأتين اسم امرأة أبرام ــ ساراي ــ واسم امرأة نــاحور ــ ملكــة بنـت هاران أبي ملكة ويسكة)(٢٩).

٢ ــ إن أبيمالك الذي تقادمت به السنون، قد كانت له تجربة مريرة مع ــ أبـــرام ــ والد اسحق من قبل، فمن غير المعقول أن لايعرف أبيمالك إسحق ولا أبرام من قبــل، وأن لايكون حذراً في التعامل معه لكونه كاد يقع في الشرك الذي نصبه له والد إسحق من قبل لولا الرؤية التي تراءى فيها إلهه ــ إيل ــ الإله العلي إله الكنعانيين والـــذي حذره من مغبة الوقوع في الشرك الذي نصب له من قبل إسحق ومن قبله ــ أبرام ــ حيث استدعى أبيمالك إسحق وقال له (١٠) فقال أبيمالك ما هذا الذي صنعت بنا لولا قليل لاضطجع أحد الشعب مع امرأتك فجلبت علينا ذنباً)(٣٠).

فما كان لأبيمالك إلا أن يقابل السيئة بالحسنة، والعمل المنكر بالحسن (١١) فأوصى أبيمالك جميع الشعب قائلاً الذي يمس هذا الرجل أو امرأته يموت موتاً)(٣١).

٣ــ يستشف من مجريات تلك القصة من ورودها في سفر التكوين: أن رفقة كــانت تعمل في بيت أبيمالك منذ مدة ليست بقصيرة، وذلك وفقاً لاتفاق تم بين أبيمالك، وبيــن

إسحق ــ تعمل بمقتضاه أخته رفقة كخادمة عند أبيمالك مقابل أجر مادي معلوم ومتفق عليه. وأن إسحق كان يتردد إلى بيت ــ أبيمالك ــ للاطمئنان على زوجته رفقة، وربما للاتصال بها سراً وبشكل مستمر ومنتظم وأن دليلنا على ذلك هو: أن أبيمالك لم يستغرب وجود إسحق في بيته، وإنما استغرب الوضعية التي كان فيها إسحق مع رفقة وهما يتبادلان العواطف وكأنهما زوجان.

٤ ــ إن إسحق كان رجلاً صالحاً تقياً يخاف الله بكل تصرفاته، شأنه في ذلك شأن والده ابراهيم من قبله. فقد جاء في القرآن الكريم وصفاً لإسحق أنه من عبادالله الصالحين (٧٢) ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة وكلاً جعلنا صالحين (٧٣) وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين)(٣٢). ويقول تعالى في موضع آخر (١٠٩) سلامٌ على ابراهيم (١١٠) كذلك نجزي المحسنين (١١١) إنه من عبادنا المؤمنين (١١٢) وبشرناه بإسحق نبياً من الصالحين (١١٣) وباركنا عليه وعلى إسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين)(٣٣).

وفي ضوء ما سبق يتضح لنا أن كتبة سفر التكوين يهدفون من وراء قصصهم المشبوهة، التي تنطوي على إيحاء ضمني يجيز استخدام الزوجة كشرك، اتقاء لضر متوهم، أو ابتغاء لكسب مرجو، والتي نسبوها إلى كل من : أبرام : إبراهيم ــ ولوط ــ وإسحق، لتحقيق مستقبلية نفعية مشبوهة، يريدون تأكيدها لعقول معتنقي الدين اليهودي كوسيلة غائية عند شعورهم بالضعف والعجز وقلة الشأن إذا ما كانت مصلحتهم تقتضي ذلك:

أ ــ أن يصبح تصرف كل من أبرام ــ ولوط ــ وإسحق كما ورد في سفر التكوين قدوة يقتدي بها أتباع العقيدة اليهودية، بأن يقدم المرء منهم عرضه وشرفه للآخرين من الأمميين (الغوييم) إذا ما كانت مصلحتهم تقتضي ذلك.

ب ــ وضع قاعدة فقهية روحية، ليسير عليها أتباع العقيدة اليهودية مستقبلاً مفادها:

أن اضطجاع المرأة اليهودية مع رجال لا يدينون بدينها من الأمميين، لا يدخل في نطاق الزنى، لأن الزنى في شريعة ــ يهوه ــ قاصر على علاقات أتباعه بعضهم ببعض فالنص الصريح في سفر اللاويين يكيف الزنى: بأنه اضطجاع اليهودي مع امرأة يهودية أخرى، إلى جانب مضاجعة المحارم فقط ((١٠) وإذا زنى رجل مع امرأة فإذا زنى مع امرأة قريبه فإنه يقتل الزاني والزانية ((١١) وإذا ضاجع رجل مع امرأة أبيه فقد كشف عورة أبيه. إنهما يقتلان كلاهما فقد فعلا فاحشة. دمهما عليهما (١٢) وإذا اضطجع رجل مع كنته (زوجة ابنه) فإنهما يقتلان كلاهما. فقد فعلا فاحشة.دمهما عليهما (١٧) وإذا أخذ رجل أخته بنت أبيه أو بنت أمه ورأى عورتها ورأت هي عورته فذلك عار يقطعان أمام أعين شعبيهما)(٣٤). وجاء في سفر الخروج ما يؤكد أن الزنى هو حصراً ما يتم من مضاجعة غير شرعية بين معتنقي اليهودية (١٦) لا تشهد على قريبك شهادة زور (١٧) ولاتشته بيت قريبك ولاتشته امرأة قريبك ولا أمته ولاثوره ولاحماره ولاشيئاً لقريبك)(٣٥).

جَ ــ إن الإله ــ يهوه ــ لايسيء للمؤمنين به إذا ما اقترفوا منكراً مع الأمميين، وإنما يبارك كل عمل مشبوه وسيء يحيكونه كشرك لإيقاع الآخرين من الأمميين في شباكه، ليحيق بهم أذاه، وليصب عليهم جام غضبه، في حين أنه يعظم القائمين على فعل المنكر من أتباعه، ويرفعهم إلى مصاف القديسين (تكوين ٢٠/١٧ ــ ١٨). وإن ما أصاب فرعون مصر، وأبيمالك ملك جرار مقابل حسن صنيعهما مع أبرام: ابراهيم ــ لخير شاهد على ذلك، حيث ضرب رب ــ أبرام ــ فرعون وبيته، وأغلق كل رحم لبيت أبيمالك بسبب ساراي وزوجها أبرام. وبدلاً من أن يهلك ــ يهوه ــ ابنتي لوط على فعلتهما المنكرة ــ بمضاجعتهما لأبيهما، فقد أمطر على سدوم وعمورة كبريتا ونارا ودمر كل مدن دائرة الأردن دون أن يكون لهم ذنب قد اقترفوه.

د ــ إن واضعي أسفار التوراة، كانوا مطلعين جيدا على ثقافات عصرهم، مما ساعدهم على تشويه الثقافات الإنسانية السائدة آنذاك وخلط أوراقها بعضها ببعض، بحيث تكون لصالحهم ولصالح الأجيال المتعاقبة من أبناء عقيدتهم اليهودية مستقبلا. إذ استطاعوا إيقاع كل من يقرأ تلك الأسفار في حيرة من أمره. ويؤكد ــ أحمد شلبي ــ هذا بقوله (إن اكثر الذين كتبوا عن الأديان هم من اليهود أو من تلاميذهم. فالمدرسة اليهودية عن الأديان سبقت كل المدارس تقريبا وأثرت فيها، وقد أدى ذلك إلى كثير من الاضطراب العلمي، فاليهود استخدموا وسائلهم كلها ومواهبهم كلها لا ليخدموا الحق، وإنما ليخدموا أهدافهم في فلسطين، فتركوا للناس سجلا حافلا بالانحراف يحتاج تصحيحه إلى جهد كبير)(٣٦).

وأهم ما عمد إليه كتبة أسفار التوراة من تشويه وقلب للحقائق التاريخية لغرسها في عقول الأجيال المتعاقبة لمعتنقي الديانة اليهودية: أن أتباع الدين اليهودي ينحدرون من صلب ــ أبرام: ابراهيم. وأن أبرام كان من عبدة الإله ــ يهوه، لكن الحقيقة التاريخية ليست كما حاول واضعو التوراة. طمسها وتحريفها، وإنما هي الآتي:

١ ــ إن أبرام لم يكن يهودي العقيدة، للأن اليهودية لم تكن قد ظهرت بعد. وإنما كان يدين بالحنيفية التي تقول بوجود خالق واحد لهذا الكون، وإنه على كل شيء قدير، وتقول بالبعث والحساب، ((٦٥) يا أهل الكتاب لما تحاجون في ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل إلا من بعده أفلا تعقلون (٦٦) ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم. والله يعلم وأنتم لاتعلمون (٦٧) ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن حنيفا مسلما وما كان من المشركين (٦٨) إن أولى الناس بابرهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين امنوا والله ولي المؤمنين)(٣٧).

ويؤكد ــ ثورير ثوردارسون ــ أستاذ اللاهوت في جامعة إيسلندا ــ عدم وجود صلة ما بين ديانة التوحيد التي دعا إليها ابراهيم وبين اليهودية التي تدعو إلى عبادة الإله ــ

يهوه ــ التي ابتدعها كتبة التوراة بعد عهد ابراهيم بأربعمئة وألف سنة (لقد أظهرت المدونات الآشورية من القرن العشرين قبل الميلاد والكتابات التي تعود إلى العصور التي تلي ذلك العصر أن ديانة ابراهيم تستند إلى الإيمان بالإله العلي (High God) وهذا يتفق مع الصورة التي نجدها في التوراة (أنا إله ابراهيم أبيك ــ (تكوين ٩١١٧) فأبراهام إذن هو مؤسس وحامل لواء هذه الديانة التي تدعو إلى عبادة الإله واصبحت تقترن بصلة وثيقة بعشيرته)(٣٨).

٢ ــ إن أبرام، ابراهيم ــ ولوط واسحق، ويعقوب، هم آراميون من منطقة ما بين النهرين. وإن اللغة التي كان يتكلم بها ابراهيم والآراميون آنذاك هي اللغة العربية الأم كما يقول ــ أحمد سوسة تعد دعوة إبراهيم الخليل إلى الوحدامية الخالصة أول دعوة عامة للتوحيد بالمعنى الدقيق المصطلح التوحيد Monotheism في تاريخ البشرية، وهي عربية لغة ووطنا. كما جاءت بعدها رسالة محمد عليه الصلاة والسلام، النبي العظيم خاتم الأنبياء، وقد نزلت عليه باللغة العربية أيضا، لأن اللغة التي كان يتكلم بها ابراهيم الخليل والآراميون معه في تلك الأزمان هي اللغة العربية الأم التي يرجع وطنها الأصلي إلى الجزيرة العربية، وكانت لغة واحدة تتكلم بها جميع القبائل وذلك قبل أن تتفرق هذه اللغة الأصلية إلى لهجات مختلفة ضمن كتلة اللغات السامية)(٣٩).

ويقول الدكتور ــ هومل ــ في كتابه التقاليد العبرانية القديمة ص ٢٠٢ ــ ٢٠٣ : (إن اللآراميين الذين يرجعون إلى أقدم الأزمان والذين ورد ذكرهم في الكتابات القديمة كانوا ينتمون إلى العرق البدوي الخالص. وهم يحملون الأسماء نفسها التي نجدها في التسميات العربية. لذلك فإننا لانكون قد جازفنا في الكلام عندما نؤكد أن الآراميين في الالف الثانية قبل الميلاد، بل وحتى في العصور التالية التي تمتد إلى زمن ازدهار الامبراطورية الآشورية كانوا هم والشعب العربي العظيم شعبا واحدا من عنصر واحد متماسك الأجزاء........ومما لا شك فيه أن اللغة الآرامية في عصر أبرام كانت لهجة عربية ((ويقصد هنا اللغة الأصلية التي كان يتكلم بها الآراميون في

الجزيرة العربية قبل هجرتهم)) لأن ما نسميه بالآرامية لم يظهر إلى حيز الوجــود إلا بعد زمن متأخر جدا. وأن ما يعرف بآرامية التوراة وآرامية عصر المسيح يرجع إلى زمن الفرس وفترة العصر المسيحي)(٤٠).

ويؤيد المرحوم الأستاذ العقاد ــ الرأي الآنف الذكر، حيث يقول (إن الثقافة الآراميــة عربية في لغتها ونشأتها ونسبتها إلى عنصرها، ولا يمكن أن نعرف لها نسبة إلى أمــة غير الأمة العربية في عهودها الأولى وكل ما استفاده العالم من جانبها فهو من فضــل هذه الأمة على الثقافة العالمية (٤١). لذلك يجب أن تحتل القبــائل الآراميــة مكانــة متميزة في تاريخ العرب كما يقول الدكتور أحمد سوسة، (لأنها تمثل الثقافة العربيــة القديمة وخاصة أن النبي ابراهيم الخليل هو منهم، ففي حوالي الألف الثانية قبل الميلاد نزحت بعض الأسر الآرامية إلى جنوب العراق واستقرت في منــاطق بــابل فكــان ابراهيم الخليل من ذرية هذه الأسر ومن أمرائها)(٤٢).

ويحدد المؤرخون زمن هجرة ابراهيم الخليل من من "أور" الكلدانية في بلاد الرافديــن إلى مدينة ــ حاران ــفي سورية. ومن ثم إلى أرض كنعان في أوائل الربع الأول من الألف الثاني ق.م حوالي ١٨٠٠ق.م.وهذا التحديد ــ كما يقول فــراس الســواح، ــ (ليستند إلى تسلسل أحداث التوراة ذاتها، لا إلى بينات تاريخية تعتمد اكتشافات أثريــة ونصوصا قديمة مكتوبة)*

وجاء في تعليق للأستاذ ــ مفيد عرنوق ــ على كتاب اللآلئ لمؤلفه ــ إيلي ميديكو ــ كبير كهنة أوغاريت أن الشعب الآرامي هو توأم للشعب الأموري (وكان الأموريــون منتشرين في الداخلية من بلاد الهلال الخصيب من جنوبي فلسطين إلــى الأنــاضول، وهو شعب توأم للشعب الآرامي. والاثنان من سلالة كنعانية واحدة تعود في الأصــل إلى الجزيرة العربية (٤٣). فابرام، وإسحق، ويعقوب: كما يقول، شفيق مقار (رغــم تغيير اسم الجد، أبرام الآرامي، إلى أبراهام العبراني، كانوا باعتراف كتبة العهد القديم

أنفسهم في سفر التكوين، آراميين هاجروا إلى أرض كنعان وهو نسب ظل هناك اجتهاد لم يتوقف في جعله عبرانيا، وخلطه بالمطرودين أيام موسى الذين تسموا باسم بني اسرائيل. ثم خلط هؤلاء وأولئك باليهود الذين ظهروا قبيل عصر السبي البابلي، ككيان ديني سياسي على أيدي كهان ساسة)(٤٤).

كما أن ـ ابرام / ابراهيم / لم يكن عبرانيا، وإن العبرانيين في عاداتهم وتقاليدهم ولغتهم وصفاتهم السلالية تجعلهم من المجموعة الأناضولية الحثية، وهو أمر يؤكده العالم ـ هـ ي ـ ديل ميديكو ـ في تحقيقاته التي بعث بها إلى المؤتمر الدولي للمستشرقين في باريس عام ١٩٤٨م: (لذا يمكن الافتراض، دون أن نبتعد عن الحقيقة، بأن العبرانيين لم يكونوا ساميين أصلا، بل كانوا أحفاد شعوب تتكلم لغة هندي ـ أوربية من مجموعة ـ كنتوم ـ كانت قد وقعت تحت تأثير السومريين أكثر مما كانت قد تأثرت بساميي بلاد ما بين النهرين. وإن تقاليد العبرانيين في ذلك الزمن: كانت قريبة من المفاهيم الحثية ومفاهيم بلاد ما بين النهرين، ويعتقد أنهم كانوا يتكلمون لغة قريبة من الهيفية (لغة الخطوط الهيروغلوفية النيو ـ حثية). وقد كان اسم إلههم الأكبر ـ ياه ـ أو ـ يهوه ـ تماماً كما كان اسمه في تلك اللغة: وكانت تجمعهم قرابة عرقية ولغوية مع الحثيين والهيفيين الذين استقروا في البلاد. لذا يمكن الاعتقاد أن العبرانيين يشكلون بقايا الحثيين الذين ذهبوا حوالي ١٩٠٠ق.م لغزو بابل. غير أن العبرانيين ما لبثوا أن هاجروا أمام ضغوط شعوب جاءت من الشمال الآشوري على الأرجح). فاجتازوا الصحراء السورية ودخلوا فلسطين عن طريق جرش. واندمج العبرانيون مع السكان المحليين)(٤٥). وهو أمر يؤكده ـ ج ـ هـ بريستد في كتابه (اقتناء الحضارة)، حيث يذكر: (أن صفة الأنف المعقوف هي صفة أناضولية حثية، وأنها ميزة سلالية لشعوب قدمت إلى فلسطين من خارج شبه الجزيرة العربية، واختلطت بسكانها الكنعانيين في فلسطين، اختلطت شعوب سامية وعربية قديمة، بشعوب منحدرة من المناطق الجبلية الشمالية. وهذه الشعوب وبنوع خاص

الأناضولية القديمة هي غير سامية ألفت فيما بعد الشعب الحثي Hittites الذي خلف في فلسطين طابعاً إنتروبولوجيا مميزاً للشعوب السامية وهو الأنف المعقوف، الذي كان من المعتقد بأنه من المميزات السامية وبنوع خاص اليهودية. بينما هو كما نرى اليوم يعود إلى السلالة الأناضولية. فهو إذن غير سامي انتقل إلى الساميين عن طريق التمازج السلالي)(٤٦).

٥ ــ قصة نعمي وكنتها راعوث

يحكي سفر راعوث: أن راعوث المؤابية أرملة ــ كليون ــ قد طلبت من حماتها ــ نعمي بأن تأذن لها بالذهاب إلى الحقل من أجل التقاط سنابل القمح بعد حصاده ((١) فقالت راعوث المؤابية لنعمي دعيني أذهب إلى الحقل وألتقط سنابل وراءه من أجد نعمة في عينيه. فقالت اذهبي يا بنيتي (٢) فذهبت وجاءت والتقطت في الحقل وراء الحصادين. فاتفق نصيبها في قطعة حقل لبوعز الذي من عشيرة أليمالك)(٤٧).

وقد لازمت راعوث بنات بوعز صاحب الحقل طيلة فترة الحصاد. وهي تقوم بالتقاط سنابل القمح والشعير من الأرض بعد حصادها. فما إن انتهى مواسم الحصاد حتى بدأت راعوث بدق وتذرية جرز القمح التي كانت قد التقطتها. لكن نعمي لم يعجبها ذلك القدر من الحنطة، الذي كانت راعوث قد جمعته وهذا ما حدا بنعمي بتوجيه نصحها المشبوه، الذي يبيح لراعوث تقديم نفسها مقابل مكسب مادي (١) وقالت لها نعمي ألا ألتمس لك راحة ليكون لك خير(٢) فالآن أليس بوعز ــ ذا قرابة لنا الذي كنت مع فتياته، هاهو يذري بيدر الشعير الليلة. (٣) فاغتسلي وتدهني والبسي ثيابك، وانزلي إلى البيدر ولكن لا تعرفي عند الرجل حتى يفرغ من الأكل والشرب(٤) ومتى اضطجع فاعلمي المكان الذي يضطجع فيه وادخلي واكشفي ناحية رجليه واضطجعي وهو يخبرك بما تعملين(٥) فقالت لها كل ما قلت أصنع)(٤٨).

وبالفعل قد تصرفت عن طيبة قلب بكل ما أمرتها به حماتها دون أن تعي مادبر لها من مكيدة، قد نسج خيوطها كل من ـ بوعز ـ ونعمي ـ لتكون راعوث الضحية التي يغدر بشرفها لقاء الحصول على عطايا مادية، تعود أخيرا إلى نعمي العجوز (٦) فنزلت إلى البيدر وعملت حسب كل ما أمرتها به حماتها (٧) فأكل ـ بوعز ـ وشرب، وطاب قلبه ودخل ليضطجع في طرف الغرفة. فدخلت سرا وكشفت ناحية رجليه واضطجعت (٨) وكان عند انتصاف الليل أن الرجل اضطرب وإذا بامرأة مضطجعة عند رجليه(٩) فقال من أنت. فقالت: أنا راعوث أمتك. فابسط ذيل ثوبك على أمتك لأنك ولي(١٠) فقال إنك مباركة من الرب يا بنيتي لأنك قد أحسنت معروفك في الأجر أكثر من الأول إذ لم تسع وراء الشبان سواء أكانوا فقراء أم أغنياء(١١) والآن يابنيتي لا تخافي. كل ما تقولين أفعل لك (١٤) فاضطجعت عند رجليه إلى الصباح ثم قامت قبل أن يقدر الواحد معرفة صاحبه. وقال لا يعلم أن المرأة جاءت إلى البيدر (١٥) ثم قال هاتي الرداء الذي عليك وامسكيه، فامسكته فاكتال ستة من الشعير ووضعها عليها ثم دخل المدينة (١٦) فجاءت إلى حماتها فقالت ما وراءك يا بنيتي. فأخبرتها بكل ما فعل لها الرجل، وقالت هذه الستة من الشعير أعطاني لأنه قال لاتجيئي فارغة إلى حماتك (١٨) فقالت اجلسي يا بنيتي حتى تعلمي كيف يقع الأمر. لأن الرجل لا يهدأ حتى يتم الأمر اليوم)(٤٩).

لقد حاك القصة المذكورة آنفا العجوز ـ نعمي ـ والرجل الغني بوعز ـ بدقة متناهية لدرجة أن القارئ لها يشعر: بأن ما جاء في سفر راعوث ما هو إلا مجرد استحسان قام به ـ بوعز ـ تجاه كل من نعمي وكنتها راعوث، في وقت قدمت به ـ راعوث. نفسها لبوعز ـ مقابل ذلك. وأن وقائع تلك القصة الغائية الهدف لم تتم عن طريق المصادفة، وإنما تمت عن سابق إصرار وتصميم، ليتمتع ـ بوعز ـ الغني بجسد الشابة ـ راعوث المغرر بها مقابل الذهاب إلى حقل ـ بوعز ـ لالتقاط سنابل القمح، وبعض كيلات من الشعير، ودليلنا على ذلك ما يلي:

١ ــ رجوع الضحية ــ راعوث ــ من بيدر ــ بوعز ــ في وقت مبكر من الفجـر لا يعرف المرء صاحبه بسبب العتمة التي لاتزال تخيم قبل انبلاج الصبح.

٢ ــ إن ترك ــ بوعز ــ لبيدره، ليلا دون أن يبقي به أحدا ينظره، لخير شاهد علـى أن يبقى اتصاله مع راعوث ــ مقابل ست كيلات من الشعير سرا لا يعلم أحد به. وأن إعطاء ــ بوعز ــ ست كيلات من الشعير إلى ــ راعوث ــ كي لا ترجـع فارغـة اليدين إلى حماتها ــ نعمي ــ ما هو إلا مكافأة للأخيرة على حسن صنيعها معه.

٣ ــ حث ــ نعمي ــ لراعوث ــ المغرر بها. كي تذهب إلى فراش ــ بوعز ــ ليلا بعد الاغتسال والتطيب بالدهن والزيت. وأن تضطجع عند رجليه بعد أن ترفع طـرف اللحاف الذي يتدثر به.

٤ ــ إن طلب ــ نعمي ــ من راعوث بأن تبقى هادئة الأعصـاب ومتكتمـة علـى اضطجاعها في فراش ــ بوعز ــ ليلا، إضافة إلى إعلان بوعز ــ تدبر الأمر، بأنـه اشترى كل ما لأليمالك وكل ما لكليون ومحلون من يد ــ نعمي ــ بما في ذلك الأرملة ــ راعوث ــ لدلالة أكيدة على ما يلي:

أ ــ إن ــ راعوث ــ قد وقعت في أحضان ــ بوعز ــ بتخطيط وتشجيع من حماتـها نعمي عندما كانت تلازم بنات ــ بوعز ــ طيلة فترة التقاطها سنابل القمح والشـعير المتناثرة في أرض الحقل المحصود.

ب ــ إن ذهاب ــ راعوث ليلا إلى فراش ــ بوعز ما كان ليتم لـولا الخـوف مـن افتضاح حبلها من ــ بوعز ــ ولتضعه فيٌ حقيقة الأمر ليتدارك الجاني ــ بوعـز ــ فعلته معها، وما تمخض عنها من حبل لراعوث وهي أرملة علـى رؤوس الأشـهاد. وهذا ما يؤكده واضع سفر ــ راعوث ((٩) فقال ــ بوعز ــ للشيوخ ولجميع الشـعب أنتم شهود اليوم أني قد اشتريت كل ما لأليمالك، وكل مالكليون، ومحلون من يـد ــ نعمي (١٠) وكذا ــ راعوث ــ المؤابية امرأة كليون، قد اشتريتها امرأة لي لأقم اسـم

الميت على ميراثه، ولا ينقرض اسم الميت من بين إخوته ومن باب مكانه. أنتم شهود اليوم (١١) فقال جميع الشعب الذي في الباب والشيوخ نحن شهود. فليجعل المرأة الداخلة إلى بيتك ــ كراحيل ــ وكليئة اللتين بنتا بيت إسرائيل)(٥٠).

٦ ــ قصة الرجل اللاوي وزوجته الزانية

يحكي سفر القضاة أن رجلا من بيت لاوي، قد حط وزوجته الزانية في ساحة قرية جبعة، وهو في طريقه إلى جبل أفرايم (قضاة: ١٩: ١ ــ ٣). وما أن حط الرجل وزوجته حتى جاء إليهما رجل متقدم في السن من أهل ــ جبعة ــ وألح عليهما بأن يناما تلك الليلة عنده. فحسن الكلام في عينيهما. وذهبا معه إلى بيته. فما أن استراحا قليلا حتى هرع أهل قرية ــ جبعة ــ إلى بيت ذلك الرجل العجوز طالبين منه إخراج الرجل الذي دخل وزوجته إلى عنده لأنهم يعرفونه، لكنه رفض طلبهم ((٢٣) فخرج إليهم الرجل صاحب البيت وقال لهم: لا يا إخوتي لا تفعلوا شرا. بعدما دخل هذا الرجل بيتي لا تفعلوا هذه القباحة (٢٤) هوذا ابنتي العذراء سريته دعوني أخرجهما فأذلوهما وافعلوا بهما ما يحسن في أعينكم وأما هذا الرجل فلا تفعلوا به هذا الأمر القبيح (٢٥) فلم يرد الرجال أن يسمعوا له. فأمسك الرجل سريته وأخرجها إليهم خارجا فعرفوها وتعللوا بها الليل كله إلى الصباح، وعند طلوع الفجر أطلقوها (٢٦) فجاءت المرأة عند إقبال الصباح وسقطت عند باب بيت الرجل حيث سيدها هناك إلى الضوء (٢٧) فقام سيدها في الصباح وفتح أبواب البيت وخرج للذهاب في طريقه وإذا بالمرأة سريته ساقطة على باب البيت ويداها على العتبة. فقال لها قومي نذهب. فلم يكن مجيب)(٥١).

إن في مجريات هذه القصة المشبوهة لتأكيد للمنطق الفعلي التبريري، القائم على تقديم المرأة وسيلة من أجل كسب مادي، أو لدفع الأذى عن المرء إذا ما كان في حالة من الشعور بالضعف وعدم الأهمية. وأن تصرف الرجل العجوز في طرحه على

المحتشدين أمام بيته، بأن يقدم ابنته العذراء وسرية الرجل الذي استضافه لمحاكاة صريحة وواضحة لما قام به ــ لوط ــ عندما كان رجال سدوم محتشدين أمام بيته ليتعرفوا على ضيفيه اللذين تحت سقف بيته، وفق زعم كتبة سفر التكوين.

إن كلا من الموقفين لكل من ــ لوط ــ والرجل اللاوي ــ هو موقف مغاير تماما لموقف الكنعانيين من المرأة، الذين ينظرون إليها نظرة احترام وتقديس. فقد جاء في كتاب اللآلئ ما يلي (يجب عدم الاقتراب منهن بأفكار سيئة. ومن المناسب كبت جماح العواطف ورفع اليد عن زوجة الغير، ومن المعلوم أن الامتناع يولد الاضطرابات بجعل الإنسان حاميا كالنار، ويجفف الريق، ومن هذا يجب الظهور بمظهر العفة متحفظا إزاء نساء الغير، لأن الزوجة أشبه ما تكون بزوجة الإله، وهي الشاهد على أسراره المقدسة، وبيتها مقدس كالمعبد، إنه مكان الأسرار المقدسة فهو شبيه ببيت الإله)(٥٢).

كما أن موقف الرجل اللاوي القبيح تجاه زوجته يوحي وبوضوح. أن ليس عنده خوف الإله ــ يهوه ــ الذي يعبده البتة، لأن لديه القناعة التامة بأن ــ يهوه ــ لن يعاقبه على فعلته السيئة، وإنما سيباركه لكونه أبعد الأذى عن نفسه وهو في حالة ضعف غير قادر على إبعاد أهل جبعة. وهذا السلوك المشبوه يتناقض مع موقف الفنسان وسلوكه في بلاد الرافدين، الذي يعد خشية الآلهة والامتثال لمرها والتحلي بالعفة من واجبات المؤمن: (يوما بعد يوم، أكرم إلهك. بالذبيحة والصلاة، وفوح البخور، لتكن العفة زينتك أمام إلهك. تقرب إليه كل صباح بالضراعة والنجوى. تعلم أن الخشية تورث الرضى. والذبيحة تطيل الحياة. وأن الصلاة منجاة من الخطيئة.)(٥٣).

٧ ــ قصة مردخاي والفتاة الحسناء ــ هدسة (أستير)

لم يكتف كتبة سفر ــ أستير ــ بتأكيد ظاهرة استخدام المرأة كوسيلة توصل المرء من معتنقي الدين اليهودي إلى غاياته فقط، وإنما تسخير النساء الجميلات على شد قلوب

الذين هم في سدة الحكم، لاستمالتهم لجانبهم وليكونوا أداة طيعة يعملون وفق هواهم لتحقيق طموحاتهم المشتبهة التي ترمي إلى إذلال الناس واستبعادهم كافة من غير أبناء عقيدتهم، لأنهم بمنزلة قطيع من البهائم، وبيوتهم زرائب ويحل قتلهم والاتجار بهم، والتعامل معهم من خلال طرق تخلو من كل القيم، وذلك تطبيقا لتعاليم دينهم الواردة في كل من التوراة وشروحاته التلمودية (أن اليهود أحب إلى الله والملائكة. وأنهم من عنصر الله، كالولد من عنصر أبيه، من يصفع اليهودي كمن يصفع الله، والموت جزاء الأممي إذا ضرب اليهودي، ولولا اليهود لارتفعت البركة من الأرض، واحتجبت الشمس وانقطع المطر، واليهود يفضلون الأمميين كما يفضل الإنسان البهيمة. والأمميون جميعا كلاب وخنازير، وبيوتهم كحظائر البهائم نجاسة، ويحرم على اليهودي العطف على الأممي لأنه عدوه وعدو الله. والتقية والمداراة معه جائزة للضرورة تجنبا لأذاه، وكل خير يصنعه يهودي مع أممي فهو خطيئة عظمى. وكل شيء يفعله معه قربانا لله يثيبه عليه. والربا الفاحش جائز مع غيره كما شرع موسى وصموئيل. وكل ما على الأرض ملك لليهود. مما تحت الأمميين مغتصب لليهود وعليهم استرداده بكل الوسائل) (٥٤).

إن ما يحكيه كتبة سفر ـ أستير ـ عن سلوكية معتنقي الدين اليهودي مع رعايا مملكة /ميدي وشوشن/ من غير اليهود، الشاذة والنابعة من تعاليم دينهم، التي جعلت منهم أناسا لا يحبون سوى أنفسهم فقط، وباقي البشر بهائم غير جديرين بالحياة، وقد ترجم هذا الشعور ـ هامان ـ للملك ـ أحشويروش: اكسركس ـ عن هؤلاء ذوي السلوك المشبوه ((٨) فقال ـ هامان ـ للملك ـ أحشويروش ـ إنه موجود شعب ما متشتت ومتفرق بين الشعوب في كل بلاد مملكتك وسننهم مغايرة لجميع الشعوب وهم لا يعملون سنن الملك. فلا يليق بالملك تركهم. (٩) فإن حسن عند الملك، فليكتب أن يبادر وأنا أزن عشرة آلاف وزنة من الفضة في أيدي الذين يعملون العمل ليؤتى بها إلى خزائن الملك (١٠) فنزع الملك خاتمه من يده وأعطاه لهامان، بن همداثا الأجاجي

عدو اليهود (١١) وقال الملك ــ لهامان ــ الفضة قد أعطيت لك والشعب أيضا لتفعل ما يحسن في عينيك) (٥٥).

وقد وافق الملك ــ أحشويروش ــ على طلب هامان ــ قائد جيشه المخلص كما يحكي كاتب قصة ــ أستير ــ الغائية الهدف. وأن الملك أمر قائد جيشه بتنفيذ عملية القتل الجماعي التي يزعمها كاتب تلك القصة، دون إبطاء كي لا يستفحل خطر تلك الجماعة الدينية في أرجاء مملكته ــ وحدد الملك يوم الثالث عشر من شهر آذار، ليكون مذبحة لأتباع الدين اليهودي كافة، وعلى امتداد مملكة ــ ميدي وشوشن ــ (وأرسلت الكتابات بيد السعاة إلى كل بلدان الملك لإهلاك وقتل وإبادة جميع اليهود من الغلام إلى الشيخ والأطفال والنساء في يوم واحد من الثالث عشر من الشهر الثاني عشر، أي شهر آذار. وأن يسلبوا غنيمتهم)(٥٦).

ولثني الملك ــ أحشويروش ــ عن قراره القاضي بقتل أتباع الدين اليهودي كافة من بين رعايا مملكته، لأسباب تكمن في تصرفاتهم السيئة التي كانت سببا في نشر الفساد الخلقي على امتداد تلك المملكة. فقد اجمع رجال الدين اليهودي بقيادة ــ مردخاي ــ على تدبير مكيدة، يتم على ضوئها: إغواء الملك ــ أحشويروش ــ عن طريق تقديم النساء الجميلات له وسيلة لكسبه إليهم، وليناصب العداء لرعاياه، من الذين كانوا قد ضاقوا ذرعا بتصرفات أتباع العقيدة الدينية الآنفة الذكر، وكانت الفتاة الجميلة ــ هدسة ــ التي صار اسمها فيما بعد ــ أستير ــ خير شرك تم إيقاع الملك فيه، بعد ما أحسن تدريبها ــ مردخاي ــ ابن عمها لتقوم بتنفيذ المكيدة التي حاكها أبناء ملتها في العقيدة (١٧) فأحب الملك ــ أستير ــ أكثر من جميع النساء ووجدت نعمة وإحسانا قدامه أكثر من جميع العذارى، فوضع تاج الملك على رأسها، وملكها مكان ــ وشتي (١٨)وعمل الملك وليمة عظيمة لجميع رؤسائه وعبيده وليمة أستير وعمل راحة في البلاد وأعطى عطايا حسب كرم الملك (١٩) ولما جمعت العذارى ثانية كان مردخاي ــ جالسا بباب الملك (٢٠) ولم تكن ــ أستير ــ أخبرت عن جنسها وشعبها كما

أوصاها ـ مردخاي ـ وكانت أستير ـ تعمل حسب قول ـ مردخاي ـ كما كانت في تربيتها عنده)(٥٧).

ولقد تم لـ ـ أستير ـ ما كانت ترمي إليه من مكيدتها، حيث استطاعت شد قلب الملك إليها، واستعداءه ضد ـ هامان ـ قائد جيشه المخلص (١) فجاء الملك وهامان ليشربا عند أستير الملكة (٢) فقال الملك لأستير في اليوم الثاني أيضا عند شرب الخمر ما هو سؤلك يا أستير الملكة فيعطي لك وما هي طلبتك. ولو إلى نصف المملكة تقضى (٣) فأجابت أستير الملكة وقالت إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك أيها الملك وإذا حسن عند الملك فلتعط لي نفسي بسؤلي وشعبي بطلبي (٤) لأننا قد بعنا أنا وشعبي للهلاك والقتل والإبادة ولو بعنا عبيدا وإماء لكنت سكت مع أن العدو لا يعوض عن خسارة الملك (٥) فتكلم الملك ـ أحشويروش ـ وقال لأستير الملكة من هو وأين هو هذا الذي يتجاسر بقلبه على أن يعمل هكذا (٦) فقالت ـ أستير ـ هو رجل خصم وعدو هذا ـ هامان الرديء)(٥٨).

فاستجاب الملك ـ أحشويروش ـ لطلب أستير ـ حيث أصدر أمرا ملكيا يقضي بإعدام ـ هامان ـ شنقا على الخشبة نفسها، التي كانت قد أعدت لشنق رأس الأفعى الخبيثة ـ مردخاي ـ الذي لفق مكيدة بحق ـ هامان ـ ادعى فيها، أن الأخير قد راود أستير عن نفسها، ليقع عليه حكم الموت (٧) فارتاع هامان أمام الملك والملكة. فقام الملك بغيظه عن شرب الخمر إلى جنة القصر. ووقف هامان ليتوسل عن نفسه إلى أستير الملكة لأنه رأى الشر قد أعد عليه من قبل الملك (٨) ولما رجع الملك من جنة القصر إلى بيت شرب الخمر وهامان متواقع على السرير الذي كانت أستير عليه قال الملك هل أيضا يكبس الملكة معي في البيت. ولما خرجت الكلمة من فم الملك غطوا وجه ـ هامان ـ (٩) فقال حربونا ـ واحد من الخصيان الذين بين يدي الملك هوذا الخشبة أيضا التي عملها ـ هامان ـ لمردخاي الذي تكلم بالخير نحو الملك

قائمة في بيت هامان ارتفاعها خمسون ذراعا. فقال الملك اصلبوه عليها (١٠) فصلبوا هامان على الخشبة التي أعدها لمردخاي. ثم سكن غضب الملك)(٥٩).

ولم تكتف ــ أستير ــ بقتل هامان وأهل بيته، وإنما استصدرت قرارا ملكيا بإلغاء القرار الملكي السابق الذي كان يقضي بإبادة اليهود كافة من جميع أنحاء مملكة ــ أحشويروش ــ بقيادة ــ هامان ــ المغدور به (١) في ذلك اليوم أعطى الملك أحشويروش ــ لأستير الملكة بيت هامان عدو اليهود ...(٣) وتكلمت أمام الملك وسقطت عند رجليه وبكت وتضرعت إليه أن يزيل شر ــ هامان ــ الأجاجي وتدبيره الذي دبره على اليهود (٤) فمد الملك لأستير قضيب من الذهب، فقامت أستير ووقفت أمام الملك (٥) وقالت إذا حسن عند الملك وإن كنت قد وجدت نعمة أمامه واستقام الأمر أمام الملك وحسنت أنا لديه فليكتب لكي ترد كتابات تدبير هامان بن همداثا الأجاجي التي كتبها لإبادة اليهود الذين في كل بلاد الملك (٦) لأنني كيف أستطيع أن أرى الشر الذي يصيب شعبي وكيف أستطيع أن أرى هلاك جنسي)(٦٠). فأصدر الملك ــ أحشويروش ــ أمرا يعطي لليهود في مملكته الحق في كل شخص من رعاياها يناصبهم العداء ((٧) فقال الملك أحشويروش ــ لأستير ــ الملكة ــ ومردخاي اليهودي (هوذا قد أعطيت بيت هامان لأستير أما هو فقد صلبوه على الخشبة من أجل أنه مد يده إلى اليهود (٨) فاكتبا أنتما إلى اليهود ما يحسن في أعينكما باسم الملك واختماه بخاتم الملك لأن الكتابة التي تكتب باسم الملك وتختم بخاتمه لاترد (٩) فدعي كتاب الملك في ذلك الوقت في الشهر الثالث أي شهر سيوان في الثالث والعشرين منه وكتب حسب كل ما أمر به مردخاي إلى اليهود وإلى المرازبة والولاة ورؤساء البلدان التي من الهند إلى كوشي مئة وسبع وعشرين كورة إلى كل كورة بكتابتها وكل شعب بلسانه وإلى اليهود بكتاباتهم ولسانهم (١٠) فكتب باسم الملك أحشويروش وختم بخاتم الملك وأرسل رسائل بأيدي بريد الخيل ركاب الجياد والبغال وبني الرمك (١١) التي بها أعطى الملك اليهود في مدينة فمدينة أن يجتمعوا ويقفوا

لأجل أنفسهم ويهلكوا ويقتلوا ويبيدوا قوة كل شعب وكورة تضادهم حتى الأطفال والنساء وأن يسلبوا غنيمتهم (١٢) في يوم واحد في كل كور الملك احشويروش في الثالث عشر من الشهر الثاني عشر أي شهر آذار (١٣) صورة الكتابة المعطاة سنة في كل البلدان أشهرت على جميع الشعوب أن يكون اليهود مستعدين لهذا اليوم لينتقموا من أعدائهم)(٦١). فاجتمع معتنقو اليهودية بعد أن وصلتهم رسائل الملك لتنفيذ عملية القتل الجماعي لكل من يخالفهم في الدين من رعايا مملكة ـ أحشويروش ـ الذي وقع في شرك ـ أستير ـ ((٢) اجتمع اليهود في مدنهم في كل بلاد الملك أحشويروش ليمدوا أيديهم إلى طالبي أذيتهم فلم يقف أحد قدامهم لأن رعبهم سقط على جميع الشعوب (٣) وكل رؤساء البلدان والمرازبة والولاة وعمال الملك ساعدوا اليهود لأن رعب ـ مردخاي ـ سقط عليهم (٤) لأن مردخاي كان عظيما في بيت الملك وسار خبره في كل البلدان لأن الرجل مردخاي كان يتزايد عظمة (٥) فضرب اليهود جميع أعدائهم ضربة سيف وهلاك وعملوا بمبغضيهم ما أرادوا)(٦٢).

ولم تكتف أستير ـ وأبناء عقيدتها بقتل كل من كان يقف ضدهم في أرجاء مملكة ـ أحوشويروش ـ فحسب،بل وصل بهم الحقد بأن طلبوا إلى الملك السماح لهم التمثيل بجثث ضحاياهم البريئة وعلى رأسهم هامان ـ وأهله وذلك اقتداء بعمل يشوع الذي قام به مع الآموريين المقتولين من قبله كما يروي كاتب سفر يشوع (وضربهم يشوع ـبعد ذلك وقتلهم وعلقهم على خمس خشب وبقوا معلقين على الخشب حتى المساء)(٦٣).

فكان جواب الملك أحشويروش ـ بالموافقة على ذلك الطلب المفعم بالحقد من قبل ـ أستير (فقال الملك لأستير الملكة في شوشن القصر قد قتل اليهود وأهلكوا خمس مئة رجل وبنى هامان العشرة، فماذا في باقي المدن وبلدان الملك. فما هو سؤلك فيعطى لك وما هي طلبتك بعد فتقضى)(٦٤).

فما كان جواب ـ أستير ـ بأن جلب أبناء هامان ويمثل بجثثهم إرضاء للحقد الكريـه الكامن في صدرها الذي كان قد حقنها به ـ مردخاي. وقد تم لأستير سؤلها (فقالت أستير ـ إن حسن عند الملك فليعط غدا أيضا لليهود الذين في شوشن أن يعملوا كما في هذا اليوم ويّصلبوا بني هامان العشرة على الخشبة، فأمر الملك أن يعملوا هكذا وأعطي الأمر في شوشن. فصلبوا بني هامان العشرة.(٦٥).

وبهذه الطريقة التي تقوم على أرضية من الغش والخداع والتضليل، تم جذب السلطان ـ أحشويروش لجانب معتنقي الدين اليهودي، بفضل الفتاة الجميلة ـ أستير، وتم لهم القضاء على خصومهم من رعايا المملكة قتلا وتمثيلا، وفقا لما جاء في أسفار توراتهم التي تحثهم على ارتكاب مثل تلك الأفعال السيئة. لأن إلههم ـ يهوه ـ وفق ترهات التوراة وخرافاته قد سلط أتباع ذلك الإله على أموال البشر ودمائهم جميعا (تلك هي الحقائق المجهولة، ولكن المبهرة من غاية التوراة ومحتواها ـ وتكييف اليهود وتحضيرهم نفسيا وجسميا لتملك العالم، وتلمود بابل يتجاوز كل ما رأيناه بمكائده الحقيرة والمراوغة والخبيثة والحمقى، التي رائدها جنون الاضطهاد والعظمة لدى مؤلفيه. والسلاح التقليدي الذي كيفه وهذبه اليهود هو دين قتالي حربي يلبس لبوس النعاج لإخفاء نواياهم المكيدية. وهكذا فإن اعتداءاتهم الوقحة غير المسببة ولا المحرضة من قبل غيرهم، تبرر دينيا وكذلك فإن سرقاتهم وجرائمهم وكذبهم لها مسوغاتها الأخلاقية ـ ألم يعدهم ـ يهوه ـ بإرث الغوييم (كل البشر من غير أتباع اليهودية). وما نحن سوى النعاج (الغوييم). فالإبادة الجماعية هي أقصى درجات الأخلاق لدى اليهود)(٦٦).

فمن خلال قصة ـ أستير ـ ذات المعطيات المادية الغائية التبريرية ويتضح لنا وبشكل جلي الحقائق التالية:

١. إن القتل الجماعي الذي تعرض له كثير من رعايا مملكة ميدي وشوشن القصر، من غير أتباع العقيدة اليهودية هي أوامر تتكرر في التوراة التي تنظم حياة اليهودي وتفكيره وعاداته (وتفترس جميع الغواييم) الذي يدفعهم إليك الرب إلهك فلا تشفق عليهم (سفر التثنية ٧:٦). وأن مثل هذا القتل الجماعي، لأرضية خصبة ينمو فيها الإرهاب المنظم ضد العرب الفلسطينيين وعلى تراب وطنهم.

٢. يحرص معتنقوا اليهودية إلى استخدام نسائهم كشرك، يتم من خلاله كسب من هو في سدة الحكم من خصومهم، ليصبح طوع أوامرهم، التي تتفق وتعاليم دينهم التي في أسفار التوراة. وأن تلك النسوة سيكونن في عداد القديسين لما قمن به من أعمال دنيئة، حققن من خلالها نتائج إيجابية لصالح أبناء عقيدتهن. في وقت يشعرون بضعفهم السياسي والاقتصادي أمام خصومهم، وذلك تمشيا مع تعاليم دينهم التي تجيز التقية والمداراة مع عدوهم للضرورة تجنبا لأذاه. والملفت للنظر في قصة ــ أستير ــ هذه التي تسببت في موت آلاف الناس ظلما، والتي كان زوجها الوثني هو ــ أحشويروش ــ (هو أن العهد القديم عدها قديسة وأفرد لها سفرا خاصا وكأنها لم تكن قاتلة ألوف، وقرينة وثني، فما أعجب اليهود، وما أفظع كيدهم)! (٦٧).

٣. إن أتباع الدين اليهودي غير مخلصين إلا لأنفسهم، ولما جاء في تعاليم توراتهم وشروحاته التلمودية. وإنهم في حل كل ما يترتب عليهم من واجبات تجاه الأوطان التي يعيشون فيها، في وقت يجب عليهم استخدام الطرق المشبوهة كافة لإشاعة الرذيلة بين الشعوب التي لا تدين باليهودية، ولإبعادها عن معتقداتها الدينية، وكل من تراثها المادي والروحي، إلى جانب حمل أفراد تلك الشعوب على التنكر لكل مظاهر القومية التي تنتمي إليها وتعتز بها. وإن اليهود لا في الماضي ولا في الحاضر، ولا في المستقبل، يعدون أنفسهم مواطنين في الدولة التي ولدوا فيها. لأن الوطن الحقيقي لهم يكمن في تعاليم التوراة والتلمود، والتي تعد بمنزلة مملكة لهم:

(وأن عاصمة هذه المملكة هي كتبهم الدينية المقدسة لا سيما التلمود وأقوال ربانيهم وزعمائهم الذين يمدون لهم في الضلال مداء وأن ملوكهم هم حكماؤهم الذين هـم أنبياؤهم، واليهود يخضعون لهؤلاء الحكماء خضوع التقي لربه، ويطيعون كلماتهم في عمي طاعة الأبناء البررة لإكرام الآباء) (٦٨). ويؤكـد ـ حاييم وايزمـان بدوره صحة ما ذكرناه، والذي مفاده: أن معتنقي الدين اليهودي لا يخلصـون إلا لأنفسهم فقط (ها نحن يهود فقط، ولا شيء آخر، شعب داخل كل الشعوب) (٦٩).

٤.يستشف من مجريات سفر ـ أستير ـ أن معتنقي الدين اليهودي هم جبنـاء أذلاء عندما يكونون ضعفاء. وأن دينهم في مثل هذه الحال يجيز لهم المكـر والخـداع والتضليل من أجل الوصول إلى غاياتهم. وأنهم متغطرسون غلاظ الرقبـة قتلـة عندما يكونون أقوياء. ويقول الشاعر الفرنسي الكبير ـ فولتير ـ بهذا الصـدد (إن اليهودي متوحش بطبيعته، خنوع ذليل إذا ما هبت الرياح بما لا يشتهي، لكنه وقـح متغطرس إذا ما صادفه شيء من النجاح فازدهرت حياته وسيطرت)(٧٠).

نتائج البحث

أ ـ يتضح لنا من المعطيات المادية المشبوهة لبعض من قصص التـوراة المتداولـة (العهد القديم)، التي أوردناها في سياق هذا البحث: أنها لا تمت إلى كتاب التوراة الذي أنزل على سيدنا موسى عليه السلام، لأنه كتاب فيه هدى وبينات لمن يرهبون الله (إنـا أنزلنا التوراة فيه هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هـادوا والربـانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء) (٧١)، وإنما هي من وضـع أحبارهم (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) (٧٢).

إن ما نسب إلى كل من أبرام: ابراهيم ــ وإسحق ــ ولوط، هو من تأويل أولئك الكتبة، وأنهم لم يكونوا هوداً، وأن اليهودية لم تظهر بعد (أم تقولون إن ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون) (٧٣).

إن ما جاء في سفر ــ راعوث ــ وسفر اللاويين، لا يمت إلى توراة موسى بأي صلة، بل فيها ما يبعث الإشمئزاز إلى النفس، لا سيما عند قراءتنا المقطع الذي يصف فيه كاتب السفر: كيف راعوث تراود ــ بوعز ــ عن نفسها، وقراءة المقطع من سفر اللاويين الذي يذكر فيه كاتبه كيف أخرج الرجل اللاوي زوجته إلى خارج باب البيت، حيث يحتشد رجال بليعال ــ ليتعللوا بها حتى الصباح. أما ما جاء في سفر ــ أستير ــ بعيد كل البعد عن مبادئ الدين التي جاءت في ألواح توراة موسى عليه السلام، التي أفرغت من محتواها، وأبدلت بتعاليم قد وضعها الكتبة من رجال الدين اليهودي (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين) (سورة آل عمران ــ ٩٣)، إن هي إلا درس وضيع وصفيق عن كيفية دفع سلطة الأمميين (الغوييم) إلى تحطيم شعبها ثم وضعه تحت أمرة اليهود الماحقة الباطشة والحاقدة.

ب ــ كما أن المعلومات الواردة في سياق البحث خاصة ما نسبت إلى كل من: أبرام: ابراهيم، وإسحق، ولوط، ما هي إلا دروس في التربية، على أبناء العقيدة الدينية اليهودية التمسك بها، والسير على هديها وتنشئة الصغار عليها وذلك وفقاً لما أراده كاتبو تلك القصص الخيالية. وأن ما جاء في قصة كل من الرجل اللاوي، وراعوث، وأستير ــ إن هي إلا تطبيق عملي لتلك الدروس في التربية من قبل معتنقي الدين اليهودي في وقت ضعفهم وقلة شأنهم. ولهذا السبب الفكري المتأصل في التوراة المتداولة (العهد القديم) جاء تاريخهم (زاخراً بالفضائح والمنكرات ومشحوناً بأبشع ما يسيء إلى المثل والقيم والأخلاق مزحوماً بارتكاب الآثام والموبقات في سبيل الوصول إلى غاياتهم) (٧٤).

ج ــ إن استخدام المرأة كشرك لإيقاع الآخرين (الأمميين)، هو بمنزلة ضرورة عند أتباع الإله ــ يهوه ــ إذا ما كانت هي الطريقة الأنجع والأقصر لتحقيق أهدافهم المشبوهة، إذا ما كانوا في حالة ضعف سياسي واقتصادي وقلة شأن. وإن استخدام المرأة كوسيلة غائية، من قبل بعض معتنقي الدين اليهودي، يعد برأينا الأرضية التاريخية التي نبت فيها ــ المبدأ النفعي التبريري ــ والقائل إن ــ الغاية تبرر الوسيلة. وإن هذا المبدأ من ابتداع مخيلة أحبار اليهود الذين قاموا بوضع أسفار التوراة الحالية /العهد القديم/ خلال وبعد فترة السبي البابلي. وإن ميكيا فيللي ــ لم يكن هو المبدع الأول لذلك المبدأ السيئ الصيت، وإنما كان متأثراً بتعاليم العهد القديم الذي يشكل الجزء الأول من الكتاب المقدس. وإن الإنسان الذي يدين بالمسيحية ذات التعاليم الروحية السمحة لن يكون مؤمناً بنظر أتباع الدين اليهودي، إلا إذا كان يؤمن بحرفية كل ما جاء في التوراة (العهد القديم). وإن ما قاله رئيس الوزراء الصهيوني ــ مناحيم بيغن ــ إلى رئيس الولايات المتحدة ــ كارتر ــ عندما قدم له التوراة هدية يؤكد وجهة نظرنا تلك (إن كنت مؤمناً يجب أن تقر بكل ما جاء في هذا الكتاب)(٧٥).

ويعد ــ دزرائيلي ــ رئيس وزراء بريطانيا في الثمانينيات من القرن التاسع عشر في مخاطبته للشعب البريطاني بأن يسلك الطرق كافة بما فيها الوضيعة والدنيئة، لتبقى تلك الدولة الاستعمارية مسيطرة على مقدرات الكثير من الشعوب الواقعة خارج حدودها السياسية، والتي لا تغيب عنها الشمس (لا بأس بالغدر والكذب والوقيعة إذا كانت هي طريق النجاح) (٧٦)، خير مثال على تأثير الكثير من الأوربيين ممن يدينون بالمسيحية ــ من أمثال ــ دزرائيلي ــ بما جاء في أسفار التوراة (العهد القديم)، إذا لم يكن الأخير يهودي العقيدة باطناً، ومسيحي العقيدة ظاهراً. لأن الدستور البريطاني ينص ــ على أن يكون رئيس الوزراء مسيحياً. ويعلق السيد محمد خليفة التونسي على إيمان ــ دزرائيلي ــ الكاذب بتعاليم السيد المسيح السمحة، التي تدعوا الناس إلى المحبة والتآخي ونبذ الأحقاد (ولا عجب أن تصدر هذه الكلمة عن صاحبها،

لأنه يهودي كما يدل عليه اسمه ــ دزرائيلي ــ وهو في ذلك يسير في سياسة اليهود في معاملة الغوييم (الأغيار: الأمميين)، وهو لم يتنصر إلا نفاقاً، لأن رئاسة الوزارة البريطانية التي كان يطمح فيها ووصل إليها، ما كان أن يليها وهو على يهوديته العارية، ولذلك تنصر ليساعد اليهود) (٧٧).

١ ــ الكتبة والفريسيون:

هم مجموعة من أحبار الدين اليهودي، كانوا قد تآمروا بوضع الشريعة الشفهية لليهود/التلمود/. وهم الذين حملوا فيها بعد اسم /الحاخاميين/ أي معلمو الشريعة اليهودية. وجاء في الموسوعة اليهودية بخصوص الكتبة الفريسيين (هم هيئة من المعلمين كانت مهمتهم تفسير الشريعة للشعب اليهودي، وقد بدأ تنظيمهم مع عزرا الذي كان رئيسهم. وهؤلاء الكتبة هم أول من علم التوراة، وهم واضعوا الشريعة الشفهية (التلمود) ــ عن كتاب التوراة تاريخها وغاياتها. المؤلف الأمريكي مجهول. ترجمة ــ سهيل ديب. دار النفائس ــ بيروت/١٩٨٢م/ ص٤٧.

(وقيل إن الفريسيين قد ظهروا في عهد ــ يوحنا هيركانوس (١٣٥ ــ ١٠٥ق.م) وكانوا أساس فرقة الربانيين التي جعلت للتلمود أو الشريعة الشفوية مكانة أعلى من مكانة التوراة (الشريعة المكتوبة) واتجهوا إلى تأصيل هذه الشريعة وطبع الحياة اليومية بها ... والمعاد عند الفريسيين بالروح والجسد معاً وحصروا الصلاح في طاعة الناموس. فكان تدينهم ظاهراً وسماهم يوحنا المعمدان أو المغتسل أولاد الأفاعي ووبخهم السيد المسيح عليه السلام واتهمهم بالرياء).

انظر الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية تأليف عبد المنعم الحنفي ــ دار المسيرة ــ بيروت ١٩٨٠م /ص١٥٧م.

٢ ــ يهوذا ماغنوس: هو حاخام أمريكي(١٨٧٧ ــ ١٩٤٨) وهو أول رئيس للجامعة العبرية عن د. جورجي كنعان ــ أمجاد إسرائيل في أرض فلسطين ــ دار الطليعة بيروت. ١٩٧٨م ص٤١.

٣ ــ سفر التكوين ــ الإصحاح ١٢ /١٤ ــ ١٩/.

٤ ــ سفر التكوين ــ الإصحاح ١/٢٠ ــ ٧/.

٥ ــ قرآن كريم ــ سورة الذاريات ــ آيات (٢٤ ــ ٣٠).

ينظر أيضاً سورة هود آيات (٦٩ ــ ٧١).

٦ ــ سفر التكوين. الإصحاح ٤٦ (٣١ ــ٣٢ ــ ٣٣ ــ ٣٤).

٧ ــ غوستاف لوبون ــ تاريخ الحضارات الأولى: القاهرة ــ سنة ١٨٥٧م ــ ترجمة محمد صادق ــ دار المعارف ــ ص٢١١

٨ ــ المرجع السابق.

٩ ــ سفر التكوين ــ الإصحاح ٨/٢٠ ــ ١٠/.

١٠ ــ سفر التكوين : ــ الإصحاح ١١/٢٠ ــ ١٣/.

١١ــ سفر التكوين ــ الإصحاح ١٤/٢٠ ــ ١٥/.

١٢ ــ سفر التكوين ــ الإصحاح ١٦/٢٠/.

١٣ ــ إنجيل لوقا الإصحاح ٧/٣ ــ ٨/.

١٤ ــ رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية ــ الإصحاح ــ ٢٦/٣ ــ ٢٧ ــ ٢٩/.

١٥ ــ رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية ٦/٣ ــ ٧ ــ ٨ ــ ٩/.

١٦ ــ قرآن كريم ــ سورة النحل ــ آيات: ١٢٠ــ ١٢١ــ ١٢٢)

١٧ـ قرآن كريم ـ سورة البقرة (١٣٠ـ ١٣١). وينظر إلى سورة الأنبياء ـ آيات(٥١ـ٧٢) وسورة مريم (٤١ـ ٤٢)،وسورة الأنعام (٧٤ـ ٨٣).

١٨ ـ سفر التكوين (١٩: ١ ـ ٨).

١٩ ـ سفر التكوين (١٣: ٥ ـ ١٢).

٢٠ ـ قرآن كريم سورة ـ ص ـ الآيات (٧٥ ـ ٧٦).

٢١ ـ قرآن كريم سورة ـ هود ـ آيات (٧٧ ـ ٧٨ ـ ٧٩).

٢٢ ـ سفر التكوين ١٩/٩/.

٢٣ ـ سفر التكوين ـ ١٩/١٠ ـ ١١/.

٢٤ ـ سفر التكوين ـ ١٩/٣١ ـ ٣٨/.

٢٥ ـ د. أحمد سوسة ـ العرب واليهود في التاريخ ـ العربي للإعلان والنشر والطباعة ـ دمشق ـ ١٩٧٥م،ص٣٥.

٢٦ ـ قرآن كريم ـ سورة التحريم ـ آية/١٠/. ينظر أيضاً إلى سورة العنكبوت ـ آيات/٢٦ ـ ٣٥/.

٢٧ ـ سفر التكوين ـ الإصحاح ـ ١٩/٢٣ ـ ٢٥/.

٢٨ ـ سفر التكوين ـ ٢٦/٧ ـ ٨ ـ ٩/.

٢٩ ـ سفر التكوين ـ ١١/٢٧ ـ ٢٩/.

٣٠ ـ ٣١/ سفر التكوين ٢٦/١٠ ـ ١١/.

٣٢ ـ قرآن كريم ـ سورة الأنبياء /٧٢ ـ ٧٣/.

٣٣ ـ قرآن كريم ـ سورة الصافات /١٠٩ ـ ١١٣/.

٣٤ ــ سفر اللاويين ــ ٢٠/١٠ ــ ١٢+ الآية ١٧/.

٣٥ ــ سفر الخروج ٢٠/١٦ ــ ١٧/.

٣٦ ــ أحمد شلبي ــ مقارنة الأديان ــ الفقرة مقتبسة عن كتاب العرب واليهود في التاريخ لمؤلفه د. أحمد سوسة ــ ص٢٥ ــ مرجع سابق.

٣٧ ــ قرآن كريم ــ سورة آل عمران ــ آيات /٦٥ ــ ٦٦ ــ ٦٧ ــ ٦٨/ انظر أيضاً سورة البقرة ــ آية /١٣٥/.

٣٨ ــ دائرة المعارف البريطانية ــ طبعة ١٩٤٥، ج١ ــ ص٤٥.

٣٩ ــ أحمد سوسة. العرب واليهود في التاريخ العربي للإعلان والنشر والطباعة والترجمة ــ دمشق ١٩٧٥م ــ ص٤٢٢.

٤٠ ــ Dr. F. Hommel. (the Ancient Hebrew Tradetion) P.202.

٤١ ــ الأستاذ عباس محمود العقاد ــ الثقافة العربية ــ ص٢٠ ــ دار المعارف المصرية ــ ١٩٥٧م.

٤٢ ــ الدكتور أحمد سوسة ــ العرب واليهود في التاريخ. العربي للإعلان والنشر والطباعة والترجمة دمشق ١٩٧٥م ــ ص١١٢.

ــ فراس السواح ــ لغز عشتار ــ دراسة في تنشأة وتطور الإسطورة ــ سومر للدراسات والنشر والتوزيع ــ قبرص ــ نيقوسيا ــ ١٩٨٥م ص٣٥٢.

٤٣ ــ إيلي ميلكو ــ كبير كهنة أوغاريت ــ اللالئ من النصوص الكنعانية ــ ترجمة ودراسة العالم.

هـ ــ ي ــ ديل ــ ميديكو ــ . نقلها إلى العربية مع تعليق (مفيد عرنوق). منشورات مجلة الفكر الطبعة الأولى ــ ١٩٨٠م ــ ص١٦٢.

٤٤ ـ شفيق مقار: قراءة سياسية للتوراة رياض الريس للكتب والنشر ـ لندن ١٩٨٧م ص٤١ ـ ٤٢.

٤٥ ـ هـ ـ أ ـ ديل ـ ميديكو ـ التوراة الكنعانية ـ ترجمة ـ جهاد هامش ـ عبد الهادي عباس. دار دمشق ـ ١٩٨٨م ص٢٤ ـ ٢٥.

٤٦ ـ La conquete de la civilisation JAMES HENRY BREASTED.

كتاب اللآلئ ـ ص٤٥ ـ مرجع سابق ـ عن ج ـ ٥ ـ بريستد.

٤٧ ـ سفر راعوث ـ الإصحاح ٢/٣ ـ ٣/.

٤٨ ـ سفر راعوث ـ الإصحاح ١/٣ ـ ٥/.

٤٩ ـ سفر راعوث ـ الإصحاح ٦/٣ ـ ١١ ـ ١٤ ـ ١٨/.

٥٠ ـ سفر راعوث ـ الإصحاح ٩/٤ ـ ١١/. وتجدر الإشارة إلى أن: كل من ليئة وراحيل ـ هما شقيقتان وابنتان إلى ـ لابان. وكان يعقوب قد تزوج منهما تكوين (٨: ٩ ـ ١٠). كما أن محلون هو شقيق إلى كليون زوج راعوث ـ المتوفى.

٥١ ـ سفر قضاة (١٩: ٢٣ ـ ٢٨).

٥٢ ـ اللآلئ: من النصوص الكنعانية ـ مرجع سابق ـ ص١٨٦.

٥٣ ـ ل. دولابورت ـ بلاد ما بين النهرين ـ حضارة بابل وآشور ـ تعريب مارون خوري ـ دار الروائع الجديدة للنشر ـ بيروت ١٩٧١م ص١٨٧.

٥٤ ـ عن كتاب ـ الخطر اليهودي ـ بروتوكولات حكماء صهيون ـ عن كتاب التلمود ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الرابعة ـ ترجمة ـ محمد خليفة التونسي ص٥٧. والمقصود بالأمميين ـ البشر كافة من غير معتنقي الديانة اليهودية. ويطلق عليهم أيضاً الأميين أو الأمميين (الغوييم).

٥٥ ــ سفر أستير ٣/٨ ــ ١١/ ومما يجدر الإشارة إليه: أن ميــدي هــم الميديــون الفرس ــ وشوشن ــ السوسي عاصمة الدولة الإخمينية الفارسية ــ من القرن السادس وحتى نهاية القرن الرابع قبل الميلاد.

٥٦ ــ سفر ــ أستير ــ (٣: ١٣).

٥٧ ــ سفر ــ أستير ــ (٢: ١٧ ــ ٢٠).

٥٨ ــ سفر ــ أستير ــ (٧: ١ ــ ٦).

٥٩ ــ سفر ــ أستير ــ (٧: ٦ ــ ١٠).

٦٠ ــ سفر ــ أستير ــ (٨: ١ ــ ٦).

٦١ ــ سفر ــ أستير ــ (٨: ٧ ــ ١٣).

٦٢ ــ سفر ــ أستير ــ (٩: ٢ ــ ٥).

٦٣ ــ سفر يشوع (١٠ ــ ٢٦) والملوك الأموريون الخمسة هم: ملك حبرون ــ ملك أورشليم ــ وملك لخيش ــ ملك يرموت ــ وملك عجلون.

٦٤ ــ سفر أستير ــ (٩: ١٢).

٦٥ ــ سفر أستير ــ (٩: ١٣ ــ ١٤).

٦٦ ــ مؤلف أمريكي مجهول: التوراة تاريخها وغاياتها ــ ترجمة سهيل ديب ــ دار النفائس ١٩٧٢ ــ ص٥٥.

٦٧ ــ س. ناجي ــ المفسدون في الأرض ــ الطبعة الثالثة ــ العربي للإعلان والنشر والطباعة دمشق ١٩٧٣م ص٧٨.

٦٨ ـ الخطر اليهودي ـ بروتوكولات حكماء صهيون ـ ترجمة ـ محمد خليفة التونسي دار الكتاب العربي ـ بيروت ص٦٦.

٦٩ ـ محمد زهدي الفاتح ـ اليهود ـ ١٩٨٧م ـ ص١٢١ ـ عن كتاب (بريطانيا العظمى، فلسطين واليهود).

ملاحظة: إن اليهود لا يشكلون شعباً واحداً وفق المفهوم الأنثربولوجي. واليهود هم أتباع عقيدة دينية فقط، يدخل فيها أناس من القوميات كافة ومن السلالات البشرية كافة.

٧٠ ـ المرجع السابق ص٢٠.

٧١ ـ سورة المائدة آيات/٤٤/ ينظر أيضاً سورة البقرة آيات/٨٧ ـ ٩٢/.

٧٢ ـ سورة البقرة/٧٩/.

٧٣ ـ سورة البقرة/١٤٠/ ينظر إلى الآيات التالية: ١٣٠ وحتى آية رقم ١٤٠.

٧٤ ـ د. جورجي كنعان ـ أمجاد إسرائيل في أرض فلسطين ـ دار الطليعة ـ بيروت ١٩٧٨ ص١٣١.

٧٥ ـ كتاب اللآلئ ـ مرجع سابق ـ ص١٧٦ دراسة إضافية يقدمها مفيد عرنوق ـ من ص١٥٣ ـ ١٨٨.

٧٦ ـ عن كتاب الخطر الصهيوني ـ بروتوكولات حكماء صهيون ـ ص٥٧.

٧٧ ـ المكان نفسه ص٥٧.

مراجع البحث

١.الكتاب المقدس: أي العهد القديم والعهد الجديد وقد ترجم عن اللغات الأصلية ـ تصدرها جمعية الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.
٢.القرآن الكريم.
٣.أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ ـ العربي للإعلان والنشر والطباعة ـ دمشق ١٩٧٥م ـ الطبعة الرابعة.
٤.إيلي ميلكو: كبير كهنة أوغاريت ـ اللآلئ: من النصوص الكنعانية ـ ترجمة ودراسة العالم هـ ـ ي ـ ديل ميديكو ـ ترجمة وتعليق مفيد عرنوق. منشورات مجلة الفكر ـ الطبعة الأولى ١٩٨٠م.
٥.جورجي كنعان: أمجاد إسرائيل في أرض فلسطين ـ دار الطليعة للطباعة والنشر ـ بيروت ١٩٧٨.
٦.جورجي كنعان: تاريخ الله ـ منشورات الندوة الكنعانية ـ التوزيع ـ مودرن برس للطباعة والنشر ـ ص.ب ١١/٧٦٥٣/ بيروت ـ دار مكتبة سومر للطباعة والنشر حلب ـ الطبعة الأولى ١٩٩٠م.
٧.ديل هـ آ ـ ميديكو: من خلاصة النصوص المكتشفة في رأس شمرة ـ ترجمة جهاد هوامش ـ عبد الهادي عباس ـ مع مقدمة بقلم ـ جويلان ـ الأستاذ بجامعة السوربون ـ الناشر دار دمشق ـ سورية ـ دمشق ـ الطبعة الأولى ١٩٨٨.
٨.دولابورت ـ ل. بلاد ما بين النهرين ـ حضارة بابل وآشور ـ تعريب مارون خوري ـ دار الروائع الجديدة للنشر ـ بيروت ١٩٧١م.
٩.شفيق مقار: قراءة سياسية للتوراة رياض الريس للكتب والنشر ـ لندن ـ ١٩٨٧.

١٠.سليمان ناجي: المفسدون في الأرض ــ العربي للإعلان والطباعة ــ دمشق ــ ١٩٧٣م.
١١.عباس محمود العقاد: الثقافة العربية ــ القاهرة ــ دار المعارف ــ ١٩٧٥م.ص٢٠.
١٢.علي الجباوي: الجغرافية السلالية ــ جامعة دمشق ــ مطابع مؤسسة الوحدة ١٩٨١م.
١٣.غوستاف لوبون: تاريخ الحضارات الأولى ــ القاهرة ١٩٥٧ ــ دار المعارف ــ ترجمة ــ محمد صادق ــ ص٢١١.
١٤.فراس السواح: لغز عشتار ــ دراسة في نشأة وتطورات الإسطورة ــ سومر للطباعة والنشر ــ قبرص ــ نيقوسيا ــ ١٩٨٥م.
١٥.نسيب وهيبة الخازن: أوغاريت دار الطليعة للطباعة والنشر ــ بيروت ١٩٦١م.
١٦.محمد زهدي الفاتح: اليهود ــ ١٩٨٢م ــ دار النشر غير مكتوبة.
١٧.الخطر الصهيوني ــ بروتوكولات حكماء صهيون ــ ترجمة محمد خليفة التونسي ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت.
١٨.التوراة تاريخها وغاياتها ــ مؤلف أمريكي مجهول ــ ترجمة وتعليق ــ سهيل ديب ــ دار النفائس بيروت ــ ١٩٨٢م.
١٩.دائرة المعارف البريطانية ــ طبعة ١٩٤٥م.ج١.

المراجع باللغة الأجنبية

1. Dr. f f. Hommel (The ancient Heber W tradion) P.202
2. JAMESHENRY BREASTED: La conquete de la civilisation.

تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق ١٩٩٤

"الاغتراب السياسي لدى المتعلمين الشباب وعلاقته ببعض المتغيرات"

د.ادريس عزام
كلية الآداب ـ قسم علم الاجتماع
الجامعة الأردنية

الملخص

كان الهدف من هذا البحث الاستطلاعي هو تعرف مشكلة الاغتراب السياسي لدى طلبة الجامعة الأردنية وعلاقتها ببعض المتغيرات. وقد استمدت البيانات من عينة مكونة من (٨٣٦) طالباً وطالبة اختيروا بطريقة نصف عشوائية بين طلبة الجامعة الأردنية حيث تم تصنيفهم في مجموعات ثلاث على أساس مقياس إجرائي خاص ولأغراض المقارنة دمجت هذه المجموعات في مجموعتين هما: مجموعة المغتربين (كلياً أو جزئياً) ومجموعة غير المغتربين.

وقد بين البحث وجود علاقة سلبية بين الاغتراب السياسي لدى الشباب وبين التالية:

الميل للمشاركة في الانتخابات، الانتماء للأحزاب السياسية، السعي للقيام بأدوار سياسية قيادية، المعلومات السياسية الخاصة بالأحزاب وعلاقة السياسات الوطنية بالسياسات الدولية، كما بين البحث أن المغتربين سياسياً هم أقل رضى عن منجزاتهم الشخصية، وأقل ثقة بالآخرين في مواقع المسؤولية وأقل ثقة بإمكانية استمرار الديمقراطية وبإمكانية الإصلاح السياسي في المجتمع الأردني، كما أنهم أقل ثقة في أن يتمكنوا من تحقيق طموحاتهم الشخصية في هذا المجتمع.

وعلى العكس من ذلك فقد ارتبط الاغتراب السياسي إيجابياً بكل من: معرفة الشباب بما ينبغي أن يكون عليه العمل السياسي الأردني ومعرفتهم بمواصفات الحكم الديمقراطي. كما ارتبط بزيادة واضحة بنسبة الذين يعانون من الاكتئاب بين المغتربين سياسياً. وفيما يتعلق برفض الشباب للحوار السياسي وقلة إلمامهم بمسؤوليات سلطات الحكم الثلاث وشكهم بقدرة البرلمان الأردني على حل مشكلات المجتمع الأردني، فقد بين البحث أن هذه هي اتجاهات عامة ومسيطرة بين الشباب دون أي ارتباط لها بالاغتراب السياسي.

مقدمة:

ارتكز مفهوم الاغتراب السياسي Political alienation في أدبيات الاغتراب على فكرة الفاعلية السياسية Political efficacy بمعنى شعور الفرد بمدى قدرته على التأثير في مجريات العملية السياسية، سواء على مستوى القرار السياسي،أو مستوى الأحداث الناتجة عنه في المجتمع الذي يعيش فيه[١] وعلى هذا الأساس اعتبر الفرد الذي يشعر بضآلة الفرص أمامه للتأثير على هذه العملية في مجتمعه بأنه مغترب سياسياً.

وقد احتل هذا النمط من الاغتراب الخاص[٢] بؤرة الاهتمام في الدراسات السوسيولوجية منذ أوائل الستينيات، حيث ظهرت العديد من الدراسات التي تناولته من زوايا مختلفة، من حيث المفهوم، القياس، الأبعاد، العلاقات الارتباطية ببعض المتغيرات، وآثاره المختلفة أو نتائجه على مستوى سلوك الأفراد واتجاهاتهم[٣] ورغم تعدد تلك الدراسات وتنوع مداخلها، إلا أنها دارت في الغالب حول مجال محوري رئيسي هو، سلوك الناخبين واتجاهاتهم نحو الخيارات والفرص المتاحة لهم من قبل الأنظمة السياسية في مجتمعاتهم، ومدى استعدادهم لمحاولة تبديل ما لا يرضون عنه من تلك الخيارات والفرص السياسية المطروحة في تلك المجتمعات[٤].

وتأتي أهمية الاغتراب السياسي بوصفه موضوعا للبحث، من أنه يشكل مشكلة اجتماعية علي مستوى الأدوار الاجتماعية المتوقعة من أفراد المجتمع، وبخاصة الشباب كفئة من المفترض أن تظل فاعلة اجتماعية، لكنها مع الاغتراب السياسي قد تفقد الرغبة في بذل الجهود الهادفة إلى تحقيق تلك الفاعلية أو الاحتفاظ بها، مما يعيقها عن القيام بأدوارها في المجتمع وفقا للتوقعات الاجتماعية، وقد يكون لهذه الحالة بالتالي انعكاساتها المؤثرة على مسألة التكامل الاجتماعي التي هي إحدى العوامل الرئيسة لتنمية المجتمع وتطوره.

وقد لفت انتباهنا في بحوث الاغتراب ودراساته مسألتان هما، التناقض الواضح في النتائج التي توصلت إليها تلك البحوث وهذا ما يفتح المجال لبحوث أخرى إذا ما أريد في نهاية الأمر تطوير نظرية عامة لفهم هذه المشكلة وتفسيرها(٥)، والمسألة الثانية هي أن مساحة الاهتمام بهذه المشكلة في البحوث السوسيولوجية العربية ما زالت محدودة وفي أضيق نطاق، رغم توافر المسوغات لزيادة هذا الاهتمام ووضوح المؤشرات الدالة على وجود هذه المشكلة وانتشارها بين الشباب في المجتمعات العربية عامة، والمجتمع الأردني بشكل خاص.(٦)

من هذه الخلفية جاء اهتمامنا بإجراء هذا البحث، وقد رأينا أن يكون في نطاق محلي ومحدود هو المجتمع الجامعي وأن نحصره بشريحة الشباب الجامعيين في الجامعة الأردنية، على أساس الافتراض أن هذه الشريحة من أفراد المجتمع الأردني، قد تكون الأكثر تأثراً وتفاعلاً مع عدد من الظروف التي سادت في هذا المجتمع، والتي يكاد أن يستقر في أدبيات الاغتراب، أنها مصادر ثرية للاغتراب السياسي عموماً، ومنها:

أ ــ الانتشار المتسارع للنمو الحضري والحضرية كظرف يدفع الأفراد نحو الإحساس بالعزلة وربما الاغتراب، وبخاصة إذا لم تتوفر لهم تنظيمات سياسية مشروعة يمارسون من خلالها نشاطاتهم الناتجة عن دوافعهم نحو التجمع والإحساس بالقوة كما هو شأن الأفراد في كل المجتمعات.

ب ــ الجمودية السياسية Ultra-Conservatism (٧) والتغير البطيء في مراكز الإدارات العليا والتخطيط، وهي حالة ارتبط بها احتكار السلطة والنفوذ السياسي لشرائح محظوظة.

جـ ــ البطالة المتزايدة باستمرار دون تزايد مماثل في فرص العمل وعجز السياسات الحكومية عن مواجهة احتمالاتها حتى الآن.

د ـ عدم التوسع في توزيع المسؤولية عن صناعة القرار السياسي.

هـ ـ التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي شملت المنطقة بأسرها بما فيها المجتمع الأردني، وما رافقها من تغيرات في المكانات الاجتماعية والاقتصادية، والتي قد لا تكون دائماً في الاتجاه المرغوب فيه لكثير من الشرائح الاجتماعية، مما قد يدفع بأفرادها نحو الاغتراب الاجتماعي عموماً، والاغتراب السياسي بشكل خاص.

وأبرز تلك التغيرات الأزمة الاقتصادية الأخيرة وما صاحبها من إعلان عن المديونية الأردنية والانخفاض الفجائي بقيمة الدينار مع ثبات لمستويات الأجور والمرتبات، وتراجع واضح بقيمة العقارات عما سبق أن بلغته سابقاً.

و ـ التزايد الواضح بمعدلات التعليم كماً وكيفاً ومن شأن ذلك أن يزيد من قدرة الأفراد وبخاصة الشباب المتعلم على النقد وتلمس مواطن الضعف مهما صغرت في البنيان السياسي، مما قد يشكل مصدراً للاغتراب السياسي.

ز ـ للتراجع الواضح والمستمر لقدرات المجتمع على مواجهة التحديات السياسية والعسكرية التي تفرضها حالة الحرب مع إسرائيل، إلى جانب العجز عن مواجهة

التحديات الاقتصادية الجديدة وكل هذه عوامل قد تضع الشباب أمام تساؤلات عما أنجزته السياسات الحكومية خلال الفترة التي مرت منذ عهد الاستقلال وحتى اليوم، لا سيما وأنه كان من سياسة الحكومة أن تتفرد بصناعة القرار وبالتالي فهي تحمل نفسها المسؤولية عن نتائجه.

ح ـ وأخيراً. القرار الأردني الأخير بإفساح المجال من جديد أمام الديمقراطية، وذلك بإعادة الحياة البرلمانية بعد توقف طويل[٨] لتوسيع قاعدة المشاركة الشعبية في صناعة القرار السياسي، وإفساح المجال أمام التعددية السياسية وقبول الرأي الأخر.

وقد رأينا أن نسبق تطبيقات هذا القرار واقعياً، بهذا البحث ، لنستطيع من خلاله حقيقة الموقف السياسي للشباب بصورته الراهنة، وآراءهم واتجاهاتهم نحو تلك التغيرات السياسية وتوقعاتهم منها مستقبلاً، فمثل هذا البحث وما سيصل إليه من نتائج قد تكون مسألة أساسية ولازمة للدراسات البعدية التي قد تجرى مستقبلاً على الموضوع نفسه، كما قد تسد جزءاً ولو يسيراً من النقص في البحوث العربية في مجال الاغتراب السياسي والذي أشرنا إليه في بداية هذه المقدمة.

وقد رأينا لضيق المجال ان نعالج في هذا البحث، الاغتراب السياسي لطلبة الجامعة، من زاوية محددة تتعلق بالحجم التقريبي لهذه المشكلة، وأثرها كمتغير مستقل مفترض على بعض الخصائص والاتجاهات الشبابية المحصورة في كل من الأبعاد أو المجالات التالية:

أ ــ مجال المشاركة السياسية لهؤلاء الطلبة.

ب ــ مجال المعارف والمعلومات (البعد المعرفي).

جـ ــ وأخيراً المجال الخاص ببعض المشكلات والسمات الشخصية. وذلك كمتغيرات تابعة.

وسوف نطرح الاغتراب السياسي إجرائياً بمعنى "اللاقوة السياسية، Political Powerlessoness مفهوم سيمان[9] م، أي "مدى شعور الشباب بضآلة أو بعدم إمكانية أن يؤثر على السياسات الحكومية القائمة، وما ينتج عنها من أحداث في المجتمع الأردني، والميل بالتالي إلى رفض هذه السياسات أو الشعور بعدم الاتفاق معها".[10]

كما سنعني بالمشاركة السياسية Political Paricipation مبادرة الشاب إلى القيام بالأنشطة التي يشارك بمقتضاها في صياغة السياسة العامة أو التأثير عليها بشكل مباشر أو غير مباشر.[11]

أما المجال أو البعد المعرفي أو المعلومات، فأعني به مدى إحاطة الشاب أو إلمامه بالمبادئ أو المعلومات السياسية اللازمة لترشيد ممارسته السياسية ــ السياسة بمستواها العملي ــ أو اللازمة لتمكينه من الإلمام بالظروف المؤثرة في العملية السياسية أو القرار السياسي.

وأعني بالمشكلات أو السمات الشخصية تلك الخصائص والسمات المميزة للمغتربين سياسياً عن غير المغتربيتن في نظرتهم إلى منجزاتهم الشخصية، ونظرتهم للآخرين من حيث الثقة وعدم الثقة، وبالتحديد نحو أولئك الذين هم في المواقع الرئيسية المسؤولية، ونظرتهم للمستقبل، وبالتحديد مستقبل الديمقراطية والعمل السياسي في المجتمع الأردني من وجهة نظرهم الشخصية إلى جانب بعض المشكلات التي يعانون منها.

في ضوء ذلك.. تم تحديد هدف هذا البحث وهو: محاولة الوصول إلى إجابات عن الأسئلة التالية:

السؤال الأول: ما مدى انتشار الاغتراب السياسي بين الشباب في الوسط الجامعي وبالتحديد ــ الوسط الجامعي للجامعة الأردنية في عمان ــ وذلك كما تعكسه عينة الدراسة؟

السؤال الثاني: هل هناك علاقة أو ارتباط بين الاغتراب السياسي من جهة وبين مشاركة الشباب السياسية من جهة أخرى، وما طبيعة هذه العلاقة إن وجدت؟

السؤال الثالث: هل هناك علاقة بين الاغتراب السياسي لدى الشباب من جهة وبين نقص معلوماتهم السياسية العامة من جهة أخرى، وما طبيعة هذه العلاقة إن وجدت؟

السؤال الرابع: هل هناك مشكلات نفسية يعاني منها الشباب المغتربون سياسياً، وما هي هذه المشكلات؟

السؤال الخامس: كيف ينظر الشباب المغتربون سياسياً إلى مستقبل الديمقراطية والإصلاح السياسي في المجتمع الأردني؟

السؤال السادس: هل تختلف العلاقات الإرتباطية للاغتراب السياسي والمتغيرات التابعة المحددة في هذه الدراسة باختلاف النوع؟

وكأساس نظري لافتراضاتنا، نستعرض فيما يلي كيف أجابت الدراسات السابقة عن هذه الأسئلة، وسنقتصر في ذلك على بعض الدراسات وأشهرها.

توصل العديد من الدارسين إلى أن المغتربين سياسياً لا يميلون عادة إلى المشاركة السياسية، لأن مشاعر اللاقوة السياسية تشكل لديهم موانع نفسية تردعهم عن محاولة بذل أي مجهود من شأنه أن يدعم تكاملهم مع المجتمع ومشاركتهم بنشاطاته[١٢] كما أنهم لا يميلون إلى الانضمام لعضوية الأحزاب السياسية كشكل من أشكال المشاركة السياسية، ففكرة الحزب قد تبدو مرفوضة لديهم[١٣] وأكثر من ذلك فهم لا يميلون إلى المشاركة بمختلف البرامج الاجتماعية مقارنة بغير المغتربين[١٤] وأنهم لا يملكون علاوة على ذلك، حتى الرغبة في أن يصبحوا قادة سياسيين.[١٥]

ويفسر Eckhardt رفض المغتربين للمشاركة السياسية في النظام السياسي، بأنه يمثل الطريقة الوحيدة التي قد تكون متاحة أمامهم ليعبروا بها عن مشاعرهم باللاقوة السياسية لديهم، وذلك في المجتمعات التي يتمتع بها النظام السياسي عادة بقوة الردع للسلوك المخالف، لكن هذا الموقف يتغير في ظل التعددية السياسية حيث تصبح هذه المشاركة هي الوسيلة المناسبة للتعبير عن الرفض أكثر من وسيلة الرفض نفسها وقد خلص إلى نتيجة أن اللاإبالية السياسية وعدم المشاركة في الانتخابات من قبل المغتربين ما هي إلا موقف يقصد به التأثير في البناء السياسي القائم.[١٦]

وتشير بعض الدراسات إلى نتائج تتجاوز هذا المدى حول علاقة الاغتراب السياسي بالمشاركة السياسية، إذ بينت أن العلاقة بين هذين المتغيرين تكون أكثر وضوحاً في

حالة تدني مستوى المكانة الاجتماعية والاقتصادية للمغتربين سياسياً، فالمغتربون من ذوي مستويات التعليم المنخفضة نسبياً، يكونون أقل ميلاً للمشاركة بالانتخابات العامة كشكل من أشكال المشاركة السياسية، إذا ما قورنوا بغير المغتربين ذوي المستويات التعليمية الأعلى.(١٧)

ويربط Schnieder بين السلبية السياسية Political negativism وانسحاب المغتربين من المشاركة السياسية من جهة، وبين تصوراتهم للموقف السياسي من جهة أخرى فهو يرى أن التصورات والمطالب المثالية المبالغ فيها لدى الأفراد تعمق بنظرهم الفجوة بين النموذج السياسي المثالي، والواقع السياسي القائم، مما يدفع بهم نحو الشعور بالعزلة عن هذا الواقع، والميل بالتالي إلى رفضه(١٨) وهي الفكرة التي أشار إليها Barakat(١٩) ذاتها.

ويرى آخرون أن عجز المغتربين سياسيا عن أي فعل سياسي، ليس عجزا حقيقيا، بل يعكس الإيمان الراسخ بأن لا فائدة ترجى من أي فعل(٢٠).

وعلى العكس من النتائج السابقة، توصلت العديد من الدراسات إلى نتائج مغايرة لها، فقد بينت بعض الدراسات أن المغتربين سياسيا قد أظهروا قدرا أكبر من المبادرة والميل إلى المشاركة السياسية من خلال الانتخابات، وبشكل أكبر مما كان متوقعا، بل إن مشاعر اللاقوة السياسية كانت أقل لديهم، وهذا يعني أن الاغتراب السياسي ليس رديفا بالضرورة للسلبية وعدم المشاركة السياسية كما يعتقد البعض، فالمشاركة السياسية قد تكون وسيلة للتعبير عن الرفض يستغلها المغتربون سياسيا بمعنى أنهم قد يشاركون لكي يرفضوا وبإسلوب إيجابي ويغيروا ما لا يرضون عنه من أوضاع اجتماعية وسياسية.(٢١)

وحول المشاركة بعضوية الأحزاب السياسية، توصل Takei إلى نتائج مغايرة لما توصل إليه Levin and Eden إذ بين أن المغتربين سياسيا يميلون إلى الانضمام

لعضوية الجماعات والأحزاب ذات المكانة الخاصة والمناوئة للنظام السياسي القائم[٢٢] كما عارض Bollock الزعم بوجود علاقات بين المستويات الاقتصادية والاجتماعية للمغتربين سياسياً من جهة، وبين مشاركتهم السياسية من جهة أخرى كما يرى Mcdill و Kedlley[٢٣]

كما نفت نتائج أخرى حتمية العلاقة بين الاغتراب السياسي وبين عدم المشاركة السياسية، وبخاصة لدى ذلك النوع من الأفراد الذين يغتربون سياسياً عن النظام السياسي القائم، لكي يعملوا في صفوف المعارضة السياسية لذلك النظام، بهدف تغييره، فهم يمتازون عادة بالنشاط والمبادرة إلى المشاركة في كل المناسبات لتحقيق هذا الهدف.[٢٤]

وحول البعد المعرفي أو المعلومات السياسية للمغتربين سياسياً، أشارت بعض الدراسات إلى العلاقة بين هذا النوع من الاغتراب وبين النقص في المعلومات والمعارف المتوفرة لدى الأفراد حول أساليب التحكم بالظروف المحيطة، والسيطرة عليها.

فكما أن أكثر الناس عرضة للمرض هم أقلهم معرفة بأساليب التحكم والوقاية الصحية، فإن أكثر الناس عرضة للاغتراب السياسي هم أقلهم معرفة ودراية بالمعارف والمعلومات السياسية وهذا ما توصل إليه كل من "Holians", "Mcieod", "Seeman"[٢٥]

وعن العلاقة بين الاغتراب السياسي والمشكلات النفسية أشارت الدراسات إلى أن المغتربين سياسياً هم أكثر معاناة من الاكتئاب من غير المغتربين كما أنهم أقل ثقة بالآخرين عموماً، مما دعا البعض إلى الاستنتاج بأن أصول الاغتراب قد تكون نفسية.. ويعارض هذا الاستنتاج كل من Baracat و Tavisr[٢٦]

كما أشار آخرون إلى علاقة الاغتراب السياسي بالشعور بعدم الرضى، وبعدم الإنجاز وباللاقوة الاجتماعية عموماً[٢٧] كما أشير إلى علاقته بنقص الفرص وحرية الاختيار المتاحة لأفراد المجتمع، وعلاقته بالهوة الواصلة بين الأفراد ومراكز القوة في المجتمع الناتجة عن التنظيم البيروقراطي المتعاظم، وتزايد متطلبات التدرج الوظيفي.[٢٨]

وكشف البعض عن علاقة الاغتراب السياسي بضعف قنوات الاتصال بين الأفراد وبين النسق السياسي[٢٩] وربطه آخرون بالسياسات الحكومية التمييزية في علاقاتها بأفراد المجتمع مما يخلق لديهم ميولاً سياسية مناوئة.[٣٠]

وحول علاقة الاغتراب السياسي بالفروق النوعية، توصل Zighler إلى أن الرجال عموماً هم أكثر عرضة للشعور بالاغتراب السياسي من الإناث وهذا ما توصل إليه بركات أيضاً[٣١].

هذا ما طرحته بعض الأدبيات حول الاغتراب السياسي وارتباطه ببعض المتغيرات وقبل صياغة فرضيات هذا البحث، في ضوء نتائج هذه الأدبيات، لا بد من ذكر الملاحظات التالية حولها وهي: أن النتائج التي وصلت إليها تلك الدراسات والبحوث بدت متناقضة كما هو واضح مما سبق أن أشرنا إليه في المقدمة، إذ إنها تخلط كثيراً بين ما يمكن اعتباره نتائج أو آثار وما يمكن اعتباره أسباباً أو مصادر للاغتراب السياسي، حيث أنها لا تكاد تجمع متغيرات محددة على أنها الأهم في علاقاتها بالاغتراب السياسي، بل إن ما تطرحه إحداها، ترفضه الأخرى وهكذا..

ويدفعنا مثل هذا الواقع إلى أن نختار لفرضياتنا عدداً أقل من المتغيرات وأكثر تحديدا، نقيس كل متغير منها بعدد قليل ومحدد من العناصر، وسوف لا نورد مثل هذه العناصر في نص الفرضية لكنها ستكون محددة ضمن المقاييس الإجرائية التي ستخدم من خلالها تلك الفرضية.

الفرضيات

الفرضية الأولى: يؤثر الاغتراب السياسي سلبياً عل ميل الشباب الجامعي للمشاركة السياسية.

الفرضية الثانية: هناك ارتباط بين الاغتراب السياسي لدى شباب الجامعة من جهة وبين إلمامهم بالمعارف والمعلومات السياسية العامة من جهة أخرى.

الفرضية الثالثة: يرتبط الاغتراب السياسي لدى شباب الجامعة بالتشاؤم في نظرتهم إلى مستقبل الديمقراطية وإمكانات الإصلاح السياسي في المجتمع الأردني.

الفرضية الرابعة: يعاني المغتربون سياسياً من مشكلات نفسية وبنسبة أعلى، مقارنة بغير المغتربين.

تصميم البحث وطريقته:

تكونت عينة البحث من (٨٣٦)طالباً وطالبة، تم اختيارهم من مختلف كليات الجامعة الأردنية في الربع الأخير من عام ١٩٨٩م، وذلك بخطوات مرت في مرحلتين:

المرحلة الأولى: وفيها اخترنا ٤٤قاعة من قاعات الجامعة التي تكون مشغولة من الساعة ٩ ـ ١٠صباحاً وعلى مدى يومين متتاليين فقط[٣٢]

المرحلة الثانية: وفيها قام فريق البحث الميداني بتوزيع[*] الاستبانة الخاصة بهذه الدراسة على المشاركين فيها من الطلبة في تلك القاعات، معتمدين في اختيارهم على السجلات الخاصة بالحضور والغياب لطلبة القاعة الواحدة، وعلى الأرقام

---

[*] يشكر الباحث تلامذته من طلبة مساق طرق ومناهج البحث العلمي لتنفيذهم عمليتي جمع البيانات، والتصنيف المبدئي لاستمارات المبحوثين.

المتسلسلة بدلا من الأسماء كأساس للاختيار النصف العشوائي لهؤلاء المشاركين، وقد بلغ عددهم ٨٤٧ طالباً وطالبة من مختلف المستويات التعليمية والتخصصات.(٣٣)

وقد تم تفريغ البيانات الخاصة بـ (٨٣٦) طالباً وطالبة، واستبعدنا الباقي لعدم استكمالها المعلومات الضرورية المطلوبة، وذلك إثر مرحلة التصنيف المبدئية التي تلت عملية جمع البيانات مباشرة.

الأدوات والمقاييس:

لقد كانت الاستبانة المغلقة أداة البحث الوحيدة التي استخدمت لجمع البيانات المطلوبة من الشباب عينة البحث، وقد اشتملت هذه الاستبانة على أربعة أجزاء هي:

الجزء الأول: وخصص لبعض المعلومات الشخصية كالجنس والكلية، والتخصص فقط، أما الجنس فلأنه متغير معتمد رئيسي في هذه الدراسة، وأما الكلية والتخصص فلأغراض التدقيق والتصنيف لضمان شمولية العينة لأكبر عدد من الكليات والتخصصات رغم عدم أهمية ذلك من منظور هذا البحث إذ لا يشترط في المشارك بالعينة سوى أن يكون شاباً جامعياً.

الجزء الثاني: وخصص للمقياس الإجرائي الخاص بالاغتراب السياسي وقد تمت الاستعانة في تصميم هذا المقياس بمقياس الاغتراب السياسي الذي طوره Hendreshaft Eckhardt وبمؤشرات القياس التي استخدمها Arthur G. Nea and Salmon Rettic وأيضاً تلك التي استخدمها E. Ransford(٣٥) وذلك بعد التعديل بحيث تتناسب مع مجتمع البحث.

ويتألف المقياس من أربعة عناصر، قيس كل عنصر منها بعبارة واحدة يجيب عنها المبحوث بالموافقة أو المعارضة وهذه العناصر هي:

العنصر الأول: إدراك الشباب بناء القوة Powerstructure وقيس بالعبارة التالية: "في مجتمعنا الأردني تنظيمات وأفراد تتوافر لهم دون غيرهم إمكانية أن يعرفوا ويقولوا الكثير عن الأحداث السياسية في المجتمع بحرية لا يتمتع بها غيرهم".

العنصر الثاني: إدراك الشباب مدى التأثير في بناء القوة، وقيس بالعبارة التالية: "المشكلة في مجتمعنا الأردني أن الإنسان العادي مثلي، يرى ما يجري من أحداث في هذا المجتمع، لكن فرصه في التأثير عليها قليلة أو معدومة".

العنصر الثالث: أدراك الشباب مدى قوة الرسميين (المسؤولين العموميين) وقيس بالعبارة التالية: ليس مهماً من انتخب بالانتخابات البرلمانية القادمة أو ماذا أريد، فأنا أعرف أن المسؤولين الرسميين في مجتمعنا يفعلون عموماً ما يريدونه هم، بصرف النظر عن تطابقه مع الصالح العام، أو ما نريده نحن المواطنون العاديون.

العنصر الرابع: مدى اتفاق الشاب أو توافقه مع التوجهات العامة للأقوياء وقيس بالعبارة التالية:"أنا في الغالب أتفق مع، وأوافق على ما يفعله المسؤولون الرسميون في هذا المجتمع".

ومن منظور هذا المقياس يعد الشاب أكثر اغتراباً Mostalienated إذا اتفق مع ما جاء في العبارات الخاصة بالعناصر: الأول، والثاني، والثالث، واختلف مع العبارة الخاصة بالعنصر الرابع، بينما يعد أقل اغتراباً Least alienated "أو مغترباً جزئياً" إذا اتفق مع ما جاء في بعض هذه العبارات فقط ويعد أكثر اندماجاً (أو غير مغترب نسبياً) إذا اختلف مع ما جاء في العبارات الخاصة بالعناصر الأول، الثاني والثالث، واتفق مع ما جاء في العبارة الخاصة بالعنصر الرابع.

على هذا الأساس أمكن تصنيف العينة في مجموعات ثلاث وذلك بعد تعبئة الاستبانات وتدقيقها المبدئي وهذه المجموعات هي:

أ ــ المجموعة الأكثر اغتراباً،وبلغت (٢١٦) طالباً وطالبة (١٤٦) ذكـــراً و (٧٠) أنثى.

ب ــ المجموعة الأقل اغتراباً،وبلغت (١٠٤) ذكراً و (٦٣) أنثى.

جـ ــ المجموعة غير المغتربة سياسياً (المندمجة)، وبلغـت (٥١٦) طالبـاً منـهم (٢٥٥) ذكراً و (٢٦١) أنثى.

الجزء الثالث من الاستبانة، وقد اشتمل هذا الجزء على العبـــارات الكاشـفة عـن خصائص المغتربين سياسياً، موزعة على مجالات أو أبعاد ثلاثة حددت إجرائياً على الوجه الآتي:

بعد أو مجال المشاركة السياسية، البعد المعرفي أو المعلوماتي وأخيراً بعد المشكلات أو السمات النفسية، وينتهي هذا الجزء بعبارة تصنيفية، استخدمت عنصراً ذاتياً فـي التصنيف إلى جانب العناصر الموضوعية المحددة فـي المقيـاس، حيـث تشـرك المبحوث نفسه في تصنيفه ذاته، بحيث يكون التصنيف للمبحوث أكثر دقة في حالـة تطابق نتائج التصنيف الموضوعي مع نتيجة التصنيف الذاتي التي يقررها المبحـوث نفسه.(٣٧)

وقد حددنا لاستقصاء كل بعد أو مجال عدداً من المؤشرات لتعمل كمتغيرات تابعـــة Independent v. عبر عن كل مؤشر منها بعبارتين تنفي إحداهما الأخـــرى، وذلــك على الشكل التالي:

أولاً: فيما يتعلق بالمشاركة السياسية Political Participation كانت مؤشراتها أربعـة هي:

أ ــ المشاركة في الانتخابات البرلمانية وقد عبر عنها بالعبارتين التاليتين:

١. - أميل إلى أن أشارك في الانتخابات البرلمانية القادمة.

٢. لا أميل إلى أن أشارك في الانتخابات البرلمانية القادمة.

ب ــ المبادرة إلى الحوار السياسي والمشاركة فيه بصفته وسيلة لتبادل الأفكار والتغيير، وقد عبر عنها بالعبارتين:

١. عادة أشارك بالحوار والمناقشات السياسية، فأنا أميل إلى ذلك وأراه الوسيلة الفضلى لإحداث التغيير نحو الأحسن في مجتمعنا الأردني.

٢. لا أشارك بالحوار والمناقشات السياسية، فأنا لا أميل إلى ذلك ولا أراه وسيلة فضلى لإحداث التغيير نحو الأفضل في مجتمعنا الأردني.(٣٨)

جـ الانضمام لعضوية الأحزاب السياسية، بصفته شكلاً من أشكال المشاركة السياسية وعبر عن ذلك بالعبارتين:

١. سوف ألتحق بعضوية واحد من الأحزاب السياسية بعد إجازة ذلك قانوناً، لأنني من المؤمنين بأهمية التعددية السياسية لتقدم المجتمع".

٢. لن ألتحق بأي حزب سياسي، لأنني لست من المؤمنين بأهمية التعددية السياسية لتقدم المجتمع.

د ــ مدى الاستعداد للقيادة السياسية أو السعي لأداء أدوار سياسية قيادية:

١. تستهويني فكرة أن أكون قائداً سياسياً وأسعى لذلك.

٢. لا تستهويني فكرة أن أكون قائداً سياسياً ولا أسعى لذلك.

ثانياً: البعد المعرفي أو المعلوماتي، وحدد إجرائياً بخمسة مؤشرات هي:

أ ــ المعرفة أو الإلمام بطريقة تشكيل الحزب السياسي، وعبر عن ذلك بالعبارتين التاليتين:

١. أعرف كيف تشكل الأحزاب السياسية وغايات تشكيلها.

٢. لا أعرف كيف تشكل الأحزاب السياسية وغايات تشكيلها.

ب ـ المعرفة أو الإلمام بصلاحيات سلطات الحكم الثلاث في المجتمع ومسؤولياتها:

١. لدي تصور واضح عن صلاحيات كل سلطة من سلطات الحكم ومسؤولياتها.

٢. ليس لدي تصور واضح عن صلاحيات كل سلطة من سلطات الحكم ومسؤولياتها.

جـ ـ امتلاك صورة مثلى للعمل السياسي في المجتمع الأردني:

١. لدي تصور واضح عما ينبغي أن يكون عليه حال العمل السياسي في المجتمع الأردني.

٢. ليس لدي تصور واضح عما ينبغي أن يكون عليه حال العمل السياسي في المجتمع الأردني.

د ـ المعرفة والإلمام بمواصفات نظم الحكم السليمة من الناحية الديمقراطية.

١. لدي تصور واضح عن نظم الحكم السليمة ديمقراطياً.

٢. ليس لدي تصور واضح عن نظم الحكم السليمة ديمقراطياً.

هـ ـ مدى الإلمام بحقيقة أن القرارات السياسية الوطنية لم تعد في عالم اليوم مستقلة عن التأثيرات الخارجية (السياسات الدولية).

١. ما يجب أن يكون هو: أن القرار السياسي "الأردني" يجب أن يكون مستقلاً تماماً عن التأثر بأي عامل خارجي.

٢. ما يجب أن يكون هو: أن القرار السياسي "الأردني" لا بد أن يتأثر نسبياً بمؤثرات وعوامل خارجية (سياسات دولية).

ثالثاً: البعد الخاص بالمشكلات والسمات النفسية، وحدد إجرائياً بسبعة مؤشرات هي:

أ ـــ مدى الشعور بالإحباط أو عدم الرضى عن الإنجازات الشخصية، وعبر عن ذلك كالتالي:

١. أشعر بالرضى عما أنجزته وحققته حتى الآن من أعمال في المجتمع.

٢. لا أشعر بالرضى عما أنجزته وحققته حتى الآن من أعمال في المجتمع.

ب ـــ مشكلة الاكتئاب:

١. أشعر أن حالتي النفسية أميل إلى الانشراح في الغالب.

٢. أشعر أن حالتي النفسية أميل إلى الاكتئاب في الغالب.

جـ ـــ الثقة أو الشك بالآخرين (في مواقع المسؤولية):

١. أميل إلى الثقة بالآخرين في الغالب.

٢. لا أميل إلى الثقة بالآخرين في الغالب.

د ـــ الثقة أو الشك بقدرة البرلمان الحالي على الإصلاح ومواجهة مشكلات المجتمع الأردني.

١. أثق على قدرة البرلمان الأردني على تصويب السلبيات القائمة في مجتمعنا.

٢. لا أثق على قدرة البرلمان الأردني على تصويب السلبيات القائمة في مجتمعنا.

هـ ـــ الاتجاه نحو مستقبل الديمقراطية في المجتمع الأردني:

١. أرى أن الديمقراطية بصفتها منهجاً في العمل السياسي يمكن أن تمارس بشكل صحيح في المجتمع الأردني.

٢. لا أرى أن الديمقراطية بصفتها منهجا في العمل السياسي يمكن أن تمارس بشكل صحيح في المجتمع الأردني.

و ـ الاتجاه نحو مستقبل الإصلاح السياسي مستقبلا:

١. أرى أن العمل السياسي في المجتمع الأردني، سيكون أفضل وأصلح في المستقبل.

٢. لا أرى أن العمل السياسي في المجتمع الأردني، سيكون أفضل وأصلح في المستقبل.

ز ـ الاتجاه نحو إمكانية تحقيق الطموحات الشخصية:

١. أشعر بأنني قد أحقق طموحاتي وآمالي في هذا المجتمع.

٢. لا أشعر بأنني قد أحقق طموحاتي وآمالي في هذا المجتمع.

وتبسيطا لإجراءات التحليل والمقارنة، فقد رأينا أن ندمج المجموعات الثلاث في مجموعتين فقط هما:

المجموعة الأولى: وهي المجموعة المغتربة، وتضم كل المغتربين سياسيا بشكل كامل أو جزئي، وبلغت (٣٢٠) مبحوثا منهم (١٨٧) ذكرا و (١٣٣) أنثى.

المجموعة الثانية: وهي المجموعة غير المغتربة أو المندمجة سياسيا وتضم غير المغتربين من أفراد العينة كلهم، وقد بلغت (٥١٦) مبحوثا منهم (٢٥٥) ذكرا و(٢١٦) أنثى.

وقد أجرينا التحليل والمقارنات بين أفراد العينة من حيث الأبعاد الثلاثة وذلك على المستويات التالية:

١. مقارنة بين المبحوثين على مستوى العينة كلها بصرف النظر عن الاختلافات النوعية.

٢. مقارنة على مستوى العينة باعتبار الفروق النوعية.

٣. مقارنة على مستوى مجموعتي الدراسة بصرف النظر عن النوع.

٤. مقارنة بين مجموعتي الدراسة على مستوى الجنس الواحد.

٥. مقارنة بين الجنسين على مستوى المجموعة الأولى فقط.

وقد اعتمدنا أساساً لتقرير النتائج على الدلالات الإحصائية للفروق بين وحدات المقارنة وفقاً لاختبار كا٢، أما مستوى الدلالة الإحصائية المقبول في هذه الدراسة فهو (٠,٠٥).

حجم المشكلة:

بلغت نسبة المغتربين سياسياً (٣٨,٨%) من مجموع أفراد العينة، وتشمل نسبة المغتربين كلياً أو جزئياً وفق المقياس الإجرائي للاغتراب السياسي المعتمد في هذا البحث، وترتفع هذه النسبة لدى الذكور مقارنة بالإناث (٥٢,٨%) مقابل (٤٧,٢%) وبفروق دالة على مستوى (٠,٠٢).

الاغتراب السياسي وعلاقته بالمشاركة السياسية:

تشير البيانات في القائمة رقم (١) إلى أن (٤٤,٤%) من الشباب عينة البحث، لا يميلون إلى المشاركة في الانتخابات البرلمانية التي كانت ستجرى بعد بضعة شهور وذلك بصفته شكلاً من أشكال المشاركة السياسية، وترتفع النسبة لدى المغتربين سياسياً مقارنة بغير المغتربين (٦٣% مقابل ٣٣%) وبفروق دالة عند (٠,٠١) ويعني ذلك ارتباط هذا الاتجاه السلبي نحو المشاركة بالاغتراب السياسي، وقد أكد

التحليل مستوى الجنس الواحد هذا الارتباط بينهما على مستوى الذكور فقط، حيث كانت فروق النسب بين المغتربين وغير المغتربين من هذه الناحية جوهرية ودالة عند مستوى (٠,٠٠١) (٧٢,١% مقابل ١٦%) بينما تقاربت دون فروق على مستوى الإناث (٤٩,٧% مقابل ٤٩,٥%) كما توضح البيانات أن (٦٧%) من أفراد العينة لا يميلون إلى الحوار والمناقشات السياسية بصفته مدخلاً لتبادل الأفكار السياسية والتغيير، ويبرز هذا الاتجاه أكثر لدى الإناث مقارنة بالذكور (٤٧,٦% مقابل ٦٠,٢%) وبفروق دالة عند (٠,٠٠١) ولم تقدم بياناتنا دليلاً على علاقة هذا الاتجاه السلبي بالاغتراب السياسي، فنسبة الرفض لهذا النمط من المشاركة كانت متقاربة لدى المغتربين وغير المغتربين دون فروق جوهرية على مستوى العينة، أما على مستوى الجنس الواحد، فالأمر مختلف، وبشكل خاص لدى الذكور فقط، حيث ترتفع نسبة الرفض لدى المغتربين ارتفاعاً ملحوظاً لـه دلالته بالمقارنة بغير المغتربين (٦٦,٩% مقابل ٥٥,٣) ويؤكد مثل هذا الفرق الارتباط بين المتغيرين على مستوى الذكور، أما في حالة الإناث فقد تقاربت هذه النسب ودون فروق جوهرية بين المغتربات وغير المغتربات (٧٦,٧% مقابل ٧٣,٦%) فنسبة معارضتهن عموماً لهذا الاتجاه مرتفعة دون أثر للاغتراب السياسي في هذا المجال.

أما من حيث المشاركة السياسية من خلال العضوية الحزبية، فقد دلت البيانات أن نسبة عالية (٧٦,٦%) من أفراد العينة لا يميلون لهذا النمط من المشاركة أيضاً، وترتفع هذه النسبة كثيراً لدى الإناث مقارنة بالذكور (٨٣,٥% مقابل ٧٠,٤%) وبفروق دالة عند (٠,٠٠١).

كما ترتفع لدى المغتربين مقارنة بغير المغتربين (٨٣,١% مقابل ٧٢,٥) وبفروق دالة عند (٠,٠١) لتؤكد الارتباط بين الاغتراب السياسي من جهة وبين هذا النمط من المشاركة السياسية من جهة أخرى، كما ارتبطت المتغيرات على مستوى الذكور فقط دون الإناث حيث ارتفعت نسبة الرفض لدى المغتربين مقارنة بغير المغتربين

(٨٠,٩ مقابل ٦٣,١%) وبفروق دالة عند (٠,٠٠١) بينما كانت هذه النسبة لدى الإناث المغتربات وغير المغتربات متقاربة وبفروق طفيفة غير دالة إحصائياً (٨٧,٢% مقابل ٨١,٦%).

ومن حيث اتجاهات الشباب نحو القيام بأدوار سياسية قيادية، تشير البيانات إلى ما يزيد قليلاً على نصف العينة (٢ ــ ١٥%) من الشباب لا يرغبون في أن يصبحوا قادة سياسيين ولا يسعون إلى القيام بمثل هذه الأدوار، يتساوى في هذا الاتجاه الرافض الذكور والإناث دون فروق جوهرية بينهما، لكن نسبة الرفض ترتفع بشكل ملحوظ لدى المغتربين سياسياً مقارنة بغير المغتربين (٨١,٩% مقابل ٣٨,٤%) وبفروق دالة عند (٠,٠٠١) تؤكد الارتباط بين هذا الاتجاه وبين الاغتراب السياسي وقد تأكدت هذه النتيجة على مستوى الذكور؛ كما تأكدت على مستوى الإناث، فتوزيعات نسب الذكور المغتربين وغير المغتربين على أساس هذا المتغير كانت (٦٨,٥% مقابل ٣٤,٤%) وكانت لدى الإناث (٧٦,٧% مقابل ٤٢,٦%) وفق التصنيف نفسه، وبفروق دالة عند (٠,٠٠١) في كلتا الحالتين، وبالتحليل على مستوى مجموعة المغتربين فقط، لم تشر النتائج إلى أي فروق بين المغتربين والمغتربات من حيث نسبة انتشار هذا الاتجاه السلبي (٦٨,٥% ذكور مقابل ٦٧,٧% إناث) دون فروق جوهرية.

ثانياً: الاغتراب السياسي وعلاقته بالمعلومات والمعارف السياسية العامة لدى الشباب:

توضح البيانات المعروفة في القائمة رقم (٢) أن (٦٧%) من أفراد العينة لا يعرفون كيف تتشكل الأحزاب السياسية وغايات تشكيلها الرئيسية، وذلك كمعلومات عامة كان من المتوقع أن يلم بها الشاب الجامعي في المجتمع الأردني، وتقل النسبة لدى الإناث

(٨١,٥ مقابل ٥٢,٣%) لدى الذكور، وبفروق بين الجنسين دالة عند مستوى (٠,٠٠١) ويعني هذا ارتباط هذا النقص المعرفي بالاغتراب السياسي لدى الشباب.

وقد أكد التحليل على مستوى الجنس الواحد هذا الارتباط بين المتغيرين على مستوى الذكور كما أكد وعلى مستوى الإناث أيضاً مع فارق في نوع الارتباط، إذ بينما تزيد نسبة من لا يعرفون هذه المعلومة لدى الذكور المغتربين عنها لدى غير المغتربين (٧٤,٨% مقابل ٣٩,٢%) تقل هذه النسبة لدى الإناث المغتربات مقارنة بغير المغتربات (٧٥,١ مقابل ٨٤,٣%) هكذا وبفروق في الحالتين لها دلالة إحصائية، لكن الارتباط بين هذين المتغيرين كما هو ملاحظ كان سلبياً في حالة الذكور، وإيجابياً في حالة الإناث.

وقد أشارت البيانات أيضاً إلى أن (٧٥,٥%) من أفراد العينة لا يعرفون بدقة مسؤوليات كل سلطة من سلطات الحكم الثلاث في المجتمع الأردني، وترتفع النسبة لدى الإناث مقارنة بالذكور (٦٦,٣% مقابل ٤٩,٨%) وبفروق دالة عند (٠,٠٠١) لكنها لا تختلف لدى المغتربين سياسياً عنها لدى غير المغتربين (٥٦,٣% مقابل ٥٨,٧%) بفروق ليست جوهرية وينفي ذلك الارتباط بين المغتربين على مستوى العينة لكن الارتباط بينهما على مستوى الجنس الواحد، فعلى مستوى الذكور وصلت هذه النسبة لدى المغتربين منهم مقارنة بغير المغتربين (٦٥,٢% مقابل ٤٥%) كما وصلت على مستوى الإناث (٦٥,٤ مقابل ٧١,٣%) وفق التصنيف نفسه، وذلك بفروق دالة عند مستوى ٠,٠٥ في حالة الذكور ومستوى ٠,٠٠١ في حالة الإناث، ولم تشر البيانات إلى فروق تذكر بين المغتربين والمغتربات في هذه الناحية.

أما من حيث معرفة الشباب، بمواصفات الأنظمة السياسية السليمة ديمقراطياً فقد دلت البيانات أن النسبة (٦١,٩%) من أفراد العينة ليس لديهم تصور واضح عن هذه

المواصفات، وتزيد النسبة لدى الإناث مقارنة بالذكور (٦٩,٩% مقابل ٥٤,٨%) وبفروق دالة عند (٠,٠٠١).

وخلافا للتوقعات قلت هذه النسبة لدى المغتربين مقارنة بغير المغتربين (٣٠,٢ مقابل ٥١%) وهذا يعني أن المغتربين أكثر معرفة من غير المغتربين بهذه المواصفات مما يشير إلى نوع الارتباط الإيجابي بين الاغتراب السياسي من جهة، وبين هذه الخاصية المعرفية لدى الشباب من جهة أخرى.

وقد تأكد هذا الارتباط على مستوى الجنس الواحد، وبالاتجاه الإيجابي نفسه، فعلى مستوى الذكور كانت هذه النسب لدى المغتربين منهم مقارنة بغير المغتربين (٣٧,٢% مقابل ٦٥,١%) وكانت لدى الإناث (٢٣,٤% مقابل ٤٣,٦%) وفق الترتيب نفسه، وبفروق في الحالتين دالة عند (٠,٠٠١) وذلك رغم تفوق الذكور المغتربين على الإناث المغتربات من حيث نسبة من لديهم هذا التصور للمواصفات الديموقراطية للأنظمة السياسية (٥٦,١% ذكور مقابل ٤٣,٩% إناث) وبفروق دالة بينهما عند مستوى (٠,٠١).

وحول إلمام الشباب بصورة مثلى لما ينبغي أن يكون عليه العمل السياسي في المجتمع الأردني أشارت البيانات إلى أن (٥٤,١%) من أفراد العينة ليس لديهم مثل هذه الصورة، وترتفع النسبة لدى الإناث مقارنة بالذكور (٥٩,٢% مقابل ٤٩,٣%) وبفروق دالة عند (٠,٠١) لكنها تقل لدى المغتربين سياسيا مقارنة بغير المغتربين (٣٣% مقابل ٦٧%) وبفروق دالة عند (٠,٠٠١) ويعني هذا أن الارتباط إيجابي بين هذا المتغير المعرفي من جهة وبين الاغتراب السياسي من جهة أخرى.

وقد تأكدت النتيجة نفسها عند مستوى الذكور ومستوى الإناث، فالنسبة لدى المغتربين الذكور مقارنة بغير المغتربين تصل إلى (٣٢,٧% مقابل ٦١%) ولدى الإناث (٣٣,٩% مقابل ٧٢,٥%) وبفروق لها دلالتها الإحصائية في كلتا الحالتين

كما تقاربت النسبة لدى المغتربين والمغتربات وبفروق طفيفة بين الجنسين المغتربين ليس لها دلالة إحصائية.

وعن إدراك الشباب حقيقة العلاقة التفاعلية بين السياسات الوطنية والسياسات الدولية، دلت البيانات أن (٤٧,٦%) من أفراد العينة لا يعرفون هذه الحقيقة، وترتفع النسبة لدى الإناث مقارنة بالذكور (٥٢% مقابل ٤٣,٦%) وبفروق بينهما دالة عند مستوى (٠,٠٢).

كما ترتفع لدى المغتربين مقارنة بغير المغتربين سياسيا (٦٣,١% مقابل ٣٨%) وبفروق دالة عند (٠,٠٠١%) لتشير بذلك إلى ارتباط سلبي بين الاغتراب السياسي وبين هذا المتغير المعرفي.

وقد تأكدت النتيجة نفسها على مستوى الذكور ومستوى الإناث، فالنسبة لدى المغتربين الذكور مقارنة بغير المغتربين منهم كانت (٦٢,٥% مقابل ٢٩,٨%) وكانت لدى الإناث (٦٤% مقابل ٤٥,٩%) وفق الترتيب نفسه.. وبفروق دالة عند مستوى (٠,٠١) في حالة الذكور، وعند مستوى (٠,٠٠١) في حالة الإناث.

ولم تكشف المقارنة فروقا تذكر بين المغتربين والمغتربات (٦٢,٢% ذكور مقابل ٦٤% إناث) فالفروق طفيفة بين المغتربين من الجنسين ليس لها دلالة إحصائية.

ثالثا: الاغتراب السياسي وعلاقته ببعض المشكلات والسمات الشخصية:

تشير البيانات المعروضة في القائمة رقم (٣) أن (٦٩,١%) من أفراد العينة لا يشعرون بالرضى عن منجزاتهم الشخصية في المجتمع.. وترتفع النسبة لدى الذكور مقارنة بالإناث لتصل إلى (٨٤% مقابل ٣٨,٣%) وبفروق جوهرية دالة إحصائيا، كما ترتفع لدى المغتربين سياسيا مقارنة بغير المغتربين (٧٧,٢% مقابل ٦٤,٢%) وبفروق دالة عند (٠,٠٠١) وهذا يعني ارتباط الاغتراب السياسي بهذه المشكلة،

ويرتبط المتغيران عل مستوى الذكور، ومستوى الإنـاث، فالنسـبة لـدى الذكـور المغتربين مقارنة بغير المغتربين تصل إلى (٨٢,٤% مقابل ٦٧,٩%) ولدى الإنـاث (٧٠% مقابل ٦٠,٩%) وذلك بفروق دالة عند مستوى (٠,٠٠٠١) في حالة الذكـور ومستوى (٠,٠٠٥في حال الإناث، وبالتحليل على مستوى المغتربين مـن الجنسـين تفوق المغتربون على المغتربات من حيث نسبة المعاناة من هذه المشـكلة (٨٢,٤% مقابل ٧٠%).

وإلى جانب هذه المشكلة، يعاني (٣٧,١%) من أفراد العينة من مشكلة الاكتئاب كمـا بين البحث، وتزيد النسبة لدى الذكور عنها لدى الإناث (٤٢,٥% مقـابل ٣١,٢%) وتزيد لدى المغتربين عنها لدى غير المغتربين (٥٥,٣% مقـابل ٢٥,٩%) هكـذا، وبفروق دالة عند (٠,٠١) في كلتا الحالتين، مما يشير إلى علاقة ارتباطية بين هـذه المشكلة ، وبين الاغتراب السياسي، وقد تأكد هذا الارتباط على مسـتوى الذكـور ومستوى الإناث أيضاً حيث كانت النسبة لدى المغتربين منهم مقارنة بغير المغتربين (٨٥,٢% مقابل ٣٠,٩%) وكانت لدى الإناث (٥١% مقابل ٢٥,٥%) وبفروق دالـة عند مستوى ٠,٠٠١ في الحالتين، ولم يكشف التحليل عن فروق تذكر بين المغتربين والمغتربات سياسياً من هذه الناحية.

دلت البيانات على أن الشك وعدم الثقة بالآخرين هي سمة ملازمـة لمـا نسـبتهم (٥٠,٦%) من أفراد العينة ترتفع لدى الذكور مقارنة بالإناث إلـى (٨٥,٢ مقـابل ٤٢,٢%) وبفروق جوهرية دالة عند (٠,٠٠١) وترتفع لدى المغتربين مقارنة بغير المغتربين (٧٧,٢ مقابل ٣٤,١%) وبفروق دالة عند (٠,٠٠٠١) لتشير إلى ارتبـاط هذه المشكلة بالاغتراب السياسي لدى الشباب على مستوى العينة، وقد تـأكد هـذا الارتباط على مستوى الجنس الواحد أيضاً، حيث تصل هذه النسـبة لـدى الذكـور المغتربين مقارنة بغير المغتربين (٨٨,٦% مقابل ٣٧,٣%) كما تصل لدى الإنـاث

(٦٤% مقابل ٣١,٣%) وفق الترتيب نفسه، وبفروق دالة عند مستوى (٠,٠٠١) في الحالتين.

ولم يكشف التحليل عن فروق تذكر لدى المغتربين من الجنسين من حيث نسبة الشك وعدم الثقة في نظرتهم للآخرين أما من حيث نظرة الشباب للمؤسسة البرلمانية التي ستمارس نشاطها من جديد في أواخر عام ١٩٨٩م في محاولة لمواجهة المشكلات التي تزايدت مؤخراً وبشكل ملحوظ في المجتمع الأردني، كشفت البيانات أن (٧٨,٦%) من أفراد العينة أجابوا أنهم لا يثقون بأن البرلمان لا يستطيع أن يحل المشكلات التي تواجه الأردن (وبخاصة الأزمة الاقتصادية وآثارها وارتباطاتها العديدة بمسببات متنوعة تدور في أذهان الناس وعلى ألسنتهم) وتزيد نسبة الشك لدى الذكور مقارنة بالإناث (٨٤,٤% مقابل ٧٣,١%) وبفروق دالة عند (٠,٠٠١) إلا أن البيانات لم تقدم الدليل على علاقة هذا الاتجاه التساؤلي بالاغتراب السياسي لدى الشباب، فنسبة الشك لدى الجميع مرتفعة يتساوى في ذلك المغتربون وغير المغتربين بفروق غير جوهرية (٧٧,٩% مقابل ٧٩,١%) وهي النتيجة التي تأكدت أيضاً على مستوى الذكور ومستوى الإناث حيث كانت توزيعات هذه النسب لدى المغتربين مقارنة بغير المغتربين (٨٣,٥% مقابل ٨٢,٤%) ولدى الإناث (٧٠% مقابل ٧٥,٩%) وفق الترتيب نفسه، هكذا وبفروق طفيفة، غير دالة إحصائياً في كلتا الحالتين، لكن رغم ذلك فقد تفوق المغتربين على المغتربات من حيث نسب الشك وعدم الثقة بالآخرين (٣٨,٥ مقابل ٦٩,٩%) وبفروق دالة عند (٠,٠٠١).

ومن حيث نظرة الشباب لمستقبل النهج الديمقراطي في الأردن مستقبلا، دلت البيانات ان (٤٦%) من أفراد العينة يشكون باستمرار هذا النهج مستقبلا "وهو الذي بدأه الأردن بإجراء انتخابات برلمانية والسماح بحرية نسبية للفكر والتعبير، وبالتوجيه المنظم نحو التعددية السياسية Political Pluralism وتزيد هذه النسبة لدى الذكور مقارنة بالإناث (٧٥%مقابل ٣٧,٧%) بفروق دالة عند(٠,٠٠١) كما تزيد

لدى المغتربين سياسيا مقارنة بغير المغتربين (٥٣,١%مقابل ٤١,٦%) وبفروق دالة عند (٠,٠٠١) مما يشير إلى ارتباط هذا الاتجاه التشاؤمي بالاغتراب السياسي لدى الشباب أيضا.

لكن هذا الارتباط لم يتأكد على مستوى الذكور بعكس الحال لدى الإناث،فنسبة المتشائمين المغتربين مقارنة بغير المغتربين كانت(٦٠,٤٥%مقابل ٥٤,٥%) بينما كانت لدى الإناث المغتربات مقارنة بغير المغتربات(٤٢,٨%مقابل ٢٩,١%)هكذا وبفروق غير جوهرية في حالة الذكور،ودالة عند مستوى (٠,٠٠١) في حالة الإناث

لكن مع ذلك تفوق المغتربون على المغتربات من حيث نسبة التشاؤم في النظرة إلى مستقبل النهج الديمقراطي في المجتمع الأردني وذلك بنسبة(٦٠,٤%للمغتربين مقابل ٤٢,٨%للمغتربات)وبفروق بين المغتربين من الجنسين دالة عند مستوى (٠,٠١).

وفيما يتعلق باتجاه الشباب نحو قابلية العمل السياسي للإصلاح مستقبلا في المجتمع الأردني،إشارات البيانات إلى أن(٤٥,٧%) من شباب العينة لا يثقون بذلك،ولا يعتقدون بإمكانية ذلك مستقبلا،وكان الذكور أكثر تشاؤما إزاء هذا الأمر من الإناث (٥١,٦%مقابل ٣٩%)وبفروق بين الجنسين دالة عند مستوى (٠,٠٠١)وقد كشفت البيانات عن العلاقة الارتباطية بين هذا الاتجاه التشاؤمي وبين الاغتراب السياسي ،فنسبة المتشائمين من إمكانية إصلاح العمل السياسي كانت أعلى بين المغتربين مقارنة بغير المغتربين (٥٣,٢%مقابل ٤١,١%)وبفروق بين المجموعتين دالة عند مستوى (٠,٠٠١)وقد تأكد هذا الارتباط على مستوى الذكور فقط،ولم يتأكد على مستوى الإناث، فنسبة المتشائمين بين الذكور المغتربين مقارنة بغير المغتربين كانت (٥٩,٤%مقابل ٤٥,٩%)وبفروق لها دلالتها الإحصائية الهامة عند مستوى (٠,٠١)

بينما كانت هذه النسب في هذه حالة الإنـــاث(٤٤,٤%) لـــدى المغتربـــات مقـــابل (٣٦,٤%) لدى غير المغتربات، بفروق طفيفة لم يكن لها دلالة إحصائية.

وبالتحليل والمقارنة على مستوى مجموعة المغتربين فقط، أوضحـــت البيانـــات أن الذكور المغتربين أكثر تشاؤما من الإناث المغتربات إزاء هذا الموضـــوع (٥٩,٣% مقابل ٤٤,٤%) وبفروق بين المغتربين والمغتربات دالة عند مستوى (٠,٠١).

أما من حيث إمكانية تحقيق الشباب لطموحاتهم في الأردن مســـتقبلا مـــن وجهـــة نظرهم، فقد دلت البيانات أن (٤٢,٧%) من الشباب عينـــة البحـــث، لا يـــرون أن بإمكانهم ذلك مستقبلا، يتساوى في هذا الاتجاه كل من الإناث والذكور دون فـــروق تذكر، وقد لوحظ أن هذا الاتجاه قد ارتبط بالاغتراب السياسي على مستوى العينـــة، إذ ارتفعت نسبة المتشائمين لدى المغتربين عنها لدى غير المغتربين وبفـــروق لـــها دلالتها الإحصائية (٦١,٥% مقابل ٣١%) كما ارتبط المتغيران معا على مســـتوى الذكور، ومستوى الإناث، فتوزيعات هذه النســـب لـــدى الذكـــور كـــانت (٥٩,٤% للمغتربين مقابل ٤٥,٩%) لغير المغتربين ولدى الإناث (٤٤,٤ للمغتربـــات مقـــابل ٣٦%) لغير المغتربات، وبفروق كانت دالة عند مستوى (٠,٠٠١) في كلتا الحالتين، وقد أكد التحليل على مستوى المجموعة الأولى فقـــط أن المغـــتربين كالمغتربـــات، كلاهما يشك بإمكانية أن يحققوا طموحاتهم الشخصية في المجتمع الأردني، وذلـــك بالمستوى نفسه ودون فروق تذكر بينهما في هذا المجال.

مناقشة النتائج:

كان الهدف من البحث استطلاع الحجم التقريبي لمشكلة الاغتراب السياسي لدى طلبة الجامعة الأردنية كمل تعكسه العينة المختارة لذلك، والتعرف على بعض الاتجاهات،

والخصائص والمشكلات المصاحبة لهذه المشكلة، كما تبدو من خلال مجالات ثلاثة حددناها كمتغيرات تابعة وهي:

المشاركة السياسية، المعارف والمعلومات السياسية العامة وبعض المشكلات والسمات النفسية.

ولقد بين البحث أن ما يزيد قليلا على ثلث شباب العينة ومن الجنسين (مغتربون سياسيا)، وتزيد المشكلة لدى الذكور منهم مقارنة بالإناث، وتتفق هذه النتيجة مع ما توصل إليه كل من "Zeighler" و"بركات"، و"عزام"، وتتجاوز المشكلة بحجمها هذا كل التوقعات، فهو يعني على مستوى الجامعة ككل، أن يقارب ستة آلاف طالب وطالبة من مجموع طلبة الجامعة البالغ ــ سنة إجراء البحث ــ (١٦ ألف) طالب وطالبة، يشعرون باللاقوة السياسية، أو يعيشون حالة اغتراب سياسي، وقد يعود ذلك لظروف موضوعية سادت المجتمع الأردني، مثل العزلة التاريخية لأبنية القوة السياسية عن باقي فئات المجتمع، وضعف قنوات الاتصال بين الأفراد وبين النسق السياسي كما هو الحال في مجتمعات العالم الثالث غالبا، أضف إلى ذلك الاحتكار النخبوي للفرص والمراكز الهامة في مجال العمل العام، والانفراد بالرأي والقرار، والتعتيم على الرأي الآخر أو كبته، وتضييق حدود توزيع المسؤوليات المتعلقة بصناعة القرار السياسي، وتباعد هذه الظروف عادة بين الشباب من جهة وبين النسق السياسي في المجتمع من جهة أخرى، فيكون اغترابهم عن هذا النسق أحد الاستجابات المتوقعة، كما أشار كل من (Ransford)، (Schnieder)[٣٩]، وكما أكدت نتائج هذا البحث.

أما عن انتشارها وبشكل أكبر بين الذكور فهذا كان متوقعا أيضا، فالمجتمع الأردني شأنه في ذلك باقي المجتمعات العربية، ما زال مجتمعا ذكريا بالدرجة الأولى، وذلك بتأثير من القيم الاجتماعية والدينية، وقد رتب هذا على الذكور كثيرا من المسؤوليات

والأدوار الرئيسية على صعيد الحياة الاجتماعية عموما، والحياة الأسرية بشكل خاص[٤٠].

إلا أن هذه الظروف السياسية التي أشرنا إليها قبل قليل إلى جانب الظروف الاقتصادية الصعبة التي سادت أخيرا بحيث زادت من البطالة مما قد لا يمكن الشباب مستقبلا من إيجاد فرصة عمل، قد تضع فجوة بين تلك الأدوار المطلوبة من الشباب ومسؤولياتهم من جهة وبين الإمكانات والفرص المتاحة لهم واقعيا للقيام بتلك الأدوار والمسؤوليات من جهة أخرى، مما قد يشكل مصدرا لاغترابهم السياسي وبخاصة بالنسبة للذكور.

أما عن علاقة الاغتراب السياسي بالمشاركة السياسية، فقد توصل البحث إلى أن السلبية هي الاتجاه المسيطر في الغالب على أفراد العينة في موقفهم من هذه المشاركة، فقد تراوحت نسبة الرافضين لها بأشكالها الأربعة المحددة في البحث ما بين (٤٤,٤% ـ ٧٦,٦%) وهي أعلى لدى الإناث عموما منها لدى الذكور، وقد اقترن هذا الاتجاه السلبي نحو المشاركة السياسية بالاغتراب السياسي في الغالب، وبخاصة على مستوى الذكور، حيث كان الاقتران بين المتغيرين أوضح منه في حالة الإناث فالمغتربون عموما وخاصة الذكور، أظهروا سلبية متزايدة في اتجاهاتهم نحو المشاركة في الانتخابات البرلمانية كشكل من أشكال المشاركة السياسية، ولعل ذلك يعود إلى عوامل منها:

ـ إن عملية الانتخابات البرلمانية في الأردن قد قررت فجأة، فكانت جديدة لم تترسخ بعد على مستوى الوعي لدى الشباب، فبدت وكأنها مفروضة، بل وسيلة متاحة، لكنها معزولة بنظرهم عن إمكانية تحقيق طموحاتهم في ظل واقع اجتماعي سياسي لم يسبق لهم أن عرفوه ديمقراطيا.

ـــ أضف إلى ذلك عامل الشك لدى الشباب بجدوى البرلمان نفسه، كمؤسسة ربما لا تكون قادرة على مواجهة مشكلات المجتمع الأردني وهي الشكوك التي عبر عنها الشباب من خلال هذا البحث.

وفيما يتعلق بموقف الشباب من الحوار والمناقشات السياسية بوصفها شكلا من أشكال المشاركة السياسية، توصل البحث إلى أن غالبية أفراد العينة (٦٧%) وبخاصة الإناث، لا يميلون إلى الحوار السياسي بوصفه مدخلا لتبادل الأفكار السياسية وتغيير المفاهيم، وقد بدا هذا الاتجاه مسيطرا على الجميع مغتربين وغير مغتربين دون فروق، مما ينفي أي أثر للاغتراب السياسي في هذا المجال، وقد لا يفسر ارتفاع نسبة الرافضين لأسلوب الحوار وبخاصة بين المغتربين، إلا في ضوء بعض الظروف الاجتماعية السياسية، منها: غياب الديمقراطية عن المجتمع الأردني لفترة تناهز الربع قرن تقريبا، وسيطرة الأحكام العرفية خلال تلك الفترة، وهي أحكام ليس فيها مجال واسع للحرية السياسية سواء على مستوى الكلمة أو مستوى الفعل، وبخاصة بالنسبة للشباب، مما لا يشجعهم على الدخول في مثل هذه الحوارات، أو قد يقلل من جانبيتها بنظرهم، كما أن تعقيد أزمات المجتمع الأردني وبخاصة الاقتصادية منها، قد تكون تجاوزت بنظر الشباب، المستويات التي قد ينفع فيها الحوار، لا سيما أن هذا المجتمع كان في السنوات الأخيرة مسرحا لانعقاد الكثير من المؤتمرات والندوات واللقاءات تحت عناوين مختلفة، تحاور فيها المتحاورون كثيرا حول مشاكل المجتمع، ومشاكل العالم العربي، بل ومشاكل العالم في أحيان كثيرة، لكن وعلى كثرة ما قيل فيها، لم يفلح كل ذلك حتى في تنبيه الناس لقدوم الأزمة محليا في المجتمع الأردني، والتي داهمته فجأة، فما بالك بقدرة هذه المناقشات أو الحوار على تلك الأزمة وما صاحبها من مشاكل! فالحوار السياسي ما هو إلا وسيلة ديمقراطية للتفاعل، تشترط لازدهارها ديمقراطية سياسية وتنمية اقتصادية فإذا افتقد المجتمع هذين الشرطين كما هو حال المجتمع الأردني، يصبح

رفض الحوار استجابة متوقعة، وهذا ما أشار إليه Bollen and Jackman [٤١] من جهة وأكدته نتائج هذا البحث من جهة أخرى.

وقد تفوقت الإناث على الذكور في نسبة الرفض لهذا الشكل من المشاركة السياسية، وهذا متوقع أيضا لظروف أبرزها: الغياب التاريخي للإناث عن ساحة العمل السياسي عموما، والضوابط الاجتماعية الكثيرة التي تحد من حريتهن في التفاعل الاجتماعي ومحاورة الآخرين خصوصا الرجال؛ مما يجعل من المناقشات والحوار السياسي مهمة ليست يسيرة للفتاة في ظل هذه الظروف.

وفيما يتعلق باتجاهات الشباب نحو المشاركة السياسية من خلال الانضمام لعضوية الأحزاب السياسية، توصل البحث إلى أن الغالبية العظمى من أفراد العينة (٧٦,٦%) لا يميلون لذلك.. وقد بدا هذا الاتجاه مرتبطا بالاغتراب السياسي على مستوى العينة كلها، ومستوى الذكور، أما الإناث فقد كن أكثر رفضا لهذه الفكرة من الذكور عموما، مغتربات كن أو غير مغتربات على حد سواء، وليس من السهل تفسير هذه النتائج أيضا بعيدا عن العامل الذي سبق ذكره، أعني غياب الديمقراطية وسيطرة الأحكام العرفية، لأنها ظروف تعادي بطبيعتها فكرة الأحزاب، وتقاومها، مما قد يرسخ لدى الشباب وبخاصة المغتربين منهم، فكرة أنها مرفوضة، أضف إلى ذلك قلة معلومات الشباب نسبيا حول الأحزاب بوصفه عاملا قد يؤثر في هذا المجال، وهذا ما كشف عنه هذا البحث أيضا، مما قد يدفع بهم إلى رفض الحزبية بوصفها وسيلة للمشاركة السياسية، فمن عادة الناس رفض ما يجهلون، سواء أكان ذلك ذاتا أم فعلا. وهذا ما أكدته نتائج هذا البحث، لتقدم بذلك دعما لمقولة Levin and Eden من جهة، ولتتعارض من جهة أخرى مع ما توصل إليه Takei.

ولم يكن من غير المتوقع أن تكون الإناث عموما أكثر رفضا للحزبية من الذكور، وذلك لعوامل اجتماعية ــ ثقافية، فالأسرة ما زالت هي الجماعة المرجعية للفتاة في

المجتمع الأردني في مجال تشكيل الآراء والاتجاهات المختلفة، ويشكل هذا عقبة أمام التحاقها بعضوية حزب سياسي كجماعة مرجعية أخرى قد تنافس الأسرة في هذا المجال، كما أن الحزبية ما زالت ترتبط بأذهان الناس بالتحرر الاجتماعي عامة، والخروج النسبي للفتاة عن سلطة بعض القيم والقواعد السلوكية المحددة لحريتها تقليديا. ويلقى مثل هذا الاتجاه مقاومة من الذكور من خلال دورهم في الأسرة حيث يحتلون فيها مركز السلطة في علاقاتهم بالإناث.

وحول اتجاهات الشباب نحو القيام بأدوات سياسية قيادية كشكل آخر من أشكال المشاركة السياسية، توصل البحث إلى أن ما يزيد على نصف أفراد العينة (٥١,٢%) لا يميلون لذلك، يتساوى في هذا الذكور والإناث دون فروق جوهرية، وقد ارتبط هذا الاتجاه وبوضوح بالاغتراب السياسي عموما، سواء على مستوى العينة، أو مستوى الجنس الواحد، ولعل ذلك يعود لعوامل، منها ما يتعلق بالشباب أنفسهم وبخاصة المغتربين، من حيث النقص في معلوماتهم السياسية في بعض المجالات كما اتضح من البحث، وهذا عامل قد يؤثر سلبيا في هذا الاتجاه، وعوامل موضوعية سائدة في المجتمع، تعكس اختلالات بنائية في هذا المجتمع، فالقيادة السياسية قد ارتبطت تقليديا بالعمل الرسمي العام وبمستوياته العليا بشكل خاص، فالقادة السياسيون هم رسميون في الغالب، أو كانوا كذلك لفترة من الزمن، ذلك أن أشغال المراكز العليا في مجال العمل العام، كان يشكل وإلى ما قبل فترة وجيزة مصدرا للثراء وللمكانة الاجتماعية المتميزة، وهما أساسان لازمان لتأهيل الفرد للعمل السياسي القيادي في المنظور الأردني التقليدي، فبدت القيادة السياسية صناعة حكومية في الغالب لا تقوم على أساس المواصفات، والمقومات الشخصية للفرد، بقدر ما تقوم على الحظ والصدفة وهما ما قد يتوافران للقلة، مما يجعل عدم السعي للقيام بأدوار سياسية قيادية من قبل الشباب، استجابة متوقعة لأن مثل هذا السعي سيبدو بنظرهم مجهودا قد لا يسفر عن نتيجة في مثل هذه الظروف، وإذا كان من

المحتمل أيضا أن تكون هذه الاختلالات البنائية مصادر للاغتراب السياسي، يصبح من الطبيعي أن يكون المغتربون سياسيا هم أكثر الفئات إدراكا لها وأكثر رفضا للمشاركة السياسية في ظلها، وهو ما أكدته نتائج هذا البحث.

وعن العلاقة ما بين الاغتراب السياسي من جهة، والمتغير المعرفي أو المعلوماتي من جهة أخرى، كشف البحث عن النقص الواضح في المعارف والمعلومات السياسية العامة، لدى الشباب عينة البحث، وذلك بنسبة تتراوح ما بين (٤٧,٦%_٦٧%) على أساس المؤشرات الدالة على ذلك في هذا البحث، وهذه نسبة مرتفعة دون شك، لا سيما أن المعلومات المطلوبة كمؤشرات هي من النوع الذي كان من المفروض أن يلم بها الشاب الجامعي. وكان هذا النقص في المعلومات أوضح ما يكون لدى الإناث عموما مقارنة بالذكور، وقد جاء النقص في المعلومات والمعارف السياسية العامة مقترنا بالاغتراب السياسي سواء على مستوى الذكور، أو مستوى الإناث، كما اقترن المتغيران معا على مستوى العينة على أساس غالبية المؤشرات.

فقد بين البحث، ان غالبية المغتربين سياسيا (٧٥%) وبخاصة الإناث، لا يعرفون مثلا كيف تشكل الأحزاب السياسية أو الغاية من تشكيلها، وقد يعود ذلك إلى الحظر السياسي على المنظمات السياسية كنظام مطبق في المجتمع الأردني خلال العقود الأخيرة..وهي ظاهرة صاحبت غياب الديمقراطية وغياب التعددية السياسية التي أضحت اليوم هدفا ستندفع نحوه المجتمعات الإنسانية عبر القرن القادم، فكان من شأن ذلك تقليل الفرص والإمكانات أمام الشباب للإحاطة بمثل هذه المعلومات. كما توصل البحث إلى أن أكثرية الشباب ٥٧,٥% وبخاصة الإناث لا يعرفون مسؤوليات كل سلطة من سلطات الحكم الثلاث في المجتمع، ورغم اقتران هذه الحالة بالاغتراب السياسي على مستوى الجنس الواحد، لكنها لم تقترن بذلك على مستوى العينة عموما..

كما بدا واضحا أن غالبية أفراد العينة (٦١,٩%) لا يشعرون بأنهم ملمون بالمواصفات الواجب أن تتوفر في أي نظام سياسي لكي يكون نظاما ديمقراطيا، وخلافا للتوقعات بدت هذه الحالة مرتبطة بالاغتراب السياسي ولكن بشكل إيجابي، فالمغتربون وبخاصة الذكور كانوا هم الأكثر إدراكا لهذه المواصفات، سواء على مستوى العينة كلها، أو مستوى الجنس الواحد، كما تبين أن أكثر من نصف أفراد العينة (٥٤,١%) وبخاصة الذكور لا يعرفون صورة مثلى لما ينبغي أن يكون عليه العمل السياسي في المجتمع الأردني خلافا لما هو عليه لتطرحها في الواقع، وهذا يعني أنهم لا يعرفون كيفية أو اتجاه الإصلاح السياسي من جهة، وبين هذا المتغير المعرفي من جهة أخرى، وتتفق هذه النتيجة مع سابقتها لنطرحها معا مقولة أن ليس بالضرورة أن يقترن الاغتراب السياسي بنقص معرفي دائما وبمختلف الجوانب والمعلومات السياسية، بل على العكس قد يصاحب هذا الاغتراب أحيانا زيادة معرفية في حالات معينة كتلك التي نحن بصددها.

وتبدو هذه النتيجة منطقية في ضوء النتيجة السابقة لها مباشرة، فطالما أن المغتربين سياسيا كانوا أكثر معرفة بمواصفات النظم الديمقراطية، فمن الطبيعي والمتوقع أن يكونوا إذن أقدر على تصور الواقع الديمقراطي البديل لواقع لا يرونه ديمقراطيا، وتتعارض هاتان النتيجتان وعلى طول الخط مع ما طرحه كل من (Mcled) و(Holian) و(Seeman) في هذا الصدد.

كما توصل البحث إلى أن ما يقارب نصف العينة، لا يدركون حقيقة التأثير المتبادل بين السياسيات المحلية (الوطنية) والدولية، بوصفها حقيقة سياسية أصبحت معروفة في عالم اليوم، وقد اقترن ذلك لديهم بالاغتراب السياسي وعلى كل المستويات.

ويعني هذا أنهم وخاصة المغتربين منهم، قد يتصورون إمكانية أن تكون السياسات الوطنية معزولة عن السياسات الدولية تماما، وهذا تصور يتعارض مع الحقيقة

والواقع، قد يغريهم ـ إلى جانب أوجه النقص الأخرى في معلوماتهم العامة ـ للجنوح نحو اللاواقعية في مطالبهم السياسية أو المبالغة فيها، بشكل قد يتجاوز حدود الواقع، مما قد يدفعهم نحو الاعتقاد بأن التقصير هو في السياسات الوطنية، وليس في تصوراتهم المثالية، فيميلون نحو الاغتراب عن تلك السياسات، ليكونوا ضحية الفجوة ما بين تصوراتهم ومطالبهم المثالية من جهة، والواقع السياسي القائم من جهة أخرى، وذلك من مصادر الاغتراب حسب مفهوم "Barakat" فيكونون بذلك مسؤولين عن اغترابهم أو شركاء فيه إلى جانب الظروف الموضوعية الأخرى الدافعة لذلك.

فنقص المعلومات والمعارف العامة، قد يشير إلى أسباب وظروف اجتماعية موضوعية من جهة لكنه يشير من جهة أخرى إلى دور الشباب في هذه المشكلة، فهم لا يسعون إلى تحصيل هذه المعلومات التي من شأنها أن توسع آفاقهم وتقربهم من الواقع، ولربما قللت شعورهم بالاغتراب، وبخاصة إذا ما اعتبرنا أن هذه الحالة المعرفية قد تكون من أسباب الاغتراب، وليس بالضرورة من نتائجه.

وفيما يتعلق بالمشكلات والسمات النفسية فقد توصل البحث إلى أن الشعور بعدم الرضى عن المنجزات الشخصية هي مشكلة مسيطرة على غالبية الشباب وبخاصة المغتربين منهم. حيث ارتبطت لديهم بالاغتراب السياسي بشكل واضح وعلى جميع مستويات التحليل، وتقدم هذه النتيجة دعماً لما طرحه Holians حول عدم رضى المغتربين سياسياً عن منجزاتهم الشخصية كما تدعم ما طرحته فرضية البحث رقم(٤).

ونلتقي بهذه النتيجة مع ما توصل إليه Gould لكننا لا نذهب معه بعيداً إلى حد أن نعتبر مثل هذه المشكلات أصول أو مصادر للاغتراب لأننا نقر مع Tavisr ومع Barakat بأن أصول الاغتراب اجتماعية.

وكشف البحث أيضا عن سيطرة خاصية الشك وعدم الثقة لدى المغتربين سياسيا في نظرتهم للآخرين وبخاصة أولئك الذين هم في مواقع المسؤولية العامة.

فالشباب عموما والمغتربون سياسيا على وجه الخصوص لا ينظرون إلى أولئك الأفراد بثقة، وربما لا يفسر ذلك إلا في ضوء الظروف والمشكلات العامة، وبخاصة الأزمة الاقتصادية الأخيرة والتي قد تكون عكست مستوى من الفشل وعدم المصداقية الرسمية لهؤلاء الأفراد بنظر الشباب، فالتضارب في الإجابات والتفسيرات التي حاول بها المسؤولون توضيح الأزمة وأبعادها كان أكثر من واضح للجميع، وبشكل يغري بالافتراض بأن ذلك سيكون له أثره السلبي على اتجاهات أفراد المجتمع وبخاصة الشباب نحو المسؤولين الرسميين، وهذا ما أكدته نتائج هذا البحث، والتي أكدت بدورها أيضا أن أزمات المجتمع الأردني، قد تكون من الحدة بنظر الشباب عينة البحث، إلى درجة لا يثقون معها بقدرات المسؤولين على مواجهتها، بل ولا يثقون حتى بأن تنعكس آثار التغييرات السياسية المحدودة التي تمثلت بإعادة الحياة البرلمانية، إيجابيا على تلك الأزمات، كما بدا من إجابات معظم أفراد العينة، المغتربين منهم وغير المغتربين على حد سواء، لينتفي بذلك أثر الاغتراب السياسي على هذا الاتجاه السلبي المسيطر على الشباب بشكل عام، ولعل مثل هذه النتيجة كان يجب أن تكون متوقعة أيضا، في ضوء العلاقة الأكيدة بين التنمية الاقتصادية والديمقراطية والتي توصل إليها Bollen وخلص منها إلى مقولة إن ليس من السهل أن تكون ديمقراطية مقنعة ومحل ثقة في مجتمع تفشل فيه التنمية، بل إن الفشل في مواجهة مشكلات المجتمع دافع رئيسي للشباب نحو اللاانتماء للسياسات القائمة كما يرى سعد الدين إبراهيم. (٤٢)

أما من حيث اتجاهات الشباب نحو مستقبل النهج الديمقراطي في الأردن، فإن أقل قليلا من نصف العينة من الشباب يشكون بإمكانية استمرار هذا النهج مستقبلا،

وترتفع النسبة لدى المغتربين سياسيا وإلى مستوى يؤكد ارتباط هذا الاتجاه بالاغتراب السياسي.

كما لوحظ أن نسبة من لا يثقون بقدرة البرلمان على حل مشكلات الأردن، كانت أعلى كثيرا لدى المغتربين (٨٢,٤%) إذا ما قورنت بنسبة من يشكون منهم باستمرارية النهج الديمقراطي مستقبلا (٥٣,٨%) ولعل ذلك يعود إلى أن فاعلية البرلمان في حل المشكلات قد تتحكم بالدرجة الأولى للمعطيات والإمكانات المحلية، أما استمرار وجوده كمظهر ديمقراطي فمسألة قد تحكمها عوامل وظروف دولية وخارجية إلى جانب العوامل المحلية، وبين الحالتين فرق قد يبرر التفاوت في الاتجاهات السلبية للشباب نحو هاتين المسألتين.

ومهما يكن فإن الشك بإمكانية استمرار النهج الديمقراطي في الأردن مستقبلا قد يعود لتأثر الشباب بالرأي السائد في المجتمع الأردني حول التجارب البرلمانية السابقة فيه، والتي كانت تنتهي بحل البرلمان لأسباب مختلفة، أضف إلى ذلك أثر الاعتقاد الراسخ والسائد لدى الأردنيين بهيمنة السلطة التنفيذية المعتاد على البرلمان ..مما يبقيه تحت احتمال الحل عند تعارضه مع رغباتها، وبخاصة ان احتمالات مثل هذا التعارض كثيرة في مثل الظروف الحالية التي يعيشها المجتمع الأردني.

أضف إلى ذلك أيضا أن تشاؤم الشباب في نظريتهم لمستقبل هذا النهج، قد يعكس احتمال تأثرهم بما يشاع في الأردن حول تجارب هذا المجتمع مع الديمقراطية والتعددية السياسية منذ أوائل الخمسينات، والتي تصور دائما على أنها كانت مريرة، ومن شأن ذلك أن يوحي بأن التجربة الديمقراطية الجديدة قد لا تشذ عن هذه القاعدة وبالتالي فإنها ستواجه المصير نفسه الذي واجهته التجارب السابقة.

ولا أدل على وجود هذه الشكوك لدى الشباب من النتائج التي تشير إلى ارتفاع نسبة من لايثقون حتى بقابلية العمل السياسي الأردني للإصلاح مستقبلا، من أفراد العينة،

وبخاصة المغتربين سياسيا، حيث كان الارتباط واضحا بين هذا الاتجاه من جهة وبين الاغتراب السياسي من جهة أخرى.

كما بدا أن المغتربين لا يرون أن هناك إمكانية حتى تحقيق طموحاتهم الشخصية في هذا المجتمع، ويسيطر هذا الاتجاه التشاؤمي على نسبة مرتفعة من الشباب عموما لكنه أوسع انتشارا بين المغتربين سياسيا.

ولا شك أن هذه النتيجة أصبحت متوقعة في ضوء ما قيل من نتائج، فالديمقراطية التي قد لا تستمر تعني: استمرار النقص في الفرص وحرية الرأي والاختيار المتاحة للأفراد، والبرلمان الذي ربما لا يستمر أو في أحسن الحالات ربما لا يحل المشكلات يعني إمكانية استمرار المشكلات الاقتصادية المتفاقمة، والإصلاح السياسي غير المضمون أو غير الممكن واقعيا يعني استمرار اتساع الهوة ما بين الأفراد من جهة وبخاصة الشباب وبين أبنية السلطة السياسية من جهة أخرى، إذا في ضوء كل ذلك ليس من غير المتوقع أن ينظر الشباب بتشاؤم إلى مستقبلهم الشخصي، ويروا الكثير من العقبات التي تقف دون إمكانية تحقيق طموحاتهم الشخصية في ظل هذه الظروف، وهذا ما تؤكده النتيجة الأخيرة، والمدعمة لما تطرحه فرضية البحث رقم (٣).

خلاصة:

في محاولة لاستطلاع حجم مشكلة الاغتراب في المجتمع الجامعي، من جهة وعلاقة هذه المشكلة ببعض المتغيرات من جهة أخرى، أوضحت بيانات هذا البحث أن ما يزيد قليلا على ثلث الشباب عينة الدراسة يشعرون باللاقوة السياسية أو الاغتراب السياسي، وتنتشر المشكلة بين الذكور أكثر منها بين الإناث عموما.

وقد ارتبطت هذه المشكلة على مستوى العينة ككل، بسلبية سياسية إزاء معظم أشكال المشاركة السياسية التي حددناها في هذا البحث، إذ ارتبطت برفض الشباب المشاركة بالانتخابات البرلمانية، وميلهم إلى رفض فكرة الجزبية أي الالتحاق بعضوية الأحزاب السياسية، وارتبطت بانعدام الطموح في التطلع لأداء أدوار سياسية قيادية.

لكنها لم ترتبط بالاتجاه الرافض للمشاركة بالحوار والمناقشات السياسية وسيلة للمشاركة السياسية، إذ بدا هذا الاتجاه مسيطرا علي النسبة الغالبة من شباب العينة، دون فروق تذكر بين المغتربين وغير المغتربين، وتسير غالبية هذه النتائج في الاتجاه المتطابق مع ما تطرحه الفرضية رقم (١).

ومن حيث المتغير المعرفي والمعلومات، اظهر المغتربون سياسيا إلماما اقل ببعض المعلومات التي حددت في هذه الدراسة، لكنهم كانوا أكثر دراية ببعضها الآخر من غير المغتربين، فمن جهة ارتبط الاغتراب السياسي بعدم دراية الشباب بكيفية تشكيل الأحزاب السياسية مثلا، وبعدم إلمامهم بحقيقة التأثير الخارجي على السياسات والقرارات الداخلية للدول في ضوء تشابك المصالح الدولية كسمة مميزة للعصر الحديث، لكنه من جهة اخرى ارتبط إيجابيا بمعرفة الشباب بمواصفات الأنظمة السياسية الديمقراطية وإلمامهم بالصورة المثلى لما ينبغي أن يكون عليه العمل السياسي في الأردن، أما فيما يتعلق بالمؤشر الخاص بمسؤوليات سلطات الحكم الثلاث، فالغالبية العظمى من الشباب عينة البحث، يجهلون هذه المعلومة، دون أي أثر للاغتراب السياسي في هذا المجال، لكن رغم ذلك فغالبية النتائج تدعم ما تطرحه الفرضية رقم (٢).

ومن حيث بعض المشكلات والسمات النفسية التي تم استقصاؤها في هذا البحث اتفقت النتائج مع ما تطرحه الفرضية رقم (٤) فقد ارتبط الاغتراب السياسي بشعور الشباب بعدم الرضا عن منجزاتهم في المجتمع الاردني حتى الآن كما ارتبط

بمعاناتهم من الاكتئاب وبسيطرة نظرة الشك لديهم في موقفهم من الآخرين في مواقع المسؤولية، أما عن اتجاههم نحو المؤسسة البرلمانية وقدرتها على مواجهة مشكلات المجتمع فكان التشاؤم هو السائد لدى الغالبية العظمى من أفراد العينة، يتساوى في ذلك المغتربون وغير المغتربين مما يؤكد ألا أثر للاغتراب السياسي في هذا المجال.

وفيما يخص اتجاهات الشباب نحو مستقبل العمل السياسي الأردني ارتبط اغترابهم السياسي بالجنوح نحو التشاؤم عموما، فالشك بإمكانية استمرار النهج الديمقراطي في المجتمع الأردني، كان هو المسيطر على غالبيتهم خصوصا المغتربين منهم، وكذلك الشك بإمكانية الإصلاح السياسي، بل وحتى الشك في أن تتوفر لهم إمكانية تحقيق طموحاتهم الشخصية في هذا المجتمع وتتفق هذه النتائج بمجملها مع ما تطرحه فرضية البحث رقم (٣).

هذا عن نتائج البحث على مستوى العينة ككل.. وبالنظر إلى هذه النتائج في ضوء الاختلافات النوعية تظهر بعض الاختلافات لكنها تظل طفيفة فعلى مستوى الذكور كشفت نتائج البحث عن ارتباط اغتراب الذكور سياسيا، بكل المؤشرات السابقة، ما عدا المؤشر الخاص بالثقة بالبرلمان والخاص بنظرة الشباب نحو مستقبل النهج الديمقراطي في الأردن، وقد كان نوع الارتباط سلبيا مع كل هذه المؤشرات، ما عدا ثلاثة منها كان ارتباط الاغتراب السياسي بها إيجابيا وهي: معرفة الشباب بمواصفات الحكم الديمقراطي، امتلاكهم صورة مثلى لما ينبغي أن يكون عليه العمل السياسي في الأردن، والمؤشر الخاص بالاكتئاب كمشكلة نفسية يعانون منها.

أما اغتراب الإناث فقد بغالبية هذه المؤشرات أيضا، ما عدا خمسة منها هي: اتجاههن نحو المشاركة بالانتخابات البرلمانية، ونحو الحوار كوسيلة للمشاركة، والحزبية السياسية، والثقة بالبرلمان، وأخيرا الاتجاه نحو إمكانية إصلاح العمل السياسي مستقبلا في الأردن.

وقد كان نوع الارتباط بين الاغتراب السياسي وبين غالبية المؤشرات سلبيا إلا ما تعلق منها بمعرفة الإناث بكيفية تشكيل الأحزاب السياسية وغاياتها، ومعرفتهن بمواصفات الحكم الديمقراطي، وامتلاكهن صورة مثلى للعمل السياسي الأردني، وأخيرا معاناتهن من الاغتراب كمشكلة نفسية، حيث كان ارتباطه بهذه المؤشرات إيجابيا.

ومع نتائج هذا البحث ظهرت الحاجة إلى مزيد من الدراسات التي تتناول الاغتراب السياسي كمتغير تابع، في ضوء بعض المتغيرات المستقلة الأخرى المؤثرة فيه ومنها على سبيل المثال خلفية الأسرة (ريفية ــ حضرية.. الدين، التعليم الوضع الاقتصادي، الايديولوجية السياسية.. ودراسات تتجاوز هذا المدى المحدود لهذا البحث بأن تصنف المغتربين إلى فئات ليس فقط من حيث درجة اغترابهم، بل من حيث أنماط اغترابهم كما تبدو من خلال نتائج أو آثار هذا الاغتراب على سلوكهم اليومي، هل هم مجاملون، أم مواجهون، أم سلبيون انهزاميون..الخ؟ ودراسات تتناول العلاقة بين الإيديولوجيا والاغتراب السياسي فقط، فالفاعلية السياسية للشباب غالبا ما تتأثر بنوع الإيديولوجيا التي يؤمن بها ومدى اتفاقها مع الواقع السياسي ــ الاجتماعي والاقتصادي، للمجتمع الذي يعيش فيه. ودراسات تتناول ما يمكن أن نسميه بالاغتراب المكتسب، من الأسرة أو المحيط الذي يعكس اثر الجماعات المرجعية في الاغتراب السياسي للشباب إلى جانب دراسات أخرى تعالج العلاقة بين الاغتراب السياسي وأنماط الاغتراب الاجتماعي الأخرى، وأخرى تعالج دور وسائل الإعلام وتدعيم مشاعر اللاقوة السياسية لدى الشباب.

<u>**ملاحظة:**</u>

جمعت الجداول في قائمة لأغراض تنظيمية فقط أما التحليل فقد كان لكل جدول على حده.

مؤشرات المشاركة السياسية / الجنس / الاغتراب	المشاركة بالانتخابات البرلمانية					المشاركة بالحوار بالقضايا السياسية					المشاركة بالأحزاب السياسية					الوعي بالأمور السياسية الدولية				
	قبول	٪	رفض	٪	المجموع	قبول	٪	رفض	٪	المجموع	قبول	٪	رفض	٪	المجموع	قبول	٪	رفض	٪	المجموع
المغتربون بالسعودية	٥٢	(٢٧,٨)	١٣٥	(٧٢,٢)	١٨٧	٦١	(٣٢,٦)	١٢٦	(٦٧,٤)	١٨٧	٣٧	(١٩,٨)	١٥٠	(٨٠,٢)	١٨٧	٥٩	(٣١,٥)	١٢٨	(٦٨,٥)	١٨٧
غير المغتربين	٢١٤	(٨٤)	٤١	(١٦)	٢٥٥	١١١	(٤٣,٥)	١٤٤	(٥٦,٥)	٢٥٥	٩٤	(٣٦,٩)	١٦١	(٦٣,١)	٢٥٥	١٦٨	(٦٥,٨)	٨٧	(٣٤,٢)	٢٥٥
المجموع	٢٦٦	(٦٠,٢)	١٧٦	(٣٩,٨)	٤٤٢ (١)	١٧٢	(٣٨,٩)	٢٧٠	(٦١,١)	٤٤٢ (٤)	١٣١	(٢٩,٦)	٣١١	(٧٠,٤)	٤٤٢ (٧)	٢٢٧	(٥١,٣)	٢١٥	(٤٨,٧)	٤٤٢ (١٠)
المغتربات بالسعودية	٦٧	(٥٠,٣)	٦٦	(٤٩,٧)	١٣٣	٣١	(٢٣,٣)	١٠٢	(٧٦,٧)	١٣٣	١٧	(١٢,٨)	١١٦	(٨٧,٢)	١٣٣	٣١	(٢٣,٣)	١٠٢	(٧٦,٧)	١٣٣
غير المغتربات	١٣٢	(٥٠,٥)	١٢٩	(٤٩,٥)	٢٦١	٩٦	(٣٦,٨)	١٦٥	(٦٣,٢)	٢٦١	٤٨	(١٨,٤)	٢١٣	(٨١,٦)	٢٦١	١٥٠	(٥٧,٤)	١١١	(٤٢,٦)	٢٦١
المجموع	١٩٩	(٥١,٠)	١٩٥	(٤٩,٠)	٣٩٤ (٢)	١٠٠	(٢٥,٣)	٢٩٤	٧٥	(٦٦,٥) (٥)	٦٥	(١٦,٥)	٣٢٩	(٨٣,٥)	٣٩٤ (٨)	١٨١	(٤٥,٩)	٢١٣	(٥٤,١)	٣٩٤ (١١)
مغتربو العينة	١١٩	(٣٧)	٢٠١	(٦٣)	٣٢٠	٩٣	(٢٩)	٢٢٧	(٧١)	٣٢٠	٥٤	(١٦,٩)	٢٦٦	(٨٣,١)	٣٢٠	٩٠	(٢٨,١)	٢٣٠	(٧١,٩)	٣٢٠
غير المغتربين	٣٤٦	(٦٧)	١٧٠	(٣٣)	٥١٦	١٨٣	(٣٥,٤)	٣٣٣	(٦٤,٦)	٥١٦	١٤٢	(٢٧,٥)	٣٧٤	(٧٢,٥)	٥١٦	٣١٨	(٦١,٦)	١٩٨	(٣٨,٤)	٥١٦
المجموع	٤٦٥	(٥٥,٦)	٣٧١	(٤٤,٤)	٨٣٦ (٣)	٢٧٦	(٣٣)	٥٦٠	(٦٧)	٨٣٦ (٦)	١٩٦	(٢٣,٤)	٦٤٠	(٧٦,٦)	٨٣٦ (٩)	٤٠٨	(٤٨,٨)	٤٢٨	(٥١,٢)	٨٣٦ (١٢)

(١) كا٢ = ٢١,٨ دالة عند ٠,٠٠١ — (٢) كا٢ = ٠,٠٤٧ غير دالة — (٣) كا٢ = ٧٥,٢ دالة عند ٠,٠٠١

(٤) كا٢ = ٥,٩٧ دالة عند (٠,٠٢) — (٥) كا٢ = ٠,٤٢ غير دالة — (٦) كا٢ = ٢,٧٣ غير دالة

(٧) كا٢ = ١٥ دالة عند ٠,٠٠١ — (٨) كا٢ = ٢,١ غير دالة — (٩) كا٢ = ١٢,٤ دالة عند ٠,٠٠١

(١٠) كا٢ = ٥٥,٤ دالة عند ٠,٠٠١ — (١١) كا٢ = ٤١,١ دالة عند ٠,٠٠١ — (١٢) كا٢ = ٨٩,٧ دالة عند ٠,٠٠١

قائمة رقم (١) توزيع المبحوثين حسب الجنس، الاغتراب، ومؤشرات المشاركة السياسية

الجنس/ المبحوثون	المعلومات حول الأحزاب: يوجد	%	لا يوجد	%	المجموع	المعلومات حول سلطات الحكم المحلي: يوجد	%	لا يوجد	%	المجموع	معلومات حول مواصفات الأنظمة الديمقراطية: يوجد	%	لا يوجد	%	المجموع	معلومات حول الصيرورة التاريخية للفعل السياسي: يوجد	%	لا يوجد	%	المجموع
المغتربون الذكور	١٤٠	(٧٤,٨)	٤٧	(٢٥,٢)	١٨٧	٨٢	(٤٣,٨)	١٠٥	(٥٦,٢)	١٨٧	١٠٥	(٥٦,١)	٨٢	٤٣,٩	١٨٧	١٢٦	(٦٧,٣)	٦١	(٣٢,٧)	١٨٧
غير المغتربين	١٠٠	(٣٩,٢)	١٥٥	(٦٠,٨)	٢٥٥	١٤٠	(٥٥)	١١٥	(٤٥)	٢٥٥	٩٥	(٣٧,٢)	١٦٠	(٦٢,٨)	٢٥٥	٩٨	(٣٨,٤)	١٥٧	٦١,٦	٢٥٥
المجموع	٢٤٠	(٥٤,٣)	٢٠٢	(٤٥,٧)	٤٤٢ (١)	٢٢٢	(٥٠,٢)	٢٢٠	٤٩,٨	٤٤٢ (٤)	٢٠٠	(٤٥,٢)	٢٤٢	(٥٤,٨)	٤٤٢ (٧)	٢٢٤	(٥٠,٧)	٢١٨	(٤٩,٣)	٤٤٢ (١٠)
المغتربات الإناث	١٠٠	(٧٥,١)	٣٣	(٢٤,٩)	١٣٣	٥٨	(٤٣,٦)	٧٥	(٥٦,٤)	١٣٣	٥٨	(٤٣,٦)	٧٥	(٥٦,٤)	١٣٣	٨٨	(٦٦,١)	٤٥	(٣٣,٩)	١٣٣
غير المغتربات	٢٢٠	(٨٤,٣)	٤١	(١٥,٧)	٢٦١	٧٥	(٢٨,٧)	١٨٦	(٧١,٣)	٢٦١	٦١	(٢٣,٤)	٢٠٠	(٧٦,٦)	٢٦١	٧٢	٢٧,٥	١٨٩	(٧٢,٥)	٢٦١
المجموع	٣٢٠	(٨١,٢)	٧٤	(٢٠,٦)	٣٩٤ (٢)	١٣٣	(٣٣,٧)	٢٦١	(٦٦,٣)	٣٩٤ (٥)	١١٩	(٣٠,٢) (٨)	٢٧٥	(٦٩,٨)	٣٩٤	١٦٠	(٤٠,٦)	٢٣٤	(٥٩,٤)	٣٩٤ (١١)
المغتربون العينة	٢٤٠	(٧٥)	٤٧	(٢٥,٣)	٣٢٠	١٤٠	(٤٣,٧)	١٨٠	(٥٦,٣)	٣٢٠	١٦٣	(٥١)	١٥٧	(٤٩)	٣٢٠	٢١٤	(٦٦,٩)	١٠٦	(٣٣,١)	٣٢٠
غير المغتربين	٢٢٠	(٦٢)	٣٣	(٢٤,٩)	٥١٦	٢١٥	(٤١,٦)	٣٠١	(٥٨,٤)	٥١٦	١٥٦	(٣٠,٢)	٣٦٠	(٦٩,٨)	٥١٦	١٧٠	(٣٣)	(٣٤٦)	(٦٧)	٥١٦
المجموع	٥٩٠	(٦٧)	٨٠	(٢٥)	٨٣٦ (٣)	٣٥٥	(٤٢,٥)	٤٨١	(٥٧,٥)	٨٣٦ (٦)	٣١٩	(٣٨,١)	٥١٧	(٦١,٩)	٨٣٦ (٩)	٣٨٤	(٤٥,٩)	٤٥٢	(٥٤,١)	٨٣٦ (١٢)

(١) كا٢ = ٥٥,٣٣ قيمة دالة عند ٠,٠٠١ (٤) كا٢ = ٥,٩٧ قيمة دالة عند ٠,٠١ (٧) كا٢ = ١٥,٤٩ قيمة دالة عند ٠,٠٠١ (١٠) كا٢ = ٢٦,١ قيمة دالة عند ٠,٠٠١

(٢) كا٢ = ٤,٨٣ قيمة دالة عند ٠,٠٥ (٥) كا٢ = ٥٠,٦١ قيمة دالة عند ٠,٠٠١ (٨) كا٢ = ١٧,١٥ قيمة دالة عند ٠,٠٠١ (١١) كا٢ = ٥٢,١٥ قيمة دالة عند ٠,٠٠١

(٣) كا٢ = ١١,٨٩ قيمة دالة عند ٠,٠٠١ (٦) كا٢ = ٠,٢٣ قيمة غير دالة (٩) كا٢ = ١٠٩,٥ قيمة دالة عند ٠,٠٠١ (١٢) كا٢ = ٩١,٤ قيمة دالة عند ٠,٠٠١

القائمة (٢) توزيع المبحوثين حسب الجنس، الاغتراب، وبعض المؤشرات

الجنس/الاغتراب	صلة السياسات الوطنية بالسياسات الدولية من وجهة نظر الشباب					الشعور بالرضى عن الانجاز				
	ترى صلة	%	لا ترى صلة	%	المجموع	راضون	%	غير راضين	%	المجموع
الذكور										
متغربون	٧٠	(٣٧,٥)	١١٧	(٦٢,٥)	١٨٧	٣٢	(١٧,١)	١٥٤	(٨٢,٤)	١٨٧
غير متغربين	١٧٩	(٧٠,٢)	٧٦	(٢٩,٨)	٢٥٥	٨٢	(٣٢,١)	١٧٣	(٦٧,٩)	٢٥٥
المجموع	٢٤٩	(٥٦,٣)	١٩٣	(٤٣,٧)	٤٤٢ (١)	١١٥	(٢٦)	٣٢٧	(٧٤)	٤٤٢ (٤)
الإناث										
متغربات	٤٨	(٣٦)	٨٥	(٦٤)	١٣٣	٤٠	(٣٠)	٩٣	(٧٠)	١٣٣
غير متغربات	١٤١	(٥٤,٠)	١٢٠	(٤٥,٩)	٢٦١	١٠٣	(٣٩,٤)	١٥٨	(٦٠,٦)	٢٦١
المجموع	١٨٩	(٤٨)	٢٠٥	(٥٢)	٣٩٤ (٢)	١٤٣	(٣٦,٣)	٢٥١	(٦٣,٧)	٣٩٤ (٥)
الكلية										
متغربون	١١٨	(٣٦,٩)	٢٠٢	(٦٣,١)	٣٢٠	٧٣	(٢٢,٨)	٢٤٧	(٧٧,٢)	٣٢٠
غير متغربين	٣٢٠	(٦٢)	١٩٦	(٣٨)	٥١٦	١٨٥	(٣٥,٨)	٣٣١	(٦٤,٢)	٥١٦
المجموع	٤٣٨	(٥٢,٤)	٣٩٨	(٤٧,٦)	٨٣٦ (٣)	٢٥٨	(٣٠,٩)	٥٧٨	(٦٩,١)	٨٣٦ (٦)

الجنس/الاغتراب	الشعور بالاكتئاب					الاتجاه نحو الآخرين				
	مكتئب	%	غير مكتئب	%	المجموع	يثق بالآخرين	%	لا يثق	%	المجموع
الذكور										
متغربون	١٠٩	(٥٨,٣)	٧٨	(٤١,٧)	١٨٧	٢٥	(١٣,٤)	١٦٢	(٨٦,٦)	١٨٧
غير متغربين	٧٩	(٣٠,٩)	١٧٦	(٦٩,١)	٢٥٥	١٦٠	(٦٢,٧)	٩٥	(٣٧,٣)	٢٥٥
المجموع	١٨٨	(٤٢,٥)	٢٥٤	(٥٧,٥)	٤٤٢ (٧)	١٨٥	(٤١,٨)	٢٥٧	(٥٨,٢)	٤٤٢ (١٠)
الإناث										
متغربات	٦٨	(٥١)	٦٥	(٤٩)	١٣٣	٤٨	(٣٦)	٨٥	(٦٤)	١٣٣
غير متغربات	٥٥	(٢١,١)	٢٠٦	(٧٨,٩)	٢٦١	١٨٠	(٦٨,٩)	٨١	(٣١,١)	٢٦١
المجموع	١٢٣	(٣١,٢)	٢٧١	(٦٨,٨)	٣٩٤ (٨)	٢٢٨	(٥٧,٨)	١٦٦	(٤٢,٢)	٣٩٤ (١١)
الكلية										
متغربون	١٧٧	(٥٥,٣)	١٤٣	(٤٤,٧)	٣٢٠	٧٣	(٢٢,٨)	٢٤٧	(٧٧,٢)	٣٢٠
غير متغربين	١٣٤	(٢٥,٩)	٣٨٢	(٧٤,١)	٥١٦	٣٤٠	(٦٥,٩)	١٧٦	(٣٤,١)	٥١٦
المجموع	٣١١	(٣٧,٢)	٥٢٥	(٦٢,٨)	٨٣٦ (٩)	٤١٣	(٤٩,٤)	٤٢٣	(٥٠,٦)	٨٣٦ (١٢)

(١) كا٢ = ٤٧,٩ معنوية عند ٠,٠٠١
(٢) كا٢ = ١٠,٧ معنوية عند (٠,٠١)
(٣) كا٢ = ٤٩,٩ معنوية عند ٠,٠٠١
(٤) كا٢ = ١١,٧٦ معنوية عند (٠,٠١)
(٥) كا٢ = ٧,٤ معنوية عند (٠,٠٥)
(٦) كا٢ = ١٥,٦ معنوية (٠,٠٠١)
(٧) كا٢ = ٨٧,٦ معنوية عند ٠,٠٠١
(٨) كا٢ = ٣٦,٩ معنوية عند (٠,٠٠١)
(٩) كا٢ = ٢٠,٧ معنوية عند ٠,٠٠١
(١٠) كا٢ = ١٠٧,٨ معنوية عند ٠,٠٠١
(١١) كا٢ = ٢٨,٤ معنوية عند (٠,٠٠١)
(١٢) كا٢ = ٤٥,٧ معنوية عند ٠,٠٠١

تابع للقائمة رقم (٢) قائمة رقم (٣) توزيع المبحوثين حسب الجنس، الاغتراب، وبعض المشكلات والخصائص الشخصية

قائمة رقم (٤) توزيع المبحوثين حسب الجنس، الاغتراب، وبعض الخصائص الشخصية

الجنس/ والاغتراب	مدى الثقة بالرفاق					مستقبل الديمقراطية في الأردن بالرغم					إمكانية الإصلاح السياسي مستقبلاً					إمكانية تكيف الطموحات مستقبلاً				
	يثق	%	لا يثق	%	المجموع	متفائل	%	متشائم	%	المجموع	متفائل	%	متشائم	%	المجموع	متفائل	%	متشائم	%	المجموع
الذكـــور المغتربون	٣١	(١٦.٥)	١٥٦	(٨٣.٥)	١٨٧	٧٤	(٣٩.٦)	١١٣	(٦٠.٤)	١٨٧	٧٦	(٤٠.٦)	١١١	(٥٩.٤)	١٨٧	٦٧	(٣٦)	١٢٠	(٦٤)	١٨٧
غير المغتربين	٤٥	(١٧.٦)	٢١٠	(٨٢.٤)	٢٥٥	١١٦	(٤٥.٥)	١٣٩	(٥٤.٥)	٢٥٥	١٣٨	(٥٤.١)	١١٧	٤٥.٩	٢٥٥	١٥٢	(٥٩.٧)	١٠٣	(٤٠.٣)	٢٥٥
المجموع	٧٦	(١٧.٢)	٣٦٦	(٨٢.٨)	٤٤٢ (١)	١٩٠	(٤٣)	٢٥٢	(٥٧)	٤٤٢ (٤)	٢١٤	(٤٨.٤)	٢٢٨	(٥١.٦)	٤٤٢ (٧)	٢١٩	(٤٩.٥)	٢٢٣	(٥٠.٤)	٤٤٢ (١٠)
الإنـــاث المغتربات	٤٠	(٣٠)	٩٣	(٧٠)	١٣٣	٧٦	(٥٧.٢)	٥٧	(٤٢.٨)	١٣٣	٧٤	(٥٥.٦)	٥٩	(٤٤.٤)	١٣٣	٥٦	(٤٢.٢)	٧٧	(٥٧.٨)	١٣٣
غير المغتربات	٦٣	(٢٤.١)	١٩٨	(٧٥.٩)	٢٦١	١٨٥	(٧٠.٩)	٧٦	(٢٩.١)	٢٦١	١٦٦	(٦٣.٦)	٩٥	(٣٦.٤)	٢٦١	٢٠٤	(٧٨.٢)	٥٧	(٢١.٨)	٢٦١
المجموع	١٠٣	(٢٦.١)	٢٩١	(٧٣.٩)	٣٩٤ (٢)	٢٦١	(٦٦.٢)	١٣٣	(٣٣.٨)	٣٩٤ (٥)	٢٤٠	(٦٠.٩)	١٥٤	(٣٩.١)	٣٩٤ (٨)	٢٦٠	(٤٨.٧)	١٣٤	(٥١.٣)	٣٩٤ (١١)
الجملـة المغتربون	٧١	(٢٢.١)	٢٤٩	(٧٧.٩)	٣٢٠	١٥٠	(٤٦.٩)	١٧٠	(٥٣.١)	٣٢٠	١٥٠	(٤٦.٨)	١٧٠	(٥٣.٢)	٣٢٠	١٢٣	(٣٨.٥)	١٩٧	(٦١.٥)	٣٢٠
غير المغتربين	١٠٨	(٢٠.٩)	٤٠٨	(٧٩.١)	٥١٦	٣٠١	(٥٨.٤)	٢١٥	(٤١.٦)	٥١٦	٣٠٤	(٥٨.٩)	٢١٢	(٤١.١)	٥١٦	٣٥٦	(٦٩)	١٦٠	(٣١)	(٥١٦)
المجموع	١٧٩	(٢١.٤)	٦٥٧	(٧٨.٦)	٨٣٦ (٣)	٤٥١	(٥٤)	٣٨٥	(٤٦)	٨٣٦ (٦)	٤٥٤	(٥٤.٣)	٣٨٢	(٤٥.٧)	٨٣٦ (٩)	٤٧٩	(٥٧.٣)	٣٥٧	(٤٢.٧)	٨٣٦ (١٢)

(١) كا٢ = ٠.٠٠٠٤ معنوية لا يوجد دلالة.
(٢) كا٢ = ١.٩ معنوية لا يوجد دلالة.
(٣) كا٢ = ٠.١٧ معنوية لا يوجد دلالة.
(٤) كا٢ = ١.٥٢ معنوية لا يوجد دلالة.
(٥) كا٢ = ٧.٣٣ معنوية. دالة عند ٠.٠٥
(٦) كا٢ = ١٠.٤ معنوية دالة عند ٠.٠١
(٧) كا٢ = ٧.٨ معنوية دالة عند ٠.٠٠١
(٨) كا٢ = ٥٥.٨ معنوية دالةعند ٠.٠٠٠١
(٩) كا٢ = ١٣.٤ معنوية دالة عند ٠.٠٠١
(١٠) كا٢ = ٢٤.٢ معنوية دالة عند ٠.٠٠١
(١١) كا٢ = ٥٥.٨ معنوية دالة عند ٠.٠٠١
(١٢) كا٢ = ٧٥.١ معنوية دالة عند ٠.٠٠١

المتغيرات التابعة	العينة ككل: الارتباط	مستوى الدلالة	نوع الارتباط	ذكور: الارتباط	مستوى الدلالة	نوع الارتباط	اناث: الارتباط	مستوى الدلالة	نوع الارتباط
المشاركة بالانتخابات البرلمانية	●	,٠٠١	-	●	,٠٠١	+	٠	٠	٠
المشاركة بالحوار السياسي	٠	٠	٠	●	,٠٢	-	٠	٠	٠
المشاركة بعضوية الأحزاب	●	,٠٠١	—	●	,٠٠١	—	٠	٠	٠
الطموح للقيادة السياسية	●	,٠٠١	—	●	,٠٠١	-	●	,٠٠١	-
الالمام بكيفية تشكيل الأحزاب	●	٠,٠٠١	—	●	,٠٠١	—	●	,٠٥	+
الالمام بمسؤوليات سلطات الحكم	٠	—	:	●	,٠٥	—	●		—
الالمام بمواصفات الحكم الديمقراطي	●	,٠٠١	+	●	,٠٠١	+	●	,٠٠١	+
امتلاك صورة مثلى للعمل السياسي	●	,٠٠١	+	●	,٠٠١	+	●	,٠٠١	+
الالمام بحدود استقلالية القرار	●	,٠٠١	—	●	,٠٠١	—	●	,٠١	—
الشعور بالرضى عن المنجزات	●	٠,٠٠١	—	●	,٠٠١	—	●	,٠٥	—
المماثلة من الاقطاب	●	,٠٠١	+	●	٠,٠٠١	+	●	,٠٠١	+
الثقة بالآخرين	●	,٠٠١	—	●	,٠٠١	—	●	,٠٠١	—
الثقة بفعالية البرلمان	٠		٠	٠	٠	٠	٠	٠	
وجهة النظر بمستقبل الديمقراطية	●	,٠٠١	—	٠	٠	٠	●	,٠١	—
امكانية اصلاح العمل السياسي	●	,٠٠١	—	●	,٠١	—	٠	٠	—
امكانية الطموحات الشخصية	●	,٠٠١	—	●	,٠٠١	—	●	,٠٠١	—

(●) يوجد ارتباط

(٠) لا يوجد ارتباط.

- ارتباط سالب.

+ ارتباط موجب

قائمة رقم (٥)

الحواشي

١. انظر: Philip H. pollock, Organisation and alienation. The mediation hpothesis revisted. The Sociology quartterly vo. 23 (Spring) 1982.

٢. يسمى الاغتراب الاجتماعي اغترابا خاصا، إذا تعلق باغتراب الفرد عن نظام اجتماعي معين داخل المجتمع. حول ذلك انظر: قيس النووي، "الاغتراب" اصطلاحا، مفهوما وواقعا، مجلة الفكر العربي عدد (إبريل، مايو، يونيو) ١٩٧٩. ص ص ١٣-٣٩. وأيضا

Schacht, R. Alienation. N. y. Doubleday, 1971, p. 245
Goodman, n. & Marx, T. Sociology today (4thed) Random house, N.y. 1982. P.302-303.
Barakat, H. Alienation: British journal of Sociology 20, 1969. 1-10.
Conger, J. & Peterson, A. Adolesence youth (3ede) N.y. 1989. P.604.

٣. إن الدراسات التي اعتمد عليها هذا البحث أمثلة على تلك البحوث والدراسات.

٤. Mary Haneman Lys. Social alination. A review of current literature. The Sosoiological quarterly 31(winter),1972, 20-113.

٥. يتضح هذا التناقض من استعراضنا لأهم الدراسات والبحوث التي عالجت الاغتراب السياسي .

٦. يتفهم الباحث الأسباب الكامنة وراء عدم التوسع في دراسة هذه المشكلة في المجتمعات العربية،لأنه يتحسس هذه الأسباب عند كل دراسة يجريها حول هذا الموضوع.

٧. الجمهورية السياسية. تعني: السياسة القائمة على كبح وتجميد كل مبادرة تجديدية ورفض للتجديد والقدم. حول هذا المصطلح انظر: عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسية، الجزء الثاني، الطبعة الأولى. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص٩٤ .

٨. توقفت الحياة البرلمانية في الأردن في أعقاب حرب ١٩٦٧ بين العرب وإسرائيل وما نتج عنها من احتلال للضفة الغربية للأردن.

٩. انظر Seeman,M. Alienation, Membership and politikal Knoledge. A comperative study, public opinion quarterly 30-(Feb.) 353-367.

١٠. انظر. Philip H. polocok. Ibid, p.145

١١. حول مفهوم المشاركة انظر: Mclosky Herbert in international encyclopedia of Social Sciences. Vol. 12, p.253.

12. Bonnie, B. Alienation in ghetto. American journal of Sociology, Vol. 72, July 1966-May 1976.

13. Levin, M. & Eden, M. Political strategy for the alenated voters. Public opinion quaterly 25 (Spring).

14. Burnham, W. The changing shape of the american political unerse. "American political sience review", 59 (March) 1965, 7-28.

15. Rose, A. "Alienation and participation: A comparson of group Leaders and the mass. American Sociological review, 27 (December) 1962: P. 834-838.

16. Eckhardt, K. & Hendershot, G. Transformation of alienation in to public opinion. Sociological quarterly, vol.8, No. 1, 1976 (459-467).

17. Mcdill, E. &. Ridly, G. Status, anomia, political alienation and political participation. American journal of Sociology. 68 (September): 1962: 205-210.

18. Schneider, L. The Sociological way. Macgraw-Hill, N.y, 1975.

19. Barakat, H. Ibid.

٢٠. انظر:نبيل اسكندر. الاغتراب، دراسة الإنسان المعاصر. دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٨.

21. Tmepleton, F. Alienation and political participation some research findings: puplic opinion quarlerly 30 (Summer) 1981: 249-261.

Horton, J. Powrelessness and political negativism A study of أيضاً defected local referendums. American journal of sciology. 67 (March) 485-493.

22 Taki, yoshimitsu. Porter E, B. Students of the uneversity of malaya, an examination of some theoritical and cenceptual issues. Involving race, ethnicity and political alienation. Sociologcal viewpoint, 4,1, Spring 1988, 46-26.

23. Mcdill & Riddley, Ibid.

24. Lowry, R. The functional of alienation in leadership and social reserch 46 (July) 1962. 426-435.

وأيضاً انظر Eckhardt, K. , Ibid.

25. Mcleod, J. & Tancill, K. Alienation and uses of the mass media. Public opinion quarterly, 29 (Winter) 1965: 583-594.

Holian, J. R. Alienation and social awareness among colleg students: the sociological quarlerly 13 (Winter) 1972: 114-125.

Seeman, M. & Evans, J. Alienation and learning in a hospital setting. A.S.R. (December) 1962: 772-782.

٢٦. حول دراسة Tavisr Mary, H. Ibid.

٢٧. انظر Holian, J. Ibid.

٢٨. انظر Schneider, L. Ibid.

29. Edward Ransford, Isolation, powerlessnss, and violence.

A study of attitudes and participation in the Watt Riot. A.J.S vol. 73. 1967-1968. 581-591 وأيضاً Michael, A, & Hage, J. Orgnizational alienation.

a Comparative analysis. A.S.R. vol. 31 No.1, 1960.

30. Herrigo, Cedric O. Monitoring the monitors. The study of racially-based changes in political alienation, American sociological associations 1988. (Association paper).

31. حول بحث Zighler انظر دراسة Mary, H. Ibid.

وأيضا حليم بركات. اغتراب المثقفين العرب مجلة المستقبل العربي١، العدد٢، ١٠٦-١١٢.
وأيضا: ادريس عزام. بعض التغيرات المصاحبة لاغتراب الشباب عن المجتمع الجامعي. مجلة العلوم الاجتماعية، ٦٩، ربيع ١٩٨٩ ص٦٩-٩٤.

٣٢. من خصائص نظام الساعات المعتمد المطبق في الجامعات الأردنية، أن القائمة الواحدة قد تضم في الساعة نفسها طلبة من مختلف الكليات والمستويات الدراسية. ونجاحه في المساقات المسماة بمتطلبات الجامعة. وهذه ميزة كان باستطاعتنا على أساسها أن نختار عينة الدراسة من قاعة أو قاعتين فقط، لكن على مدى عدد أكبر من الأيام، لكننا فضلنا هذا العدد الكبير للقاعات الموزعة على غالبية كليات الجامعة، لضمان مستوى أفضل من التمثيل للعينة. على الرغم من أن متغير الكلية أو التخصص وغيرهما متغيرات لا تعنينا في هذا البحث.

٣٣. كانت طريقة اختيار العينة نصف العشوائية Quasi-Random لأننا اعتمدنا على كشوف أسماء الطلبة وبدأنا بالرقم الأول عشوائيا، لكننا التزمنا بعد ذلك بالرقم بعد الذي يليه وهكذا.. نأخذ الرقم ونترك الذي يليه فقط. بمعنى أن العينة من القاعة الواحدة شملت ٥٠% تقريبا من مجموع الطلبة فيها ولتشكل بمجموعها (٥٠%) تقريبا من مجموع طلبة الجامعة، حول هذا النوع من العينات انظر. د. حسن حسين. مجموع محاضرات برنامج التدريب على جمع البيانات الاحصائية للجنة المركزية للاحصاء. القاهرة ١٩٥٨م صص١١٣-١١٤.

34. Eckhardt, K. and Hendershot. 6. Ibid. انظر

35. Arther 6. Neal and Salmon Rettic. انظر
On the multdim ensionality of alination. A.S.R. Vol 32. Na 1-1976.

36. Edward, R. Ibid.

٣٧. كان نص الفقرة كالتالي: لو فرضنا أن إجابات الشاب على العناصر الأربعة السابقة، تصنفه ضمن واحدة من الفئات الثلاثة التالية: فإلى أي من هذه الفئات تشعر أنك أقرب

١ ـ فئة المغتربين بالكامل (وهم أولئك الذين يشعرون وكأنهم ليسوا من هذا المجتمع، فلا تأثير لهم على سياسات هذا البلد، أو القرارات التي يتخذها المسؤولون فيه).

٢ ـ فئة المغتربين جزئيا (وهم أولئك الذين يشعرون بمثل هذا الشعور السابق، ولكن أحيانا فقط وليس دائما).

٣ ـ فئة غير المغتربين "وهم أولئك الذين يشعرون بأن لهم وزنهم وتأثيرهم على سياسات البلد ويستطيعون ذلك بحكم الفرص المتاحة لهم".

٣٨. كتب للطالب التوضيح التالي في هامش الاستمارة: "قد تبدو العبارة الواحدة وكأنها تتضمن في صياغتها أمرين أو أكثر، وهذا مقصود بذاته، فيرجى في حالة عدم موافقتك على أي جزء من العبارة أن تختار العبارة الأخرى المناقضة لها".

39. Schnieder. L. Ibid. انظر

٤٠. مثل مهمة تأسيس الأسرة وتحصيل مقومات حياتها الاقتصادية ومكانتها الاجتماعية والمحافظة على هذه المكانة، وكلها من مهمات الذكر بالدرجة الأولى، وكل هذا يحتاج لفرص العمل والترقي بما يتناسب ومواهب الفرد وجهوده لكي يستطيع أن يقوم بتلك الأعباء والمسؤوليات فإن حالت دون ذلك عقبات فقد تدفعه نحو الاغتراب.

41. Bollen, Kenneth. A. and Jaokman R. Economic and economic determinants of political democracy in the 1960S. Research in Political Sociology. 1988. 1 –27. 48.

٤٢. سعد الدين ابراهيم. تجسيد الفجوة بن المفكرين وصانعي القرار في الوطن العربي. منشورات منتدى الفكر العربي. عمان ١٩٨٦م.

* تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق ٢٢/١١/١٩٩٠

أثر استخدام التعلم التعاوني في تدريس العلوم على تحصيل تلاميذ الصف الرابع الابتدائي

د. محمد سعيد صباريني
أستاذ مشارك التربية العلمية والبيئية
قسم التربية ـ جامعة اليرموك

د. أمل عبد الله خصاونة
أستاذ مساعد أساليب تدريس الرياضيات
قسم التربية ـ جامعة اليرموك

ملخص

هدفت هذه الدراسة إلى استقصاء أثر طريقة التعلم التعاوني، التي تتمثل بتشكيل مجموعات تعاونية من التلاميذ تضم مستويات تحصيلية مختلفة يتفاعل أفرادها فيما بينهم، في تحصيل تلاميذ الصف الرابع الابتدائي في العلوم، مقارنة بأثر الطريقة التقليدية التي تعتمد على العرض والشرح من قبل المعلم لتلاميذ الصف بأكمله.

شملت الدراسة (٥٦) تلميذاً من تلاميذ الصف الرابع الابتدائي الذكور في مدينة إربد في الفصل الأول من العام الدراسي ١٩٨٩ / ١٩٩٠ موزعين في شعبتين، اختيرت واحدة منها عشوائياً مجموعة تجريبية وعدد أفرادها (٢٨) تلميذاً، في حين شكل تلاميذ الشعبة الأخرى (٢٨) تلميذاً مجموعة ضابطة. وقام معلم متعاون متخصص في العلوم بتدريس الشعبتين بمتابعة الباحثين وإشرافهم. وقيس التحصيل باختبار تحصيلي طور خصيصاً لهذه الدراسة.

أظهرت نتائج الدراسة وجود فرق دال إحصائياً (α=٠,٠٥) في التحصيل بالعلوم لصالح المجموعة التجريبية التي استخدم أفرادها طريقة التعلم التعاوني. واتفقت نتائج الدراسة بذلك، مع العديد من الدراسات التي أجريت خارج الوطن العربي التي أشارت إلى قوة تأثير طريقة التعلم التعاوني في التعليم الفعال بسبب آلية التعلم من الأقران في المجموعات المتنوعة التحصيل.

وخلصت الدراسة إلى التوصية باستخدام طريقة التعلم التعاوني في تدريس العلوم وإجراء المزيد من الدراسات لاكتشاف أثر التعلم التعاوني في مجال مهارات العمل المخبري.

خلفية الدراسة:

تكاد الدراسات تجمع على مدى فعالية استراتيجية التعلم التعاوني في التعلم مقارنة بالاستراتيجيات التقليدية أي استراتيجيات التعلم والتعليم الجماعي، سواء التي تتبع منهجاً تنافسياً يقوم على محاولة كل تلميذ تقديم أفضل أداء مقارنة بأداء تلاميذ الصف كافة، أو التي تتبع منهج الفردية أي التعلم المستقل بغض النظر عن التلاميذ الآخرين(١).

فقد أظهرت نتائج العديد من الدراسات التي تم استعراضها وتحليلها أثرا للتعلم التعاوني في زيادة التحصيل(٢)(٣) وتنمية الاتجاهات(٤) واكتساب المهارات في مختلف مراحل التعليم والموضوعات الدراسية ومستويات تحصيل التلاميذ (مرتفع، متوسط، منخفض)(٥). كما بينت تلك الدراسات أن التعلم التعاوني ينمي روح المودة والتعاون والثقة بين الأفراد والانتماء إلى المجموعة والبيئة التعليمية ككل، وذلك لأن الأقران في المجموعات التعاونية يحرصون على التعلم كمجموعة ويهمهم نجاح زملائهم مثلما يهمهم نجاحهم. كما يجد التلاميذ خلال التعلم التعاوني أن لديهم ما يعطونه للمجموعة وأن آراءهم وأفكارهم مفيدة للآخرين، وهذا بحد ذاته يعزز الثقة بالنفس ويحسن مفهوم الذات(٦).

تعود فكرة استخدام التعلم التعاوني في التدريس إلى عام ١٩٤٩ عندما نادى بها دويتش (Deutsch)(٧) أسلوبا بديلاً للتعلم التنافسي التقليدي الذي يتضمن الشرح والعرض من قبل المعلم لتلاميذ الصف جميعا. والتعلم التعاوني الذي يتنامى الاهتمام به منذ أكثر من عقدين ليس تعلما للتعاون بل تعاون للتعلم، حيث يناقش التلاميذ في المجموعات التعاونية بعضهم بعضا، ويقارنون تصوراتهم ويتبادلون الحلول فيما بينهم مما يؤدي إلى تنمية مهارات القيادة والعمل الجماعي(٨). وهناك مزايا أخرى لاستخدام التعلم التعاوني في التدريس تتمثل بالانتفاع الاقتصادي للإمكانيات من مواد وأدوات

وأجهزة مخبرية[٩] وحاسوب تعليمي[١٠]، حيث يتفاعل عدد كبيرة من التلاميذ مع المواد التعليمية القليلة من خلال المجموعات الصغيرة، والتغلب على مشكلة الأعداد الكبيرة في الصف الواحد[١١]، وتخفيف مسؤولية المعلم في إدارة الصف حيث يقوم الطلبة في التفاعل بعضهم مع بعضٍ ومع المواد التعليمية المتاحة[١٢]. كما أن التعلم التعاوني يساعد المعلم على التفاعل مع عدد أكبر من الطلبة ويتيح له تشخيص صعوبات التعلم لديهم[١٣].

هناك أنماط متنوعة للتعلم التعاوني تشترك جميعها في توزيع التلاميذ إلى مجموعات صغيرة، تضم مستويات تحصيلية مختلفة (مرتفع ـ متوسط ـ منخفض)، وتدعو إلى التفاعل بين الطلبة حيث تشكل المجموعات التعاونية وحدات التعلم بدلاً من الصف بأكمله أو تلميذ بمفرده[١٤]. وأظهر العديد من الدراسات فعالية مختلف أنماط التعلم التعاوني في تحسين التعلم بالمجالين المعرفي والانفعالي في الموضوعات المدرسية المختلفة بما في ذلك العلوم[١٥][١٦][١٧]. فانغماس تلاميذ المرحلة الابتدائية في التعلم التعاوني يزيد تحصيلهم عند مختلف المستويات في المجال المعرفي سواء الدنيا (تذكر، فهم، تطبيق) أو العليا (تحليل، تركيب، تقويم)[١٨].

هذا وبالرغم من تنامي الاهتمام بالتعلم التعاوني في مختلف الموضوعات الدراسية، إلا أن الأخذ به تدريس العلوم لا يزال قليلاً نسبياً وبخاصة في المرحلة الابتدائية(١٩). كما أن التعامل الواسع باستراتيجية التعلم التعاوني خارج الوطن العربي لم ينعكس، كما يبدو، على اهتمام الباحثين والمربين العرب. فلم يعثر الباحثان إلا على دراستين أجريتا في الأردن، تناولت الأولى «أثر التعلم التعاوني في اتجاهات طالبات المرحلة الثانوية نحو العمل المخبري في الكيمياء»[٢٠] .أما الدراسة الأخرى فأطروحة ماجستير غير منشورة استكشفت أثراً إيجابياً للتعلم التعاوني في تحصيل طلبة المرحلة الثانوية في مادة الأحياء، مقارنة بطريقة الشرح التقليدية التي يأخذ المعلم فيها الدور الأساسي في شرح المفاهيم وتوضيحها لتلاميذ الصف جميعاً[٢١].

مشكلة الدراسة وأهميتها:

تتيح الخلفية البحثية لاستراتيجية التعلم التعاوني مجالاً خصباً للبحث في هذه الاستراتيجية في مختلف جوانب عملية التعليم والتعلم. فهناك حاجة إلى إثارة الاهتمام بين الباحثين المحليين والعرب بهذه الاستراتيجية وبخاصة في المرحلة الابتدائية حيث لا يزال البحث التربوي في هذه المرحلة لا يلقى، على المستوى المحلي، الاهتمام الذي تلقاه المراحل التعليمية الأعلى[٢٢]. كما أن حملة التطوير التربوي التي تجري حالياً في الأردن تدعو إلى تبني استراتيجيات تعلمية تعليمية تعطي دوراً نشطاً وفاعلاً للمتعلم، بينما يخصص للمعلم دور المهيء لبيئة التعلم والتعليم المناسبة[٢٣]. ومن هنا تأتي هذه الدراسة لاستقصاء أثر استخدام التعلم التعاوني في تدريس العلوم لتلاميذ الصف الرابع الابتدائي.

وبالتحديد فإن هذه الدراسة سعت للإجابة عن السؤال التالي: «هل هناك أثر لاستخدام استراتيجية التعلم التعاوني في تحصيل تلاميذ الصف الرابع الابتدائي في العلوم»؟.

محددات الدراسة:

اقتصرت عينة الدراسة على تلاميذ الصف الرابع الابتدائي الذكور في مدينة إربد. وعلى بعض المفاهيم في العلوم. كما اقتصرت أداة قياسها على مستويات بلوم الثلاثة وهي: المعرفة والاستيعاب والتطبيق. كما أن اختيار المدرسة لإجراء التجربة كان قصدياً، لذا يقتصر تعميم نتائج الدراسة على أفراد مجتمعها الإحصائي المماثل لعينتها.

مجتمع الدراسة وعينتها:

تكون مجتمع الدراسة من تلاميذ الصف الرابع الابتدائي الذكور الملتحقين في المدارس الابتدائية الحكومية للبنين في مدينة إربد والتابعة لمديرية التربية والتعليم لمحافظة إربد للفصل الأول من العام الدراسي ٨٩ / ١٩٩٠.

وتكونت عينة الدراسة من (٥٦) تلميذاً من الصف الرابع الابتدائي موزعين في شعبتين (أ-ب) في إحدى المدارس الابتدائية الحكومية للبنين في مدينة إربد وذلك في الفصل الأول من العام الدراسي ٨٩ / ١٩٩٠. وقد اختيرت هذه المدرسة لاستعداد معلم العلوم الذي يدرس الشعبتين للتعاون في تنفيذ إجراءات الدراسة مما يوفر ضبط أثر المعلم وسلامة الإجراءات. كما وافقت إدارة المدرسة ومعلم العلوم المتعاون على احتساب العلامات التي يحصل عليها التلاميذ في الاختبار المستخدم في الدراسة جزءاً من العلامة النهائية للفصل الأول.

إجراءات الدراسة:

عينت عشوائياً إحدى الشعبتين وعدد تلاميذها (٢٨) تلميذاً مجموعة تجريبية تدرس بطريقة التعلم التعاوني، واعتبرت الشعبة الأخرى وعدد تلاميذها(٢٨) تلميذاً أيضاً ضابطة تدرس بالطريقة التقليدية التي يتولى المعلم فيها شرح المادة التعليمية وعرضها لتلاميذ الصف بأكملهم. وتم التأكد من تكافؤ المجموعتين من حيث التحصيل في العلوم قبل البدء بإجراء التجربة من خلال المتوسطات الحسابية لعلامات التلاميذ في الربع الأولى من الفصل الأول للعام الدراسي ٨٩ / ١٩٩٠ والتي تشمل علامة الشهرين إضافة إلى العلامات اليومية وذلك باستخدام الإحصائي (ت) للبيانات غير المرتبطة. وبلغت قيمة (ت) المحسوبة ٠,٦٥ في حين بلغت قيمة (ت) الحرجة (٢,٠١) عند

مستوى (α=٠,٠٥). وهذا يعني عدم وجود فروق جوهرية بين متوسطات علامات التلاميذ في المجموعتين قبل إجراء التجربة.

قسمت مجموعة التعلم التعاوني إلى خمس مجموعات صغيرة، ضمت ثلاث مجموعات منها ستة تلاميذ في كل منها وضمت كل المجموعتين الأخريين خمسة تلاميذ، وروعي في التوزيع أن تضم كل مجموعة صغيرة تلاميذ من مستويات التحصيل المختلفة (مرتفع ـ متوسط ـ منخفض). وتم هذا التصنيف حسب مستوى التحصيل المدرسي في العلوم بالربع الأول من الفصل الأول للعام الدراسي ٨٩ / ١٩٩٠، وذلك باختيار ٢٥% من تلاميذ المجموعة التجريبية ابتداء من أعلى العلامات لتشكل فئة التحصيل المرتفع، وإختيار ٢٥% من التلاميذ ابتداء من أقل العلامات لتشكل فئة التحصيل المنخفض، واعتبر الباقي (٥٠%) من طلبة المجموعة في فئة التحصيل المتوسط[٢٤].

قام المعلم المتعاون بتدريس المجموعتين التجريبية والضابطة بعد توضيح الإجراءات التنفيذية للتجربة مع توفير مذكرات تحضير مفصلة لتدريس محتوى الوحدتين الرابعة (الميزان والروافع) والخامسة (الماء) من كتاب العلوم للصف الرابع الابتدائي(٢٥). وقد وزعت المذكرات على تلاميذ المجموعة التجريبية لتكون عوناً لهم لضبط سير تعلمهم كمجموعات صغيرة، في حين استخدم المعلم المذكرات نفسها في تدريسه المجموعة الضابطة. وقد صيغ المحتوى في كل مذكرة على شكل أهداف، وأساليب وأنشطة تشمل إجراء التجارب المقررة، ونشاطاً تقويمياً، وذلك بعد تحليل الوحدتين المذكورتين بما يتناسب وكتاب العلوم للصف الرابع الابتدائي. فالمحتوى الخاص بأنواع الروافع مثلاً (محتوى مذكرة) تضمن هدفين هما تحديد أنواع الروافع وتصنيف الأدوات الشائعة الاستعمال إلى أنواع الروافع الثلاث. وتضمنت الأنشطة التعرف على «الكماشة» كمثال على النوع الأول من الروافع واستخدامها في خلع مسمار مثبت في قطعة خشبية. وكذلك تحديد مواقع نقطة الارتكاز والقوة والمقاومة. وتبع ذلك تفحص

مثال على كل من النوعين الثاني والثالث للروافع (مجسم للعربة ذات العجلة الواحدة والملقط). أما النشاط التقويمي فتضمن تصنيف مجموعة من الأدوات إلى أنواع الروافع الثلاث (مقص، بكرة، قطاعة ورق، مفتاح قناني المياه الغازية، ملقط غسيل ، كسارة بندق)، بالإضافة إلى أسئلة من نوع تعبئة الفراغ والمزاوجة بحيث تغطي الهدفين لتعليم موضوع «أنواع الروافع» وتعلمه.

وقد روعي قبل إجراء التجربة أن تخصص عدة لقاءات بين المعلم المتعاون والباحثين لاطلاعه على نمط التعلم التعاوني ومفهومه الذي استخدم في هذه التجربة. كما نوقشت معه إجراءات التجربة والخطط الصفية، والتعليمات الخاصة بالمجموعات الصغيرة في المجموعة التجريبية. وقد أبلغ بأدواره المختلفة مع كل من المجموعتين التجريبية والضابطة. ومن الجدير بالملاحظة أن المعلم قد استفاد في هذا المجال من مساقات أساليب تدريس العلوم التي تعرض لها في فترة تأهيله في أثناء الخدمة، وهذا يعزز سلامة تنفيذ التجربة. وقد أبدى المعلم تفهما واضحا لإجراءات التنفيذ تبدى ذلك من خلال مراقبة الباحثين ما يعادل ٦٠% من الحصص المقررة، اختيرت عشوائيا وذلك للاطمئنان على حسن التنفيذ وذلك انسجاما مع إجراءات اتبعت في دراسات مماثلة[٢٦].

وقد تم تدريس محتوى الوحدتين في (١٢) حصة صفية بواقع (٤٥) دقيقة للحصة الواحدة، بالاستعانة بمجموعة من الأنشطة والتجارب العملية، وتناول المحتوى الموضوعات التالية:

١. الميزان العادي: كيفية تحقق موازنة مسطرة بصورة أفقية ــ وصف ميزان البائع المتجول.

٢. الروافع: مفهوم الرافعة ــ شرط الاستفادة من الرافعة ــ أنواع الروافع.

٣. تنقية المياه: الماء الصافي والماء العكر ـ كيفية التخلص من الشوائب العالقة في الماء (الترويق والترشيح) ـ المواد الذائبة في الماء ـ تقطير الماء للتخلص من الأملاح الذائبة في الماء.

٤. تلوث الماء بالجراثيم: تلوث الماء والإصابة بالأمراض ـ المحافظة على نظافة ماء الشرب.

أما الأنشطة والتجارب العملية التي تم إجراؤها فهي[٢٧].

ـ صنع ميزان البائع المتجول.

ـ توازن الرافعة.

ـ الترشيح.

ـ التقطير.

ـ مصادر تلوث الماء.

ـ فوائد الروافع.

ـ الترويق.

ـ الماء يذيب بعض المواد.

ـ نظافة ماء الشرب.

ـ تنقية الماء.

وقد تم تنفيذ التجربة في كل من المجموعتين كما يلي:

أولاً: مجموعة التعلم التعاوني:

اتبع المعلم الأسلوب الذي استخدمه أوكيبوكولا (okebukola) في أكثر من دراسة[٢٨][٢٩][٣٠][٣١] بعد أن درب عليه من قبل الباحثين، كما وسلم المعلم مذكرات تحضير مفصلة وقام بدوره بتوزيعها على التلاميذ. ويتميز هذا الأسلوب بالمظاهر الأساسية التالية:

١. تعاون تام قائم على العمل ضمن مجموعة صغيرة غير متجانسة من حيث التحصيل (مرتفع ــ متوسط ــ منخفض)، حيث يتولد لدى كل فرد في المجموعة الواحدة الشعور بمسؤولية إتقان الواجب التعليمي المحدد.

٢. منهج تنافسي بين المجموعات الصغيرة المختلفة يخلوا من التنافس بين أفراد المجموعة الواحدة، حيث تحاول كل مجموعة أن تؤدي أفضل أداء مقارنة بأداء المجموعات الأخرى.

٣. يتمثل دور المعلم بمراقبة عمل المجموعات وتعزيز أدائهم وإجاباتهم مع تقديم المساعدة عند الضرورة.

وأعطيت المجموعات الصغيرة تعليمات تمثلت بانتظام التلاميذ في المجموعات الصغيرة المخصصة لكل منهم حيث تزود كل مجموعة بالمواد التعليمية الخاصة بالموضوع المخصص للدرس، ويعطي المعلم مقدمة قصيرة عن أسلوب العمل موضحاً للتلاميذ أنهم يتعلمون كمجموعة وعليهم أن يتشاركوا في تفهم الأنشطة والتجارب المطلوب إجراؤها، كما أن عليهم أن يعملوا كمجموعة وأن يحصلوا على المساعدة بعضهم من بعض بصورة أساسية وأن يتخذوا قرارات جماعية، وقد روعي تجنب تفاعل المجموعات المختلفة مع بعضها، حيث أعطيت تعليمات بالعمل باستقلالية المجموعة، كما كانت تجمع النتائج التي توصلت إليها المجموعات وتناقش. ولم يخصص للمجموعة مسؤول أو قائد لأن من المفروض في هذا الأسلوب توزيع

المسؤولية وتحملها من قبل جميع أفرادها. وعليه كان كل تلميذ في المجموعة يتوقع أن يكون هو الشخص الذي سيقدم النتائج نيابة عن المجموعة عندما تبدأ عملية تجميع النتائج.

وبما أن الباحثين على وعي في إمكانية وجود أثر لعامل هو ثورن على أداء المجموعة التجريبية، فقد أكد على المعلم بعدم إبلاغ التلاميذ بأنهم يخضعون لتجربة هدفها استقصاء أثر التعلم التعاوني في تحصيلهم في العلوم، أو أنهم يمارسون أسلوباً جديداً في التعلم والتعليم. كما وطلب إلى المعلم كذلك عدم إعطاء المجموعة التجريبية مزيداً من الانتباه عن المجموعة الضابطة في أثناء سير التجربة. وقد لمس الباحثان تقيد المعلم بذلك.

ثانياً: مجموعة التعليم بطريقة العرض والشرح التقليدية:

أجريت الأنشطة والتجارب باستخدام المواد التعليمية ذاتها التي استعملت في تدريس المجموعة التجريبية. اتبع المعلم أسلوب التعليم والتعلم الجماعي الذي تميز ببقاء الصف فريقاً واحداً يتلقى معلوماته من المعلم. وقد تمثل دور المعلم بتقديم المادة التعليمية وإجراء التجارب أمام الصف بأكمله. كما تمثل دور التلاميذ بالمشاركة أحياناً في إجراء النشاطات والتجارب مع المعلم، والاستجابة لأسئلته واستفساراته كأفراد مشجعاً تنافس الفرد الواحد مقابل مجموعة الصف بأكمله. وكان كل تلميذ يسجل النتائج والملاحظات من خلال متابعته للمعلم، حيث يتوقع أن يطلب إلى أي تلميذ في الفصل أن يعطي النتائج والملاحظات التي سجلها من أجل مناقشتها بعد الانتهاء من إجراء التجارب والنشاطات.

أداة البحث:

كان الهدف من هذه الدارسة الكشف عن أثر استراتيجية التعلم التعاوني في تحصيل تلاميذ الصف الرابع الابتدائي في العلوم. ولاستقصاء هذا الأثر. طور اختبار تحصيلي

اشتمل على (٢٠) فقرة في صورته النهائية من نوع الاختيار من متعدد ومن ثلاثة بدائل. وكانت فقرات الاختبار تغطي محتوى موضوعي الروافع والماء وتقيس المستويات الثلاثة الأولى من تصنيف بلوم للأهداف في المجال المعرفي (تذكر، فهم، تطبيق)*.

تم التحقق من صدق الاختبار بعرضه على تسعة من معلمي العلوم الذين لديهم خبرة في تدريس المرحلة الابتدائية، كما عرض على خمسة من المشرفين التربويين لمادة العلوم. وبناء على رأي المحكمين، فقد اعتبرت فقرات الاختبار بعد إجراء بعض التعديلات المقترحة، ممثلة للمحتوى وتتناسب والمستويات المعرفية المحددة للأهداف ومناسبة من حيث الصياغة والحصيلة اللغوية لمستوى الصف الرابع الابتدائي.

وتم التأكد من ثبات الاختبار بتطبيقه على شعبة من شعب الصف الرابع الابتدائي في مدرسة ابتدائية أخرى للبنين في مدينة إربد (العدد = ٣٠ تلميذاً) وذلك بعد الانتهاء من دراسة محتوى الوحدتين المستخدمتين في التجربة. وبلغ معامل الثبات للاختبار وفق معادلة كودرريتشاردسون (KR-20) ٠,٧٩، واعتبرت هذه القيمة مقبولة لأغراض هذا البحث إذ إن عدد الأسئلة هو (٢٠) سؤالاً فقط، إضافة إلى أنه من نوع الاختبارات التحصيلية غير المقننة. وعندما حللت فقرات الاختبار تراوحت معاملات الصعوبة ومعاملات التمييز (٠,٣٦ــ٠,٨٢)، (٠,٢٢ــ٠,٨٣) على التوالي.

كانت الدرجة الكلية للاختبار (٢٠) درجة، أي درجة واحدة لكل سؤال. وقد شكلت نتائج الاختبار ٥٠% من علامة الامتحان النهائي للفصل الأول ١٩٩٠/٨٩ مما يوفر الفرصة لجدية الإجابة من قبل تلاميذ المجموعتين التجريبية والضابطة.

* يمكن الحصول على الاختبار من الباحثين.

النتائج

رصدت نتائج التلاميذ في مجموعتي الدراسة (التجريبية والضابطة) على الاختبار التحصيلي المعد للكشف عن أثر استراتيجية التعلم التعاوني في تدريس العلوم على تعلم التلاميذ في مستوى الرابع الابتدائي. ولاستقصاء هذا الأثر، تم حساب الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية لأداء المجموعتين (الجدول رقم ١) وللتحقق من الفروقات الظاهرة في أوساط النتائج تم اختبار الفرضية الصفرية التالية:

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية (α=٠,٠٥) في متوسطات أداء مجموعتي التجربة تعزى لطريقة التدريس (التعلم التعاوني، التقليدية).

استخدام اختبار (ت) للبيانات غير المرتبطة لنتائج التلاميذ على الاختبار التحصيلي لاختبار فرضية الدراسة. والجدول رقم (١) يبين نتائج هذا الاختبار.

الجدول رقم (١)

«الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية ونتائج اختبار (ت) لأداء مجموعتي الدراسة على الاختبار التحصيلي*

المجموعة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة (ت)	درجات الحرية
التجريبية (التعلم التعاوني)	٢٨	١٤,٣٦	٣,٧٠	٢,٠٧**	٥٣
الضابطة (التقليدية)	٢٧***	١١,٩٢	٤,٩٦		

* العلامة القصوى (٢٠).

** ذات دلالة إحصائية عند مستوى (α=٠,٠٥).

*** نقص العدد إلى (٢٧) بسبب انتقال أحد التلاميذ إلى مدرسة أخرى في أثناء إجراء التجربة.

تشير نتائج اختبار (ت) .(الجدول رقم ١) إلى وجود فرق ذي دلالة إحصائية (α=٠,٠٥) بين متوسطات نتائج المجموعتين التجريبية والضابطة على اختبار التحصيل. وعليه نرفض الفرضية الصفرية السالفة الذكر. وبذلك يكون أداء المجموعة التي درست باستخدام استراتيجية التعلم التعاوني أعلى وبدلالة إحصائية (α=٠,٠٥) من أداء المجموعة التي درست باستخدام الطريقة التقليدية (العرض والشرح).

مناقشة النتائج والتوصيات

أظهرت نتائج هذه الدراسة تفوق استراتيجية التعلم التعاوني والتي تميزت بالتعاون التام ضمن أفراد المجموعة الواحدة غير المتجانسة في مستوى التحصيل والتنافس بين المجموعات الصغيرة، في تدريس مادة العلوم (وحدتي الميزان والروافع والماء للصف الرابع الابتدائي) على الأسلوب التقليدي، وذلك من خلال تفوق أداء أفراد المجموعة التجريبية على أداء المجموعة الضابطة على الاختبار التحصيلي في العلوم. إن هذا التفوق يعزز وجهة النظر القائلة إن التعلم التعاوني طريقة قوية التأثير في التعلم الفعال[٣٢]. ويمكن أن يعزى ذلك إلى أن الطريقة التعاونية تتضمن آلية التعلم من الأقران في المجموعات المتنوعة مستويات التحصيل. فالتلاميذ من ذوي التحصيل المنخفض والمتوسط يتعلمون من أقرانهم ذوي التحصيل المرتفع، في حين يصعب ذلك على أفراد المجموعة الضابطة التي يسود فيها التنافس بين الأفراد الذي يمكن أن يكون عاملا مثبطا للتعلم وبخاصة للأفراد من ذوي التحصيل المنخفض[٣٣].

تؤكد الدراسات أن من مزايا استخدام التعلم التعاوني تنمية التحصيل نتيجة تخفيف مستوى الخوف من الفشل وتوفير درجة عالية من الاطمئنان النفسي لدى الأفراد[٣٤]. إضافة إلى خفض مستوى القلق الذي ينعكس إيجابيا على التحصيل في العلوم[٣٥].

ويمكن أن تكون هذه المزايا للتعلم التعاوني عاملاً مساعداً لتفوق أفراد المجموعة التجريبية في التحصيل بمادة العلوم على أقرانهم في المجموعة الضابطة.

وثمة إشارة إلى أن التعلم التعاوني ينمي التعلم في مستويات المجال المعرفي (الفهم، التطبيق، التحليل، التركيب، والتقويم)[٣٦][٣٧] في حين يقتصر أثر التنافس الذي يسود في طريقة الشرح والعرض التقليدية (التعلم والتعليم الجماعي) على تنمية التحصيل في مستوى التذكر في المجال المعرفي[٣٨].

وإضافة لكل ما سبق، فإن النتيجة التي توصلت إليها هذه الدراسة تعزز نتائج دراسات متعددة أجريت خارج الوطن العربي، حيث توصلت إلى أثر إيجابي لطريقة التعلم التعاوني في التحصيل في مختلف الموضوعات الدراسية والمراحل التعليمية. كما وفرت نتائج الدراسة الحالية دليلاً على فعالية التعلم التعاوني في تنمية التحصيل في العلوم بالمرحلة الابتدائية. وبالرغم من أن النتيجة تقود إلى تشجيع استخدام طريقة التعلم التعاوني في تدريس العلوم، وبالرغم من الفرق الظاهر بين الأوساط الحسابية (٢,٤٤) ودلالته الإحصائية (α=٠,٠٥)، ولصالح مجموعة التعلم التعاوني، إلا أن هذا الفرق لا يبدو كافياً من الناحية العملية مقارنة بالجهد المبذول لتوفير الأدوات اللازمة للتعلم وجهد المعلم لضبط عملية التعلم والتعليم.

وثمة إشارة إلى بعض الملاحظات من خلال المعلم المنفذ للتجربة ومن خلال مراقبة الباحثين لتنفيذ إجراءاتها داخل غرفة الصف، فقد أظهر التلاميذ في المجموعة التجريبية تفهماً وتعاوناً وتقبلاً للتعليمات لدرجة كافية لتحقيق التعلم لدى كافة أفراد المجموعة الواحدة. وقد كان المعلم ذا خبرة كافية لتفهم استراتيجية التعلم التعاوني، بحيث يجيب عن أسئلة التلاميذ ويتدخل في الوقت المناسب. ومما ساعد في نجاح العملية عدم تجانس التلاميذ من حيث التحصيل. ولقد أبدى المعلم ارتياحاً لتفاعل التلاميذ بعضهم مع بعض ضمن المجموعة الواحدة ولم تظهر لدية صعوبات إدارية

تذكر بحيث تعميق التعلم. وقد يعزى ذلك إلى أن حجم الصف كان مناسباً (٢٨ تلميذاً).

واستناداً إلى النتيجة التي توصلت إليها هذه الدراسة والملاحظات التي أبديت، ومن خلال مناقشة النتائج، يوصي الباحثان باستخدام استراتيجية التعلم التعاوني في تدريس العلوم لفترة زمنية أطول، حيث أن ذلك ربما يؤكد فعالية هذا الأسلوب في التحصيل وذلك بالتقليل من أثر عامل هوثورن مع مرور الزمن. كما يوصي الباحثان بتجريب هذا الأسلوب على وحدات مختلفة في العلوم وخاصة عند إجراء التجارب المخبرية، ولمستويات تعليمية أخرى في مرحلة التعليم الأساسي، وذلك بعد تدريب المعلمين على مثل هذه الاستراتيجية التي يمكن أن تؤكد عليها برامج إعداد المعلمين قبل الخدمة وأثناءها.

الحواشي

(1.) Johonson, D .et al- "Interdependence and Interpersonal Attraction Individulas: A theoretical Formulation and a Meta-analysis of the Research " – Review of Educational Research, Vol. 53, No. 1, 1983, (pp.5-54).

(2.) Slavin, R. – "Cooperative Learning " – Review of Educational Ressearch – Vol.,50 , No. 2, 1980 – pp. (315- 342).

(3.) Sharan, S. – " Cooperative Learning in Small Groups : Recent Methods and Effects on Achievment , Attitudes , and Ethnic Relations ,Review of Educational Research , Vol. 50 , No. 2, 1980, p.246.

(4.) Sharan, S. – 91980) , P. (248) .

(5.) Slavin, R. – " Synthesis of Research on Cooperative Learning " – Educational Leadership – Vol. 38, 1981 ; pp. (655-660).

(6.) Slavin, R. – " Cooperative Learning and student Achievement " – Educational Leadership – Vol. 46 , 1988 – pp (31-33).

(7.) Okebukola, P. – " The Relative Effectiveness of Cooperative and Competitive Interaction Techniques in Strengthening Student Perfomance in Science classes " Science Education ; Vol: 69, No. 4, 1985 , p. (501) .

(8.) Bscs, " ,Cooperative Learning in the Science Classroom " BSCS, Sept. Issue Colorado Spring , Colorado , 1989, pp. (1-3).

(9.) Okebukola, 1985, o.p.cit, p. (509).

(10.) King, A. – " Verbal Interaction and problem Solving Within Computer Assisted Cooperative Learning Groups " – Journal of Educational Computing Research, Vol. 5, No. 1 1989, pp.(1-15).

(11.) Okebeukaola, p. " The Problem of Larg classes in Science : An Experiment in Cooperative Learning " – European Journal of Science Education – Vol. 8, No. 1, 1986. pp. (73-77).

(12.) Bscs , 1989, OP.cit , p. (1).

(13.) Okebukola, 1985, op. Cit , p. (502).

(14.) Sharan, 1980, op.cit, p. (241).

(15.) Lazarowitz , R. et al – " Academic Achievement and on – Task Behavior of High School Biology Student Instructed in a Cooperative Small

Investigative Group ", Science Education, Vol. 72, No. 4, 1988 p. (476, 483).

(16.)Slavin, 1980, op. Cit, p. (315).

(17.)Okebukola, 1985, op.cit, p. (509).

(18.)BSCS, 1989, op. cit, p. (2).

(19.)Okebukola, 1985, op.cit, p. (502).

(٢٠) محمد صباريني واخرون ـ "أثر التعلم التعاوني في اتجاهات طالبات المرحلة الثانوية نحو العمل المخبري في الكيمياء " ، (دراسة تجريبية) المجلة التربوية (قيد النشر).

(٢١) مفضي أبو هولا ـــ " أثر التعلم التعاوني في تحصيل طلاب المرحلة الثانوية في مادة الأحياء " ـــ رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة اليرموك ، ١٩٨٩.

(٢٢) فريد أبو زينة ومحمد صوالحة ، " البحث التربوي والتنمية ، توجهات البحث التربوي واهتماماته في الأردن " ـــ المجلة العربية لبحوث التعليم العالي ـــ العدد ٦ ، ١٩٨٧ ، ص ٨٣ ـــ ١٠١ .

(٢٣) وزارة التربية والتعليم ـــ " منهاج العلوم لمرحلة التعليم الأساسي " ـــ المديرية العامة للمناهج وتقنيات التعليم ، عمان ١٩٨٩ أ ، ص ٢٤.

(24) Okebukola, 1986 a .op . cit. P (74).

(٢٥) وزارة التربية والتعليم ـــ " العلوم للصف الرابع الابتدائي " ـــ المديرية العامة للمناهج وتقنيات التعليم ، الأردن ـــ الطبعة العاشرة ، ص (٦٧ ـــ ٩٦).

(26) Okebukola, 1986a, op. cit, p. (75).

(٢٧) وزارة التربية والتعليم ـــ " دليل الأنشطة والتجارب العملية في العلوم للصف الرابع الابتدائي " ـــ المديرية العامة للمناهج وتقنيات التعليم ، الأردن ، ١٩٨٩ب ، ص (٢٣ ـــ ٣٥).

(28) Okebukola, 1986a, op. cit. (p. 75).

(29) Okebukola, 1985, op. cit . (502).

(30) Okebukola, p. - " Cooperative Learning and students 'Attitudes to Laboratory Work "- School Science and Mathematics – Vol. 86, No. 7, 1986 b.pp. (582 – 590).

(31) Okebukola, p. and Ogunniyi, M. – " Cooperative , Competitive , and Individualistic Science Laboratory Interaction Patterns – Effects on Students' Achievement and Acquisition of practical skills " – Journal of Research in Science Teaching , Vol. 21, No.9, 1984, pp. (875-884).

(32) Walberg , H. – " Improving the productivity of America's Schools" – Educational Leadership . Vol. 41 , No. 8, 1984, pp. (19-27).

(33) Okebukola, 1986 a op. cit, p. (76).

(34) Johnson, 1983, op. cit, p (33).

(35) Okebukola, p. – " Reducing anxiety . in Science classes : an experiment involving some models of class interaction " – Educational Research , Vol. 28, 2. 1986c, p. 147

(36) Sharan, 1980 , op.cit , p . (255).

(37) Ackerman, Z. – " Achievement of Elementary School Children in Small Groups versus whole – class Instruction " – Journal of Experimental Education – Vol. 48, 1980 , pp. (125 –129).

(38) Sherman, L. – " A Comparative study of Cooperative and Competitive Achievement in Two Secondary Biology classrooms ; Goal Structure " ,Journal of Research in Science Teaching – Vol. 26, No. 1 , 1988 , p. (55).

* تاريخ ورود البحث إلى جامعة دمشق /١٢/١٩٩٠

الترجمة الشفوية بين الماضي والحاضر

د.أحمد عنكيط
كلية عجمان الجامعية للعلوم والتكنولوجيا
جامعة الإمارات

الملخص

ثمة التباس بين مفهوم الترجمة التحريرية والترجمة الشفوية بسبب قلة الدراسات في هذا المجال من علم اللغة التطبيقي. إن هذا المقال يبين الفرق بين أنواع الترجمة (الشفوية والتحريرية) في اللغة العربية ويقدم عرضاً للتطور التاريخي للترجمة الشفوية، كما يصنف المترجمين الشفويين إلى فئات مختلفة. ويشير المقال إلى أن الترجمة الشفوية عرفت قبل الترجمة التحريرية. ويهدف المقال أيضاً إلى جلب اهتمام الباحثين في دراسات الترجمة نحو التوجه إلى دراسة هذا المجال البكر في الترجمة خاصة وأن جامعات عديدة قد بدأت تقدم برامج أكاديمية في الترجمة الشفوية تمشياً مع الحاجة المتزايدة في هذا المجال.

مقدمـة:

ظلت الترجمة الشفوية غائبة عن أعين علماء اللغة حتى الستينات من القرن العشرين، ومع أن علوم اللغة عموماً شهدت تطوراً ملموساً إلا أن هذا الفـرع مـن الدراسـات الترجمية لازال يفتقر إلى الأبحاث الجادة التي عرفتها باقي فروع المعرفة.

وهذا ما دفعني إلى الاهتمام بالترجمة الشفوية لعلي أجلب أنظار الدارسين لها.

أود في هذا المقال أن أستعرض تاريخ الترجمة الشفوية وأصف أنواعها وخصـائص كل نوع ثم أصف أنواع العاملين بها. وثمة عدة أسباب دفعتني لكتابة هـذا المقـال، أهمها ما يلي:

١- ارتأيت أن أقدم للقارىء تعريف هذا النوع من الترجمة الذي لا يقل أهمية عـن الترجمة التحريرية.

٢- إن أدبيات الدراسات الترجمية الصادرة باللغة العربية تفتقـر إلـى مثـل هـذه التعاريف الواردة هنا. ولذلك أردت أن أساهم في سد هذه الثغرة وألفت اهتمـام علماء اللغة والمترجمين إليها.

٣- أنوي مواصلة البحث في هذا المجال في المستقبل وأعد هذا المقال مدخلاً لذلـك الغرض. وستكون التعريفات والمصطلحات الواردة في هذا المقال بمثابة المرجـع مستقبلاً حيث سأشير إليه عند الحاجة.

١.الترجمة التحريرية (Translation) و(الترجمة الشفوية (Interpretation)

غالباً ما يخلط الناس بين الترجمة التحريرية والترجمة الشفوية ويعتقدون أن المـترجم يستطيع القيام بالمهمتين بالجودة نفسها. وأنا أعتقد أنه يمكن له ذلك إذا توفرت لديـه المتطلبات الخاصة بكلتا الوظيفتين. لذلك أود في البداية أن افرق بين مصطلح الترجمة

التحريرية (Translation) والترجمة الشفوية (Interpretation) وبين المترجم (Translator)وما يمكن الاصطلاح على تسميته الترجمان (interpreter). فإذا أردنا أن نعطي تعريفاً بسيطاً قلنا إن الترجمة التحريرية هي نقل نص مكتوب من لغة إلى لغة أخرى، أما الترجمة الشفوية فيراد بها نقل الكلام شفوياً من لغة إلى أخرى في وقت قصير دون تحضير مسبق. وعليه يكون المترجم هو من يستعمل القلم والترجمان هو من يستعمل لسانه. فبينما يمكن للمترجم أن يبحث عن المعنى الدقيق أو العبارة الجميلة يساعده في ذلك قاموس أو مرجع خاص فإن للترجمان وقتاً محدداً يفكر فيه ويأتي بترجمة كلام يسمعه وغالباً ما لا يمكنه أن يستشير أي نص مكتوب. ولذلك وجب الفصل بين هذين الفرعين من الترجمة. وقد تناول هذا الموضوع هندرسون Henderson في بحثه المقدم لنيل درجة الدكتوراه من جامعة برادفورد Bradford البريطانية حيث يقول:

يختلف عالم الترجمان (عن عالم المترجم) اختلافاً كبيراً، فرغم أن مهمته تشبه مهمة المترجم من حيث أن كليهما يسعيان إلى نقل المعاني من لغة إلى أخرى، فإن الترجمان لا يملك إلا وقتاً قصيراً جداً لعمل ذلك، وقد يتضح الفرق إذا انتابه الشك في المعنى أعاد قراءة الجملة أو الفقرة أو صفحات كاملة. وهذا ما لا يتوفر للترجمان.

ومع هذا فثمة صفات يحتاج إليها الترجمان والمترجم مثل الذاكرة القوية والمخزون الوفير من الثقافة العامة. وهاتان الميزتان يمكناهما من العمل في مجالات مختلفة.

يحتاج الترجمان بشكل خاص إلى أن يمتلك لياقة ذهنية أكبر حتى يتكيف مع أكبر عدد ممكن من الموضوعات أو المواقف. وهذه اللياقة تنمو إذا امتلك الفصاحة والإرتجال. ولكن هذا لا يعني أن تطغى فصاحة الترجمان على فصاحة المتكلم الأصلي وذلك حتى لا يصبح الترجمان هو مثار اهتمام المستمعين المعنيين بما يقوله المتكلم. وهذا القيد يتطلب من الترجمان أن يبدي نوعاً من الهدوء وتقبل المعلومات دون الانفعال

معها بشكل خاص. كما يجب عليه أن يضبط نفسه إذا ما أثير موضوع يمسه من حيث دينه أو عرقه أو وطنه.

من هنا يتضح أن الصفات التي يجب توافرها في الترجمان عديدة وتختلف عن تلك التي يجب أن تتوفر في المترجم.

وما أعتقده في هذه النقطة هو أنه ليس من الضروري أن يستوفي الترجمان كل هذه الصفات قبل أن يبدأ في ممارسة مهنته ذلك لأن الإعداد السليم والخبرة يحتاجان إلى وقت وجهد خصوصا أن المعاهد المتخصصة التي تقدم الإعداد النموذجي للترجمة (interpreters) مازالت قليلة العدد وتكاد تكون معدومة في العالم العربي.

٢. تأريخ الترجمة الشفوية

يتفق أغلب الدارسين على أن الترجمة الشفوية لم تصبح مهنة معترفا بها، وأنها تتطلب إعدادا مهنيا خاصا إلا مؤخرا، رغم أن عملية الترجمة الشفوية سبقت الترجمة التحريرية إلى الوجود نظرا لأن الإنسان عرف الكلام قبل الكتابة وبالتالي تعامل بالترجمة الشفوية للتواصل مع غيره. وقد كان الترجمان دائما حلقة الوصل بين الجماعات الناطقة بلغات مختلفة ويؤكد فان هوف (Van Hoof) هذه الحقيقة بقوله (ص٩، ١٩٦٢) "يرتبط وجود الترجمان بوجود الحواجز اللغوية. فكلمة drogman وهي كلمة من أصل عربي هو trajouman" وكلمة ترجمة تعني نقل او تحويل الشيء من شكل إلى آخر.

ويعود تاريخ الترجمة الشفوية إلى سنة ٣٠٠٠ قبل الميلاد حيث كان أمراء الإمبراطورية المصرية القديمة يفتخرون بلقب "كبير التراجمة". وهذا ما أثبتته الألواح التي عثر عليها تحت الأرض في مدينة أسوان بمصر. فقد عرفت تلك المنطقة بازدواجيتها اللغوية وهذا ما شجع ازدهار الترجمة الشفوية هناك.

وفي المجتمع الإغريقي ذكر هيرودوت الملقب بـ "أبو التاريخ" أن التراجمة كانوا يشكلون طبقة قائمة بذاتها. وكانوا يزعمون أنهم ينحدرون من باسمتك الأول Pasamitk I الذي عاش في القرن السابع قبل الميلاد. ولكن فان هوف (١٩٦٢) يقول: إن التراجمة وجدوا قبل ذلك بزمن طويل بدليل أن أحد أصدقاء الملك نفركر Nafraker الذي عاش سنة ٢٥٥٠ قبل الميلاد كان يدعو نفسه "كبير التراجمة". وتجدر الإشارة إلى أنه كان هناك تراجمة في أوساط الشعب السامي في حوض سيناء بمصر في الفترة ذاتها، وكانوا يشاركون في الحملات الحربية آنذاك. ومنهم كذلك من رافق رحلات السفن إلى آسيا.

وفي الفترة التي يطلق عليها المؤرخون الغربيون "العصور الوسطى"، كانت الحملات التنصيرية تكتسح مناطق جديدة مما دعا إلى ضرورة اصطحاب تراجمة لنشر النصرانية ويستشهد فان هوف (ص١٤، ١٩٦٢) على ذلك بأنه "عندما أرسل البابا غريغوريوس الكبير Gregoire Grand حملة تنصيرية إلى إنجلترا في نهاية القرن السادس الميلادي زودته برونيل Brunelle ملكة أستروأسيا بالتراجمة اللازمين".

وكان للتراجمة في "العصور الوسطى" مكانة معروفة في المجتمع تعترف بأهميتها الدولة القائمة. ولم يكن غريباً وجود تراجمة في بلاط النبلاء حتى إنهم كانوا يتمتعون بألقاب النبلاء ذاتها مثل لقب وجيه "Gentleman" وشجاع "Brave".

ومع أن الترجمة الشفوية عرفت في التاريخ القديم إلا أنها لم تتخذ الشكل المعروف اليوم إلا في فترة الصراع بين الدول المسيحية والدول الاسلامية. بل إنه منذ فجر الإسلام كان رسول الله (ص) يرسل الرسل إلى الدول المجاورة لدعوتها للإسلام. واستمر الخلفاء الذين جاؤوا من بعده على النهج نفسه، حتى إنه يستشف من قوله (ص) "من تعلم لغة قوم أمن شرهم" إنه كان يشجع أصحابه على تعلم اللغات الأجنبية لما في ذلك من تمكين الدعاة مخاطبة المجتمعات الاعجمية بلغاتها وكذلك ليقوموا

بترجمة ما يصدر عن العلماء والمجتهدين من الناطقين بالعربية حيث إنها كانت اللغة العلمية للدولة الإسلامية.

وبعد أن فتحت القسطنطينية سنة ١٤٥٣ ميلادية دعت الحاجة إلى استخدام تراجمة في الميدان الدبلوماسي. وكان للترجمان منصب مؤثر في السياسة، من ذلك أن أمراء الدولة العثمانية كانوا لا يستعملون الرسائل الخطية في اتصالاتهم واستعاضوا عنها بالتراجمة. ونظراً لهذه الأهمية التي اكتسبتها الترجمة الشفوية فقد تأسست المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية في فرنسا سنة ١٧٩٥م.

وفي القرن التاسع عشر تم إنشاء عدة منظمات وتجمعات دولية، ومعها ظهرت الحاجة الماسة إلى التراجمة بشقيها. ففي عام ١٨٦٤م أنشئت منظمة الصليب الأحمر الدولي، وفي سنة ١٨٧٥ م أنشئ اتحاد البريد الدولي. وبذلك أصبحت الدول مختلفة اللغات تناقش القضايا المطروحة في المنظمات الدولية عبر التراجمة.

ورغم أنه بإمكان ممثلي بعض الدول التحدث بلغات أجنبية إلا أنهم يصرون على التحدث باللغة الرسمية لبلادهم دليلاً على اعتزازهم بوطنيتهم مما يزيد من الحاجة إلى الترجمة الشفوية.

أما في القرن العشرين فقد اصبحت الترجمة التحريرية والترجمة الفورية ذات أهمية كبرى حيث أنشئت أقسام لها في الجامعات الاوربية، ومن أشهر هذه الأقسام مدرسة الترجمة في جامعة جنيف التي اشتهرت في تكوين مترجمين مقتدرين والمدرسة العليا للترجمة الفورية والتحريرية، التابعة لجامعة السوربون في باريس L E.S.I.T. وفي عالمنا العربي أنشئت مدارس لتكوين مترجمين واختلف بين التكوين الأكاديمي والتكوين الأحترافي. فمثلاً نشأ معهد الجزائر، وحسب معلوماتي المستقاة من خريجي هذا المعهد، فهو تابع لجامعة الجزائر ويشترط ثلاث لغات وسنوات الدراسة فيه أربع. ولكن المعهد لم يتوفر له مدرسون متخصصون إلا مؤخراً.

كما أنشئت سنة ١٩٨٣م مدرسة الملك فهد العليا للترجمة وقد استقبلت أول فوج لها سنة ١٩٨٦م "وقد اختير لها مقر مدينة طنجة التي تمتاز بموقعها عند ملتقى أوربا وافريقيا والوطن العربي، مما يؤهلها للقيام بدور حيوي في مجال التواصل الثقافي والحضاري وهو دور لصيق بالترجمة وبنشاط المترجم" (كتيب مدرسة فهد العليا للترجمة).

ويشترط في هذه المدارس كلها إتقان ثلاث لغات ولا يجوز الالتحاق بها إلا بعد اجتياز مسابقة الدخول وتعد هذه المسابقة صعبة للغاية؛ لأن عدد المتقدمين يكون عالياً، وعدد المقاعد محدوداً.

وتوجد بعض الجامعات العربية الأخرى التي تقدم برامج بكالوريوس ودبلوم في الترجمة مثل جامعة الأزهر وجامعة دمشق وجامعة حلب وكلية عجمان الجامعية للعلوم والتكنولوجيا بدولة الإمارات.

٣. أنواع الترجمة الشفوية وخصائصها كما نعرفها اليوم

تختلف مهام الترجمان باختلاف وظائفه المتنوعة ولكن يمكن أن نقسم الترجمة الشفوية إلى نوعين رئيسيين:

الترجمة اللاحقة Consecutive Interpreting

والترجمة الفورية Simultaneous Interpreting

فنتكلم عن الترجمة الفورية عندما يقوم الترجمان بترجمة الكلام فور إلقائه في اللغة الأصل Source Language بينما المقصود بالترجمة اللاحقة هو أن يقوم الترجمان بترجمة نص الكلام ــ بعضه أو كله ــ بعد أن ينتهي المتكلم من إلقائه. ويصف هندرسون عمل الترجمان بقوله:

"يكون الترجمان في الترجمة اللاحقة بشكل عام حاضراً مع المشاركين في الاجتماع فيأخذ نقاطاً من الخطاب وعندما يتوقف المتكلم عن كلامه ـ وقد يفعل ذلك بعد جمل أو دقائق معدودة ـ يقدم الترجمان ترجمته باللغة المناسبة" (Henderson ١٢: ١٩٨٤).

ويتفرع هذان النوعان إلى أنواع أخرى مثل:

الترجمة الهمسية Chuchotage Interpreting أو الترجمة الفورية المقروءة At-sight Interpreting ويتوقف استخدام هذه الأنواع على أغراض ومناسبات خاصة.

٣-١.الترجمة اللاحقة Consecutive Interpreting

تعد الترجمة اللاحقة نوعاً تقليدياً لأنها وجدت قبل الترجمة الفورية وكتب هندرسون (١٢: ١٩٨٤) في هذا المجال قائلاً: إن الترجمة اللاحقة سبقت الترجمة الفورية إلى الوجود. فبعد تجربة أو تجربتين في الثلاثينات فإن أول استخدام مطول للترجمة الفورية كان في محاكمات نورمبرغ Nuremberg Trials (محاكمة النازيين بعد الحرب العالمية الثانية) وقد يكون هذا (السبق التاريخي) هو السبب وراء الاعتقاد الشائع أن الترجمة اللاحقة تمتاز بدقة أكثر من الفورية. ولازال عدد كبير من المختصين يرى أن "اللاحقة" هي الامتحان العسير لإثبات كفاءة الترجمان. إلا أن الفورية هي النوع الأكثر استعمالاً لأنها تشكل ما يزيد عن تسعين في المائة من عمل التراجمة في المنظمات الدولية".

ومما لاشك فيه أن الترجمة اللاحقة هي النوع الذي ساد كوسيلة اتصال بين المجتمعات ذات اللغات المختلفة إلى ما قبل ستين سنة مضت. إضافة إلى أنها لازالت مستخدمة من قبل التراجمة كلهم في مجالات عملهم المختلفة.

ومن مزايا الترجمة اللاحقة أنه يتوفر للترجمان الوقت الكافي للتفكير في ترجمته ولذلك كانت أحسن أسلوباً وأدق دلالة من الفورية. ولكن من عيوبها أنها تضاعف ساعات العمل في الاجتماعات ولذلك اقتصر استعمالها في الحاضر على الاجتماعات الصغيرة.

يمكن للترجمان أن يستخدم طريقتين في الترجمة اللاحقة. فإما أن ينتظر المتكلم حتى ينتهي من كلامه كليةً، ثم يعطي ترجمته وذلك يتطلب ذاكرة قوية ومتابعة جيدة. وإما أن يقدم ملخصاً لما ورد في كلام المتكلم. كما يمكن أن تكون الترجمة متواصلة، ويمكن أن تكون متقطعة، فإما أن ينتظر الترجمان حتى نهاية الكلام أو يترجمه جزءاً فجزءاً. ولأن المستمع في الغالب يفضل أن يتلقى الترجمة نصاً كاملاً فقد أصبحت الترجمة المتواصلة هي الطريقة المعمول عليها، خاصةً بعد تطور أساليب تسجيل الملحوظات Note _ taking وتطور مهارات التراجمة.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن صعوبة الترجمة اللاحقة تكمن في أنه يجب أن يمتلك الترجمان ذاكرة قوية وقدرة عالية على التركيز، ويبقى عليه بعد ذلك أن يعزز هذه القدرة بتقنية فعالة في تسجيل الملحوظات عند الكلام وتنظيم معلوماته بشكل يسهل عليه إخراج ترجمة متماسكة المعنى دون أن ينقل كل ما جاء في حديث المتكلم باللغة الأصل.

٣.٢ الترجمة الفورية Simultaneous Interpreting

ويطلق على الترجمة الفورية عبارة الترجمة (التيليفونية) لأنها تتطلب استخدام ميكروفونات وسماعات ومن فروعها الترجمة المرئية المقروءة (At-Sight Interpreting) حيث يضع الترجمان النص الأصلي أمامه ويقرؤه صمتاً في اللغة الأصل، ويترجمه جهراً للمستمعين في اللغة الهدف (Target Language).

والفرع الآخر للترجمة الفورية هو الترجمة الهمسية Chuchotage Interpreting وكما يدل عليها اسمها فإن الترجمان يهمس ترجمته في أذن المستمع ولا تنفع هذه الطريقة إلا إذا كان هناك مستمع أو اثنان لكل ترجمان. كما أنها لا تستخدم في جلسات المناقشات الطويلة، لأنها تسبب إرهاقاً للمترجم والمستمع على حد سواء إضافة إلى أنها تزعج المستمعين الآخرين خاصة إذا كانوا يفهمون اللغة الأصل.

تتطلب الترجمة الفورية جهازاً إلكترونياً متطوراً غالي الثمن حيث يمكن للترجمان أن يستمع إلى نص الكلام من خلال سماعتين ويترجمه في ميكروفون لمستمعين يتلقونه بدورهم في سماعات.

وتكمن ميزة هذا النوع في كسب الوقت، إذ أن الترجمان يقوم بعملية الترجمة حال إلقاء المتكلم لكلامه وينتهي من ترجمته فور انتهاء المتكلم من حديثه. وهذا ما يجعلها مرغوبة في الاجتماعات التي تتعدد فيها اللغات.

٤. التراجمة واختلاف وظائفهم

بعد استعراضنا لطرق الترجمة الشفوية وخصائص وميزات كل منها، نأتي الآن إلى الأنواع المختلفة من وظائف التراجمة.

إن تاريخ الترجمة الشفوية يبين أنها قامت بأدوار مختلفة كوسيلة اتصال بين الشعوب الناطقة بلغات مختلفة. فقد كان استعمالها في مجالات متعددة حيث استعملت في الحروب والتجارة، وازدهرت ونمت، في القرن العشرين، في المؤتمرات والاجتماعات الدولية التي ما فتئت تتضاعف سنة بعد الأخرى. وعبر التاريخ تعددت مهام الترجمان؛ فقد كان داعية في خدمة الدين ورجل قانون في خدمة العدالة والمحاكم والدبلوماسي في خدمة العلاقات الدولية. ومن هنا يمكننا أن، نقسم التراجمة إلى الأصناف التالية:

٤ ــ ١ ترجمان المناسبات Liaison Interpreter

يطلق مصطلح Liaison Interpreter على الترجمان الذي عادة ما يترجم بين شخصين وفي الحقيقة أرى أن كلمة Liaison الفرنسية غير دقيقة في هذه الاستعارة إذا أريد بها معناها الحقيقي بدلالة "الاتصال" كقولنا في الفرنسية "Officier de Liaison" في العسكرية ونقصد "ضابط الاتصال" الذي ينسق الاتصال بين الوحدات العسكرية. أما في عملية الترجمة فإن كل ترجمان إنما يسعى إلى تنسيق الاتصال الكلامي بين الأفراد والجماعات. ولذلك اخترت عبارة "مترجم المناسبات" استعارة من العبارة اللاتينية "Ad-hoc Interpreter" ويحدد فان هوف وظيفة ترجمة المناسبات الخاصة بقوله:

" درجت العادة أن نقصد بها نوعاً من الترجمة الشفوية خصصت بشكل عام للمفاوضات ذات الطابع التجاري" (١٩٦٢ : ٢٥).

وترجمان المناسبات هو الذي يدعوه التاجر الذي يريد إقامة علاقات تجارية مع بلد أجنبي لمرافقته وغالباً ما تقتصر الترجمة في هذه المناسبات على جماعة صغيرة.

٤ ــ ٢ الترجمان العسكري Military Interpreter

تمتع الترجمان العسكري منذ العصور القديمة بامتيازات خاصة حيث كان ينال الألقاب الشرفية ويشارك في الغزوات الكبرى كلها. حتى أن قيصر الروم ذكر ترجمانه العسكري في كتابه المعنون "De Bello gallioc". وعندما غزا نابليون ممالك مصر أصدر تعليماته إلى أهلها عبر ترجمانه. وفي العصور الحديثة نجد تشرشل، رئيس وزراء بريطانيا يذكر مترجمه نيزر في مذكراته كما نجد بول سمث، ترجمان هتلر، يصف دور الترجمة في حكم الرايخ الثالث.

وتجدر الإشارة إلى أن الترجمة العسكرية لا تعد عملاً مستقلاً في أغلب البلدان إلا في الدول الغنية ذات الجيش المقتدر مادياً. ويقوم الترجمان العسكري بأدوار مختلفة فقد ينسق الاتصال بين جيوش القوات المتحالفة وقد يشارك في استجواب أسرى الحرب، بالإضافة إلى أنه قد يشارك في العمليات الميدانية عند الضرورة.

٤ ــ ٣ الترجمان العدلي Tribunal Interpreter

كانت لغة العدالة في القرون "الوسطى" في أوربا هي اللغة اللاتينية وكانت المحاكم تلجأ إل رجال الدين ليكونوا وسطاء بين السلطة والأقوام التي لا تتكلم اللاتينية إذ لم يكن هناك شعب يتحدث بهذه اللغة. وكذلك الحال في الدولة الإسلامية التي اتسعت أطرافها شرقاً وغرباً. فاللغة العربية هي لغة العدالة لكن معتنقي الإسلام، خاصة الجدد منهم، كانوا يتكلمون لغاتهم الأصلية مثل التركية والفارسية والكردية والبربرية مما استدعى استخدام تراجمة في المحاكم. فكما هو معلوم فإن لغة الشريعة الإسلامية هي اللغة العربية، وكان القضاة يتكلمون العربية. ولهذا كان الترجمان هو الوسيط بين القاضي والشعب في المحاكم.

٤ــ٤ ترجمان المؤتمرات Conference Interpreter

تعد ترجمة المؤتمرات أحدث أنواع الترجمة الشفوية ويمكن لترجمان المؤتمرات أن يلتحق بأي هيئة دولية كموظف رسمي كما يمكنه أن يعمل ترجماناً حراً يقدم خدماته مقابل أجر عندما يطلب إليه ذلك: ورغم أن الترجمان هو الذي يختار أي الوسيلتين أفضل له إلا أن جين هيربرت (Herbert 1952 : 11) يقول:

"إن الترجمان الذي يقنع بدخل متواضع في السنة يمكنه أن يربح مقدار ما يربحه الترجمان الحر في عمله خلال الأسابيع المحدودة التي يعملها ويبقى له وقت حر وافر".

وفي الحالتين يحظى ترجمان المؤتمرات بدخول القاعات التي لا تدخلها إلا الشخصيات الهامة أو صانعة القرارات.

جاءت ترجمة المؤتمرات نتيجة لتدويل القضايا الإنسانية. فإضافة إلى الدبلوماسية، يوجد تبادل دولي مكثف في شتى المجالات ويتضاعف التواصل الإنساني سنة بعد سنة أو أخرى، لذلك وجب على ترجمان المؤتمرات أن يكون ملما إلى حد كبير بأسلوب المحادثات ومنهاجها الدولية والبلاغة في اللغات التي يترجمها.

وتعد ترجمة المؤتمرات أصعب أنواع الترجمة، لأن موضوعاتها مختلفة جدا فهي لا تقتصر على السياسة كما يعتقد بعضهم، فقد أصبح هناك عدد كبير من المؤتمرات تتناول موضوعات علمية وتقنية تتطلب دراية وإلماما جيدين بالموضوع وهذا ما دفع بعضهم إلى الاعتقاد أننا الآن في عصر الترجمان المختص أي أن يكون ذا خلفية علمية مثلا إذا أراد أن يترجم في العلوم. وهذا ما تسعى إلى تبنيه بعض مدارس إعداد التراجمة ومعاهده في الحاضر.

٥ خاتمة:

إن الصفات التي يجب أن تتوفر في الترجمان الكفء لم تحددها معايير دقيقة ومقبولة قبولا لا جدال فيه. لأنها لا تعتمد على نظريات قائمة، كما هو الشأن في تدريس اللغات الأجنبية. ولكن هذه الصفات أتت نتيجة تجربة تراجمة بارزين مثل جين هربرت Jean Herbert وسيليسكوفتش Seleskovich وغيرهما. وتجدر الإشارة إلى أنه قبل الحرب العالمية الثانية لم يتعد عدد تراجمة المؤتمرات عشرة أشخاص. وكان ذلك العدد في الحقيقة يسد حاجة أوربا آنذاك. ولكن مع إنشاء منظمة الأمم المتحدة ووكالاتها المنتشرة في أنحاء العالم، برزت الحاجة إلى عدد أكبر من التراجمة. ومازالت هذه الحاجة في ازدياد.

ومن الملاحظ أن الأمم المتحدة لا توظف إلا من يحمل درجة جامعية ويجتاز امتحـان يشرف عليه مختصون من المنظمة.

ولكن قد يسأل سائل عن كيفية تحصيل كل من هذه المتطلبات الصعبة خلال أعداد في مدرسة أو في معهد لا تتجاوز مدته سنتين أو ثلاث. وفي بعض الحالات سنة واحـدة. وهذا ما سأحاول التطرق إليه في مقالة قادمة بحول الله أتناول فيها جدوى عملية إعداد التراجمة وتأهيلهم التأهيل اللازم.

المراجع

1- Henderson, J.A. (1984), Personality and the Linguist, Bradford University (Unpublished ph.D. thesis).

2- Van Hoot, Henri (1962), Theorie et Pratique de L'interpretation: avec application particuliere a L'anglais et qu Francais, Muchen, Max Verlag.

3- Herbert, Jean (1952), The Interpreter's Handbook: How to becom a conference Interpreter, Geneva, G eorg.

4- Seleskovitch, D. (1981), "L'enseignement de l'interpretation", in Delise J. 1981, "L'enseignement de l'interpretation et de la traduction de la theorie a la pedagogie", Uneversity of Ottawa Prees, Chaiers de traductologie No.4 (1981), pp. 23-46.

5- Booklet by Ecoge Superieure Roi Fahd de Traduction, Tangier, Morocco, 1991

* تاريخ ورود البحث إلى جامعة دمشق ١٩٩١/٦/٨

رحلة إلى الأبدية

مفاهيم خلاص إسلامية ومسيحية في

«رسالة الغفران» للمعري و«رحلة الحاج» لِبَنْيَن

د. هاني الراهب
قسم اللغة الإنكليزية ــ كلية الآداب
جامعة دمشق

الملخص

ألهم الدين عبر العصور رجال الأدب لارتياد أصقاع فكرية يمكن بحق أن توصف بأنها ميتافيزيقية. ورغم أن ستمئة عام وثقافتين مختلفتين جوهرياً تفصل بين المعري من سورية وبَنْيَن من انكلترا، فقد قام الاثنان بهذا الارتياد عبر وسائل ومناهج متناظرة: رحلة كونية، مرتحل يتجاوز شرطه الإنساني، حشد من الشخصيات الثانوية، وأخيراً هدف أخير ليس أقل من الجنة. والكاتبان بلغا الفردية في صياغة مفاهيمها، وهما يقدمان رؤى متباينة للأبدية والخلود والسماء والإيمان والغفران والخلاص.

يرد هذا البحث بالتفصيل باللغة الإنكليزية في الصفحات (41-25) من هذا العدد.

الملك الصالح / هروثجار في ملحمة بيوولف

د. ناصر الحسن عثامنه
جامعة اليرموك ـ كلية الآداب
قسم اللغة الإنكليزية

ملخص

تعالج هذه الدراسة دور الملك هروثجار (Hrothgar) في بيوولف (Beowulf) يختلف مؤلف الدراسة مع دارسي بيوولف الذين يفسرون عدم مواجهة الملك هروثجار للوحش جريندل (Grendel) بكبر السن والعجز وفقدان ملامح البطولة فيه ، فيحاول المؤلف هنا ان يثبت ان الملك هروثجار يتمتع بمعظم صفات الملك المثال، لا البطل المثال، وهذا ما يجعل المثالية تتركز حول الحكمة وبعد النظر بدلاً من الشجاعة والقوة الجسدية. وتوضح الدراسة ان هروثجار في القصيدة لايرقى الى مرتبة بيوولف في تجسيد الملك المثال والبطل في الوقت ذاته. ولكنه يبقى مع ذلك نموذجا للملك الجيد والناجح والتمييز بين دور البطل ودور الملك فكرة مركزية في القصيدة.

يرد هذا البحث بالتفصيل باللغة الإنكليزية في الصفحات (74-43) من هذا العدد.

رسائل الدكتوراه والماجستير

الضاهر، عبد الستار محمود، كلية التربية، جامعة دمشق.

إشراف: م. د. فايز قنطار.

الموضوع: أنماط السلوك البيئي للأطفال وشروط كل من الأسرة والتلفزيون (دراسة ميدانية في مدارس دمشق الابتدائية)

Types of environmental behavior for children and the conditions of both family and television (an empirical study in the elementary Damascus schools).

تعاني البيئة من مشكلات متعددة طالت معظم مكوناتها، وشملت معظم أقطار العالم، فحدث الخلل في توازن النظم البيئية خصوصاً بعد المرحلة الصناعية الحديثة والثورة الإلكترونية وغزو الفضاء. وكل ذلك حدث دون أن يتزامن مع تطور منظومة سلوكية مناسبة تخفف من الضغوط على شروط البيئة الطبيعية والمشيدة، ومما يستوجب تطوير البحث في علم النفس وخصوصاً علم النفس البيئي، عمومية المشكلات البيئية وكون معظم هذه المشكلات ترد إلى أسباب سلوكية تنتج عن سلوك الإنسان غير الرشيد نحو البيئة. وفي سياق الاهتمام العالمي بمسألة البيئة والتوجه العربي في هذا المجال تم إعداد هذا البحث بهدف معرفة واقع السلوك البيئي للأطفال في القطر العربي السوري وعلاقته بالشروط الأسرية والتلفزيون وبينت نتائج البحث أن (٢٥,٤١٪) من الأهل ما زالوا يفتقرون إلى المعارف البيئية المناسبة وأن (٤٩,٧٧٪) من الأهل تعتقد بتقصير التلفزيون عن القيام بدوره نحو البيئة ومشكلاتها، إضافة إلى وجود علاقة ارتباطيه بين السلوك البيئي للأهل والسلوك البيئي للأطفال، كما توصل البحث إلى عدم وجود فرق ذي دلالة إحصائية بين الذكور والإناث.

سلوم، طاهر، كلية التربية، جامعة دمشق.

إشراف: أ. د. فخر الدين القلا، ومشاركة د. علي الحصري

الموضوع: التربية السكانية في تدريس الجغرافية، دراسة تجريبية في تدريس الوحدات السكانية وفق نظرية النظم في المرحلة الإعدادية في مدينة دمشق.

Population education in teaching geography, experimental study in teaching population unites according to system theory in preparatory stag in Damascus.

جاءت الرسالة في ثلاثة أبواب هي: مشكلة البحث، وتحليل نظامي التربية السكانية والجغرافية، وتصميم النظام التدريسي، وتضم ١٢ فصلاً منظماً وفق هذه الأبواب، ومجموع الصفحات قرابة ٣٥٠ صفحة، يضاف إليها ٢٥٠ صفحة ملاحق جمعت من نصوص المديولات، واختبارات التحصيل، واستبانات الاتجاه، وبعض الجداول الإحصائية وقائمة المحكمين.

تناول الباب الأول المشكلة والأسس النظرية لنظام التربية السكانية في تدريس الجغرافية، وأبعاد المشكلة عربياً وعالمياً والدراسات السابقة، ونظرية النظم وتقنية المديولات التي تطبق نظرية النظم لتصميم الوحدات الدرسية النسقية في التربية السكانية في الجغرافية.

وتناول الباب الثاني تحليل نظامي التربية السكانية والجغرافية وتحليل مضامين التربية السكانية في مناهج الجغرافية في المرحلة الإعدادية في سورية وفق معيار طوره الباحث، وتوصل من خلاله إلى أن الوزن النسبي الإجمالي لمضامين التربية السكانية فيها ٢٩,٢٤٪، استفاد من تحليل المضمون في زيادة الوزن النسبي لمضامين وحدات التربية السكانية الثلاثة بحدود ٩٠٪، وصاغها نظمياً لكل صف.

أما الباب الثالث فقد عرض تصميم النظام التدريسي للتربية السكانية في مادة الجغرافية وفق تقنيات المديولات، وبيّن مراحل تصميم المديولات وفق المنهج المتداخل للوحدات السكانية للصفوف الثلاث في المرحلة الإعدادية، وتطوير هذه المديولات، وتطبيقها استطلاعياً وتجريبياً، وتقويم فاعليتها في التحصيل والاتجاه، وفق الفرضيات، وأسئلة البحث، ووازن التصميم التجريبي بين الطريقة النظمية والتقليدية كما وازن إحصائياً أثر متغير الجنس بعد أن طبقها على عينة عشوائية بلغت ١٣٦٦ طالباً وطالبة في ست مدارس في دمشق. وتوصل إلى النتائج التالية:

١ ـ تفوقت الطريقة النظمية على الطريقة التقليدية في الاختبار التحصيلي المباشر، والمؤجل وكانت الفروق دالة إحصائياً.

٢ ـ كانت اتجاهات الطلاب الدارسين بالطريقة النظمية وفق المديولات إيجابية، وكانت الفروق واضحة ودالة إحصائياً بين اتجاهات الطلاب نحو الظاهرات السكانية لصالح الطريقة النظمية.

وتوصل أخيراً إلى مقترحات تتعلق بالتوسّع بالتجريب، وإدخال معيار الكفاية للتوازن مع الفاعلية في النظام التدريسي.

البلخي، محمد عامر، كلية التربية، جامعة دمشق.

إشراف: أ. د. فخر الدين القلا، ومشاركة أ. م. د. محمد وحيد صيام.

الموضوع: فاعلية استخدام برامج الفيديو في تدريس مادة التاريخ (دراسة تجريبية في الصف الثالث في المدارس الإعدادية في محافظة مدينة دمشق).

The effectiveness of using video programs in teaching history (an experimental study in third class in preparatory school in Damascus district).

ظهرت مشكلة البحث من الشعور بالحاجة إلى تحسين فاعلية تدريس مادة التاريخ للصف الثالث الإعدادي، باستخدام تقنية الفيديو. وتمت صياغة الفرضية الأساسية للبحث على الشكل التالي:

"إذا استخدمت برامج الفيديو في تدريس وحدتي (تاريخ سورية الحديث، وتاريخ فلسطين الحديث) في الصف الثالث الإعدادي، فإن فاعلية التدريس ترتفع حيث يتوصل أكثر من ٧٥٪ من الطلاب إلى نسبة نجاح تزيد على ٥٠٪ من علامات الاختبار التحصيلي المعد من الباحث".

وتفرعت عن هذه الفرضية مجموعة فرضيات فرعية تتعلق بأثر كل من متغير الطريقة والجنس على التحصيل. وقد سار البحث في اتجاهين متوازيين: نظري وتجريبي. أما أدوات البحث فهي التالية:

١ ــ تصميم برامج تعليمية سجلت على أشرطة فيديو تغطي موضوعات وحدتي البحث.

٢ ــ تصميم اختبار تحصيلي لمادة التاريخ (قبلي / بعدي مباشر / بعدي مؤجل).

٣ ــ تصميم استبانة تعرف آراء طلاب الصف الثالث الإعدادي نحو استخدام برامج الفيديو في التدريس.

٤ ــ تصميم استبانة تعرف آراء المدرسين نحو استخدام برامج الفيديو في التدريس.

طبقت التجربة النهائية على عينة من طلبة الصف الثالث الإعدادي في مدارس مدينة دمشق وبلغ حجم العينة التي خضعت نتائجها للتحليل الإحصائي (٢٧١) طالبا وطالبة، تم اختيارهم عشوائيا، وقسموا إلى:

(أ) مجموعة تجريبية (ذكور، إناث).

(ب) مجموعة ضابطة (ذكور، إناث).

وقد أظهرت نتائج البحث وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين تحصيل الطلبة الذين درسوا الموضوعات المقررة باستخدام برامج الفيديو، وتحصيل الطلبة الذين درسوا الموضوعات نفسها بالطريقة التقليدية، لصالح طريقة برامج الفيديو.

كما دل تحليل نتائج كل من استبانتي آراء الطلاب والمدرسين على آراء إيجابية نحو التدريس بوساطة برامج الفيديو.

وأخيرا توصل البحث إلى مجموعة من المقترحات.

النصراوي، مزيد، كلية التربية ـ جامعة دمشق.

إشراف: أ. م. د. علي الحصري.

الموضوع: فاعلية كل من طريقتي الاكتشاف والتعليم الشرحي ذي المعنى في تحصيل تلاميذ الصف الخامس الابتدائي لمفاهيم الجغرافية الاقتصادية (دراسة تجريبية في مدارس مدينة دمشق).

The effectiveness of both discovery and verbal meaningful learning methods in the achivement of economical geography concepts for pupils of fifth grade (an experimental study in Damascus schools).

توجه البحث نحو تجريب فاعلية كل من طريقة تابا وطريقة أوزوبل في تحصيل تلاميذ الصف الخامس الابتدائي مفهومات الجغرافية الاقتصادية، بعد أن لاحظ الباحث تدني مستوى التحصيل لهذه المفهومات بسبب اعتماد المعلمين على الطريقة التقليدية في تدريس المقرر.

وقد جرى البحث على عينة من مدارس مدينة دمشق الابتدائية واعتمد منهج تحليل المضمون في النشاط البشري في كتاب تحليل الجغرافية المقرر والمنهج التجريبي في اختيار فاعلية الطريقتين، ثم بناء معيار لتحليل مضمون موضوعات البحث وتدريب المعلمات اللواتي سيقمن بتدريس تلك المفهومات. وقد أظهرت نتائج الدراسة عدم صدق الفرضية الأساسية التي بني عليها البحث والتي تقول: لا فروق ذات دلالة إحصائية في تحصيل مفهومات الجغرافية الاقتصادية ما بين المجموعة التجريبية التي تدرس هذه المفهومات وفق طريقة أوزوبل والمجموعة التجريبية التي تدرس المفهومات نفسها وفق طريقة تابا. وتبين وجود فروق ذات دلالة إحصائية لصالح مجموعة تابا.

شالاتي، لينا، كلية التربية، جامعة دمشق.

إشراف: أ. د. يونس ناصر.

الموضوع: نظام كلية التربية في إعداد المدرسين في كل من: (جامعة دمشق، الجامعة الأردنية، جامعة الملك سعود، جامعة عين شمس، وجامعة محمد الخامس).

Comparative study on faculties of education teacher's training programme in Damascus, Jordanian, King Saud, Ein shams and Mohammd fifth universities.

حول هذا البحث تعرف نظام إعداد المدرسين للمرحلتين الإعدادية والثانوية في خمس كليات للتربية ضمن خمس جامعات عربية، وهي: جامعة دمشق، الجامعة الأردنية، جامعة الملك سعود، جامعة عين شمس، وجامعة محمد الخامس.

وقد تضمن هذا البحث ستة فصول:

تناول الفصل الأول: الإطار العام للبحث، ويتمحور حول مشكلة البحث، وأهدافه، وأسئلته، وأهميته، ومنهجه، وأدواته، وحدوده، ومصادره.

وتناول الفصل الثاني: الدراسات والبحوث السابقة التي تمت في البلدان العربية الأخرى، وهي دراسات وبحوث بعضها مقارن، وبعضها الآخر غير مقارن، وتبحث في إعداد المعلمين (قبل الخدمة أو في أثناء الخدمة)، كما كانت هناك دراسات وبحوث تعلق بالتربية العملية.

ويدور الفصل الثالث: حول الاتجاهات العالمية المعاصرة في إعداد المعلّمين، وفيه عرض لأبرز الاتجاهات المعاصرة في إعداد المعلمين.

والفصل الرابع: يتناول التطور التاريخي لإعداد المدرسين للمرحلتين الإعدادية والثانوية في الوطن العربي عامة، وفي الأقطار العربية التي هي موضع البحث بخاصة.

واستعرض الفصل الخامس: واقع نظام كليات التربية في إعداد المدرسين للمرحلتين الإعدادية والثانوية كل من جامعة دمشق، الجامعة الأردنية، جامعة الملك سعود، جامعة عين شمس، وجامعة محمد الخامس. مركزاً على أوجه التشابه وأوجه الاختلاف لمكونات نظام الإعداد التربوي.

وأما الفصل السادس: فقد احتوى على دراسة استطلاعية لآراء أعضاء الهيئة التدريسية والتعليمية، وآراء الطلاب المدرسين في كليات التربية في الجامعات التي هي موضع البحث، وشملت هذه الدراسة المحاور التالية: شروط القبول، محتوى مقررات الإعداد التربوي، طرائق التدريس ووسائله، وأساليب التقويم، الصعوبات والمقترحات.

يعقوب، ينال، كلية التربية، جامعة دمشق.

إشراف: أ. د. ة. حورية الخياط، ومشاركة أ. د. محمد الزحيلي.

الموضوع: فاعلية الطرائق التفاعلية في تدريس التربية الإسلامية (دراسة تجريبية في الصف الثاني الإعدادي بمدينة دمشق).

The effectiveness of the reactive methods in experimental teaching of "Islamic Religion" in the second preparatory school in Damascus.

يتناول هذا البحث فاعلية الطرائق التفاعلية وهي العصف الفكري، والمناقشة، وتمثيل الأدوار، في تحصيل طلاب الصف الثاني الإعدادي بمدينة دمشق في مقرر التربية الإسلامية، وذلك عن طريق تجربة أجراها الباحث على شعبتين تجريبيتين، إحداهما ذكور، والأخرى إناث، وبين شعبتين ضابطتين، إحداهما ذكور والأخرى إناث، ثم تمت المقارنة بينهما عن طريق اختبارين، إحداهما بعدي مباشر والآخر بعدي مؤجل وظهر من خلالها تفوق الشعبتين التجريبيتين على الشعبتين الضابطتين بفارق له دلالته الإحصائية عند المستوى ٥٪، وعرضت على الشعبتين التجريبيتين استبانة ليبينوا آراءهم في الطرائق التي تعلموا بها، ودلت النتائج على رغبة قوية لديهم للتعلم بهذه الطرائق، ثم وضع الباحث في نهاية دراسته مقترحات لتطوير تدريس مادة التربية الإسلامية.

أبو يونس، الياس، كلية التربية، جامعة دمشق.

إشراف: أ. د. فخر الدين القلا، ومشاركة الدكتور هاشم إبراهيم.

الموضوع: فاعلية استخدام الحاسوب في تدريس الهندسة الفراغية لطلاب الصف الثاني الثانوي.

Effectiveness of using computer in teaching spatial geometry.

وازن البحث بين طريقة تعلم الطلبة الهندسة الفراغية بالحاسوب مع طريقة تعلم الهندسة الفراغية بالطريقة التقليدية وذلك في الصف الثاني الثانوي الفرع العلمي، بتطبيق برامج حاسوبية لمقرر الهندسة الفراغية لطلبة الثاني الثانوي، وبرامج تقوية لمعلومات سابقة في الهندسة الفراغية، ثم قياس فاعلية تحصيل في اختبار مباشر ومؤجل أعده الباحث إضافة إلى تنمية القدرة المكانية الثلاثية البعد لدى الطلبة، واتجاهات الطلبة نحو تعلم تلك البرامج، وصعوبات التطبيق، وصمم الباحث الأدوات المناسبة لمعرفة التحصيل المعرفي والاتجاه الوجداني في مجال تعلم وحدة الهندسة الفراغية باستخدام الحاسوب، وكانت النتائج في التحصيل والاتجاهات والقدرة المكانية إيجابية. وناقش النتائج الناتجة عن التجربة وفقاً لتوافقها مع الدراسات السابقة، ثم قدم الاقتراحات المناسبة لتحسين استخدام برامج الحاسوب في تعليم الهندسة الفراغية.

عودة، ثائر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق.

إشراف: أ. د. خليل موسى.

الموضوع: بنية النص السردي عند الروائي غالب هلسا.

The structure of the narrative text of the novelist Ghaleb Halsa.

تتضمن هذه الدراسة: مقدمة ومدخلا" وخمسة فصول. تتحدث المقدمة عن أهمية الموضوع والدوافع لاختياره والصعوبات التي تعرض لها البحث، وتتحدث كذلك عن المنهج المتبع. ويتناول المدخل حياة غالب هلسا وآثاره وإسهامه في خلق رواية ذات شأن في المشهد الروائي العربي. ويحمل الفصل الأول عنوان "بناء الشخصية الروائية" ويتناول مفهوم الشخصية على الصعيد النظري ومن ثم على الصعيد التقني وتجليات نماذج الشخصية في نص غالب بوصفها شخصيات متنوعة، إضافة إلى الحديث عن بطل الرواية وشخصيتها الأساسية ألا وهي غالب نفسه في مجمل رواياته وكيف تجلى في النص وكيف أخبر هو عن شخصيته؟ وكيف أخبرت عنها الشخصيات الأخرى؟ وكيف يمكن للقارئ أن يستنتجها؟ ويتناول الفصل الثاني "بناء الحدث الروائي" طرق بناء الحدث وأهم تجلياته، والرؤية التي حكمت غالب والتنوع في ذلك من خلال: تراكم الحكايات وتنوع الحبكات وتبئير الحدث. ويذهب الفصل الثالث "بناء الفضاء الروائي" إلى التفريق نظريا بين مفهوم الفضاء والمكان، ويبحث في أنواع الفضاء "الجغرافي، النصي، الدلالي" كما تجلى في نص غالب. أما الفصل الرابع "بناء الزمن الروائي" فإنه تدرس الزمن ويتحدث عن أنظمته وأنساقه من حيث الاسترجاع والاستباق وسرعة زمن السرد. ويذهب الفصل الخامس "بناء اللغة الروائية" نحو سياقات غالب ويعاينها على اعتبار أن النص الروائي هو في نهاية الأمر لغة وان البحث في البنى المختلفة التي يتكون منها النص إنما هو بحث لغوي في جوهره. والنتائج التي توصل إليها البحث ستكون في الخاتمة.

الحسين، أحمد جاسم

كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ قسم اللغة العربية

بإشراف : الأستاذ الدكتور علي دياب

الموضوع: شعر ابن المعتز العباسي" دراسة تحليلية حديثة"

Poetry of Ibn Al-Moutaz Al-Abasi "modern analytical study"

نحاول في هذا البحث الاستفادة من المناهج النقدية الحديثة عبر قراءة النصوص وإحصاء بعض ظواهرها وتحليلها، والتركيز على العناصر الجمالية في شعر ابن المعتز. يقسم البحث إلى أربعة فصول ومقدمة وخاتمة وثبت المراجع، الفصل الأول يتناول بيئة ابن المعتز العامة والخاصة وأغراضه الشعرية، والحالة النقدية التي كانت سائدة، والنقد الذي وجه إليه قديما وحديثا، أما الفصل الثاني فيتحدث عن خصائص لغة ابن المعتز الشعرية وأبرز انحرافاتها وعوامل جمالية التركيب وأثر ذلك في شعرية الخطاب الشعري، أما الفصل الثالث فينشغل بالصورة مفهوما وأشكالا وخصائص عبر تحليل النصوص، فيما ينصرف الفصل الرابع للحديث عن الإيقاع بمظاهره المختلفة، ويخلص البحث إلى ضرورة الاهتمام بالعناصر الجمالية لشعرنا القديم والاستفادة ما أمكن من النقد الحديث ويدعو إلى ضرورة إعادة النظر بكثير من الأحكام المعيارية.

غزال-عدنان محمد-جامعة دمشق-كلية الآداب

إشراف:أ. د. عمر موسى باشا

الموضوع: ابن الآبار البلنسي. حياته وأدبه.

Ibn-Alabbar of Valancia his life and literature.

الهدف من البحث دراسة حياة ابن الأبار وأدبه خاصة. وابن الأبار هو: أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي البلنسي، اشتهر بلقب ابن الأبار.

ينقسم البحث إلى بابين:

أ ـ الباب الأول: وهو عصر الأديب، وحياته. وينقسم إلى فصلين:

١ ـ الحياة السياسية في عصر ابن الأبار.

٢ ـ حياة ابن الأبار.

- اسمه، ونسبه، ومولده، وطفولته، ومراحل حياته العملية، وثقافته وصلته بأدباء عصره.
- تلاميذه ووفاته.

ب ـ الباب الثاني: أدب ابن البار. وفيه فصول ثلاثة:

١ ـ شعره: وفيه حديث عن ديوانه وأغراضه الشعرية وخصائصه الفنية.

٢ ـ نثره: وفيه رسائله، وتوضيح لموضوعاته، وخصائصه الفنية.

٣ ـ مشاركته النقدية، ومنزلته عند الأدباء.

ومن النتائج الأساسية لهذا البحث استخلاص الحقائق الآتية:

ـ كان في زمانه أديب عصره المعترف له بالإجادة.

ـ تقوم طريقته الشعرية على التجويد والتنقيح.

ـ أثل فن الاستنجاد في الأندلس باستصراخه ملوك تونس الحفصية.

ـ ولعه بفن المعارضات الشعرية.

ـ تصحيح الكثير من الأخطاء التي ذكرها الدارسون حين نسبوها إليه. ومنها:

١ ـ عزو بعض القصائد الماجنة إليه وهي لابن أبار آخر، وإغفالهم قصائد طويلة لم يذكروها له.

٢ـ وصفهم إياه بقلة الشعر رغم ديوانه الشعري الكبير الحجم.

٣ ـ توضيح أسباب قتله قعصا بالرماح وحرق جثته مع كتبه في محرقة واحدة بإضافة معلومات جديدة نشرت مؤخرا.

زياد، فداء، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق.

إشراف: أ. د. محمود سالم محمد.

الموضوع: الصرصري... حياته وشعره (٥٨٨ هـ ــ ٦٥٦هـ ١١٩٢ ــ ١٢٥٨م).

Al-Sarsari... his life & poetry (588 H – 656 H = 1192 – 1258).

يعرض البحث المقدم "الصرصري... حياته وشعره" رحلة هذا الشاعر في الحياة الدنيا، حيث يقدم الصورة الدقيقة للحياة التي عاشها الشعر في تلك المرحلة، عبر تعرف إيجابيات العصر وسلبياته، وأثر الزمان والمكان في تكوين شخصية الشاعر، وذلك في محاولة لبيان الحد الذي وصله تأثير هذه الحياة فيه وإلى أي حد كان معبرا عنها. ثم يعرض حياة الصرصري وذلك في محاولة للتأكيد من جديد على أمر الربط بين حياته وأثاره، بين ظواهر الحياة وبين العوامل التي أوجدتها أو طورتها، والتي لا يمكن أن نفهمها على وجهها الصحيح دون هذا الربط. ثم أظهر الموضوع الرئيس لديوانه وهو المدائح النبوية، فكان لابد من عرض نشأة ظهور هذا الفن وتطوره وانتشاره وأثره في المجتمع، ذلك أن مدائحه قد حملت في خباياها إشارات سياسية واجتماعية وعرض بعد ذلك موضوعات شعره، فأوضح العاطفة الدينية والفنون الشعرية التي تلاقت مع المديح وتقاطعت معه، وعرض الخصائص اللفظية والمعنوية حيث تم بعد ذلك تحقيق الديوان وخاتمة البحث.

تجور، فاطمة، جامعة دمشق، كلية الآداب.

إشراف: أ. د. عبد الحفيظ السطلي.

الموضوع: المرأة في الشعر الأموي.

La femme dans Poesie Omayadde.

احتلت المرأة مكانا هاما في الشعر العربي منذ أن اشتعلت نار الغزل لأول مرة فكانت ربة الحسن وأغنية البقاء، لعينيها سخرت مملكة البوح ومواهب الشعراء، ولاسيما في العصر الأموي، هذا العصر الذي شهد تفاعلات سياسية واجتماعية عميقة انعكست على ثقافة الشاعر وآماله، كما انعكست على المرأة التي أخذت مكانا – في هذا المجتمع – لم يكن لها في حجمه وأهميته وفاعليته، الاجتماعية والفنية من قبل. إنه العصر الذهبي للمرأة العربية في دمشق والبصرة ومكة والمدينة، في قصور السادة وبيوت الأعراب.

فكانت رابطة وثيقة في الأسرة والقبيلة والمجتمع، كما كانت مزيجا فريدا من الكمال الأخلاقي والجمال الجسدي المقرون بالترف والأناقة والرقي والتحضر، فصورة المرأة العربية المحصنة ذات الحسب الرفيع والأخلاق السامية والجمال الفتان هي الصورة الغالبة للمرأة على صفحة الشعر الأموي.

بيد أن صورتها على مستوى الموضوعات الشعرية كانت تختلف من موضوع إلى آخر، فتحولت إلى رمز مشحون بالدلالات على صفحة الشعر السياسي، وأميرة متوجة في مقدمات قصائد المديح، ولكنها فقدت في شعر النقائض وجودها الإنساني العامر بالقيم وسلبت كل فضيلة كانت موضوع إشادة وثناء.

وكان الشعراء في معظم الصور التي رسموها للمرأة يكثرون من الالتفات إلى كنـــوز التراث الجاهلي ينقبون فيها عن المعاني والصور والأخيلة وقد أمدهم هـــذا الـــتراث بسيل من الصور والمعاني، كما حاول كثير منهم أن يطبع هذا الإرث الفني بطابعـــه الخاص، فتعانق الموروث الجاهلي مع الحضارة الأموية في فكر الشـــاعر الأمـــوي واستطاع من خلالهما أن يشكل صورة للمرأة.

الحميد، أحمد، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية.

إشراف: أ. د. ة. ماجدة حمود.

الموضوع: النقد الأدبي عند مصطفى صادق الرافعي.

Literary criticisem with Mustafa Sadeq Al-Rafee.

إن الأمل من هذا البحث أن يسهم في توضيح صورة الرافعي ناقداً في أذهان كثـيرين من مثقفينا وباحثينا، وأن يغير ما قر في أذهانهم من أن الرافعي كان من اكبر خصـوم الحداثة والتجديد والتطور، بل كانت له وجهة نظر في كيفية التجديد ومواطنـه وفـي الأمور التي لا تقبل التجديد، كما كانت له مواقف من بعـض حملـة لـواء التجديـد واتجاهاتهم ودوافعهم.

وقد جاء البحث مكوناً من خمسة فصول، وعلى النحو التالي: حاولنا في الفصل الأول ان نرسم صورة للمشهد الثقافي في عصر الرافعي، وأما الفصل الثاني فقـد أوضـح المؤثرات الثقافية والاجتماعية في شخصية الرافعي النقدية، بعـد ذلـك انتقلنـا إلـى المعارك النقدية التي خاضها مع أعلام النقد من معاصريه مثل: طه حسـين، العقـاد وغيرهما.

وجاء الفصل الرابع ليسلط الضوء على قضايا نقدية لم يتناولها الرافعي فـي إطـار معاركه النقدية ولما لها من أهمية فقد أفردناها بفصل مستقل. أما الفصل الخامس فقـد حاولنا من خلاله أن نرصد ملامح الموقف النقدي. وقد تبين لنا أن الرافعـي انتـهج منحىً متفرداً في النقد غلب عليه الطابع الرمزي من غير أن يتنكر للتراث أو أن يبتعد عن الظلال الرومانسية.

أبو حلاوة، كريم، كليـة الآداب والعلـوم الإنسـانية، قسـم الدراسـات الفلسـفية والاجتماعية.

إشراف: أ. د. طيب تيزيني و أ. د. عبد الكريم اليافي.

الموضوع: إشكالية نشأة مفهوم "المجتمع المدني" وتطوره، وتجلياتـه فـي الفكـر العربي المعاصر.

The problem of origin and development the concepted of civil society and his appearances in the contemporary Arabic thought.

يشير التداول الواسع لمفهوم المجتمع المدني (Civil Society) في الخطاب الثقـافي العربي إلى ضرورة تأصيل هذا المفهوم وتحديد مدلولاته النظريـة والعمليـة، ممـا يستدعي رصد مكوناته المعرفية والعودة إلى الفضاء الزماني المكـاني الـذي شـهد ولادته، ورسم الملامح العامة للتطورات والانقطاعات التي طرأت عليه فـي سـياق صعود أوروبا البرجوازية الصناعية باقتصادهـا وفلسـفاتها والحركـات والثـورات الاجتماعية التي ساهمت في تكريس قطيعة متعددة الوجوه مع عالم العصور الوسطى.

وبالاعتماد على الطبيعة التاريخية للمفهوم كان الخيار منصبا على معاينة التطـورات والتمفصلات والتغيرات الدلالية التي شهدها خلال تاريخه الطويل. من هنا تأتي أهمية تقصي المنظومة المفاهيمية الذي شكل جزءا منها، كما ظـهرت عنـد العديـد مـن المفكرين أمثال "هوبز" و"ماركس" و"غرامشي"، والتوقف أخيرا عند الرهانات النظريـة والآفاق المعاصرة التي أكسبت مفهوم المجتمع المدني المزيد من الأهمية على ضـوء التغيرات الكبرى التي شهدها العالم في السنوات القليلة الماضية.

على أن معرفة تاريخية المفهوم ومرتكزاته المعرفية والأيديولوجيـة، ليسـت الغايـة الوحيدة لهذه الدراسة، بل هي المقدمة الضرورية لمعاينة أسباب شيوع المفهوم وفهمها

في الخطاب الثقافي والسياسي العربي، والدلالات الجديدة التي يكتسبها، والتوقف نقديا عند أهم الإشكالات التي يثيرها في حقل تداوله العربي، وأخيرا تحديد العقبات المعرفية والأيديولوجية التي تعيق اندراجه في نسيج الثقافة العربية المعاصرة.

ديب، رجا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الفلسفة.

إشراف: أ. د. نايف بلوز.

الموضوع: قراءة أزمة تطور المجتمع العربي عند سمير أمين.

Reading in Arab Society development crisis with Samir Amin.

إن الأوضاع العربية التي تتسم بالتخلف والتبعية، والفشل المستمر في حل قضايا التنمية والتحديث هي وراء اختيار موضوع هذا البحث، وذلك في محاولة للوقوف على العوامل التي أوصلت الأوضاع العربية إلى ما هي عليه الآن، والأسباب التي تحول دون أن يشق الوطن العربي طريق تطوره للخروج من حالتي التخلف والتبعية، والسير على طريق التحديث والتقدم.

حول هذه القضية وجهات نظر عديدة، اخترت أن تكون إحداها موضوع البحث، وهي وجهة نظر سمير أمين، لاعتقادي أنها تتضمن مسائل أساسية ينبغي الوقوف عندها، مثل تحليل ماهية الأزمة وعواملها التاريخية والمعاصرة وطرح مشروع الحل للخروج منها.

ويتضمن البحث أهم المسائل التي يتعرض لها سمير أمين حول مستقبل العالم الثالث والتطور الإنساني، والتشكيلات الاجتماعية ـ الاقتصادية، وأنماط الانتاج، وعملية الانتقال من تشكيلة إلى أخرى أرقى، والوقوف على أطروحاته حول هذه المسائل مثل نمط الإنتاج الخراجي والتطور اللامتكافئ والاستقطاب، وموقع الوطن العربي في المنظومة الرأسمالية العالمية، ومن ثم البديل الذي يطرحه للخروج من الأزمة.

37 - Chambers , p. 13.

38 - Galloway, p.205 .

39 - Galloway, p.205.

40 - See Kaske, p. 295.

41 - Kaske, p. 287.

42 - Chambers, p. 28

43- Kevin Crossley - Holland , ed . The Anglo- Saxon World : An Anthology (Oxford and New York : Oxford Univ. Press, 1984), p.71.

Received, 8-6-1993

case of deception and expediency suggested to Hrothgar by Wulfgar (p. 4 and note 6). This reading would make Hrothgar even less entitled to our sympathy or admiration as a royal host.

31 - Michael R. Near, " Anticipating Alienation : Beowulf and the Intrusion of Literacy " PMLA 108 : 2(1993), 326, See also Kaske, pp. 285 - 86

32 - See Jackson, pp. 28 - 29

33 - Galloway , p. 205 . In note 16 Galloway cites two works that consider the poem critical of the hero or the heroic society : John Leyerle , "Beowulf the Hero and the King, " Medium AEvum 34 (1965). 89 - 102; Harry Berger , Jr and H. Marshall Leicester , Jr . " Social Structure as Doom : The Limits of Heroism in Beowulf in Old English Studies in Honor of John C. Pope , ed Robert B. Burlin and Edward B. Irving Jr. (Toronto : Univ of Toronto Press , 1974) pp. 37 - 79 Defenses of Bowulf and what he stands for are numerous and spread throughout the literature on Beowulf.

34- Galloway , p. 205

35 - It may be objected, in this context, that one of Hrothgar's two sons, Hrethric and Hrothmund, would have succeeded him on the throne in case he was killed by Grendel. But Wealtheow's veiled fear of Hrothulf as a potential usurper of the throne after Hrothgar's death and the fact that her two sons are young boys in need of protrction (11. 1169 - 87) suggest that neither of Hrothgas's two young sons would have peacefully succeeded him on the throne.

36 - For a thorough and insightful discussion of this issue, see Galloway's article. See also the works cited in note 33 above.

father - son relationship by Hrothgar an implicit offer of the Danish throne to Beowulf. I see this as an instance of a critic's reading too much into the text. One should remember in this context that Beowulf is a foreigner coming to the Danish court in good will and in pursuit of fame and glory as a loyal retainer of king Hygelac, he is not a native Dane , nor is he seeking kingship . Moreover, Hrothgar does have a legitimate heir , his own son Hreðdric (11. 1189 , 1226 , and 1836) . And finally, the Danish kingdom at the moment this offer of father - son relationship is made , i.e. after Grendel's defeat , is neither kingless nor in apparent need of any kind of protection beyond that which Hrothgar himself can secure.

26 - Edward B. Irving , Jr Introtucation to 'Beowulf , p. 51

27 - Hrothgar's warmth and passionate love Aeschere become especially significant when compared to Beowulf's intertia at the death of his companion in arms, Hondscio, who was devoured by Grendel in Heorot. Cf. Kroll, p. 124 , where Beowulf's intertia is noted, though in a different context.

28 - See Andrew Galloway , p: 203 and E. Talbot Donaldson, " Overview of the Poem", in Beowulf ed. Joseph F. Tuso (New York : Norton 1975) p. 101

29 - Arthur Brodeur . p.100.

30 - This has been noted by many Beowulf scholars . See for example , Kaske, p.285, and note 24 abve . See also Raymond p. Tripp, " Wulfgar at the Door? A Literary Solution to Beowulf 389 - 90 ," ELN 29 : 4 (1992) , 1-9 . Tripp explains Hrothgar's failing to mention Grendel's mother to Beowulf until after her attack as a

20 - See Judy white , Beowulf , line 78, " the Explicator 51:3(1993) , 38 -39 While arguing that the OE word " Heort" the name given to Hrothgar's hall, can not be translated into a single modern English word. White observes that " There is a sense that " Whred , or destiny, is responsible for Grendel's attempted destruction of the hall, in the same way that a hart is fated by his worth as a game animal to meet with destruction " (p . 138).

21 - See Kroll , not 13.

22 - J.R.R. Tolkien "Beowulf " The Monsters and the Critics , " in An Anthology of Beowulf " Criticism . p . 83.

23 - Herbert G. Wright "Good and Evil : Light and Darkness : Joy and Sorrow in Beowulf " in An Anthology of Beowulf " Criticism . p .261.

24- In The Hero and the King Jackson finds fault with Hrothgar for rejoicing in Grendel's defeat on the grounds that such rejoicing is immature in the light of the fact that Grendel's mother has yet to be subdued (p. 31) I find it hard to understand why Hrothgar should not rejoice in Grendel's defeat after having suffered from his ravages for twelve years, regardless of his knowledge, or lack of it , of Grendel's mother's existence.

25 - For the possible implications of Hrothgar's adoption of Beowulf for a son , both for Beowulf himself and for the Danish court, see Andrew Galloway , "Beowulf and the Varieties of Choice , " PMLA 105 : 2 (1990) , 203 and note 14; see also Jackson , pp. 63 and 126 - 27. Jackson reads into this offer of a

-14 - D. R. Barnes , " Folktale , Morphology, and the Structure of Beowulf" Speculum 45 (1970) , 423 - 24 .

15 - E. B . Irving . Jr. Introduction to "Beowulf" (Englewood Cliffs : Prentice Hall, 1969) , pp. 42 - 43.

16 - See Clare Kinney , " The Needs of the Moment : Poetic Foregrounding as a Narrative Device· in Beowulf" Studies in Philology 82 : 3 (summer, 1985) 295 - 314 . See also Michael D. Cherniss "Beowulf: Oral Presentation and the Criterion of Immediate Rhetorical Effect ," Genre : 3 (1970) , 214 - 28 cited by kinney in note 14.

17 - The authors of the articles cited notes 12 - 14 above opt for strict consistency and novel - type realism , and are thus led to see Unferth's challenge as a formal test Beowulf which is advocated, if not planned , by Hrothgar. For a purely allegorical interpretation of Unferth , which represents the second option, see Morton W. Bloomfield . Beowulf and Christian Allegory : An Interpretation of Unferth , " in An Anthology of "Beowulf " Criticisim , pp. 155 - 164 .

18 - Edward B. Irving , Jr . A Reading of Beowulf pp. 38 - 39. In a more recent paper read at the MLA meeting [section 54] los Angeles 1982 and cited by Kroll, Irving goes so far to argue for an interpretation of Hrothgar as " an impotent , immobilized old man who can only cede his power and hall to Beowulf " Kroll , p. 122 , note 13 It is clear that the present study disagrees with such an interpretation and aims primarily at refuting it .

19 - See Kroll , p. 122. Kroll makes a similar comment on Hrothgar 's welcome - speech to Beowulf .

7 - See Kaske , pp. 279 - 80 , and note 22 Kaske lists most of the references to Hrothgar's " fortitudo" in the poem and observes that " they can all be interpreted without violence as references to something other than the literal present " (p. 279).

8 - See Schucking , p.42.

9 - Howell D. Chickering , Jr . Beowulf : A Dual Language Edition (New York : Anchor Press , 1977) , p.299.

10 - See Norma Kroll , "Beowulf : The Hero as Keeper of Human Polity " Modern Philology 84: 2 (November , 1986) 122 and note 13 .

11 - Cf Kroll, p. 126 Kroll sees in Unferth's lack of sufficient courage to challenge Grendel a failure of lordship for which" Unferth's punishment is the loss of the glory ... earned by Beowulf " (p. 126). I find this equally applicable to Unferth's failure to fulfil the obligtions of kinsmanship , albeit this latter failure is both a moral and political one . The loss of glory and lordship among his kinsmen may have been considered by Hrothgar and the Danes enough punishment for the otherwise admirable Unferth, especially if he had regretted and repented his fratricidal past.

12 - Arthur Brodeur , The Art of Beowulf " (Berkeley and los Angeles : Univ of California Press, 1959) . p. 144.

13 - Chickering , p. 299.

Notes

1 - See H.L. Rogers ," Beowulf's Three Great Fights" , in an Anthology of "Beowulf " Criticism. ed. Lewis E. Nicholson (Notre Dame and London: Notre Dame Univ, Press, 1963) pp. 254 - 55.

2 - See F. Klaeber, ed. Beowulf and the Fight at Finnsburg 3rd ed. (Lexington : D. C. Heath , 1950), pp. Lxi - Lxii .

3 - For a detailed discussion of these ideals , in which the pagan Germanic and the Christian are amalgamated , see Levin L . Schucking, "The Ideal of Kingship in Beowulf", An Anthology of "Beowulf " Criticism. pp. 35 - 49; R. E Kaske , " Sapientia et Fortitudo , as Controlling Theme of Beowulf", An Anthology of "Beowulf " Criticism. pp. 269 - 310 ; and W.T. H. Jackson , The Hero and the King : An Epic Theme (New York : Columbia Univ , Press. 1982).

4 - See Schucking , pp. 42 - 43 and note 4 .

5 - This and all subsequent quatations from the OE text Beowulf come from the edition by C. L. Wrenn , Beowulf with the Finnsburg Fragment 3rd ed. (New York : George Harrap , 1973). The MnE rendering is that of E. Talbot Danaldson , included in Beowulf ed. Joseph F. Tuso (New York : Norton , 1975) pp. 1-55

6 - E. B . Irving, Jr A Reading of Beowulf " (New Haven and London: Yale Univ , Press, 1968) p.3 .

> In the old king Hrothgar, the young hero Wiglaf and Beowulf himself, the poem has at its heart three protagonists - three representatives of different generations - who embody and proclaim a pronounced and coherent set of values. [43]

Although Hrothgar in Beowulf was not an ideal hero or an ideal hero - king , it is certainly clear that in the eyes of his people and in the poet's picture of him.

" þæt wæs gōd cyning !"

Hrothgar remains a good king despite his shortcomings. He is a good king because of his interest in harmonious order as a high ideal. He rejoices in the friendly ties and peace, brought by Beowulf's voyage, between the Danes and the Gēats (11. 1855 - 56) . He has been able to secure and maintain the happy accord within the Danish community (11. 228 - 30)[40] One would not go so far as to agree with Kaske's assertion that, like Scyld, Hrothgar is a model of the kingly ideal, " and the fulfilment of the whole ideal in each of them seems implied by a summary attribution of excellence to each: þæt wæs gōd cyning! [that was a good king][41]... Yet, the Danish patriarch remains a good king, and , in referring to him, one tends to adopt, with some qualification , Chambers's phrase, " the almost ideal king Hrothgar. [42]

The crux of the matter lies in whether the role of he hero and the role of the king are separable from each other in Beowulf, that is , whether it is at all possible or conceivable for an Anglo - Saxon king to be a good king without necessarily being an ideal hero - king. The poem, as this paper suggests, implies a positive answer . It presents the career of old king Hrothgar, Beowulf's foil and spiritual father , as a delineation of one of its major themes : that the tragedy of the heroic mode of life lies, at least in part, in the ultimate unattainability of integrating the ideals of heroism and kingship without serious risk to both the community and the self.

In conclusion, it may be well to restate that this paper attempts to demonstrate that the full significance and validity of the major theme of Beowulf would not have been achieved without Hrothgar's role as Beowulf's foil and spiritual father. As a leading medievalist and scholar of old English literature has rightly observed,

As Andrew Galloway observes, Wighlaf becomes the spoksman of Beowulf's free choice in the last third of the poem.[38] Beowulf himself calls him, " beloved Wiglaf" (1. 2745a), and refers to him as his only surviving kinsman (1. 2813). And, among Beowulf's retainers, he is the only one with the potential of filling the void created by Beowulf's death.

Wiglaf valor and support of Beowulf at the moment of the latter's death and the fact that Beowulf passes to him his golden necklace and his war gear (11. 28809 - 12) may suggest that the foreboding prospects for the Geats predicted by the messenger (11. 2910b - 13a) are only a possibility. His rebuke of the cowardly retainers distinguishes him from them and associates him with the heroic stuff of which Beowulf himself is made. Moreover, in the two lines quoted above (3077 - 78), Wiglaf reflects deep insight: he utters a piece of universal wisdom through which he relates the present state of his nation to the occurrences common in the heroic world. These words are significant because with them" Wiglaf laments the larger social consequences that must develop from Beowulf's personal choice."[39] But their special significance lies in the fact that they express Wiglaf own independent point of view, his evaluation of his ideal lord's personal choice of fighting the dragon singlehandedly. In this way , Wiglaf proves to be a worthy heir of Beowulf, not only valiant, but also insightful independent, outspoken, and self - confident.

It is the example of Beowulf that inspires a young warrior like Wiglaf to become what he is. By contrast Hrothgar's kingdom lacked the heroic example , and , therefore , had neither a Beowulf to face Grendel, nor a Wighlaf to support him heroically in the fight and succed him if he dies fighting for his people. Yet of course , there is no guarantee that Wiglaf will become another Beowulf, just as there was no guarantee that Hrothgar become another Scyld Scefing. And it remains true that the <u>Beowulf</u> poet's discrediting of Hrohgar as a good king.

actions of a king than to their consequences on the personal level. But that would be a cheap shot: Hrothgar's failure to face the Grendel in signle combat had more behind it than that. Be that as it may, though, here is no gainsaying that Hrothgar was no monster-queller. But that hardly disqualifies him as a good king, a generous and prudent lord of men who knew how to sail the ship of his kingdom in the midst of a strong sea of tribal feuds and inter- tribal rivalries.

The predicament of the two men is virtualy the same. But their ways of handling it (both in inner, psychological, and practical terms) are different. While Hrothgar " endures" Grendel's attacks, Beowulf " fights" the dragon. As a result, Hrothgar survives, but Beowulf dies. Yet this difference in terms of the practical outcome for each of the two old kings and their peoples is rather apparent than real. For one thing, neither of them could live forever. For another thing, if Beowulf's kingdom disintegrates after his heroic death, Hrothgar's survival of Grendel's attacks offers no guarantee for his kingdom against disintegration after his death, be it heroic or otherwise. In other words, the cause of disintegration lies in the nature of the heroic society and the tensions inherent in it, rather than in the individual character of its leader. [36] Indeed and despite the loss of its all important leader in the fight against the dragon, the Geatish nation fares better than the Danish nation, even in practical terms. This becomes clear when we put into focus the fact that the heroic character and the heroic death of the old king Beowulf were inspiring enough to produce a new heroic leader in the person of Wiglaf, whereas Hrothgar's character and survival can hardly be said to have been inspiring in the same way .

Wiglaf plays a significant role in Beowulf . It is true that upon Beowulf's death he " stops at once into the place of command on account of his valor in slaying the dragon..." [37] , but the poet seems to be preparing him for this role even before Beowulf's death, and on account of other things besides his valor in slaying the dragon.

unfortunate that Beowulf should insist on it: he regrets the fact that Beowulf's men , including Wiglaf himself, could by no wise counsel dissuade him from seeking the dragon (11. 3079-83). The shifting in tone in Wiglaf's speech at this point from explicit regret and mild disapproval to exaltation of Beowulf's heroic destiny reflects, in my opinion, a shifting of perspective: viewed in the perspective of its social ramifications, Beowulf's death appears to Wiglaf catastrophic and destructive, but when he considers it in its personal perspective, it appears to him truly heroic and befitting for the ideal hero - king he has known Beowulf to be. As an embodiment of the ideal hero - king though, Beowulf himself cannot afford this shifting in perspective, He handles the dragon dilemma in the only way he sees possible: by fighting the dragon to death.

However, the notion that Beowulf's death will probably prove to be catastrophic for his people does not necessarily suggest that Beowulf's decision to fight the dragon is implicitly condemned in the poem. For although that decision " is, as many readings have emphasized, deeply problematic,"[33] it is obviously unavoidable. It is Beowulf's duty as an ideal hero - king to protect his people. Besides , as Andrew Galloway puts it, " (who elso could respond to the threat)"[34] posed by the dragon?

By contrast, Hrothgar's way of handling the Grendel dilemma is different. Hrothgar was a king of a different calibre from that of Beowulf, and he knew this limitation of his well enough. Grendel was a monster. Hrothgas was no monster - queller, and he knew this for a fact. Thus, for him, facing Grendel in single combat was virtually like committing suicide. Had Hrothgar done so, his kingdom would have been put on the verge of disintergration without coming any closer to putting an end to Grendel's malice and ravages. [35] One may be tempted to conclude that, like Wiglaf and the other Geats who counselled Beowulf not to fight the dragon, Hrothgar gave more weight to the social ramification of the

all. Internal evidence against this thesis is not lacking in Beowulf, and a few considerations will make this evident.

For one thing, the poet avoids condemning Hrothgar, whether in his own voice as narrator or through any of the characters of the poem, for his failure to sacrifice himself for his people. Nor does he criticize him for his complete dependence on Beowulf's help against Grendel. In fact, the poet refers to Hrothgar repeatedly as a wise king, dwells on his generosity', and reports his people's love for him. There is nothing in the poem to suggest that Hrothgar is unworthy of his seat as king.

Secondly, and despite all the overt unqualified praise showered on Beowulf up to the moment of his death. there is a tinge of covert regret, bordering on disfavor, in connection with the dire national and social consequences of his death at the end of the poem. Not only are these consequences made plain by the messenger as he announces Beowulf's death (II.2910b - 13a) but they are reiterated by Wiglaf himself, Beowulf's own kinsman, his only loyal retainer, and, most probably, his successor on the throne. The tone of Wiglaf's reflection on what he has just been witness to, i.e. his dear lord's death reminds one of the Maldon poet's attribution of criticizing his beloved lord directly, but he does voice regret for the fact that his people have to suffer distress through the individual will of their hero king, Beowulf:

oft sceall eorl manig ānes willan
wrǣc ādrēogan swā ūs geworden is
(ll.3077-78)

[" Often many a man must suffer distress for the will of one man, as has happened to us..."]

A few lines later, Wiglaf refers to Beowulf's death as his " heah-gesceap [high destiny] (1.3084), and associates it with powerful fate (1.3085), but he does so only after he has suggested that it is

wisdom he shows on other occasions. Nor is his conduct in deserting Beowulf excusable.

Explaining Hrothgar's conduct in this episode, though, is more attainable than excusing him. His failure to take action in an attempt to support Beowulf or save his life is hardly uncharacteristic of him as an old king whose heroic qualities of physical strength and bravery are matters of the past. Old Hrothgar hardly tries to impress his Geatish guests (or his own Danish retainers, for that matter) as a man of action . Nor does the poet try to impress us with him as such. Indeed, Grendel's attack on Heorot turns Hrothgar inward, isolates him from action, and renders wise counsel ineffectual for him . It even renders the Danish community as a whole " strangely inert." [31]

Now we come to the last major component of the kingly ideal as mentioned at the outset of this study, namely, the king's sacrificing of himself for his people . Hrothgar does not die to save the Danes from Grendel or Grendel's mother. He, therefore, may seem unequivocally lacking in terms of this basic component of the ideal of kingship. And it is precisely this failure of Hrothgar's that the remainder of this study will be concerned with.

While there is no gainsaying that Beowulf's sacrificing of himself for his people is highly commendable, one finds it hard to agree with the viewpoint that Hrothgar's failure to sacrifice himself for his people discredets him completely as a king. In support of this latter viewpoint, W .T. H. Jackson goes so far as to assert that by failing to face Grendel and to save his nation from him, or else die in the attempt, Hrothgar forfeits his right to kingship, since he fails in the primary duty of a king. [32] With this argument one has to quarrel.

Jackson's view bears a geoss oversimplification of the Beowulf poet's treatment of the ideal of kingship to the effect that, in Beowulf , a king must either be an ideal hero - king or no king at

1605). This episode invites detailed discussion because Hrothgar's conduct in it is hard to excuse, though not impossible to explain.

In discussing this episode, Arthur Brodeur suggests that the poet absolves the Danes of blame that, first, they can be of no help, and, secondly, they anticipate further persecution by the ogress; he concludes by stating that " they have a claim upon our sympathy". [29]

One finds it hard to agree with Brodeur's tmptingly sympathetic, yet hardly persuasive, argument. This argument raises, but never settles, the question of why Beowulf's own Geatish men do not follow suit and depart with the Danes from the mere. Like Hrothgar and his retainers, Beowulf's men cannot be of help to him , and they surely anticipate further persecution by the ogress as much as Hrothgar's wise "witan" [counsellors] do. Yet Beowulf's loyal followers do not depart from the mere without their lord. If the reason for their staying lies in their bravery and self - confidence, it is hard to avoid the conclusion that the Beowulf poet is implicitly making the point that the Danes are devoid of both. If it lies in their love and loyalty to Beowulf, it is even harder to avoid discrediting the Danes for failing to show equal love and faithfulness to the man who has obliged them so much by risking his very life twice to save them from monsters. On both accounts , the Danes are more likely to risk our sympathy than secure it by departing. Their claim upon our sympathy and admiration is even more dubious if their departure is viewed as reflecting prudence and practicality. For in that case, Beowulf emerging from the mere alive and victorious proves their judgment to be poor and their hearts to be shaky. In any case, one would expect wise Hrothgar not to be hasty in taking his men's anticipation of Beowulf's death for granted. But he has shown such poor judgment before- when he failed to anticipate Grendel's mother's attack on Heorto in revenge for her son despite his awareness of her existence. [30] There is no gainsaying that Hrothgar's judgment on this occasion is incompatible with the

sharpens the contrast between the youthful warrior and the aged king: while referring to Beowulf as the " sigor - eadig secg" [man happy in victory] (9I. 1311), " æþele cempa " [noble champion] (I.1312), and " fyrd - wyrðe man " [worthy warrior] (1.1316), the poet refers to Hrothgar as the " frōd cyning " [old king] (1.1306). " hār hilde- rinc" [hoary warrior] (I. 1307), " snotera" [wise one] (I.1313) , and " wīsan " [wise one] (I.1318). The helplessness of old Hrothgar and his complete dependence on the youthful Beowulf are highlighted and put in sharp contrast with the latter's firmness of purpose and resolve, and with his capacity for swift action. [28] On the one hand, we have the old king, reported by the poet to be sitting in Heorot, as if in trance, waiting to know if God will ever bring about change for him again(II. 1314-15), and made to admit his utter helplessness and complete dependence on Beowulf (II.1376b-77a). On the other hand, we have the youthful Beowulf whose reply to Hrothgar's excessive sorrow and desperate appeal (II.1384-96) is brief but quite purposeful: revenge is a better cure tha mourning ; glory in life is the best defence against death; and action - immediate action - is the remedy for the woes of the moment;

Ārīs , rīces weard uton hraþe fēran
Grendles māgan gang scēawqigan
(II.1390-91)

[Arise, guardian of the kingdom, let us go at once and look on the track of Grendel's kin.]

There remains one episode with additional significance for Hrothgar's career as a king, namely, the Danes' departure from Grendel's mother's mere, led by Hrothgar, after they mistakenly come to think that Beowulf has been killed by the ogress (II. 1591 -

alliance with the Geatish people as well. Hrothgar's handling of the situation after Beowulf's victory over Grendel is truly " quite characteristic of him as a majestically sententious patriarch".[26]

During the feast that follows (II.1008 - 1233), Hrothgar's generosity exceeds the limits. He repays Beowulf's battle - deeds very generously. He gives treasure to each of the men on the benches. Nor does he forget to pay with gold for Hondscio, Beowulf's man slain by Grendel the night before (II. 1053-57). Beowulf is particularly impressed with Hrothgar's generosity: it is one of the few things he praises Hrothgar for after his return to Hygelac's court (II.2101 - 2104).

Hrothgar's fatherly conduct towards his men is especially remarkable. He mourns the dead Aeschere, killed by Grendel's mother, with the greatest sorrow and highest praise (II.1322-29).[27] He even calls him " treasure - giver" (I.1342), thus showing himself to be a modest and true " wine - drihten" [friend and leader] in whom the friend and the lord are one and the same person. In this human quality of Horthgar lies the secret of his people , love for him, despite his failure to protect them in person from Grendel,

Nē hīe hūru wine - drihten wiht no lōgon

glædne Hrōðgār ac þæt wæs gōd cyning

(II. 862 - 63)

[Yet they found no fault with their own dear lord, gracious Hrothgar, for he was a good king].

In the wake of Grendel's mother's attack and the death of Aeschere, Hrothgar seems to sink completely into grief and despair. The poet , here, tries to fix our minds on the king's old age , his helplessness, and his utter dependence on Beowulf's help. He

but he also withdraws from the scene of ideal heroism and , by poetic design, leaves it to the protagonist of the poem.

With such contrastive design of the relative capacities of Hrothgar and , Beowulf, the poet is reinforcing the direct contrast of youth and old age , the contrast which is , as J.R.R . Tolkien rightly observes, one of the major themes of the first half of the poem. [22] He is weighting down heavily on Hrothgar to give credit to Beowulf and make the contrast between them more poignant . At the same time , he is highlighting the limitations of time (old age) upon man by showing their adverse effect on Hrothgar, the old king, now and anticipating their inevitably similar effect on Beowulf, the great hero, later in the poem. The poet seems to be preparing for the last scene of the poem, when the final parallel is between the invevitable end of the now young Beowulf and that of his elder, Hrothgar. In Herbert Wright's words,

> Just as Hrothgar, after protecting the Danes for fifty years(I. 1769), in his old age to endure the attacks of Grendel, so Beowulf, worn by time, after ruling the Geats for exactly the same period, is called upon to face a struggle with yet another monster, the most fearsome of all, the fiery dragon. [23]

More insight into the fabric of Hrothgar's character as an old king is gained from his reaction to Beowulf's victory over Grendel. Rrjoicing in the scene of Grendel's hand, hung on the roof of Heorot, [24] Hrothgar stands on the steps and delivers a speech(II.928 - 56) in which he thanks God and expresses gratitude and love towards Beowulf . In this speech, Hrothgar notes the miracle - working hand of God in his deliverance from despair, thus implying that Beowulf succeds in doing what no Dane could do only through God's help. Then the old king turns gratefully to the young hero and promises to love him as a son, [25] thus initiating an intimate personal relationship with Beowulf himself and a potential

wig - fruma" [war - chief] to refer to Hrothgar while reporting his departure from heorot (II. 664 - 65), And still more ironically, he puts in hrothgar's mouth, just before he leaves the hall, these words addressed to Beowulf :

Nǣfre ic ǣnegum men ǣr ālȳfde
siððan ic hond and rond hebban mihte
ðrȳþ-ærn Dena būton þē nūða
(II. 655-57)

[Never before ; since I could raise hand and shield,
have I entrusted to any man the great hall of the Danes, except now to you....]

Hrothgar here sounds quite condescending, as if he were doing Beowulf a favour by entrusting " the great hall of the Danes " to him . But we know , and Hrothgar himself does, for that matter, that he has no choice. As he did earlier while reminding Beowulf and the Danes of his past favours to Ecgtheow, Beowulf's father , Hrothgar here tries to hide his present impotence by attesting to his former bravery and prowess. [19]

Even here , the poet's irony notwithstanding, Hrothgar has a claim upon our sympathy, both as a man and as a poetic persona . As a man Hrothgar is the embittered old king, weak and helpless not through a failure or fault of his own, but through the workings of fate, [20] and because of the nature of his enemy (a preternatural monster) and the limitations of old age. As an epic persona , he is the protagonist's foil, " created" and qualified with a poetic purpose in mind: the purpose of providing a contrast to offset the extraordinary nature of the protagonist's heroism and strength. [21] Thus, Hrothgar deserves our sympathy on both scores. Not only does he withraw from the scene in Heorot and leave it to Beowulf ,

> [.... until , in a little while, the son of Healfdene wished to seek his evening rest. He kenw of the battle in the high hall that had been plotted by the monster , plotted from the time that they might see the light of sun until the night , growing dark over all things, the shadowy shapes of darkness, sould come gliding, black under the clouds.]

tise king's retiring to bed(II. 644b- 646a) and his anticipation of Grendel's imminent attack (II. 646b - 651a) are separated with a semicolon in Klaeber's edition of Beowulf , a fact which has encouraged some critics to consider the relationship between them a relationship of cause and effect. Edward Irving comments on these eight lines together saying:

> Perhaps this knowledge on Hrothgar's part is offered [by the poet] as a kind of reason for his retirement from the scence; at night it is now Grendel's hall, as it has been for twelve years - or else it may be Beowulf's hall. [18]

It is hard to disagree with Irving's interpretation here in as much as it suggests Hrothgar's resignation and passive submission to his fate. But, both Klaeber's punctuation and Irving's interpretation of it notwithstanding, it is hardly plausible to seek irony in the passage or find any insinuation of pragmatic or cold calculation on the part of Hrothgar. The old king's knowledge that Grendel's attack is imminent is simply a matter of fact. His retiring to bed away from Heorot has been undeniably a matter of habit for the past twelve years under the pressure of Grendel's attacks. And on this particular night, what else can he do but follow the custom of years (as Irving himself says)?

Even when the poet relates Hrothgar's actions or words on this particular occasion with a tinge of irony, Hrothgar remains entitled to our sympathy. Ironically enough, the poet uses the designation "

Yet we should make the point that we do not really wonder about Hrothgar's feelings here because the poet ignores the question; in fact the question does not arise until a critic asks it. It is the audience who want to know about Beowulf, and it is for their benefit that the poet devises the flyting match. In doing so, he forgets about Hrothgar, and it may very well be a mistake for the reader to speculate about what the king was thinking. In epic poetry, one needs not look for the kind of narrative consistency one finds in a novel; it is not unusual for the poet to sacrifice narrative consistency in favour of immediate effects, aesthetic or otherwise. [16] The notion that the Unferth episode(or any other episode, for that matter) may be signficant for the theme of the poem as a whole need not impose severe limitations on our interpretation of the episode. Our options are not limited to two: that every minute discrepancy or inconsistency, apparent or real, in the episode be explained or else that an allegorical interpretation of Unferth be sought. [17]

Hrothgar's retiring to his bedroom in the evening of the fight against Grendel poses some questions too. The poet places it in juxtaposition with the notion that Hrothgar knows that a bloody fight must have been being plotted by Grendel all day long:

o þþæt semninga

sunu healfdenes sēcean wolde

ǣfen – ræste wiste þæn āhlǣcan

tō pǣm hēah - sele hilde geþinged

siððan hīe sunnan lēoht gesēon meahton,

oþðe nīpende niht ofer ealle

scadu - helma gesceapu scrīðan cwōman

wan under wolcnum

flyting match between his spokesman and his guest. Chickering links Hrothgar's aristocratic attitude with his scepticism about Beowulf chances of success in defeating Grendel and concludes that the Unferth episode shows that" the untested hero is not accepted wholeheartedly." [13] Barnes testifies that corresponding folk material to the Unferth episode makes this motif a "test" of the new comer; hence , in Barnes's view, we can at least understand Unferth's marked incivility without any rebuke from the hospitable Hrothgar. [14] Irving takes a similar stand when he suggests that even though he accepts Beowulf good intentions, Hrothgar still realizes that Beowulf has not presented all his credentials, there is still one test to come , and that is Unferth's. [15]

If we are to wonder about Hrothgar's feelings and thougthts during the unferth episode, we may find that, on the whole, it is more likely than otherwise that Horthgar listens approvingly to Unferth's provocative challenge to Beowulf. Such a challenge will goad Beowulf to boast and thus commit himself beyond return to making good with heroic deeds what has been heard about his bravery and strenght. This is particularly in line with the Germanic heroic formula of intention, word - deed , which starts with the heroic intention, leads to heroic bosting, and is completed with the heroic deeds that fulfil the boasting and lend value to the intention. Moreover, and irrespective of Unferth's motive, which the poet characterizes as jealousy(II.499-505), Hrothgar must be curious both to know what Beowulf has to say and how he would react to Unferth's challenge. For this is an opportunity for Hrothgar to be truly informed about the hero through his own words, and to come to know his own words, and to come to know his temperament and personality directly. Therefore, it is understandable that he would tolerate Unferth's incivility and let it pass without any rebuke. This reading of the text is supported by the poet's assertion that, having heard Beowulf end his reply to Unferth's challenge with a boast, Hrothgar "woes on salum" [was in gladness] (I.607).

Murder of kinsmen is one of the gravest crimes or sins for the Anglo - Saxon or Germanic hero. It is antiheroic. And Hrothgar knows that. He condemns it at length while warning Beowulf against the bad example of Heremod (II.1707-24). Why, then, does he take up a murderer of his own brothers as his chief counsellor? Is it because he admires Unferth's mind or reason, and thus forgives him for this deadly sin? Or is it a weakness of his that renders Horthgar unable to get rid of Unferth? Or else what is it? The poem sheds little light on this question . The poet presents Unferth as a chief counsellor of Horthgar without deeming it essential or necessary to explain fully how he has acquired and maintained this position. He only reports that the Danes trusted Unferth's heart and the great courage he had (II.1166-67).

Whether Unferth's great heart and courage intimidated Hrothgar or made up for his earlier fratricide in Hrothgar's eyes is not clear here; Yet we may find some illumination of the situation in the fact that Beowulf himself, who can by no means be said to have been intimidated by Unferth, accepts Unferth's offer of reconciliation and friendship when he takes Hrunting, Unferth's sword, and uses it against Grendel's mother. This may suggest that, among other things, prudence, or even expediency, rather than fear on the part of Hrothgar was behind his acceptance of Unferth as a close retainer in spite of the latter's criminal past.[11]

The second, and major, issue arising from the Unferth episode is that of Hrothgar's silence about Unferth's hostile move against Beowulf . Critics have busied themselves for a long time with this issue: They tend to agree that Unferth's conduct is very strange in the ligh of his lord's cordial reception of Beowulf :' It seems strange " says Arthur Brodeur, "that he [unferth] should have dared to violate his official duty and flout the plain intention of his lord"[12] Many are the <u>Beowulf</u> scholars who have tried to account for Hrothgar's failure to punish, rebuke, or at least silence Unferth. They speculate about the King's feelings and thoughts during the

indebtedness to him(i.e. to Hrothgar) he delays expressing his great sorrow at Grendel's devastating attacks until he has thus obliged Beowulf . This indicates a feeling of uneasiness and insecurity on the part of Hrothgar as he prepares to open himself up to his guest. He is probably too dignified to expose his own and his people's weakness immediately or admit their desperate need for help. The horrifying Grendel affair must be weighing heavily on his mind, but he calculates and chooses to sound as dignified as possible. [10]

However, as Hrothgar proceeds with his speech(II.473-88),he comes to confess how terrible and humiliating Grendel's violence has been to himself and his people. He sorrowfully admits that, for all their boasting, his retainers have been unable to check Grendel or put an end to his attacks. Hrothgar's sorrow over the suffering of his people at the hands of Grendel and his abstaining from blaming or criticizing them reveal him as a kind, caring , and fatherly king, much concerned about his people's safety . It may be safe to assert, in this context, that more than anything else, it is Hrothgar's " sorrow" that is impressive, sorrow which becomes almost an emblem of his feebleness and grief in old age: he feels strongly but lacks the power to act .

During the warm welcoming of the guests and the feast that follows, Unferth, Hrothgar's principal counsellor, challenges Beowulf to account for his foolhardiness and loss in a swimming match against Breca years before and voices misgivings about Beowulf's success in his coming fight with Grendel . Hrothgar's greatness as a king may seem to be marred by two considerations that arise from this episode, usually referred to as the Unferth episode . The first concerns Unferth's high position at Horthgar's court despite the former's bad reputation as a slayer of his own kinsmen (II.587-89) The second is Hrothgar's attitude toward Unferth's maltreatment of Beowulf The first of these two considerations proves to be a minor one , and we will take it up first.

grieving for Aeschere, all the evidence for Hrothgar's kingly qualities mentioned thus far comes the poet's introduction to the action proper in the poem, in which the poet gives an account, in his own voice, of the Danish past history in general and Horthgar's life history in particular. As such the image of Horthgar created by this evidence would lack dramatic truth and validity unless it is reflected in his behavior.i.e, words and actions , in the poem . With this in mind, we will proceed to find out how much dramatic truth king Hrothgar enjoys as a poetic persona.

Kingly wisdom, generosity, and benevolence are all reflected in Hrothgar's own words and actions. In his address to his own retainers when he is first informed of Beowulf's arrival at his court(II. 371-89),

Hrothgar's shows himself to be a good king by the standards of his time. He reflects knowledge of what goes on in the heroic world: he knows who Beowulf is - he knew him as a boy, knew his father very well, and has heard stories of his great strength. Moreover, he anticipates the motive of the Geat's trip to the Danish land and concludes that God must have sent Beowulf to save the Danes from Grendel's terror (II,380-84).

All this, though, is said about Beowulf before he goes in to meet Hrothgar. When Hrothgar speaks directly to Beowulf, his tone changes and his admiration of Beowulf acquires a tinge of condescension. He is at pains to make the point of telling his guest that he, Beowulf, is only fulfilling his father's obligation towards the Danish royal court(II,457-72). Hrothgar's attitude towards Beowulf at this point may be taken with good will; i.e,as reflecting the king's innocent wish to let Beowulf know that the friendship and mutual support between the two families is deeply rooted in the past . Yet there seems to be more to it than that; one tends to agree with Howell D. Chickering's observation that the tone, here , springs "from Hrothgar'saristocratic nature"[9]. Horthgar starts his address to Beowulf with this reminder of the latter's father's

However , this early assertion of Hrothgar's success in war, which implies bravery and physical strength, avowedly refers to the past.[7] His present fame and successful rule rest on his wisdom and prudence rather than on bravery and strength. Hence the strikingly strong emphasis in the poem on Hrothgar's intellectual powers and old age.[8] Old age is associated with wisdom in the poet's portrayal of Hrothgar, this is clearly indicated in the poet's frequent use of terms like " frod" [old], and " snotor" [wise] to refer to Hrothgar.

Hrothgar's generosity and truthfulness are also stressed by the poet as soon as the former is introduced in the poem. In Heorot, Hrothgar would give to his young and old retainers all that God has given him and all that is in his power to give (II.71-73). He does not fail to fulfil his promises to the Danes as soon as Heorot is finished,

Hē bēot ne ālēh bēagas dælde

sinc æt symle

(II.80-81a)

[he did not forget his promise : at the feast he gave out rings,treasure]

Thus wisdom and generosity, two basic components of ideal kingship, are obvious attributes of Hrothgar from the very beginning of the poem. Nor are they his only kingly attributes. To them are added such qualities as modesty, kindness, and love for his men. Unlike Heremod, Hrothgar is never said to have killed or humiliated any of his retainers. And when Aeschere is killed by Grendel's mother, Hrothgar grieves bitterly for him and speaks of him as if he were his companion - in - arms rather than his follower(II.1322-44).

It is noteworthy here that with the exception of Horthgar's bitter

Heremod grew for the destruction of his people instead of their joy. He misused the might and power God gave him over men. Therefore, he deserved to fall and be punished with banishment and alienation. Killing his table- companions , however, was not the only crime King Heremod was guilty of. The other damaging thing to his kingship was his stinginess and lack of generosity:

nallas bēagas geaf

Denum æfter dōme

(II. 1719b - 1720a)

[no rings did he give to the Danes for glory]

Where " treasure - dispenser" , " ring - giver" , and similar expression are synonyms of " king " and " lord" , a king like Heremod can not be a good, let alone an idal one. He is virtually " the antitype of kingship" [6] And it is against this antitype of Kingship that Horthgar will bemeasured.

When he first appears in the poem, King Horthgar is carefully introduced as a lord whose success in war has caused many a faithful retainer to gather around him and obey him:

ba waes Hrōðgāre here - spēd gyfen

wiges weor - mynd þat him his wine - māgas

georne hȳrdon oððþæ t sēo geogoð gewēox

mago - driht micel

(II. 64-67)

[Then Hrothgar was given success in warfare , glory in battle, so that his retainers gladly obeyed him and their company grew into a great band of warriors].

his people in the fight against the drgoon towards the end of the poem.

Yet , one may safely contend that Hrothgar is portrayed in the poem as a good King. He enjoys most of the qualities of the ideal king. The poet's use of the epithet " gōd " to describe both Hrothgar and Scyld Scefing (II. 11 b and 863 b, successively) suggests his admiration of Hrothgar's Kingly attributes , since Scyld, the founder of the Danish dynasty, is referred to as an ideal hero - King (II. 4-11). It is my contention in this study that , while reserving the status of the ideal hero - king for his protagonist , the Boewulf poet allows Hrothgar the status of the good king despite the incompatibility of the two ideals (of heroism and Kingship) in him. This should become clear as we proceed to examine Hrothgar's character and career as a King in the light of the ideal of Kingship as stated above.

We readily find that in Boewulf prudence is given priority over valor as a key-factor in maintaining a long and stable rule. Valor and srength without prudence can result in tyranny and aggressiveness, which in turn result in the loss of loyal retainers and subjects, and prove to be damaging to Kingship. That is why Heremod failed to be a good King and had to pay dearly for his tyranny and maltreatment of his own men: he was turned away from the joys of men,

ȝeah be hine mihtig God mægenes wynnum,
eafepum stēpte ofer ealle men
forðgefremede[5]

(II.1716-18)

[although mighty God had raised him in power, in the joys of strength, had set him up over all men].

human enemies, supernatural adversaries, or other destructive forces. It goes without saying that this assumption implies that Hrothgr's character and career as an old King provide a principal key to a better understanding of the controlling theme of Boewulf and of the character and heroic career of its protagonist.

The Anglo - Saxon ideals of heroism and kingship primarily involve the qualities of valor, strength , wisdom, prudence, generosity, and readiness to sacrifice oneself for one's people[3]. These qualities should ideally go together in both heroes and kings. Yet divding them into two groups may help us draw a distinguishing line between the role of the hero and the role of the King in Boewulf - a step especially useful for the present study.

Valor and strenght (the two main components of the Latin designation Fortitudo) are more pertinent to heroes, while wisdom and prudence (usually designated by Latin Sapientia), generosity, and sacrifcing onseslf for one's people are especially pertinent to Kings[4]. This division is not meant to suggest that the ideals of heroism and the ideals of Kingship are absolutely incompatible: they are indeed compatible in as much as it is possible for the ideal hero to grow into an ideal hero - King . This division simply indicates that the ideal of heroism features a set of priorities different from those of the ideal of Kingly behaviour.

Of the Kings and heroes presented or alluded to in Boewulf , only Boewulf himself combines the qualities of the ideal hero and the ideal King. Thus, he enjoys the status of the hero - king. Hrothger, on the other hand, falls short of enjoying this status. The poet constantly juxtaposes Hrothger and Boewulf in the first half of the poem as two men of different calibres: Hrothger as an inert , meditative old man brooding in anguish, and Boewulf as a potent man action. Moreover, the fact that Hrothger fails to sacrifice himself for his people in a dogged fight agsinst Grendel puts him in direct contrast with King Boewulf who does sacrifice himself for

hero, part with each other, the former is the latter's avowed spiritual father. Having seen Boewulf complement his heroic intention with heroic words and deeds, Hrothgar can only love him as a son. Boewulf is by no means unhappy with that.

Hrothgar's adoption of Boewulf as his spiritual son is symbolic and emblematic of more than one thing in the context of the poem. For one thing, and as the mainstream of events makes clear later in the poem, Hrothgar's present as an aged King foreshadows Boewulf's future, although. Boewulf himself my not realize it - at least not at this stage. Moreover, and by the same token, Boewulf's presence as a young and potent hero must have compelled Hrothgar to remember sadly his qwr long- lost youth with all its physical achievements through heroic valor and strength. And , thirdly, the newely - realized father - son relationship between Hrothgar and Boewulf serves to prepare the poem's audience for the tragic ending of Boewulf life and with it the ending of the poem. Boewulf who, due to his vigorous youth, is now Hrothgar's foil, will ultimately turn out to be Hrothgar's counterpart on account of his not being immune against the feebleness of old age and the imperfection of man. It is with Boewulf's very foil, with the old and wise, yet feeble, King as opposed to the quick - minded, young, and vigorous hero that this study is concerned . Through careful analysis of Hrothgr's role in Boewulf this study should illuminate both the role of Boewulf and the controlling theme of the poem as a whole. We will try to show that the Boewulf poet's portrayal of Hrothgar is a creative commentary on Boewulf's heroic life and character in particular and on the heroic ideal in general.

The basic assumption with which the study starts is that Boewulf presents its protagonist as an arch example of the potent young hero who must fall victim, in his later years, to what he shares with his spiritual father: impotency in the face of death, death that must ultimately overtake all the living, whether it be at the hands of

Critics and readers of Boewulf do unequivocally agree that it is the story of Beowulf. The poem tells of three great fights by Boewulf. In the first two of these fights, Boewulf uses his superior physical might in saving the Danes and their King, Hrothgar, from the menace of two monsters: Grendel and his mother. In the third, Boewulf saves his own people, the Geats , from a ravaging and destructive fire - dragon. The first two fights are accomplished while Boewulf is still ayoung hero, a retainer of the Geatish King Hygelac. The third occurs after Boewulf has succeeded his lord and cousin Heardred, Hygelac's son, in ruling the Geats. Boewulf's successful rule continues through the last fifty years of his life - a life that culminates in a heroic ending in the fight against the fire - dragon. Just as he lives for the honor and well - being of his people, coupled of course with his personal honor as a great hero - King , Boewulf dies for the same. He Kills the dragon, thus saving his people from it, but pays his own life as a price.

As he paddles through the mainstream of his protagonist's heroic career, the Boewulf poet resorts frequently to contrast as a means of highlighting the primary heroic themes of his poem and the basic heroic qualities of his protagonist, Boewulf . This is done systematically by the poet, whether he treats main events or digressions. Among the heroes and Kings compared or contrasted explicitly or implicitly with Boewulf in the many digressions of the poem are Sigemund, Heremod , Offa , Hama , and Hygelac[1]. In the main body of events in the poem, The King who figures as a counterpart and a foil of Boewulf is Hrothgar, the Danish King who ranks right next to Boewulf himself in significance as a poetic persona in Boewulf[2]

When he first meets Boewulf, Hrothgar is the grey - haired royal host in his grand meadhall, Heorot, receiving a royal guest - a young hero coming from afar with the heroic intention of stemming for his beleaguered host a monstrous source of evil, namely, Grendel's terror. When the two men, the aged King and the young

Se Good Cyning
An Interpretation of Hrothgar in Beowulf

Naser Y. AL – Hassan Athamneh
Yarmouk University

Abstract

This study reconsiders Hrothgar's role and relative merits in Beowulf . It tries to demonstrate that Hrothgar fails to be an embodiment of the heroic ideal proper not simply because he is old , and thus lacking in physical prowess and bravery - as it is usually maintained by , Beowulf scholars - but because, in him , the ideal of kingship , of which he is an embodiment (though not unequivocally) , is incompatible with the ideal of heroism.
Hrothgar falls short of being an ideal hero - king. That status is reserved for the protagonist of the poem Beowulf. Yet, Hrothgar is presented in the poem as a good king, though a much less heroic figure than Beowulf himself. The distinction between the role of the king and the role of the hero forms a major thematic element in Beowulf.

21- Manlove writes in the above mentioned essay: "Bunyan does not usually deal with moral concepts directly: his characters are not Faith or Hope but Faithful and Hopeful" (22). The fact is that The Pilgrim's Progress shows an abundance of conceptual names, such as "Mistrust, Guilt, Little-faith, Ignorance, Slough of Despond, Lord Vain-glory, Lord Lechery ... not to mention the four sisters of Palace Beautiful: Prudence, Piety, Discretion and Charity.

22- Kathleen A. Swain, Christian's "Christian Behaviour" to His Family in Pilgrim's Progress," Religion and Literature. V.21, Pt. 3 (1989), 10.

· Received, 16/8/1994

9- AL-Ma'arri's is the old Arabic prose style, which, apart from the comma, has no punctuation signs except the ending of the paragraph with a period. A. A. Al-Rahman has introduced modern punctuation into the Dissertation and thus facilitated the reading of an originally difficult text.

10- C.N. Manlove, "The Image of the Journey in Pilgrim's Progress: Narrative versus Allegory," Journal of Narrative Technique, V. 1 0, Pt. 1 (1 980), 34.

11- A. Shalaq, "Introduction," Dissertation on Remission (Beirut: Dar AL-Qalam, N.D.), 6.

12- Johannes Hedberg, "John Bunyan, The Pilgrim's Progress," Moderna Spark, v. 8. Pt. 2 (1989), 108,110

13- A.H. Fa'our, "Introduction," Dissertation on Remission (Beirut: Dar Al-Kutub AL-ILmiya, 1990), 3.

14- Kh. Hindaawi, Renovating the Dissertation on Remission (Beirut: Dar AL-Adab, 1965), 10.

15- Arab scholars unanimously agree that the British scholar R.A. Nicholson has effectively and brilliantly introduced the Dissertation to English readers. See J.R.A.S., 5 (1902), 9-89.

16- Betty A. Schellenberg, " Sociability and Sequel: Rewriting Hero and Journey in The Pilgrim's Progress, Part Il," 312.

17- C.N. Manlove, "The Image of the Journey in Pilgrim's Progress: Narrative Versus Allegory", 21.

18- R. Sharrock, " Introduction," The Pilgrim's Progress, 17.

19- Maurice Hussey, "The Humanism of John Bunyan," The Pelican Guide to English Literature. 3 (1970), 225.

20- Vincent Newey, "The Disinherited Pilgrim: Jude the Obscure and The Pilgrim's Progress." Durham University Journal, V. 80 Pt. 1 (1987), 60.

Notes

I- References are to Dissertation on Remission, ed. Aisha Abd AI-Rahman - alias Bint AL-Shatii (Cairo: Dar AI-Ma'arif, 1977).

2- References are to The Pilgrim's Progress, ed. Roger Sharrock (London: Penguin Classic, 1987).

3- Taha Hussein, the "Dean of Arab Literature," has been the first critic to classify the Dissertation as fiction: "This Dissertation is the Arabs' first fantasy story." See T. Hussein, Renovating the Memory of Abu AI-Alaa (Cairo: Dar AI-Ma'arif, 1924), 239.

4- "The fantastic therefore implies an integration of the reader into the world of the characters; that world is defined by the reader's own ambiguous perception of the events narrated." See Tzvetan Todorov, The Fantastic (tr. R. Howard), (Ithaca: Cornell University Press, 1987), 3 1.

5- Betty A. Schellenberg, "Sociability and the Sequel: Rewriting Hero and Journey in The Pilgrim's Progress. Part II," Studies in the Novel, V. 23, pt. 3 (1991), 316.

6- Through meticulous examination, Omar Moussa-Pasha has been able to enumerate the names of eight Gardens in the Quran. They are: Magnificence, Peace, Sanctuary, Immortality, Paradise, Felicity, Eden, Habitation. See 0. Moussa-Pasha, New Viewpoints in Abi AI-Ala'a's Remission (Damascus: Dar Tlass, 1989), 53-54.

7- "We have granted you AL-Kowthar." See AI-Kowthar soura in AI-Quran, the first verse.

8- AI-Ma'arri's fantasy imagery derives mainly from AI-Quran. Aisha Abd AL-Rahman has counted 43 Quranic verses by which AL-Ma'arri is directly influenced. She, nevertheless, emphasizes "his unexampled way of structuring new imagery from old material." See A. AI-Rahman, Remission (Cairo: Dar AI-Ma'arif, 1954), 59.

the Muslim in the "lower life" are, according to him, measures for testing the solidity of his faith. Enduring them, he will be granted in the "latter life" full satisfaction of his naturalness.

Two similarities of subject matter between the two writers further demonstrate, paradoxically, the conceptual differences between them. On the one hand, both Christian and Ibn AL-Qarih are given a Roll of salvation each. Because of the phenomenal number of people around him, Ibn AL-Qarih loses his Roll, and is consequently denied entrance at the very gate of Heaven. He is given access to address the Prophet Mohammad, and the Prophet is assured by people in the Divine Grand Bureau (260) that there is a copy of Ibn AL-Qarih's Roll. Later, and by means of intercession from two of the Prophet's children, he was "snapped" (262) into Paradise.

Intercession and the Roll are also two inevitable means for salvation in Bunyan's concept of salvation. But Ibn AL-Qarih's destiny, had he been a Bunyan character, would have been exactly as that of Ignorance, who was thrust into Hell at the very gate of Heaven for having last his Roll (216).

are told of a lion (304) and a wolf (306) who win salvation through beneficent deeds. Christian and Hopeful, on the other hand, do not include well-doing in their tabular lists, nor is it anywhere mentioned in The Pilgrim's Progress as a means of salvation. Even Charity in Palace Beautiful appears to have nothing to pronounce on the significance of her name.[21]

The two authors are evidently more preoccupied with the problems of the head, and the investigation of these problems. But more important than debating in the two narratives is the debators' humanity. The three Bunyan protagonists, Christian, Faithful and Hopeful, inattentively become three attitudenizing exclusionists. Not only that they reject the arguments of such people as Talkative, Ignorance or Atheist, but also reject their human companionship. In their straightforward adherence to their vision of salvation, they isolate themselves from the myriad of journey mates, whose visions are at variance with theirs. Their company of Jesus and the Cross, they are happy to believe, should exclude the company of those presumed-to-be sinners and wayward mortals.

A]-Ma'arri's Elect, on the other hand, exhibit a remarkably democratic attitude. Unlike Christian, Ibn AI-Qarih has always a question to ask, not because he is ignorant of the answer but simply because he has a penchant for the free exchange of ideas. So do all the others, from Adam (360-2) to the serpents.

The austerity and, one is tempted to say, the lack of genuine democracy, which characterize Bunyan's vision of salvation, ironically derive from his humane intention "to exhort readers to clearer insight into and commitment to ideal conduct and character".[22] For salvation to Bunyan is the possession by man of spiritual purity through renouncing the flesh, and of psychic immunity against evil through embracing the Cross.

For AL-Ma'arri, salvation is the restoration to man of all his natural drives in a state of total gratification. The Restrictions imposed on

of Humiliation, the Valley of the shadow of Death, Vanity Fair and Doubting Castle." [19]

Across these psychological/spiritual places, humans move along in a state of confusion, loss and bewilderment. Whenever they meet, a heated debate ensues, and the theme is always one: the divine means and the human conditions leading to salvation. Since human nature is always susceptible to temptation and corruption, man's intellect can hardly afford to straighten man's way towards redemption. Salvation is inobtainable through sheer human intelligence or endeavour. Christ's grace has to be bestowed upon him. Man can only make himself ready to receive this grace. Bunyan's protagonists, Christian and Hopeful, go as far as to prepare tabular charts of the psychological and spiritual prerequisites which have to be doggedly followed if one is to be numbered among the Elect (205-6, 206-7). As V. Newey writes, "Christian's philosophy of passive uncertainty is at bottom stabilized by a strict code of belief...[20]

Al-Ma'arri's Elect characters are real historical figures who move about in a vast world of fantasy. The fact that they are invariably intelligent, and are never "adulterated" (185) by stupid ones, signifies a fundamental variance with Bunyan's concept of salvation. For Al-Ma'arri, intellect is one of two prerequisites of salvation of which eight great Arab poets have availed themselves and consequently been bequeathed palaces in Paradise (178-267). One of the greatest seven Arab poets before Islam, Lubeed, is forgiven for having written only three lines of poetry in praise of God. The lines are inscribed in gold on the front wall of his palace in Paradise (267). Moreover, two locusts were pardoned on the same ground and granted unlimited capacity for culture, composing and singing (274).

Al-Ma'arri's celebration of intellect in the Dissertation is so encompassing that it leaves less than three pages for the projection of the second prerequisite for remission, namely well-doing. We

render futile the work of his mind. Hasn't this happened to David, Heman, and Hezekiah (181) and to Peter (182)? In the words of Roger Sharrouk, "The Pilgrim's Progress is not intellectual or highly organized as in the sophisticated religious allegory of Dante or Spenser,"18 and , one may add, in Dissertation on Remission.

Such difference in the kind of moral preoccupation of each writer reflects a difference in their visions of the cosmos. Bunyan appears to believe that the world of religious truth is irrevocably independent of the world of physical truth. Al-Ma'arri appears to believe that the world of physical truth is merged with the world of religious truth. Consequently, for Bunyan, salvation through arriving into the world of religious truth has nothing to do with individual consciousness or Cartesian doubt, but rather with negating the physical world, through a journey of self-denunciation and self-purification, for another, where Jesus and the Cross constitute the only "physical" reality. For AL-Ma'arri, who is much nearer to Descartes than Bunyan is, salvation is merely an intelligent reading of the facts of the physical world, which inevitably enables the human mind of recognizing the existence of God.

The effect of this cosmic vision on each author's character portrayal is immense. Ibn Al-Qarih, who has received the Roll of salvation for his repentence, arrives in a wink before one of the gates of Paradise. Conversely, Christian, who is also granted a sin-filar Roll early in his journey, falls every now and then in the grip of a bitter stress which the author excells in naming as the Slough of Despond, or Giant Despair, or Mount Difficulty, etc. The fact is that all the fantasy places and creatures in The Pilgrim's Progress are, in a profound sense, representations of the failings not of the intellect but of the spirit of Christian. In the words of Maurice Hussey, Bunyan appears to "draw spiritual torments from his experience and clothe them in the external proprieties of the Valley

While Bunyan, moreover, "was a representative of the ordinary man," with an "ability to write deft social satire,"[12] Al-Ma'arri is the intellectual par excellence who corresponds only with intellectuals. His language is two erudite and, sometimes, obsolete for a common reader to comprehend. "A philosopher without a philosophy," he plunges his inquisitive mind into the "tumult of philosophical and scientific opinion... of the doctrinal and intellectual currents"[13] of his age. As Kh. Hindaawi writes, "you never can know: is he a believer or a misbeliever; puzzled or a puzzling; contet or disgruntled; or rather all these together?"[14] Yet, and despite Al-Ma'arri's ambivalence of vision, Nicholson describes the Dissertation as being "a delightful creation of fancy, a trifle pedantic, but witty, audacious and original."[15] Bunyan, on the contrary, creates a hero and sets "him in conflict with society's governing concerns." [16]

A more substantial difference in vision between the two writers, however, resides in their moral terms of reference. As Manlove remarks, "Bunyan's allegory operates only on one level, the moral."[17] So does Al-Ma'arri's. But while Bunyan's moral concern is delineated through psychological/spiritual experiences, Al-Ma'arri's is demonstrated through philosophical and intellectual channels in which fantasy is most significant. For him, man's salvation is infinitely easy to obtain. If only man would turn about more towards the world of things, or would only look a little further in front, man would easily perceive the divine presence. And perceiving to Al-Ma'arri is believing. Man's mere recognition of the divine presence, and his acceptance to abide by its laws and rules, are a solid guarantee of salvation.

Bunyan, of course, views with harsh contempt such a concept. Neither looking around nor looking through, not even deep thinking, is capable of achieving salvation. Human nature, Christian keeps reminding himself and his companion, is sinful both in flesh and spirit. It will always fail even a believer, and

he meets once more with the quince Houri. She asks him why he hasn't responded to her favours. He replies: "Follow me among these amber dunes and musk hills" (372).

Moslim writers have traditionally abstained from openly presenting such scenes as being representative of life in Paradise. Al-Ma'arri, however, appears to have opted for fantasy, based on scriptural accounts, to predicate a vision of human salvation. The quince Houri scene is, nevertheless, imbued with a subtle sense of humour which renders the author's point of view virtually impossible to glean. Subtle humour characterizes the whole tale. It unveils understatements that are directly opposed to the outwardly pious tone of the narrative. In the above-quoted scene, a reader may easily construe mockery, instead of faith, in its concept of time, in the protagonist's supplication, in the immediacy of the re-shaping of the quince Houri, and in the utterly sensual envisioning of both place and action. The Elect's sense of eternal time, while ostensibly revealing happiness and fulfilment, inevitably recalls Utnapishitim's boredom of his immortality in the The Epic of Gilgamesh. Ibn Al-Qarih's mind at the very moment of supplication is busy considering the slimness of the quince Houri. The essential sensuality of the entire scene indeed lends ample room to construe agnosticism, at least, and not pious godliness.

The two aspects of geography and journey in Al-Ma'arri's Dissertation are, for the most part, diametrically opposed to those in Bunyan's The Pilgrim's Progress. But difference between the two authors, with regards to these two aspects, is only an introduction to greater, more central differences of vision. First of these are perhaps the cultural and historical. C.N. Manlove has aptly referred to Bunyan's loneliness "in an age where the world itself began to seem a lonely speck in infinite space".[10] Al-Ma'arri's age, however is one which witnessed "the wide spread of intellectual and literary enlightenments."[11]

story of "her" gaining salvation through acts of charity and benevolence, then reads him some of the poetry "she" memorized while hiding in "her" hole in the ceiling of a distinguished scholar's house, during earthly life. Finally, "she" concludes by analysing the recited poems with a profound sense of literary criticism. The scene achieves a sensational climax when one of them offers the man more luxurious sex than any human woman can offer, if he would only accept the invitation. Ibn Al-Qarih takes to his heels in sheer panic.

In another episode of his journey, and guided by what Bunyan would name "a shining one," Ibn Al-Qarih is ushered into gardens "whose nature is unknown except to God," and is requested to pick whatever of its fruits:

> *He picks a quince, or a pomegranate, or an apple, or whatever God has willed of these fruits, and breaks it, and from it emerges a white-eyed, black-irissed maiden, whose beauty confounds the Houris of Paradise, and she says: "Who are you, worshipper of God?" so he says" "I am so-and-so." and she says: "I had been promised meeting with you four thousand years before God created the world." At [hearing] that, he kneels down in glorification of the Almighty God.... While still kneeling, it occurs to him that the maiden, though fine, is slender, and upon raising his head ... he finds that behind her has stretched a buttock equal in size to the sand dunes of Alij, Anqaa, Duhnaa... (288-9).*

Ibn Al-Qarih feels confounded. He implores God to have this Houri's rump "shortened". Upon which he is informed: "You are given the freedom of choice in remoulding this maiden after your own will" (289)[9].

In terms of plot, the scene comes to an abrupt end. Ibn Al-Qarih immediately moves to the Paradise of demons and then to Hell. Only after eighty three pages, and having returned to Paradise, that

and psychological mechanics of the process shall be investigated later in this paper; the end, however, is thus conceived:

> *... You shall have white robes given you, and your walk and talk shall bee every day with the king, even all the days of eternity... You are going now to Abraham, to Issac, and to Jacob, and to the prophets each walking in his righteousness .... You must reap what you have sown... You must wear crowns of gold and enjoy the perpetual sight and vision of the Holy One .... You shall serve him continually with praise with shouting and thanksgiving .... There you shall enjoy your friends again ... (212-13)*

It is strictly and infinitely a spiritual life, perfectly salvaged from "the infirmity of [the] flesh" (213).

Whether luckily or not, Ibn AI-Qarih finds an utterly different life awaiting him. His companions are poets, men of letters, composers and singers of all generations and be every day with the King, even all the days of eternity You are going centuries. They dwell and meet in palaces. They spend their time debating, drinking, singing, eating and loving. Fantasy and realness comingle fascinatingly in all of AL-Ma'arri's presentation of Heavenly life. We are told of a flock of geese hovering over and keeping company with Ibn AI-Qarih, who, observing them, wonders what they are after. To his bewilderment, they tell him: "we were inspired to drop in this shrub in order that we may sing for the drinking people in it". Upon receiving his consent to do so, "they flutter and metamorphose into shapely maidens swinging in Paradise-made embroidery (212).

More significant still is AI-Ma'arri's presentation of the snakes which refutes the symbolism of the snake associated with the religious story of the Fall. We are told here of snakes playing and diving, trudging and lightly moving" (364). Upon wondering: "what is a snake doing in Paradise?" Ibn AI-Qarih is addressed by the snakes as if they have read his mind. Each snake narrates the

sun", because its streets were paved with gold; and in them walked many men with crowns on their heads, palms in their hands, and golden harps to sing praises withall" (216).

The Journeys of the two protagonist are no less signifyingly different. Ibn AL-Qarih, an outstanding, contemporary man of letters, to whom the Dissertation was addressed, is summoned by divine volition to join the society of the Elect in Paradise. In other words, his journey commences almost at the very moment Bunyan's Christian's terminates. Ibn Al-Qarih's repentence and God-glorifying writings have earned him straightforward, irrevocable salvation. Christian, very troubled and confused as to "what shall 1 do to be saved" (52), is also summoned by a divine agent named Evangelist, but only to be urged to "fly the wrath to come" and to "keep that light in your eye, and go up directly" to the "Wicket Gate" (53). It is not going to be an easy journey. Unlike Ibn Al-Qarih's, his arrival at the Celestial City is preceded by a vast amount of "Weariness, painfulness, hunger, perils, nakedness. sword, lions, dragons, darkness, and, in a word, death" (61). Ibn Al-Qarih would have been incredulous to find out that Christian went into so many heart-rending perils even though he, Christian, had been awarded the Roll of Salvation at a relatively early stage of his journey.

In terms of narrative technique, Ibn Al-Qarih's journey starts after his arrival into Heaven. It is only on an accidental stimulation from fellow feast-members that he retrospectively narrates the troublesome time he spent at the Gate of Paradise before he was snatched inside by Prophet Mohammad's son. Christian's journey, contrary to that of his counterpart, ends almost immediately after his entrance. The significance is clear. AlMa'arri's concern is with the living condition of salvation; Bunyan's, with its process. For Al-Ma'arri, salvation is only a beginning of an actualized immortality; for Bunyan, salvation is an end in itself. The spiritual

Bunyan, the whole landscape is invariably charged with psychological/spiritual significance and is linguistically epitomized in specified names. Once a name of a place is given in The Pilgrim's Progress, the reader will readily infer the "nature" of that place. The Slough of Despond "is such a place as cannot be mended; it is the descent whither the scum and filth that attends conviction for sin doth continually run" (58). Hill Difficulty has a "narrow way" which "lay right up the Hill (and the name of the going up the side of the hill is called Difficulty)" (88). Humiliation has to be fantasized as a "valley", of course, and not a hill or a mountain. So is the Shadow of Death.

Although the element of fantasy is equally powerful in Al-Ma'arri's presentation, the "nature" of his geography is neither abstract nor moralistic; it is purely physical. In honour of Ibn Al-Qarih, for example, "trees of delicious taste have been planted in the Garden, the shadow of each of which would cover the entire distance between [earthly] east and west" (140). These trees are irrigated by River Al-Kowthar, which is Prophet Mohammad's river in Paradise[7]. There is an abundance of rivers, naturally, and a mere sip from any of which eternally salvages the human mortal from death (141). There are streams of wine springing from the mouths of egrets, ibises and peacocks, which, though alive, are moulded of precious stones (149,153). Rivers of milk and honey are, of course, flowing everywhere (153), from them "unheard - of, most - delicious fish" (167) might be easily taken out. There are palaces and streets, and transportation is maintained by rocket swift horses and camels (175,195,259) whose substance is pure pearls and corundum[8].

Bunyan presents the briefest of accounts concerning the geography of the Celestial City and the nature of life there. In a statement, the didactic intention of which defeats the appeal of its fantasy, we are informed of the existence of, not "trees" in the physical sense, but one "Tree of Life" (212). Moreover, the whole city shines "like the

vanity, and that it should last all the year long. Therefore at this Fair are all such merchandise sold, as houses, lands, trades, places, honours, preferments, titles, countries, kingdom, lusts, pleasures, and delights of all sorts, as whores, bawds, wives, husbands, children, masters, servants, lives, blood, bodies, souls, silver, gold, pearls, precious stones, and what not. (137).

Such juxtaposition does not exist in Al-Ma'arri's geography. His protagonist is summoned up from his repose in the Big Mosque, in Aleppo, to a nocturnal journey, and is immediately ascended to Heaven. In a flash of a second he is situated in front of the gate of Paradise. Only infinite space exists here. And only at this gate that Al-Ma'arri's geography becomes gradually discernible. Very soon, nevertheless, the reader is initiated into a vision of the Gardens of Eden - but not before he is assured that the Earth is a "stagnant land" (140), and that "it is a deceptive house which cuts off all dignity" (146). What stagnation? What deception? What humiliation? Al-Ma'arri's Dissertation does not oblige inquisitiveness. No further details are given on what Bunyan understandably qualifies as "The wilderness of this world" (51).

Bunyan's Celestial City appears to be rather adjacent to the earth. Pilgrims can arrive at it on foot. Al-Ma'arri's Paradise is incomparably far away. Ibn Al-Qarih has to be carried to it by the angels. Although only three of the eight Gardens of Paradise are mentioned in the Dissertation[6], the narrative builds up an impinging sense of their infinite spaciousness. One of their inhabitants, a one-eyed poet, who is awarded immortality for patience and perseverance during earthly life, tells Ibn Al-Qarih: "I would be in the farthest point, west of Paradise, and 1 would still behold a friend of mine in its east, though between me and him is a distance of thousands of the sun years...... (263).

An equally fundamental difference between the two authors' description of their respective salvation geography is that, with

Beelzebub, and consequently between the true believer and the misbeliever. The palpable feature about space in Christian's movement is that such places as the River of life, the Delectable Mountains, and the Land of Beulah, are divine places; whereas the Slough of Despond, Mount difficulty, and the Valley of the Shadow of Death, to name but a few, definitely and irrevocably belong to Beelzebub. The fact that Christian has to cross a greater number of the devil's places than of the divine places only reflects the austerity and pessimism of the author's moral vision. For the two categories of places are so criss-cross and interspersed that even a person like Christian, whom God has numbered among the Elect, is prone to commit the fatal error of mistaking the devil's land for the Lord's. The fact that "a little below these [Delectable] Mountains, on the left hand, lieth the country of conceit," (174), and that the area around Christian and Hopeful abounds in towns and cities such as Apostacy, Sincere, and Good-confidence (176,177), only reveals how beguiling and sinister the road to salvation can become. We are further told that "Graceless [is] a town about two miles off honesty" (204), another town, and that the Land of Beulah and the Enchanted Ground are juxtaposed as extreme opposites (207). Between Beulah and the Celestial City, moreover, runs a horrid River which almost drowns Christian and his companion. Indeed, these fantastic places constitute "a secular threat,[5] to Christian.

It should be observed, however, that these geographical juxtapositions were effected by a very ancient polarization of good and evil:

> *Almost five thousand years ago, there were pilgrims walking to the Celestial City, asthese two honest persons are; and Beelzebub, Apollyon, and Legion, with their companions, perceiving by the path that the Pilgrims made that their way to the city lay through this town of Vanity, they contrived here to set up a fair; a fair wherein should be sold all sorts of*

Six centuries and two fundamentally different cultures, the Islamic Arab and the Christian English, stand between Al-Ma'arri's Dissertation on Remssion[1] and Bunyan's The Pilgrim's Progress[2] The two tales[3], nevertheless, link together astonishingly significantly in that both are fantasy fiction and that both essentially demonstrate a concept of human salvation. Indeed, their meeting point goes beyond external, general resemblances. For the two tales are structured round three main artistic patterns, namely, space, journey and character, which are all describable as fantastic, and which, as Todorov would have it, integrate the reader in their fictional world.[4] The Two central characters plunge, in varying degrees of depth and spaciousness, into a cosmic geography, encounter fantastic creatures, and settle finally in a world unexperienced yet by humans and is conceptualized as "Paradise" or "The Celestial City".

Both geography and journey, however, are not gratuitous ramifications of active imaginations. Rather, they embody and illustrate the two authors' visions of salvation which prompted them. Needless to say, each writer's geography is no less than the entire universe of man. On the one hand, AL-Ma'arri's seems to exhibit an essential either/or characteristic: under the condition of faith, the whole cosmos belongs to God and believers; under the condition of faithlessness it all belongs to Satan and misbelievers, Once Ibn Al-Qarih, the protagonist, is granted his Roll of Salvation, both his mind and life acquire immunity against evil and temptation. This cosmic dichotomy, though fundamentally a matter of metaphorical intellection rather than a physical factuality, dominates mental and spiritual life till doomsday, when Satan and the misbelievers, as Ibn Al-Qarih will see in his sudden and short visit to Hell, are ushered into everlasting fire and the universe is liberated from evil.

On the other hand, Bunyan's geography appears to be conspicuously and yet confusingly divided between God and

A Journey unto Eternity: Islamic and Christian Concepts of Salvation in Al-Ma'arri's Dissertation on Remission and Bunyan's The Pilgrim's Progress

Dr. Hani Al-Raheb
Faculty of Arts
Department of English
Damascus university

Abstract

Religion has throughout the ages inspired men of letters to explore regions of thought which can aptly be described as metaphysical. Al-Ma'arri from Syria and Bunyan from England, although separated by six hundred years and two essentially different cultures, have attempted such exploration parallel means and methods: a cosmic journey, a cosmic geography, a journeyer who transcends his human condition, a host of secondary characters, and finally a destination which is no less than Paradise. Highly individualized in their concept formation, the two writers present contrasting visualizations of eternity, immortality heaven, faith, remission and salvation.

INTERPRETING: PAST AND PRESENT

Ahmed Ankit
Department of English
University of Emirates

ABSTRACT

There is a confusion between the term translation and the term interpreting due to the lack of publications in this field of applied linguistics. The present paper clearly distinguishes between types of translation (oral and written) in Arabic, traces the historical development of interpreting and puts interpreters into different categories. It argues that interpreting was known before translation. It also aims to draw the interest of researchers in translation studies to consider the virgin area of interpreting, especially now that many universities have started offering courses in interpreting in accordance with the increasing demands of the profession.

'For the paper in Arabic language see the pages (٢١١ — ٢٩٧)

The impact of cooperative learning in the teaching of science on the achievement of the fourth class elementary students

Dr. Mohammed Sabbarini
Faculty of Education
Yarmok University
Jordan

Dr. Amal Khasaweneh
Faculty of Education
Yarmok University
Jordan

ABSTRACT

The purpose of the present paper is to investigate the effect of a cooperative learning method on the progress of elementary school pupils taking science subjects. The methods in question is compared with the traditional whole class method with accompanying teacher demonstration.

56 Fourth Grade male pupils and one teacher have taken part in a treatment test experiment. The experimental group in which pupils worked in mixed – ability cooperative groups were found to perform significantly ($\alpha = 0.05$) better than their control group counterparts who were subjected to the traditional whole – class demonstration method.

Our findings are in compliance with a number of studies conducted in foreign countries which point to the strong influence of cooperative learning due to learning from peers in mixed – ability groups of pupils.

In the light of our present findings, it is recommended that the cooperative learning method should be used in teaching science, and more research should be conducted with a view to investigating the effect of this method on practical skills.

*For the paper in Arabic language see the pages (٢٩٦ — ٢٧٩)

The education youth and political alienation and its relation to certain variables

Dr. Idrees Azzam
Faculty of Arts
Department of Sociology
Jordan university

Abstract

The purpose of 'this study is to investigate the problem of youth political alienation, and its relationships with some selected variables. The data was gathered from a sample of 836 male and female students in the University of Jordan in the summer of 1989. The data was classified into category a; politically alienated and category b; non-politically alienated.

The study reveals that political alienation is negatively related to the following variables: participation in voting, and affiliations to political parties, with the potential of being a leader. Alienated youths tend to be less knowledgeable of the political process and thus lack the understanding of national and international repercussion. They tend to be distrustful, dissatisfied, and less hopeful about the future of the democratic process -and political-reform in. Jordan -society.

On the other hand alienated youths know more about the ideal form of political orientation and systems which must be democratij, they have a high feeling of depression.

'For the paper in Arabic language see the pages (٢٧٨ — ٢٢٧)

Woman and "The Principle of" the end. Justifies the Means "In the "Torah"

Dr. Ali Jbawi
Faculty of Arts
Department of Geography
Damascus university

Abstract

Upon reading the present "Torah", one can easily find that the prophets of the Jewish religion and its wisemen were not intact in their daily behavior, for they followed unstraight ways, some of them used women as means to achieve their own objectives. So, they preceded Nickolo Mackiavelli, who in truth was deeply influenced by the "Torah", in establishing the principle of "the End Justifies the Means

way of reeaching sound and correct understanding of the characteristics of this economy.

In the fifth century B.C. there wrs substatial evidences that emphasized the idea that the general situation of the (Polis) had itself given great strength to the process of improving classical economy. This was evident through the architectural monuments and constructions that were erected in many City-Statés the (Polis) . On the other hand, the later development of the cashgoods relations and the wide spread of slaves mainly in the agricultural estates paved the way to the growth of productivity of agricultural economy, and became one of its major elements and characteristics. The new and primary conclusion we have reached as a result of this research is that the (Polis). system could guarantee the economic progress of the ancient Greek society.

'For the paper in Arabic language see the pages (١٨٠ — ١٤٣)

Problems of the Economic Development of the Greek City -State (Polis) in the Fifth Century B.C.

Dr. Khalil Sarah
Department History-Facul.ty of Arts
Damascus University

Abstract

This research deals with the attempts that aim at studying the various aspects - essential and secondary - that help the learner understand the economy of the ancient Greek society in the fifth century B.C. Furthermore, the paper does not overlook the important factors that influence the development process of economy such as: characteristics of the natural environment , the means to reach a high level in the development of production forces , characteristics of production, characteristics of the social, political and economi system . and the degree of exchange with the societies of the Mediterranean Basin.

In this research we clarify the stages of economic development which took place in the city-state (Polis) depending on the most important pieces of evidence that ancient historians have provide in analysing that situation and refer to the interpretation and explanation of the viewpoints of different scholars relating to the economy of ancient Greece relying in this on modern and contemporary studies that have helpedw a lot understand and comprehend" the characteristics of Greek economy in the fifth centrury B. C. we then discuss the new scientific changes that have befallen polis and brought about some substitution in the pervading old outlooks that stood in the

The relationship between the child and television in the governorate of Dara.

Dr. Ali Watfa
Faculate des Education
Université de Damas

ABSTRACT

The paper aims at exploring and discussing the relationship between the child and television. The research was conducted in the Syrian Govrnorate of Dara in 1990.
The paper puts forward some important recommendations regarding ways and means to govern this relationship. It also underlines the need to keep children away from watching T.V programs designed for the adults.
The researcher stresses the need to rationalize T.V viewing and to encourage parents to examine the negative and positive aspects of T.V programmes.

*For the paper in Arabic language see the pages (١٤٢ – ٧٧)

Platonic matter:

(1)- Primary matter: (nothingness).

(2)- Sensible matter.

For this reason, Plato offers two meanings for the matter: firstly, a philosophical sense, and secondly a physical sense which is concerned with the structure of the matter. In fact, Plato's theory of matter- before Aristotle- marks the climax of the development of Greek philosophical thought. Its importance manifests in its influence on Aristotle, especially, in his logical formulation and defenition of the philosophical categories.

For the paper in Arabic language see the pages (٧٥ — ٥٣)

The concept of matter in Plato's Philosophy

Dr. Suleiman Al-Daher
Department of sociology
Faculty of Arts
Damascus university

Abstract

Plato's thought (427 - 347 B. C.) is regarded as a distinctive stage in the history of Greek philosophy. He is the first thinker to distinguish between the intelligible world (Ideas or Forms) and the sensible world (material things). Starting from this distinction, he contrasts between cosmology that has theological origin and nature, which is dominated by necessity. It is necessary in Plato's view to assume the existence of something that is material principle, by which the ideas of intelligible world can be realized in the sensible world, and thus their likenesses be actualized.

Plato rejected any of the four natural elements as to be a universal principle for all existents, since any of them must be determined, and also characterized by qualities. Thus the research is an attempt to find out the principle which Plato accepted instead of that which has been admitted by the natural philosophers. Accordingly, we have presented some opinions that deal with Plato's matter. And while we have agreed with some views, we have disagreed with the others.

It has been noticed through our study to the Greek convention which is used by Plato, that there is a possibility of differentiating between two kinds of the

The problem of understanding science in modern Western Thinking: an analytical study

Dr. Khalil Darweesh
Faculty of Arts
Jordan University

Abstract

This study aims to point out the historical processes in which science has been separated from theology. It also shows to what degree a scientist can make valid and rational value - free judgments.

The study indicates the appearance of a new main stream in the West. including both physical and social sciences, and attempts on explanation of the philosophy of science, and its reconstruction . However , this orientation has no concensus. despite the fact that it depend on common theoretical and methodological grounds and characteristics.

The study concludes with the notion that science cannot be considered without taking these characteristics into consideration.

*For the paper in Arabic language see the pages (٥١ — ٢٥)

Les aspects géneraux du dévéloppement humain et économique en Syrie

Dr. Mohamad Harba
université de Damas
Faculté des letters et des sciences humaines
Département de géographie

Résumé

La population de la Syrie s'accroit avec des taux trés forts. L'accroissement varie annuellement entre 33,1 et 33,5 par mille. De 1970 à 1994, le nombre de la popultion a augmenté de 6.3 millions à 13.8 millions. Il est prévu que ce nombre atteigne 30 millions d'habitans en 2025. En revanche pour la même période, l'economie syrienne vit une évolution et un dévélopment qui apparaissent évidents, en quantité et en qualité, dans les différents domaines notamment agriculturel et industeriel.

Ceci est dans le but de réaliser un équilibre entre l'accroissement rapid de la popultion et le dévéloppment économique rationnel, d'assurer un niveau de vie satisfaisant et de garantir un avenir rassurant.

Cette étude traite les aspects de l'évolution et du dévéloppment économiques et humains et analyse leurs situations dans la période mentionnée ci – dessus. Elle vise à présnter l'état de l'évolution et du dévéloppment, les réalisations effectuées dans les deux domaines de l'agriculture et de l'industrie depuis 1970 et les modifications accompagnantes de l'organisation géographique en Syrie donnant lieu à l'émergence de nouvelles zones focales de production.

Enfin cette étude propose quelques idées et présente des conséquences et des recommandations; l'auteur estime, qu'une fois appliquées, elle constituent un moyen éfficace pour affronter l'avenir.

'For the paper in Arabic language see the pages (٣٤ — ٩)

CONTENTS

DAMASCUS UNIVERSITY

JOURNAL

FOR THE ARTS AND HUMAN AND EDUCATIONAL SCIENCES



A Refereed Research Journal

VOL. 13- NO. 2- 1997

